الجزء الثالث

من

أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء

تأليف محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي عفي عنه

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٣ هجرية و ١٩٢٥ ميلادية

طبع في المطبعة العلمية في مدينة حلب على نفقة مؤلفه

بسم الله الرحمن الرحيم

ترتيب مملكة حلب في عهد دولة الجراكسة

نكلم صاحب صبح الأعشى المتوفى سنة ٨٢١ على ترتيب مملكة حلب في هذا العصر ولو نقلناه جميعه لطال الشرح وهو يصلح ان يكون كتاباً مستقلا فنكتفي بالاشارة الى ذلك بصورة اجمالية ومن احب الوقوف على التفصيل فليرجع الى الكتاب المذكور . قال في الجزء الرابع في صحيفة ٢٢٧

-(الصنف الاول وظائف ارباب السيوف وهي عدة وظائف)-

منها (نيابة السلطنة) ومنها (نيابة القلعة) ومنها (الحجوبية) ومنها (شد الاوقاف) ومنها (المهمندارية) ومنها (شد الدواوين) ومنها (شد مراكز البريد) ومنها (ولاية المدينة) ومنها (شد الاقواد)

واما الوظائف الديوانية بها لأرباب الاقلام فمنها (الوزارة) ومنها (كتابة السر) ومنها (نظر الجيش) ومنها (نظر المال) ومنها (نظر الاوقاف) ومنها (نظر الجامع الكبير) ومنها (نظر البيمارستان) ومنها (نظر الأقواد)

-(الصنف الثاني الوظائف الدينية)-

فمنها (القضاء) وبها اربعة قضاة من المذاهب الاربعة كما في دمشق ومنها | قضاء العسكر | ومنها | افتاء دار العدل | ومنها | وكالة بيت المال | ومنها

[نقابة الاشراف] ومنها (مشيخة الشيوخ) ومنها الحسبة] ومنها الخطابة بالجامع الكبير) ومنها (التداريس والتصادير المعدوقة بنظر النائب

—« الصنف الثالث وظائف ارباب الصناعات »—

فمنها رياسة الطب ورياسة الكحالين ورياسة الجرائحية

وتكلم في صحيفة ٤/٢٢٢ عن ترتيب النيابة بها وكيفية خروج النائب في المواكب وقد بسط هذا البحث ايضاً صاحب الدر المنتخب المنسوب لابن الشحنة وسيأتيك قريباً ثم تكلم على النيابات التي هي داخل حدود البلاد الشامية قال وهي احدى عشرة نيابة

الاولى (نيابة قلعة المسلمين المسماة في القديم بقلعة الروم) الثانية [نيابة الكختا] الثالثة [نيابة كركر] الرابعة (نيابة بهسنى الخامسة (نيابة عينتاب) السادسة (نيابة الراوندان) السابعة [نيابة الدربساك]] الثامنة [(نيابة بغراس) التاسعة [نيابة القصير] العاشرة [نيابة الشغر وبكاس] الحادية عشرة (نيابة شيزر) ثم قال

—« الصنف الثاني من ارباب السيوف بخارج حلب الولاة وولاية جميعها »—

من نائب حلب بتواقيع كريمة والمشهور منها ١٢ ولاية

الاولى (ولاية بر حلب) الثانية (ولاية كفر طاب) الثالثة (ولاية سرمين) الرابعة (ولاية الجبول) الخامسة [ولاية جبل سمعان] السادسة [ولاية عزاز السابعة [ولاية تل باشر) الثامنة [ولاية منبج] التاسعة [ولاية تيزين] العاشرة [ولاية الباب وبزاعا] الحادية عشر [ولاية دركوش] الثانية عشرة ولاية انطاكية

وتكلم فى الجزء الثانى عشر على صور التقاليد التي كانت تكتب للامراء وغيرهم

ونحن نكتفي بالاشارة اليها ايضاً ويجدر بكل اديب وكاتب ان يقف عليها

احوال نواب حلب وقضاتها وامرائها وارباب وظائفها

في ذلك العهد وكيفية استقبال نواب حلب

قال في الباب الخامس والعشرين من الدر المنتخب المنسوب لابن الشحنة اما نائب حلب فيكون من اعيان مقدمي الألوف بالقاهرة وتارة ينقل من نيابة طرابلس اليها وربما نقل من حماة اليها وقد نقل اشق تمر من دمشق اليها غير مرة وقد يتناوب فيلي تارة دمشق وتارة حلب لكن اكبر نواب المملكة نائب دمشق ثم نائب حلب ثم طرابلس ثم حماة ثم صفد

وهذا النائب اذا قدم الى حلب من عادته ان ينزل على عين مباركة بعد ان يخرج الى لقائه القضاة والمقدمون الى خان طومان والمباشرون يلاقونه غالباً الى حماة ثم يصبح فيركب من عين مباركة لابسا تشريفه وتخرج اليه القضاة وجميع الجيش وارباب المناصب وطوائف المشايخ واهل الحارات متجملين ومتعددين . فاذا وصل الى باب القلعة نزل عن فرسه ونزل لنزوله حاجب الحجاب الاربعة وتقدم اليه نائب القلعة ومتولى الحجر والنقيب فنزعوا سيفه وحلوا حياصته فيصلي

ركعتين وهو محلول الحياصة وحياصته في عنقه وسيفه بيد والى الحجر ثم يقدم اليه العلم السلطانى فيقبله ويقبل الارض ثم يركب ويدخل الى دار النيابة فيقرأ تقليده بحضرة القضاة والمباشرين وهو واقف على قدميه وكلما ذكر الاسم الشريف السلطاني او ذكر ثناء السلطان عليه فى التقليد يأمره حاجب الحجاب بتقبيل الارض ثم يفيض على ارباب المناصب خلعاً سنية بحسب مراتبهم وقارى التقليد هو كاتب السر ويكون على كرسى منصوب له واقفاً عليه ثم في كل يوم اثنين وخميس يركب بالكلفتة والقبا ويركب معه المقدمون وارباب المناصب من الترك والجند ويسير الى قبة الماردانى ومعه الجاوشية يزعقون بين يديه . ثم يعود فيقف تحت القلعة راكباً وتعرض عليه الخيول والاملاك ويجهر الندا بالامان للرعية واظهار العدل . ثم يتقدمه كتائب الامراء من هناك الى باب دار العدل وهو مدى طويل والامراء المقدمون ثمانية لكل واحد منهم مماليك عبرتهم ان يكونوا مائة فان موضوع هؤلاء الامراء ان يكون كل منهم امير مائة فارس ومقدم الف وقد صار مدة طويلة دوادار من قبل السلطان يكون قائماً في خدمة النائب لكنه في الباطن عين عليه وكان فى الغالب من امراء الطبلخانات وقد يكون من المقدمين

واما نائب القلعة فكان قديما من اصاغر الامراء ثم من فتنة الناصري قرر النائب بالقلعة امير مائة مقدم الف واستمر الامر كذلك الى يومنا هذا وليس في نواب قلاع القاهرة ودمشق وغيرها مقدم الف الا نائب قلعة حلب خاصة ولم يكن له عادة بحضور الموكب ثم صار بعضهم ربما حضر المجلس فيجلس دون امير الميسرة وامير الميسرة يجلس الى جانب حاجب الحجاب

[عوداً الى تمام كيفية الحال في يوم الموكب]

فأذا وصل الى تجاه القلعة اصطفت البحرية وقوفا له حتى يسلم عليهم ثم يدخل الباب فيقدم حاجب الحجاب وعصاه في يده ويمشى فى خدمته الى قرب الأيوان الذي يجلس عليه وهو تجاه الباب الكبير وليس بين الباب وبين الأيوان حجاب ولا سترة ويكون قد سبقه اليه قاضي القضاة فجلسوا سطراً واحداً عن يساره فأن يمينه خلاء ثم يجلس الى جانب قاضي القضاة قاضيا العسكر ومفتيا دار العدل وتجاههم كاتب السر وناظر الجيش ثم الى جانب ناظر الجيش الموقعون فتدور الحلقة ويقف الدوادار الكبير وراء كاتب السر وناظر الجيش خارج الحلقة وان كان الوزير متعمما جلس معهم وان كان تركيا جلس بين يدي الترك فيسلم عن يساره على القضاة ثم عن يمينه على الأمراء ثم تجاهه على بقية الجماعة . ثم يجلس على مكان مرتفع معد لجلوسه نحو نصف ذراع ويجلس حاجب الحجاب على درجة اسفل من ذلك المكان بحيث يكون رأسه متساويا لتخت النائب الذي يجلس عليه والمقدمون يجلسون على مساطب باب دار النيابة فيأخذ القصص نقباء الجيش ثم الحجاب الصغار فيوصلونها الى حاجب الحجاب فيناولها حاجب الحجاب لكاتب السر فيعطى مايتعلق بالجيش لناظر الجيش ويرمي بالبقية الى الموقعين ثم تقرأ بعض القصص الشرعية ثم يقوم الحاجب فيأذن للقضاة بالأنصراف . ثم تارة يجلس النائب بعدهم لفصل الامور وتارة يدخل ويسمى ذلك اليوم بيوم الموكب ويجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في هذا المكان ويحضره المقدمون الثمانية فيجلس الأمير الكبير عن يمينه وحاجب الحجاب عن شماله ولا يجلس فوق المقدمين الا القضاة والعلماء ان اتفق حضورهم او احد منهم ويجلس كاتب السر وناظر الجيش دون المقدمين

فوق الأربعينيات

وكانت العادة القديمة ان يصلي النائب الجمعة والعيدين بالجامع الأعظم بالشاش والقماش ثم صار يصلي بجامع الطنبغا ثم لما عصى يلبغا الناصري بني له جامعاً بدار العدل وصار يصلي فيه والآن اكثر مايصلي النائب هناك وفي بعض الأوقات ربما صلي بالجامع الأعظم او بجامع دمرداش وفي يومي العيدين يصلي بجامع دمرداش واذا لم يركب للموكب لا تحضر القضاة عنده الا بطلب

وكان بحلب الوزير له جهات معلومة من المكس وغيره وكان عليه كلف الخاصكية والبريدية ومرتبات معلومة ثم اضيفت تلك الجهات الى ديوان النيابة وبطل الوزير ثم اعيد ذلك في الأيام المؤيدية ثم بطل

واقطاع النيابة له استادار يتكلم فيه مقتصراً على ذلك لا يتعداه الى غيره وناظر ديوان ومباشرون وفي ايام الظلم ربما تكلم الأستادار في غير الديوان اه

[الكلام على دار العدل بدمشق وحلب وسبب بنائهما]

مر بك في الفصل السابق وقبله ذكر دار العدل بحلب ولعل النفس تتوق الى معرفتها ومعرفة مكانها وقد رأيت في كنوز الذهب للعلامة ابي ذر (١)

(١) ذكرت في المقدمة في الكلام على هذا الكتاب في صحيفة (٢٦) انه في مجلدين وان الثاني منهما عند سعادة الفاضل احمد تيمور باشا المصري في جملة ماوقفه من الكتب وقد تفضل بأرساله الينا اعارة فوجدنا فيه كنزاً ثميناً واخباراً كثيرة هامة وامورا تتعلق بتاريخ الشهباء وقد اخذنا في الأتيان على معظم مافيه ووضع كل شيء في محله والجزء مخروم من اوله وهو بخطوط متعددة محرر في زمن المؤلف وعليه خطه في مواضع كثيرة الا ان الكتاب غير مرتب ترتيباً حسناً وكأن المنية اخترمت المؤلف رحمه الله قبل العناية بترتيبه كما يجب وقد سبق غير مرة اني قلت قال في كراسة عندي اظنها من كنوز الذهب لأبي ذر ولما وصل الي هذا الكتاب وجدت الكراسة بتمامها منقولة منه فتحقق ماظننته ولله الحمد •

فضلاً مسهباً تكلم فيه على دار العدل بدمشق وحلب وسبب بنائهما فأحببت اتحاف القارئ الكريم بهذا الفصل لما فيه من الفوائد التاريخية الحسنة قال سبب بنائها اولاً [اي بدمشق] ان نور الدين لما طال مقامه بدمشق واقام بها امراؤه وفيهم اسد الدين شيركوه اكبر امرائه وكان الأمراء قد اقتنوا الاملاك وتعدى كل منهم على من يجاوره في قرية او غيرها فكثرت الشكاوى الى القاضي كمال الدين فأنصف بعضهم من بعض ولم يقدر على الانصاف من شيركوه فأنهى الحال الى نور الدين فأمر ببناء دار العدل فلما سمع شيركوه ذلك احضر نوابه وقال اعلموا ان نور الدين مابنى هذه الدار الا بسببي وحدي والا فمن هو الذي يمتنع على القاضي كمال الدين ووالله لئن احضرت الى دار العدل بسبب واحد منكم لأصلبنه فامضوا الى من كان بينكم وبينه منازعة فأعطوه وارضوه بأي شيء امكن ولو اتى ذلك على جميع مابيدي فقالوا ان الناس اذا علموا بذلك اشتطوا في الطلب فقال لهم خروج املاكي عن يدي اسهل علي من ان يظن نور الدين اني ظالم او يساوى بيني وبين آحاد العالم في الحكومة فخرجوا من عنده وفعلوا ما أمرهم به وارضوا خصماءهم واشهدوا عليهم فلما فرغت دار العدل جلس نور الدين فيها لفصل الخصومات والمحاكمات وكان يجلس في الأسبوع يومين وعنده القاضي والفقهاء وبقي على ذلك مدة فلم يحضر اليه احد يشتكي من اسد الدين فقال نور الدين للقاضي ما جاءنا احد يشتكي من اسد الدين فعرفه القاضي الحال فسجد نور الدين شكراً لله تعالى وقال الحمد لله الذي اصحابنا ينصفون من انفسهم قبل حضورهم عندنا وكان انما يعينه على ذلك صدقه وحسن نيته ثم سلك هذه السنة السلطان الملك الظاهر غازي فبنى سوراً على حلب وفتح له بابا من جهة القبلة تجاه باب العراق وبابا من جهة الشرق والشمال على

حافة الخندق كما سيأتي في سورها وكان اذا ركب يخرج منها فبني دار العدل بحلب لجلوسه العام فيها بين السورين السور العتيق الذي فيه الباب الصغير وفيه الفصيل الذي بناه نور الدين وبين السور الذى جدده ومكتوب على بابها [انشأ هذه الدار اقبال الظاهر العزيزي الناصري بتولى مملوكه ايدغدى صنعة المطوع] ولم تزل الملوك تجدد في هذه الدار سيما بعد فتنة تيمور فأينال الصصلاني وسع المقعد المعروف بالشباك ويشبك جدد البحرة وتغرى درمش عمر السقف الذى قدام الشباك ورخم الأرض تحته وجدد المكان الذي يجلس فيه المباشرون . وقرقماس بنى قبة بأربعة اواوين فوق سطحها وقايتباى البهلوان بنى قبة على الزردخاناه وفرغ من ذلك سنة خمسين وثمانمائة وجلبان جدد المطبخ وجدد جانبيك المؤيدي بها اماكن ثم المقر السيفي قانصوه جدد فيها مقعدا عظيما ملاصقاً لجنينة يشبك وكان الناس يمرون من الشباك الى الجنينة على باب الحريم فقطع ذلك ابغا وغيره وجعل للجنينة لما بناه مدخلا من عند الشباك وعزل طريقاً خربا هناك وبناه احسن بناء وجعله مقعدا للمباشرين يجلسون فيه عند باب المقعد المذكور وذلك في سنه ست وسبعين وتقدم في الجوامع مسجد السيدة وجامع الناصرى ومن بناه [ذكر ثمة انهما مبنيان داخل دار العدل] وكل نائب ينعزل من حلب تتركها اعوانه كالخربة فيأتى من بعده يصلحها وبهذه الدار حمام لأجل حريم الملوك وقاعة الحريم سقط منها مكان على جواري جانم اخى الأشرف كافل حلب فمات منهم من مات فجدده المذكور ومن الغرائب ان البلدي كافل حلب وقع من اصطبله بها حجر على فرس له فمات الفرس وكتب السلطان اليه يخفض عنه فى ذلك فشق عليه ذلك فقيل له لأي شيء شق عليك فقال فرس في اصطبلي يموت فما يخفى على السلطان

فكيف احكامى اه [اقول] وقد خربت دار العدل ولم اقف على الوقت الذى خربت فيه ولعل ذلك في الزلزلة الكبرى التي حصلت سنة ١٢٣٧ وموضعها الآن حديقة المستشفى الوطني الغربية يرشدك الى ذلك قوله ان قانصوه جدد فيها مقعداً عظيما ملاصقاً لجنينة يشبك وجنينة يشبك هي جنوبي مدرسته المعروفة الآن بجامع سوق العبي والله اعلم

سنة ٨٢٤

ذكر وفاة الملك المؤيد شيخ وسلطنة ولده الملك المظفر احمد

قال ابن أياس ماخلاصته في هذه السنة توفي الملك المؤيد شيخ واقيم في السلطنة ولده الملك المظفر احمد وله من العمر سنة وثمانية اشهر وقام بتدبير الملك الامير ططر وكان ذلك تاسع المحرم من هذه السنة ثم قال وجاءت الأخبار من البلاد الشامية بان جقمق الأرغونى نائب الشام قد خامر وخرج عن الطاعة وكذلك يشبك المؤيدي نائب حلب قد خامر ايضاً وخرج عن الطاعة وكذلك بقية النواب قد خامروا وخرجوا عن الطاعة وكان الأتابكى الطنبغا القرمشى لما توجه الى الشام بسبب عصيان النواب وقع معهم بمن معه من الأمراء فهربوا الى صرخد ثم ان الأتابكى الطنبغا لما توجه الى صرخد جمع العربان والعشير ورجع الى دمشق واوقع مع نائب الشام جقمق فانكسر جقمق منه وهرب الى نحو حلب فملك الأتابكى الطنبغا دمشق وقلعتها فاما بلغه وفاة الملك المؤيد وسلطنة ابنه اظهر العصيان وخرج عن الطاعة واقام بدمشق وحصنها ونصب على سورها المكاحل بالمدافع والتفت عليه العربان والعشير

ذكر تولية حلب للأمير الطنبغا الصغير وقتل الأمير يشبك اليوسفي

قال ابو ذر في كنوز الذهب ان السلطان المؤيد جرد من الامراء المصرية الى حلب ثمان امراء للأقامة بحلب ووصلوا في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وهم الطنبغا القرمشى والطنبغا الصغير والأمير طوغان والأمير الطنبغا المرقبي وشرباش قاقسو وازدمر الناصرى وجلبان واقبلاط الدمرداش فوصلوا الى حماة وكان نائبهــا اينال دوادار نوروز فمسكوه حسب المراسيم الشريفة بذلك لهم واستقر في نيابتها اقبلاط المذكور ثم وصلوا الى حلب فبينماهم مقيمون بلغهم وفاة المؤيد وتوفي فى شهرالمحرم واستخلاف ولده تتر المذكور فحصل لهم امر عظيم فقصدوا التوجه الى القاهرة ويشبك نائب حلب بحلب وتكررت لهم المكاتبات بسرعة الحضور فخرجوا من حلب وجاء الأمير الكبير القرمشى ليودعه فطلع يشبك الى مأذنة جامع النــاصري داخل دار العدل فاشار اليه بالسلام الأمير الكبير وخرجوا من حلب ويذكر ان يشبك طلب منجمه ابن الفلكى واستشاره فى الخروج اليهم فقال له هذه ساعة لاارى لك الخروج فيها فلم يلتفت اليه فخرج في اثرهم فقتل وقطع رأسه وكان اضمر سوءً كثيراً لأهل حلب فوقــاهم الله شره وجعل كيده فى نحره وعلق رأسه بباب القلعة وذلك رابع عشر المحرم سنة اربع وعشرين وثمانمائة ثم دفن مع عظم رأسه بعد يوم فى المكان الذى انشأه بحلب عند باب السر ثم اخذت جلدة الوجه والرأس بعد ايام فدفنت معه فلما اتفق ذلك عادوا الىحلب ونهبوا موجوده واقاموا اياما انتهى .

ترجمة يشبك بن عبد الله اليوسفى المتوفى سنة ٨٢٤

وسبب قتله

قال في المنهل الصافى[١] هو يشبك بن عبدالله اليوسفى المؤيدي الأمير سيف الدين نائب حلب هو من مماليك الملك المؤيد شيخ اشتراه في ايام امريته ورباه واعتقه الى ان تسلطن ولاه شاد الشراب خاناه ثم انعم عليه بأمرة مائة وتقدمة الف بالديار المصرية واستمر على ذلك الى ان ولي نيابة طرابلس بعد عصيان الامير سودون بن عبدالرحمن فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة فدام في نيابتها الى سنة عشرين ثم ولى حلب بعد الأمير قجقار القردمى في هذه السنة فدام فيها الى ان توفي استاذة الملك المؤيد والعساكر المصرية بتلك البلاد وكان المقدم على الأمراء والعسكر المصري الأمير الطنبغا القرمشى وكان الجميع بحلب فلما بلغهم موت السلطان وقع الأتفاق بينهم على عودهم الى دمشق فخرجوا من حلب الى نحو دمشق وتخلف يشبك هذا بحلب ولم يخرج لوداعهم ثم بدا له ان يخرج من حلب ويطوقهم بغتة فركب من وقته قبل ان يأكل السماط وساق خلفهم حتى لحقهم خارج حلب وقاتلهم فلم يلبث يشبك هذا وانهزم ثم قتل من وقته ثم حملت رأسه بين يدى القرمشى وعاد القرمشي الى حلب ودخل دار السعادة فوجد سماط يشبك قد مد فأكله بمن معه فكان حال يشبك كقول ابي الفتح البستى

(١) مخطوط فى خمسة مجلدات ضخمة تأليف الفاضل يوسف بن تغرى بردى المصرى المتوفى سنة ٨٧٢ تفضل بارساله الينا اعارة من مصر سعادة الوجيه المفضال احمد باشا تيمور فالتقطنا منه ماله علاقة بحلب واثبتناه فى محاله وهو مما وقفه على مكتبته الحافلة التى انشأها بمصر واودع فيها نفائس الاسفار وجلائل الآثار وشيد لها بناء خاصاً فجزاه الله على حسن صنيعه احسن الجزاء .

الى حتفي سعى قدمي اري قدمى اراق دمي

وكان قتل يشبك المذكور في المحرم سنة اربع وعشرين وثمانمائة وكان شابا طوالاً شجاعا مقداماً جباراً ظالماً وعنده كرم مع طيش وخفة رحمه الله وولي نيابة حلب عوضه الأمير الطنبغا عبد الواحد الصغير اهـ

ذكر مقتل على عماد الدين النسيمى

قال فى كنوز الذهب وفي ايام يشبك المذكور قتل على النسيمي الزنديق ادعي عليه بدار العدل بحضور شيخنا المذيل [يعنى به ابن خطيب الناصرية] وشمس الدين ابن امين الدولة وكان اذ ذاك نائب الشيخ عز الدين وقاضى القضاة فتح الدين المالكى وقاضى القضاة شهاب الدين الحنبلي المدعو بأبن الخازوق بالفاظه المنسوبة اليه وكان قد اغوى بعض من لا عقل له وتبعوه على كفره وزندقته والحاده فقام للدعوى عليه ابن الشنقشي الحنفى وذلك بحضور القضاة وعلماء البلدة فقال له النائب ان انت اثبت ما تقول فيه والا قتلتك فأحجم عند سماعه هذا الكلام عن الدعوى والنسيمي لا يزيد فى كلامه على التلفظ بالشهادتين ونفى ما قيل عنه فحضر عند ذلك الشيخ شهاب الدين ابن هلال وجلس فوق القاضى المالكى وافتى فى هذه المجلس بأنه زنديق وانه يقتل ولا تقبل توبته ولما جلس فوق المالكى انحرف منه ثم ان ابن هلال قال للمالكى لم لا يقتل فقال له المالكى اتكتب بخطك بأنه يقتل فقال نعم فكتب له صورة فتوى فكتب عليها فعرض خطه على شيخنا المذيل وبقية القضاة والعلماء الحاضرين فلم يوافقوه على ذلك فقال له المالكى اذا كان القضاة والعلماء لا يوافقونك كيف اقتله بقولك فقال يشبك انا لا اقتله فان السلطان رسم لى ان اطالعه وانظر

ما ذا يرسم السلطان فيه وانفصل المجلس على ذلك ودام عند النائب بدار العدل في الاعتقال وطوالع المؤيد [السلطان] بخبره ثم بعد ذلك حصل للنائب خروج الى العمق فاخرجوه الى سجن القلعة فورد مرسوم المؤيد بأن يسلخ ويشهر بحلب سبعة ايام وينادي عليه ثم تقطع اعضاؤه ويرسل منها شيئ لعلي باك بن ذي الغادر واخيه ناصر الدين وعثمان قرايلوك فانه كان قد افسد عقايدهم هؤلاء ففعل ذلك به وهذا الرجل كان كافراً ملحداً نعوذ بالله من قوله وفعله وله شعر رقيق اه

قال في قاموس الاعلام عماد الدين الصوفي واحد الشعراء المشهورين طاف البلاد ودخل بلاد الروم فى اوائل سلطنة السلطان مراد خان العثماني الاول وبعد ذلك اتى الى حلب فتوفي بها وله ديوان بالفارسية والتركية [١] واورد له بيتين بالتركية وبيتين بالفارسية

اقول وهو مدفون فى تكية تعرف به في محلة الفرافرة تجاه الحمام المعروفة بحمام السلطان بالقرب من دار الحكومة وكل من تولى مشيخة هذه التكية صار يعرف بالنسيمى والسلطان مراد تولى السلطنة سنة ٧٦١ وتوفي سنة ٧٩١

ولاية الطنبغا الصغير

قال فى كنوز الذهب . ثم استقر فى نيابتها الطنبغا الصغير ثم ان الامراء توجهوا من حلب الى دمشق ثم حضر السلطان بعد ذلك الى حلب وقبل وصوله نزل اهل قلعة حلب وكبسوا الطنبغا الصغير بدار العدل فتسحب فى نفر يسير وتوجه الى جهة كركر ثم عاد مختفيا الى حلب عند حلول الركاب السلطانى ثم

(١) قال في الكشف ديوان النسيمي تركي وهو عماد الدين المقتول سيف الشرع الشريف بحلب في سنة ٨٢٠ وهو من تلامذة فضل الله الحروفي وله في الزبدة بيتان اه

توجه في جماعة من اصحابه الى نائب كركر فخرج عليه التركمان فقتلوه وغالب من معه

ترجمة الطنبغا

قال في المنهل الصافي الطنبغا بن عبدالله بن عبدالواحد الظاهري الأمير علاء الدين المعروف بالصغير هو من صغار المماليك الظاهرية برقوق وممن ترقى في الدولة المؤيدية شيخ الى ان صار امير مائة ومقدم الف ثم ولاه رأس نوبة النوب بعد الأمير ططر بحكم انتقال ططر الى امرة مجلس واستمر الامير الطنبغا الصغير على ذلك الى ان تجرد صحبة الأمير الطنبغا القرمشي الى البلاد الشامية ووقع ماحكيناه في ترجمة القرمشي من تولية المذكور لنيابة حلب بعد قتل الأمير يشبك اليوسفي المؤيدي واستمر الطنبغا الصغير هذا في نيابة حلب الى ان بلغه ان الأمير ططر قبض على القرمشي وقتله تخوف وخرج من حلب فاراً فلقيه بعض تركمان الطاعة فركبوا وقاتلوه قتالاً شديداً ثم انكسر وامسك وقتل بمعاملة البلاد الحلبية في تاسع شهر شعبان سنة اربع وعشرين وثمانمائة وكان شاباً ظريفاً تركيا مليح الشكل شجاعا سخيا وله مشاركة هنيه ويستحضر بعض تاريخ وكثيراً من السيرة النبوية منهمكاً في اللذات رحمه الله تعالى وعفا عنه اهـ

ذكر تولية حلب للامير اينال الجكمي

قال في تحف الانباء في حوادث هذه السنة وفي ربيع الآخر توجه الملك ططر الى البلاد الشامية لاجل عصيان النواب [جقمق نائب الشام والطنبغا القرمشي] وصحبته الملك المظفر والخليفة والقضاة الاربعة فلما وصل الى دمشق تحارب مع نائبها جقمق فانكسر جقمق والامراء الذين معه وهربوا فاستولى ططر على الشام

فلما ملكها اتى اليه الطنبغا طائعا فخلع عليه وفرح به ثم قيده وسجنه فى قلعة دمشق وقرر في نيابة حلب اينال الجكمي ثم ان ططر توجه الى حلب وصحبته الملك المظفر فلما دخلها امر بشنق كردي امير التركمان بالعمق

ذكر ترجمة كردى امير التركمان واسباب شنقه

قال ابن الخطيب . كردي بن كندز الشهير بكردي باك التركمانى امير التركمان بالعمق بعد ابن صاحب الباز . جرى بينه وبين نواب حلب وقائع وذلك انه كثر جمعه وقصد الاستيلاء على تلك البلاد بحيث لايبقى لنواب حلب فيها حكم فلما كان سنة عشر وثمانمائة جمع الامير تمربغا المشطوب نائب حلب عسكره وركب عليه وجرى بينهما وقعة بطرف العمق من جهة الشمال بالجومة فانكسر العسكر الحلبي وقتل بعض الأمراء ورجع تمربغا المشطوب الى حلب هارباً فى اناس قلائل وقوي امر كردي وجعل تارة يصانع النواب وتارة يعصيهم وكان اكثر طاعته للأمير دمرداش فأنه كان يصاحبه وكان دمرداش يحسن اليه وينعم عليه انعاماً كثيرا فلما ولي نيابة حلب شيخ الذي صار سلطاناً عصى عليه كردي باك فخرج شيخ من حلب بعسكره ونازله بالعمق فنزل كردى بجمعه بالقرب من بغراس تحت الجبل وشيخ تجاهه بالعسكر يضايقه فلما كان فى بعض الأيام وشيخ غافل لم يشعر الا وقد بغته كردى باك بعسكره فلم يحفل به ملك الأمراء شيخ بل تأنى ساعة بحيث يرى ماينتهي اليه امره ثم ركب ملك الأمراء شيخ هو وعسكره وحملوا على كردى وعسكره وكان كردي فى عسكر كثير جداً خيالة ورجالة فثبت ملك الأمراء شيخ وقاتلهم اشد القتال فانكسر كردى باك كسرة شنيعة وقتل من عسكره جماعة وهرب الباقون وتشتت شملهم ورجع ملك

الأمراء وعسكره الى حلب منصورين وذلك في سنة اربع عشرة وثمانمائة فلما ولي الأمير دمرداش نيابة حلب من جهة السلطان المؤيد شيخ وجاء الى حلب عضده الأمير كردي باك وتوجه معه الى حلب لقتال الأمير طوخ فلم ينل من طوخ شيئاً ثم رجع دمرداش الى جهة العمق هو وكردي واستمر كذلك ودمرداش الى ان توجه اليهم الأمير طوخ وقاتلهم فتوجه الأمير دمرداش الى الديار المصرية وكردي الى عليا بلاده واستمر امير التركمان بالعمق فلما توفي الملك المؤيد وحضر الأمير ططر الى حلب حضر الأمير كردى باك اليه وكان الأمير ططر من امراء حلب مع تمربغا المشطوب حين كسره كردى باك الكسرة التى حكيناها فلما صار كردي باك عند ططر بقلعة حلب امسكه وامر بشنقه فشنق تحت قلعة حلب في رجب او شعبان سنة اربع وعشرين وثمانمائة وكان كردى اميراً كبيرا والقوافل آمنة فى ايامه عفا الله عنه

ذكر تولية حلب للأمير تغري بردى بن قصروه

قال في تحف الأنباء وفي رجب خلع ططر على تغرى بردى بن قصروه وجعله نائباً بحلب عوضاً عن اينال الجكمى ثم رجع عائداً الى دمشق

ذكر سلطنة الملك الظاهر ططر الجركسي

قال ابن اياس ما خلاصته لما ملك ططر دمشق على جماعة من الأمراء المؤيدية وخلع الملك المظفر احمد من السلطنة وتسلطن عوضه بدمشق وكان الخليفة المعتضد بالله داود صحبته والقضاة الأربعة فبايعوا ططر وسلطنوه وذلك تاسع عشرى شعبان سنة اربع وعشرين وثمانمائة وتلقب بالملك الظاهر ثم عاد الى الديار المصرية

ذكر موت الملك الظاهر ططر وسلطنة ابنه الملك الصالح ناصر الدين محمد

قال ابن اياس كانت وفاة الملك الظاهر ططر رابع ذى الحجة ولما مرض عهد بالسلطنة الى ابنه محمد وتسلطن وله من العمر نحو احدى عشر سنة وقام بالامر برسباي الدقماق

ذكر عصيان الأمير تغرى بردي بن قصروه

قال في تحف الأنباء بعد سلطنة الملك الناصر محمد انت الأخبار الى مصر بأن تغري بردي نائب حلب اظهر العصيان بها وخرج عن الطاعة وكان الظاهر ططر قبل موته ارسل يعزله وولى قاني بك نيابة حلب عوضاً عنه

ترجمة تغرى بردى وزيادة بيان في خبر عصيانه

قال في المنهل الصافى . تغري بردي بن عبد الله المؤيدي الأَمير سيف الدين نائب حلب المعروف بأخى قصروه اصله من المماليك المؤيدية شيخ اشتراه ورقاه الى ان جعله خاصكيا ثم امير عشرة ولما مات استاذه الملك المؤيد وثب تغري بردى هذا وصار امير ماية ومقدم الف بالديار المصرية وامير اخور كبيراً عوضاً عن الأمير طوغان امير اخور بحكم غيابه فى التجريدة صحبة الأمرأء الى البلاد الشامية ودام تغرى بردي على ذلك اشهراً الى ان توجه الأمير الكبير ططر بالملك المظفر احمد الى البلاد الشامية في سنة اربع وعشرين وثمانمائة ووصل الى دمشق ثم الى حلب استقر بالأمير تغرى بردى هذا في نيابة حلب عوضاً عن الأمير اينال الجكمى بحكم عزله فى السنة المذكورة فاستمر بحلب مدة يسيرة وخرج عن طاعة الملك الظاهر ططر وبلغ ذلك فأرسل تشريفاً الى الأمير

تنبك البجاسى نائب طرابلس بنيابة حلب فبرز الأمير تنبك المذكور الى ظاهر طرابلس للتوجه الى حلب فورد عليه الخبر بموت الملك الظاهر ططر وسلطنة ولده الملك الصالح محمد بن ططر فكف تنبك عن السفر الى ان قدم عليه مرسوم شريف بتوجهه الى حلب لأخراج تغري بردى منها واستيلائه عليها فسار تنبك وصحبته عسكر طرابلس وحماة ووافاه الأمير اينال النوروزي نائب صفد بعسكرها بطريق حلب وبلغ مجئ هؤلاء العساكر تغري بردي ففر من حلب قبل وصول تنبك اليها ومعه الأمير كزل نائب البهسنا وتوجها الى بهسنا بعد ان الخشا في العصيان ووقع بينهما امور عجيبة مع اهل حلب فتبعه تنبك الى البلاد فلم يقف له على اثر فعاد الى حلب ثم خرج الى بهسنا ومعه العساكر وحاصر تغرى بردى مدة طويلة وقتل الأمير كزل نائب بهسنا في الحصار ولما طال الأمر عاد الأمير تنبك البجاسى الى حلب وخلف على حصار بهسنا الأمير جار قطلو نائب حماة والأمير اينال النوروزى نائب صفد كل ذلك وتغري بردي صابر على القتال ولم يكن عنده بقلعة بهسنا الا نفر يسير وطال الأمر عليه الى ان طلب الأمان من الأمير جار قطلو وبلغ الخبر تنبك البجاسى فركب من وقته من حلب حتى وصل الى بهسنا في يومين فوجد الأمير تغري بردي قد نزل من قلعة بهسنا فتسلمه وعاد به الى حلب فحبسه بقلعتها في العشر الأخير من شهر رمضان سنة خمس وعشرين وثمانمائة فاستمر الأمير تغري بردى محبوساً بها الى ان قتل بها في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة وسنه نيف على ثلاثين سنة وكان شاباً شجاعا جميلا مقداماً عارفاً بفنون الفروسية الا انه كان عنده تكبر واسراف على نفسه رحمه الله تعالى .

(سنة ٨٢٥)

ذكر تولية حلب للأمير قانى باك

قال فى تحف الأنباء وفي سنة خمس وعشرين وثمانمائة فى المحرم تسلم قاني بك نيابة حلب بعد ان حصل بينه وبين تغري بردى حرب شديدة وانكسر تغري بردي وهرب . قال ابو ذر فيها كان الغلاء بحلب واعقبه الطاعون فمات فيه سبعون الفاً وخلا اكثر القلعة من الناس وسمي طاعون الشباب .

ذكر خلع الملك الصالح احمد وسلطنة برسباى الدقماقي

قال ابن اياس ما خلاصته خلع الملك الناصر احمد ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وتسلطن بعده الملك الأشرف برسباي الدقماقى الظاهري

سنة ٨٢٦

ذكر تولية حلب للأمير جارقطلو

قال السخاوى نقله الاشرف لنيابة حلب عوضاً عن قاني بك البجاسى فكان دخوله في شوال سنة ست وعشرين قال وهو على السنة العامة بالشين المعجمة بدل الجيم ثم تولى دمشق سنة خمس وثلاثين ومات بها سنة سبع وثلاثين وكان شهما مشرفا على نفسه يحب العدل والانصاف ولم يخلف ولداً وذكره ابن خطيب الناصرية فقال انه كان اميراً كبيراً شجاعاً مشكور الايام بدمشق مع حدة يبادر بها الى سفك الدماء اه قال ابو ذر استقر جارقطلو في كفالة حلب الى جمادي الاولى سنة ثلاثين .

سنة ٨٣٠

ذكر تولية حلب للأمير قصروه

قال ابو ذر في كنوز الذهب ثم وليها قصروه نائب طرابلس وكان لين الجانب محبا للعلماء يحضر معهم المدارس وحضر مع شيخنا درسا حافلا بالعصرونية والرواحية اما درس الرواحية فكان في الصلاة الوسطى فذكر فيها اقوالا عديدة وافاد فوائد جمة وظهر فيه عن علم كبير انتهى وعمر قصروه المشار اليه مقام عبد الله الانصارى خارج حلب ووقف عليه وقفا آل اليه ثم عزل عن كفالة حلب الى كفالة دمشق وتوجهت صحبة شيخنا المذيل الى قصروه قبل وصول الخبر اليه بكفالة دمشق فبشره بذلك ففرح وسر وقال لشيخنا انت ان شاء الله تعالى تصير قاضيا بدمشق وذلك في سنة سبع وثلاثين فصلى شيخنا عنده الجمعة بجامع الناصرى فى دار العدل بحلب فسمعته يقول لشيخنا ولي مكاني شخص يقال له قرقماش وعنده حدة فاصبروا له

سنة ٨٣٠

ترجمة الأمير قصروه بن عبد الله الظاهري

قال ابن خطيب الناصرية قصروه بن عبد الله الاشرفي الامير سيف الدين نائب حلب كان احد المقدمين بالديار المصرية فى دولة الملك الاشرف ثم ولاه الملك الاشرف برسباي نيابة طرابلس فتوجه اليها واقام بها مدة ثم ولاه نيابة حلب فجاء اليها في اثناء شهر جمادى الآخرة سنة ثلثين وثمانمائة واستمر بها نائبا الى شعبان سنة سبع وثلاثين فولاه السلطان نيابة دمشق عوضاً عن الامير جارقطلى فتوجه اليها وخرج من حلب تاسع عشرين شعبان منها واستمر بدمشق

وكان اميرا كبيرا عاقلاً جدد في مقام الانصارى القبة وقبة اخرى واحكم بناه ووقف عليه وقفا وله املاك كثيرة بحلب ودمشق وقفها على اولاده وثروة توفي رحمه الله تعالى ليلة الاربعا ثالث شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثمانمائة بدمشق وهو من مماليك برقوق اه

الكلام على مشهد الانصارى

هو في القرية المعروفة الآن بالأنصارى وهي قرية واسعة بظاهر حلب من غربيها وقبلي جبل الجوشن وهي على جبل متصل بهذا الجبل وكلاهما مطلان على حلب وكانت في القديم تدعي الياروقية وقد عدها ياقوت في جملة محلات حلب حيث قال في الجزء الثاني من معجمه (الياروقية) محلة كبيرة بظاهر مدينة حلب تنسب الى امير من امراء التركمان كان قد نزل فيها بعسكره وقوته ورجاله وعمر بها دوراً ومساكن وكان من امراء نور الدين ومات ياروق هذا في سنة ٥٦٤ (١)

قال في الدر المنتخب في باب المزارات ومنها مسجد يعرف بمسجد الانصارى وهو قبلي جبل جوشن في طرف الياروقية

قال ابو الحسن الهروى في هذا المشهد قبر عبد الله الانصارى كما ذكروا قال كمال الدين العديم في تاريخه اخبرني والدى رحمه الله تعالى قال رأت امرأة من نساء امراء الياروقية في المنام قائلا يقول ههنا قبر الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتشوا فوجدوا قبراً فبنوا عليه هذا المشهد وجعلوا عليه ضريحاً ثم دثر فجددته ازانياوفر عتيقة الامير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر ولما توفي معتقها المذكور في سنة اثنتين وعشرين وستمائة

(١) انظر ترجمته في القسم الثاني

انقطعت اليه وقامت بأود من يرد عليه من الزوار في كل وقت تطعمه الحلوى وتسقيه الجلاب الى ان توفيت وبقي من امائها وحفدتها من يقوم به الى ان استولت التتر فتشعث بناؤه بعيثهم انتهى (قلت) ادركت هذا المشهد صغيرا جداً وله خارج الضريح قبلية صغيرة وليس له وقف فيما اعلم فلما ولي نيابة حلب الامير سيف الدين قصروه التمرازى منتقلا اليها من نيابة طرابلس في سنة ثلاثين وثمانمائة شرع بعد اقامته قليلاً في توسيع هذا المشهد (١) وبناه بالحجارة الكبار وعقد على الضريح قبة ووسع الصحن وجعل شماليه ايوانًا ذا شبابيك مطلة الى جهة الشمال ولما توفيت ابنته وكانت مخطوبتي دفنها على يمنة الداخل بالقرب من الباب ثم عقد عليها قبة وكان قد مات له ولد صغير عزيز عنده يسمى يونس فدفنه بالقبة التى فيها ضريح الانصاري (٢) ثم ندم على ذلك فلما توفيت ابنته المذكورة دفنها بالقرب من باب المشهد وعقد عليها القبة التى ذكرنا وجعل لها شباكين كبيرين احدهما ينظر الى الشرق ويشرف على المدينة والآخر ينظر الى جهة الشمال ووقف على المشهد وقوفا ورتب فيه قراء وجعل فيه سماطا في كل ليلة جمعة واعتنى به غاية الاعتناء وكان يلازم زيارته مدة

(١) اقول مكتوب على باب المشهد (١) انشا هذه العمارة المباركة مولانا مالك الأمراء المقر الأشرف (٢) السيفي الى خالك المؤيدى الظاهرى كافل المملكة الحلبية اعزه الله (٣) بتاريخ جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة من الهجرة • وهذا صريح فى انه رمم بعد تشعثه حين استيلاء التتر قبل ان اوسعه قصروه سنة ٨٣٠

(٢) اقول اما القبر فقد درس من اربعين سنة حينما فرشت الحجرة التى فيها الضريح بالرخام غير ان الواح هذا القبر لم تزل موجودة فى طرف المشهد وهى من المرمر وعلى حجرين منه اسم يونس هذا وعلى حجرين آخرين كانا موضوعين فى طرفي القبر هذان البيتان

حى لساكن ذا الضريح اتاني * منه الدنو وصرت اقرب جار
فلي الأمان بذا المقام وانه * الايمان فهى محجة الانصار

اقامته بحلب . واخبرني ان سبب ذلك انه قدم الى حلب قديما لتقليد نيابتهـا فاعتراه قبل وصوله الى حلب وجع شديد وكانت العادة وهي باقية ان الخاصكية اذا وردوا الى حلب يبيتون هنـالك ويدخلون البلد بكرة النهار فلما بات به تلك الليلة ابصر في منامه ان صاحب هذا الضريح وهو شيخ حسن الشكل مسح عليه ودعاله وبشره بأنه يصير نائب هذه البلدة فعاهد الله سبحانه وتعالى انه ان ولي نيـابة حلب يجدد بناه ويجعل عليه وقفاً وهذا المشهد اليوم مشهور بسعد الأنصارى ولا اعلم المستند في ذلك الا ان يكون الأشتباه بأن الجبل الذى تجاه هذا الجبل من جهة الشرق والقبلة يقال ان فيه سعيد الأنصاري وهذا المشهد معروف بالبركة يتردد اليه النـاس ويزورونه ويعتقدونه وينذرون له الشمع والزيت وغير ذلك ولي عليه وقف اه

اقول مكتوب على باب المشهد من داخل القبة (١) انشا هذا المكان المبارك المقر الأشرف العالى المالكى المخدومي السيفي قصروه (٢) الاشرفى كافل المملكة الشريفة الحلبية المحروسة اعز الله انصاره بمحمد وآله

ومكتوب على الجدار القبلي من القبة من الخارج (١) البسملة انشا هذا المكان المبارك فى ايام مولانا الظاهر الملك الاشرف خلد الله ملكه المقر الاشرف العالى المولوي المالكى المخدومى ركن الاسلام والمسلمين كهف الفقراء والمساكين زعيم جيوش (٢) الموحدين سيف امير المؤمنين السيفى قصروه مولانا ملك الأمراء كافل المملكة الشريفة الحلبية المحروسة اعز الله انصاره وجعل الوقف على هذا المكان المبارك ابتغاء لوجه الله تعالى نصف قرية الياروقية جوار المكان (٣) المبارك ومن الجبول كل يوم ثلاثة دراهم من ثمن الملح تقبله الله تعالى منه بتاريخ سنة ثلاث وثلاثين وثمانمـائة من الهجرة النبوية علا صاحبهـا افضل الصلاة

والسلام صلى الله عليه اه . والكتابة جلية يبلغ طولها مترين
وعلى البـاب الثاني للمشهد كتابة في السطر الاول منها اسم الملك الاشرف برسباى وفى السطر الثالث ان البناء كان سنة ثلاثين وثمانمائة وبقية الكتـابة تعسر علي قراءتها لذا لم اذكر ماكتب بتمامه .

والى جانب القبة الكبيرة المتقدمة قبة اخرى اصغر منها وقد كتب في اعلا جدارها من جهة القبلة بعد البسملة (١) امر بأنشاء هذه التربة المباركة المقر الاشرف الاميري الكبيري المخدومي السيفي مصر باي الاشرفي النائب بالقلعة (٢) المنصورة بحلب اعز الله انصاره ومن قبر احداً يكون خصمه محمد يوم القيامة الا بأذن مبنيها [هكذا] بتاريخ سابع عشرين ذى القعدة سنة احدي وتسعمائة اه

وفى السنة الماضية وهى سنة ١٣٤٢ اصلح الطريق من الفيض الى قرية الانصاري وصارت العجلات تذهب اليها بسهولة وصار الناس يقصدون القرية ايام الربيع لجودة الهواء ثمة ولو اعتنى ذوو الثروة ببناء دور لهم في هذه القرية واتخذوها مصيفـا لهم لتسنى للكثير من اهـالى حلب الاصطياف في هذا المكان بالنظر لقربه ولأغنى الكثير منهم عن قصد جبل لبنان وتحمل النفقات الطائلة في سبيل ذلك ولتخلص عن القبائح والمنكرات التي انتشرت هناك انتشاراً هائلا وعمت كل بلدة فيه وكل قرية تعلو روابيه

(سنة ٨٣٤)

الكلام على صنعة الزجاج بحلب واشتهارها في الآفاق

قال فى كتاب لجنة حفظ الآثار العربية بمصر تأليف مكس هرتس بك وتعريب علي بهجة بك وكيل دار الآثار العربية فى مصر (في صحيفة ٢٩٠) في الكلام

على صنعة الزجاج وقد تكلم حافظ ابرو المتوفى حوالى سنة ١٤٣٠م (وذلك يوافق سنة ٨٣٤ ﻫ) على الأخص على صنعة الزجاج فى حلب فقال هنالك صنعة خاصة بحلب وهي صنعة الزجاج ولا نرى في غيرها اجمل مما يرى فيها من المصنوعات الزجاجية واذا دخل الأنسان السوق الذي تباع فيه لا يحب الخروج منه لشدة ما يبهره من جمال الأواني المزخرفة زخرفة بديعة بذوق عجيب (الى ان قال) ومصنوعات حلب الزجاجية تنقل الى جميع البلاد للتهادي بها اه واحال في هامش الكتاب المذكور على سفر نامه التعليق الوارد في صحيفة ٣٣ ومما يدلك على تقدم هذه الصنعة في حلب ما ذكره ابن حجة الحموي فى كتابه ثمرات الأوراق في ضمن حكاية طويلة نقلها عن الكتاب المسمى بمسالك الابصار فى ممالك الانصار لابن فضل العمري والحكاية جرت مع عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الموسيقي حينما دخل هولاكو بغداد سنة ٦٥٦ فاتخذ هذا وليمة لبعض امراء هلاكو قال فأتيت به الى داري واحضرت له اطعمة فاخرة ولما فرغ من الاكل عملت له مجلساً ملوكيا واحضرت له الأواني المذهبة من الزجاج الحلبي واواني فضة فيها شراب مروق الخ .

وممن نوّه بالزجاج الحلبي الامام سعدى صاحب كتاب كلستان (الكتاب المشهور باللغة الفارسية) المتوفى سنة ٦٩٠ وقد ترجم الكتاب الى العربية جبرائيل ابن يوسف الشهير بالمخلع وهو مطبوع بمصر سنة ١٢٦٣ قال سعدى في ضمن حكاية (فى صفحة ٨٧) ما ترجمته فقلت واين تلك السفرة ياطويل الخبرة فقال قصدى ان آخذ الكبريت الفارسي الى الصين لأنى سمعت انه هنا لك ثمين . ومن هناك آخذ القماش الهندي واحضره الى الروم وآخذ الأقمشة الرومية الى الهند للربح المعلوم وآتى بالفولاذ الهندى الى حلب فآخذ الزجاجات الحلبية الى اليمن

ولو مع التعب

وممن نوّه بالزجاج الحلبي الاديب الفاضل ابن حجة الحموى فى ذيل كتابه ثمرات الاوراق في ضمن حكاية هزلية مشهورة تعرف بحكاية ابي القاسم الطنبوري حيث قال حكي انه كان ببغداد شخص يعرف بأبى القاسم الطنبورى صاحب نوادر وحكايات وله مداس له مدة سنين كلما انقطع منه موضع جعل عليه رقعة الى ان صار فى غاية الثقل وصار يضرب به المثل فيقال اثقل من مداس ابى القاسم الطنبورى فاتفق انه دخل سوق الزجاج فقال له سمسار يا أبا القاسم قد وصل تاجر من حلب ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد فابتعه منه وانا ابيعه لك بعد مدة بمكسب المثل مثلين فابتاعه بستين ديناراً الخ الحكاية

ولا تنس ما تقدم في حوادث سنة ٦٢٤ من استحسان جنكيز خان لجام الزجاج الذى حمل اليه من حلب الى بلاد الهند

سنة ٨٣٦

ذكر مجيء الملك الأشرف الى حلب وتوجهه منها الى آمد لمحاربة قرا يلك

قال ابن اياس ما خلاصته فى هذه السنة خرج السلطان الملك الاشرف برسباي من مصر وصحبته امير المؤمنين المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة وهم شيخ الاسلام الحافظ احمد بن حجر العسقلاني [١] وبدر الدين محمود العينى

(١) اقول وفي قدمته هذه املا بحلب كراسة في الحديث رأيتها عند بني الشيخ عبدالقادر المعروفين ببيت سلطان وقد ذكرها في كشف الظنون قال امالى ابن حجر احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ اكثرها حديث املاها بمدينة حلب اه وانظر ترجمة حافظ الشهباء المحدث الكبير ابراهيم بن محمد الملقب بالبرهان الحلبي المتوفى سنة ٨٤١

وشمس الدين البساطي ومحب الدين البغدادي الحنبلي وخرج معه سائر الامراء من الاكابر والاصاغر فأقام بالريدانية يومين ثم رحل وقصد التوجه الى نحو البلاد الشامية فكان له في الشام موكب عظيم وكذلك في حلب ثم خرج من حلب وقصد التوجه نحو آمد من ديار بكر فلما وصل هناك حاصر قلعة آمد اشد المحاصرة ونصب عليها عدة مجانيق فلم يقدر عليها فأقام هناك مدة فوقع في العسكر الغلاء فقلق من ذلك وكانت العوام تغنى وتقول

فى آمد رأينا العونه في كل خيمه طاحونه
الغلام نهاره يطحن والجندي يجيب المونه

فلما سمع المماليك ثارت اخلاقهم على السلطان وقصدوا الوثوب عليه هناك فخشي السلطان الاشرف ان تقع هناك فتنة فلم يقع بينه وبين قرايلك واقعة ولا قابله فمشى بعض الامراء بين قرايلك وبين السلطان بالصلح فأرسل اليه السلطان القاضى محب الدين ابن الاشقر نائب كاتب السر فحلف قرايلك انه لا يتعدى على بلاد السلطان ولا يحصل منه فساد . ثم ان السلطان قصد التوجه نحو الديار المصرية .قيل ان السلطان صرف على هذه التجريدة من المال خمسمائة الف دينار ولم يظفر بطائل فلما رجع عاد قرايلك الى ما كان عليه من العصيان اه وفي تحف الانباء ان السلطان لما وصل الى حلب صار له موكب حافل بدخوله اليها وخرج اليه النائب والقضاة الاربعة وارباب الوظائف الذين بحلب فلما استقر بها خلع على القاضى محب الدين ابن الشحنة واقره فى قضاء حلب ثم ان السلطان رحل من حلب وتوجه نحو البيره [بيره جيك] ونزل على آمد فوقع بينه وبين قرايلك وقعة عظيمة[١] وقتل بها جماعة من المماليك السلطانية ثم ان

(١) يغلب على الظن ان هذا هو الصحيح لا ما ذكره ابن اياس

السلطان بلغه ان قرايلك نهب ضياع آمد وسار الى حلب ليأخذها على حين غفلة من السلطان فجهز له السلطان عسكرا فأدركوه بالقرب من الفرات فحصل بينهم وقعة على شاطئ الفرات فقتل من العسكر وغرق منهم بالفرات ورجع قرايلك ثم انه اخذ في حصار قلعة آمد ونصب عليها المجانيق فطال الحصار حتى قلق العسكر وقصدوا الوثوب على السلطان [للسبب المتقدم وهو الغلاء] فلما تحقق ذلك رحل من آمد وتوجه نحو حلب ولما وصل اليها كان له يوم مشهود

تولية حلب للأمير قرقماش سنه ٨٣٧

قال ابو ذر استقر قرقماش الشعباني في كفالة حلب ودخل حلب في العشر الاول من رمضان وكان شهماً مقداماً امن الناس في ايامه من قطاع الطريق والحرامية وكان اذا وقع في قبضته احد منهم علقه بكلاليب تحت الواحه . وخرج مرة الى الموكب فسار الى مدينة الباب وحده فوجد جماعة من العربان ينعلون خيلهم فنكل بهم وامتنع العرب فى ايامه من ركوب الخيل وحمل الرماح وصاروا يخوفون اولادهم الصغار منه حتى كان البدوي اذا دخل بفرسه الى الماء ليشرب فامتنعت يقول لها قرقماش في الماء ثم وشى به الى السلطان بشيء يقتضى العصيان فورد المرسوم الشريف بطلبه الى القاهرة فى صفر . اه

ترجمة الامير قرقماش وزيادة حوادث في زمنه

قال ابن الخطيب قرقماش الحاجب الامير سيف الدين نائب حلب كان مقدماً بالديار المصرية وحاجب الحجاب بها فى دولة السلطان الملك الاشرف وجاء الى حلب صحبة الامراء المجردين الى قرايلك في سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة فأقام بحلب صحبة الامراء سنة واشهراً دون الثلثة ثم سافر من حلب الى الديار

المصرية ثم قدمها صحبة الملك الأشرف فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة وتوجه معه الى آمد ثم رجع في خدمته الى الديار المصرية فلما كان فى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ولاه السلطان المشاراليه نيابة حلب عوضاً عن الأمير قصروه بحكم انتقاله الى نيابة دمشق فجاء الى حلب ودخلها يوم ثاني عشر رمضان من السنة واستمر بها الى بوم عيد الفطر فخرج ثانية طالب البيرة حين جاء الخبر من الرها بأن قرايلك يقصد الفساد هناك فأقام على البيرة مدة ثم رجع الى حلب واقام بها ثم ان حمزه بك بن علي بن دلغادر جهز الى نائب حلب يطلب نجدة له على عمه الى مرعش فتوجه جريدة اليه ووصل الى مرعش فجاء فياض بن ناصر الدين باك ومعه امراء من امراء التركمان فامسكهم وجاء بهم الى حلب ثم طلبوا الى الى الأبواب الشريفة واستمر قرقماش بحلب . فلما كان فى رمضان سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة توجه منها نحو العمق وجاء مرسوم شريف بأنهم يجهزون الى ناصرالدين ابن ذى الغادر ليسلم قيصرية الى السلطان وولى بها الامير قنصوه فتوجه الخاصكى اليه بالمرسوم الشريف فأجاب بالطاعة وتوجه قرقماش بالعسكر الحلبي الى عينتاب الى ان يأتي جواب السلطان بما يعتمدونه فورد المرسوم الشريف بأعادة العسكر الحلبي الى حلب والصلح عن ناصر الدين بـاك فرجع النائب المذكور بالعساكر الى حلب وفي غضون ذلك جاء الخبر الى حلب بظهور الامير جان بك الصوفى الذي كان هرب من حبس السلطان بالاسكندرية بناحية بلاد دوركى واستمر قرقماش بحلب فلما كان حادى عشرين صفر سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ورد خاصكى من الأبواب الشريفة وعلى يده مرسوم شريف بطلب الأمير قرقماش الى الأبواب الشريفة فركب من فوره وطلع الى الانصاري واستمر هناك الى قرب الظهر ثم انه ركب الهجن وتوجه الى الابواب الشريفة

فولاه السلطان امير سلاح وولي الامير اينال الجكمي نيابة حلب عوضاً عنه واما الامير فياض فأن السلطان اطلقه وولاه نيابة مرعش وخلع عليه واحسن اليه اه وله في المنهل الصافى ترجمة طويلة الذيل ومما قاله فيه انه خلع عليه فى سنة تسع وعشرين بحجوبية الحجاب فباشرها بحرمة زائده وعظمة وبطش في الناس حتى هابه كل احد واستمر على ذلك الى سنة سبع وثلاثين فاستقر في نيابة حلب بعد انتقال نائبها الامير قصروه فتوجه قرقماش الى حلب وحكمها وفعل فيها على عادته وقويت حرمته ايضا بها وابدع في المفسدين بأنواع العذاب الى ان ظهر امر الأمير جان بك الصوفي من الروم عزله الملك الأشرف عن نيابة حلب بالاتابك اينال الجكمى وقدم القاهرة على اقطاع الامير جقمق العلائى ووظيفته امرة سلاح وذلك في سنة تسع وثلاثين ثم انه تجرد وصحبته جماعة من امراء الديار المصرية الى ارزنكان فى سنة احدى واربعين وثمانمائة ومات الملك الأشرف في غيبتهم وتسلطن ولده الملك العزيز يوسف وصار الاتابك جقمق العلائى مدبر مملكته وارسل يستحث قرقماش هذا ورفقته على المجيء الى الديار المصرية فلما حضروا اتفق مع قرقماش وقبض علي جماعة من الامراء الأشرفية وتسلطن الأتابك جقمق سنة اثنتين واربعين وخلع على قرقماش هذا باستقراره اتابك العساكر فلم يلبث قرقماش الا اياماً قلائل ووثب على الملك الظاهر جقمق وانضم اليه المماليك الأشرفية وحصل بين الفريقين فتن وحرب [بسطها صاحب المنهل] انكسر فيها قرقماش واختفى ثم انه قبض عليه وقتل في جمادى الآخرة من سنة اثنتين واربعين وثمانمائة وسنه نيف وخمسون سنة تقريبا وكان اميراً ضخماً متعاظما متكبرا وعنده ظلم وجبروت مع معرفة وتدبير ومكر وشجاعة واقدام وكان يتفقه ويحفظ مسائل ويظهر التدين والعفة والقيام في النهي عن

المنكرات فيبالغ حتى يقع هو فيما هو اعظم مما ينكره وكان معتدل القامة مليح الوجه يميل الى السمرة يتبختر في مشيته تيها وعجباً وتكبرا قليل البشاشة والسلام على الناس في الطرقات عفا الله عنه اه ملخصاً

سنة ٨٣٩ الى سنة ٨٤٢

ذكر ولاية اينال الجكمى للمرة الثانية

قال السخاوى فى ترجمته عاد اينال الجكمي الى نيابة حلب عوضاً عن قرقماش في سنة تسع وثلاثين وبمجرد ان وصل ورد عليه مرسوم مع هجان بنيابة الشام فتوجه اليها ذكره ابن خطيب الناصرية واستمر حتى قتل بعد خروجه عن الطاعة السلطانية في سنة اثنتين واربعين (ثم قال) وكان مشهورا بالشجاعة مشكور السيرة الا انه لم يسعده جده

قال ابو ذر دخل اينال المذكور حلب يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين فلما كان تاسع عشرين ربيع الآخر جاء القاصد على الهجن باستقراره في دمشق عوضاً عن قصروه بحكم وفاته

ذكر تولية حلب للأمير تغرى ورمش

قال ابو ذر واستقر السيفى تغري ويرمش واسمه اولاً حسين بن احمد من اهالي بهسنى فى كفالة حلب وكان عاقلاً مدبراً متطلعاً الى احوال رعيته ومازال رأيه زائداً وعقله تاماً حتى اظهر مخالفة السلطان فزال عنه ذلك.

وقال بعد الكلام على زاويته الآتي ذكرها واعلم ان تغرى ويرمش المذكور كان فى خدمة الأشرف برسباي وكان الأشرف يعتمد عليه فى اموره ويشاوره ويعظمه لعقله ودهائه ومكره فانه كان ذا رأي سديد ولما نزل الاشرف الى آمد

بسبب الأمير عثمان سلم اليه تخت مصر فأشار على الاشرف ان لا يجاوز البيرة وان يرسل جيوشه لمحاصرة آمد فلم يعمل الأشرف برأيه فما نجح امره ثم لما رجع الأشرف الى القاهرة لم يبرح تغرى ورمش من قلعة الجبل ولم ينزل الى لقيه بل لما شاهد الاشرف قد اشرف نزل عن مكانه وقال هذا المكان الذي سلمته اليّ فزادت محبة الاشرف له وفوض اليه كفالة حلب ليطالعه بأخبار التتر عوضاً عن اينال الجكمي فدخل تغرى برمش حلب وخرج القضاة الى لقيه على عادتهم وكان شيخنا المؤرخ (يعنى به ابن خطيب الناصرية) يعرفه قديماً من مدينة بهسنا لأن شيخنا كان حاكماً بها وكان والد تغري برمش صديقاً لشيخنا وكان يستدعيه الى بستانه مع ولده تغرى برمش المذكور فلما التقيا تغافل كل منهما عن معرفة الآخر وقال الكافل للقضاة الى هنا تلقوني على طريق العتب فقال القاضى الحنفى له خالكم نور الدين محمود اخبرنا انكم تتأخرون عن هذا الوقت فأنف من ذكر خاله وقال اليوم يوم بارد فاحجم الحنفى عن مكالمته

ثم انه نزل على عين المباركة ودخل حلب بكرة بحشمة زائدة فباشر حلب بعقل وعفة واستكشف احوالها بالرجال والمكر وجعل له من كل بيت من بيوت الامراء من يخبره بأخبارهم وارسل الى بلاد الأعاجم من يستكشف له الأخبار ثم سافر ومعه الأمراء ثم قدمت عليه العساكر ثانياً من مصر وهم قرقماش وجانم اخو الاشرف وغيرهم ومعهم كفال البلاد وتوجهوا من حلب ومعهم القاضي معين الدين ابن العجمي كاتب سر حلب الى عين تاب ثم الى الأبلستين ثم الى قرب سيواس ودخل يعنى العسكر سيواس وشروا حاجاتهم وكان قد ساق معه الأعراب والتركمان وابن رمضان والاكراد ببيوتهم ونعمهم ثم توجهوا من سيواس الى اقشار (آق شهر) واخذ قلعتها فهرب نائبها اينق حسن الى قلعة

بلدرش فتوجه المصريون وكافل طرابلس وحماة خلفه وحاصروا القلعة المذكورة اثنين وعشرين يوما وعملوا مكحلة عظيمة ترمي بقنطار حابي واكثر ولما اشرفوا على اخذ القلعة المذكورة فرانيق حسن المذكور منها ايضا فاخذوها ثم توجه العسكر الى ارزنكان خلا كافل دمشق وحلب فتحققوا وهم ثمة موت الاشرف وكان قصد نغرى برمش ان يتوجه بهم الى قلعة النجا لخلاص اسكندر من اخيه وان يذهب بالعسكر وبالأسكندر الى بلاد العجم لأخذ ثار الشام من اولاد تمرلنك ولم يمض في ذلك لوفاة السلطان ورجع العسكر من غير ائتلاف بينهم فلما قاربوا حلب كتب نغرى برمش الى اهل حلب يأمرهم بمنع العسكر من دخول حلب فتوجه العساكر الى بلادهم فاخذ هو في العصيان والخروج عن الطاعة باطنا ولما وردت خلعته باستقراره بكفالة حلب اراد كاتب السر ان يحلفه على قاعدتهم فقال لا احلف بحضرتك ثم اخذ في العصيان واستجلاب التركمان وغيرهم فاستشعر السلطان جقمق بذلك فورد المرسوم الشريف بملطفات الى القلعة وامراء حلب بالركوب عليه فلما كان ليلة الجمعة المسفر صباحها عن سابخ شعبان سنة اثنتين واربعين ركب الامراء عليه ورموا عليه من القلعة فركب هو ايضا على الامراء فشتت شملهم فهرب امراء حلب منها فلما اصبح النهار ارسل خلف القضاة فرحت فى خدمة شيخي قاضى القضاة علاء الدين الى دار العدل ودخلنا اليها من باب عند بيت قرا دمرداش ودخلنا اليه فاذا الجند عنده وعليهم آلات الحرب والرمي موجود من القلعة وقد تهيأ هو واهل القلعة للقتال فدخلنا اليه الى الشباك فقال لشيخي وبقية القضاة ما السبب الذى رمى به اهل القلعة عليّ هل ورد مرسوم بذلك وما الذى ظهر مني وامرهم بالصعود للسؤآل عن حقيقة ذلك فخرج القضاة الى القلعة وخرجت معهم فلما خرجنا من

دار العدل وقاربنا القلعة رأيت شيئاً هالني فرجعت انا فصعد القضاة الى القلعة فاظهر اهل القلعة المرسوم الشريف بالرمي عليه فنزل القضاة فلما نزلوا قدم اهل القلعة على اطلاقهم وقالوا هلا امسكتموهم وامرتموهم ان يصعدوا على برج القلعة وأمروا العامة باخراجه من البلد فلما نزل القضاة الى دار العدل واخبروه بذلك بلغني انهم شاوروه على الخطبة فقال اخطبوا باسم السلطان وكذلك على رأسه بجامع الناصرى بدار العدل ثم جد فى الرمي على القلعة وعلى حصارها ثم اخرجه العامة من حلب في عاشر رمضان يوم الثلاثا ورجموه وخرج خروجا فاحشا وامسكت مماليكه واخذ ما كان معهم من المال فخرج من باب انطاكية وذهب الى طرابلس فملكها يوم الخميس تاسع عشر رمضان واقام بها الى آخر رمضان فخرج منها بعد ان صادر اهلها وأمر ان يؤخذ من كل صاحب فسخة من الصابون على قدر موجوده فخص كل فسخة الف درهم واما صابون الامراء واركان الدولة فانه اخذه عن آخره وقصد حصار برج ايتمش ليأخذ ما به من زردخانة جلبان وارسل القضاة الأربع ومعهم ناصر الدين محمد الحلبي من جماعته الى من بالبرج ليسلموا ما فيه من الزردخاناه فما اجابوا وامسكوا ناصر الدين وارسلوه الى السلطان واما نغرى برمش فلما اخبره القضاة بالخبر هم بحصار البروج وشرع فى خراب بيت الامير محمد ناظر البرج واخذ اربعة قدور نحاس من معصرته ومصبنته ليصنع مكاحل ليرمي على البرج فتوجه اهل البرج الى الرملة

ثم رجع الى حلب ومعه الجم الغفير من التركمان والعرب فحاصر حلب والح في حصارها وذلك عند باب النيرب وكان الناس يخرجون لقتاله ظاهر البلد فلما كان يوم الجمعة انكسر بعض الناس منه فأمسك جماعة من اهل حلب وقطع

ايديهم فدخلوا الى البلدة ورأى الناس ايديهم فجد الناس عند ذلك في دفعه عن حلب فرحل عن باب النيرب ثم حاصرها من باب الفرج وباب الجنان .

وفي يوم الجمعة احضر السلالم الى مسجد التوبة بباب الفرج واراد ان يزحف من هناك فسمع ان كافل دمشق الحكمى انكسر من العسكر المصريين وامسك فترك الزحف فصاح الناس عليه من فوق السور وقويت قلوبهم فرجع متوجهاً الى لقي العسكر المصرى الى جهة حماة فلقيهم بالقرب من حماة فصافقهم هنالك فانكسر وهرب الى جهة ابن صوجي الى جبل الأقرع فأمسكه ثم دخلوا به حلب راكباً على بغلة وخلفه شخص فى يده خنجر وفى يده صولجان يلعب به فأسمعه الناس ما يكره واصعدوه الى القلعة واودعوه السجن في قيد ثقيل فقال بقي بيني وبين القتل مسافة الطريق . وارسل شخص الى القاهرة الى السلطان يخبره بذلك . ثم ورد المرسوم الشريف بقتله فأنزلوه من السجن وعصروه بين ابواب القلعة ليقر على المال فلم يعترف فأحضروه الى باب القلعة وقدموه لضرب الرقبة فنادى عليه الجلاد هذا جزاء من خرج عن الطاعة فقال هو قل هذا جزاء من لم يرع نعمة الله واخذوا جثته ودفنوها فى حانوت من وقف مدرسته وجعل له باب صغير الى مدرسته انتهى

زيادة بيان في اخبار تغرى برمش وعصيانه وقتله

قال فى المنهل الصافي لما نقل تغرى برمش لنيابة حلب باشر امورها على اتم وجه واحسنه واجمل طريقة ومهد بلادهـا وعظم فى الأعين وتجرد الى ابلستين غير مرة في طلب الأمير جانبك الصوفي (١) الى ان وصل اليه جمـاعة من امراء

(١) جانبك الصوفى من الأمراء المصريين وكان قد حبس فى الاسكندرية لأمور يطول شرحها بسطها فى المنهل الصافى فى ترجمته ثم فر من حبسها وتطلبه الأمراء المصريون مدة

الديار المصرية نجدة الى مقصده فتوجه به الى مدينة ارزنكان وغيرها ثم عاد الجميع نحو مدينة حلب فبلغ تغري برمش المذكور موت الملك الأشرف برسباي وسلطنة ولده الملك العزيز يوسف فاستوحش حينئذ من العساكر المصرية وصار بمعزل عنهم وتخلف بعدهم بعين‌تاب ولم يدخل حلب ولما وصلت الأمراء الى حلب ارسلوا اليه قانى باي الحمزاوي نائب حماة والأمير تمراز القرمشي الى عينتاب لأحضاره فأبى عن الحضور الا بعد خروجهم منها فعاد الى حلب بهذا الخبر ثم عاد العسكر كل الى مكانه في اواخر شهر المحرم سنة اثنتين واربعين وثمانمائة وبلغ الخبر تغرى برمش فركب من عينتاب ودخل حلب ودام فى نيابته الى شهر ربيع الآخر من السنة ورد عليه الخبر بخلع الملك العزيز وسلطنة الملك الظاهر جقمق ثم قدم على الخاصكى بخلعة الاستمرار فلبسها وقبل الأرض وحلف للملك الظاهر جقمق ثم شرع بعد ذلك يتعاطى اسباب العصيان في الباطن ويكاتب العربان والتركمان واستمر على ذلك الى شهر شعبان من السنة بدا لأمراء حلب الركوب عليه خوفاً منه على انفسهم فركبوا عليه وقاتلوه بالبياضة من حلب فكسر امراء حلب وانهزم كل واحد منهم الى جهة ثم اخذ تغرى برمش في حصار قلعة حلب واستفحل امره ثم وقع بينه وبين اهل حلب وحشة وركبوا عليه وقاتلوه ورموا عليه من القلعة فلم يسعه الا الفرار من حلب وخروجه جريدة من دار السعادة من غير ان يصحب معه شيئاً من خيله وقماشه وخرج

طلباً حثيثاً وبعد سنين ظهر انه توجه الى بلاد الشرق سنة تسع وثلاثين وثمانماية ونزل عند الأمير ناصر الدين بك محمد بن دلغادر ولما تحقق الملك الأشرف هذا الخبر ارسل الى ناصر الدين بك يطلب تسليمه فامتنع فتأكدت الوحشة بينهما فجهز اليه جيشاً بقيادة الأمير جقمق العلائى الذي صار سلطاناً بعد ذلك ولما وصلت العساكر الى حلب خرج معهم نائبها الامير تغري برمش بعساكر حلب وجموع التركمان وذلك فى سنة ٨٤٠

ومعه نحو مائة فارس من باب السر قاصداً باب انطاكية فتبعه العوام ورموا عليه وعلى اصحابه ثم نهبت العوام ماله بدار السعادة وغيرها فأُخذ له مال لا يحصى كثرة وتوجه تغرى برمش بمن معه الى الميدان ثم الى خان طومان ثم توجه الى سقلسيز التركماني نائب شيراز لائذاً به فوافقه ابن سقلسيز على العصيان فاستفحل به امره واجتمع عليه خلق من التركمان وغيرهم ثم توجه ومعه ابن سقلسيز الى طرابلس وطرقها ففر منها نائبها الأمير جلبان من غير قتال واستولى تغري برمش هذا على جميع برك جلبان وذلك في رمضان من السنة ثم خرج عن طرابلس وصار ينتقل من مكان الى آخر ويأخذ ما ظفر به من اموال الناس الى ان عاد الى حلب في عشرين شوال فاستعد اهل حلب لقتاله فقاتلهم ودام القتال بينهم عدة ايام الى ان خرج اليه من امراء حلب جماعة ومعهم عدة من العوام ظاهر حلب وقاتلوه قتالاً شديداً استظهر فيه امراء حلب ومسكوا بعض امراء التركمان وقتلوا منهم جماعة ثم حمل تغرى برمش على اهل حلب فهزمهم وقبض على جماعة منهم ممن بقي خارج البلد وقطع ايديهم فنفرت القلوب منه وقويت العداوة بينهم ودام ذلك الى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ورد عليه الخبر بقدوم العساكر السلطانية الى حلب وبالقبض على الأمير اينال الجكمي نائب دمشق فتهيأ لقتالهم وسار الى جهة حماة ونزل بالقرب منها الى يوم الخميس سادس عشر ذى القعدة نزل العسكر السلطاني في ظاهر حماة من جهة الشمال وبات تغرى برمش من جهة الغرب على عزم القتال فلما اصبح نهار الجمعة سابع عشره ركب العسكر السلطاني وركب تغرى برمش بمن معه والتقى الجمعان ولم يثبت تغري برمش وانهزم من غير قتال وتوجه فى أناس قلائل الى جهة انطاكية ونهب جميع ما كان معه وتوجه معه ابن سقلسيز فلما وصلوا الى الدربند خرج

عليهم فلاحو تلك القرى مع من انضم اليهم وقاتلوهم فانكسر تغرى برمش وامسك وامسك معه ابن سقلسيز ايضاً فورد الخبر على العسكر المصرى بذلك فخرج منهم جماعة اليهم وامسكوهما وقيدوهما وجاؤا بهما الى حلب فحبسا بقلعتها فكان يوم قدومهم الى حلب من الأيام المشهودة واستمر تغري برمش وابن سقلسيز فى حبس قلعة حلب حتى ورد الخبر بقتلهما فقتلا في يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين واربعين وثمانمائة بعد ان سمّرا وضربت رقبة تغري برمش هذا تحت قلعة حلب .

وكان تغري برمش اميرا جليلا عاقلاً عارفا سيوسا ذا رأي وتدبير ودهاء ومكر مع ذكاء مفرط وفطنة وكان رجلاً طوالا اسود اللحية مليح الوجه فصيح اللسان باللغة التركية عارفاً بأمور الدنيا وجمع المال وله قدرة على مداخلة الملوك وكان جاهلاً بسائر العلوم حتى انه لم يحفظ مسئلة في دينه بل كانت جميع حواسه مجموعة على امر دنياه وكان جبانا بخيلا بالبر والصدقة كريماً على مماليكه متجملا في مركبه وملبسه ومأكله وكان حريصاً جبارا يميل الى الظلم والعسف ولقد اخرب في حروبه هذه عدة قرى من اعمال حلب وما حولها وقتل من اهلها جماعة لاجرم ان الله عامله وجازاه من جنس اعماله وما ربك بظلام للعبيد .

﴿ آثاره في حلب ﴾

قال في كنوز الذهب (زاوية تغري ورمش) تحت القلعة بالقرب من جامع دمرداش انشاها تغري ورمش كافل حلب وكانت اولاً سوقاً للخيل بلا بناء فاشترى ارضها من بيت المال واسسها في سنة اربعين وتمت في سنة احدى واربعين وجعل لها وقفاً على بابها وبحضرتها وحصصاً من قرى وجعل لها سماطاً ومجاورين وشيخا بايزيديا آفاقيا عزبا وجعل لها قارئاً يقرأ البخاري وشرط ان يكون حنفياً وجعل فوقها مكتباً للأيتام واتخذ بها مدفناً فخرج الى الموكب فلما رجع سمع

قراءة بالمدفن فقال ما هذا فقال يقرؤن القرآن للواقف فقال انما جعلت هذا المكان سقاية للماء . واما بوابتها فكانت بوابة بدار العدل فنقلها الى هذه الزاوية واما الحوض الذى بحضرة شبابيكها فكان السلطان المؤيد قد احضره لما اراد اعادة السور على عادته القديمة ليجعله عتبة باب عند ساحة بزا فلما لم يتفق ذلك القيت هناك فأحضرها تغرى برمش وجعلها حوضاً وهذه الزاوية لطيفة محكمة بالحجر المنحوت وفرش من الرخام الأصفر وغيره والى جانبها مطبخ يطبخ به للفقراء ومرتفق يأتى اليه الماء من دولاب على القناة وجعل النظر فيها لمن تولى نيابة السلطنة بقلعة حلب فكأنه والله اعلم استشعر من نفسه الخروج عن الطاعة عند موت الأشرف فخاف ان يهدمها اهل القلعة وجعل عمالتها للرئيس ضياء الدين ابن النصيبي لأنه هو الذي تولى عمارتها وكان صديقاً له انتهى .

اقول دثرت هذه الزاوية ولم يبق لها ولا لأوقافها اثر واخبرنى بعض اهل المحلة نقلاً عن بعض شيوخها انها خربت في الزلزلة التى حصلت سنة ١٢٣٧ وان محلها امام جامع الأطروش تبعد عنه الى جهة الشمال قليلا والله اعلم .

(سنة ٨٤٣)

﴿ تولية حلب لجلبان ثم لقانباي الحمزاوي ﴾

قال ابو ذر في كنوز الذهب وفيها تقرر جلبان نائب طرابلس فى كفالة حلب عوضاً عن تغرى ورمش وذلك رابع عشر ربيع الآخر واجرى النهر واجتهد فيه ثم استقر قانباي الحمزاوي فى كفالتها بحكم انتقال جلبان الى دمشق وجلبان اجرى النهر وعزل طريقه وسد عوراته وصُرف على ذلك مال كثير من اموال ارباب الأملاك

(ترجمة جلبان)

قال في المنهل الصافى جلبان بن عبدالله المعروف بأمير ياخور الأمير سيف الدين نائب الشام اتصل بخدمة الملك المؤيد شيخ لما كان اميراً ودام عنده حتى طرق الملك المؤيد الديار المصرية في غيبة الملك الناصر فرج بالبلاد الشامية وحاصر قلعة الجبل بمن معه من الأمراء ثم انكسر المؤيد واصحابه وانهزموا الى جهة باب القرافة تقنطر المؤيد عن فرسه فلحقه جلبان هذا بالجنيب فعرفها له المؤيد لما تسلطن ورقاه حتى جعله امير طبلخاناه وامير اخور ثاني ثم مقدم الف بالديار المصرية ثم نقله الى نيابة حماة فى شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة عوضاً من الأَمير جارقطلو بحكم انتقاله الى نيابة حلب ثم نقل منها الى نيابة طرابلس فى سنة سبع وثلاثين ثم نقله الملك الظاهر جقمق الى نيابة حلب في شوال سنة اثنتين واربعين وثمانمائة بعد عصيان تغري برمش نائب حلب فدام في نيابة حلب الى ان نقل الى نيابة الشام في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث واربعين وثمانمائة وحمل اليه التقليد والتشريف على يد الأمير دولة باي المحمودي المؤيدي وهو منذ ولي نيابة حماة الى يومنا هذا اعنى من سنة ست وعشرين ينتقل من نيابة الى اخرى لم يعزل فيها عن عمل الا عندما ينقل الى عمل اعلى منه وهذا ايضاً لم نعلمه وقع لأَحد من اهل الدولة الكثير مع انه لا فارس الخيل ولا وجه العرب وان كان يعرف فنون الملاعيب وركوب الخيل لكنه لم يشهر بشجاعة ولا اقدام غير انه عارف بالسياسة وجمع المال وانفاقه الى ذخائر الملوك ولذلك طالت ايامه اهـ ملخصاً

سنة ٨٤٧

قال ابو ذر في شهر ذي الحجة ورد المرسوم الشريف من الظاهر جقمق الى ابي الفضل بن الشحنة وهو كاتب السر والقاضي الحنفي وناظر الجوالى بحلب

ان يصرف لنائب سيس مبلغ الفي دينار ليبني بسيس جامعاً من مال الجوالى فأعطاه ذلك وبنى بسيس جامعاً لطيفاً

سنة ٨٤٩

عزل قاني بك الحمزاوي وتولية حلب لقاني بك البهلوان

قال فى تحف الأنباء وفي سنة تسع واربعين وثمانمائة قدم قانى بك الحمزاوى الى مصر معزولاً من نيابة حلب وكان اشيع عنه المخامرة والعصيان وقرر في نيابتها تغري بردي الجركسي اه

اقول هذا سهو منه والذي تعين بعده في هذه السنة قانى بك الهلون كما سيأتيك فى ترجمته

سنة ٨٥١

قال فى كنوز الذهب فى المحرم من هذه السنة تقاتل نائب البيرة علان وجاه نكير ابن قرايلوك ودخل علان الى البيرة فدخل خلفه عسكر المذكور ونهبوا حارة منها واخذوا اموالها وسبوا حريمها واعقب ذلك دخول الطاعون البيرة فاستمر الى آخر السنة وكان السلطان قد أعطي جاه نكير قلعة جعبر فارسل جاه نكير الى السلطان يعتذر عما وقع ووعد بتسليم قلعة جعبر

وفاة الكافل قانى بك البلهوان وآثاره

قال وفيه اعترى الكافل مرض بطل منه نصفه فصار لا يقدر على المشى ثم تزايد مرضه فاستدعي زين الدين ابن الخرزى من حماة للمداواة فحضر الى حلب فقال هذا ميت لا محالة فتمادى به المرض واشتد الى ان توفي سادس ربيع الاول فاصبح الناس واغلقوا الاسواق وحضروا جنازته ودفن خارج باب المقام

مقابل تربة موسى الحاجب وكان يوماً مشهوداً وبكى الناس وترحموا عليه وكان شجاعاً بطلا يكرم العلماء ويعظمهم ويقرأ البخاري عنده ويحضر وينظر الى الفضلاء بعين الاكرام وكان اميرا كبيرا اولا بحلب وولي نيابة ملطية وصفد وحماة ومنها انتقل الى حلب وبنى حماما خارج باب النصر فقال لى يوما انما بنيت هذه الحمام ليطمئن قلوب الناس فانه اشيع ان ابن تيمور شاهروخ يجيء الى الشام

تولية حلب لبرسباى ثم لتنم

قال في مستهل جمادى الاولى دخل برسباي كافل طرابلس الى حلب نائباً عوضاً عن البلهوان

وكان برسباي عبداً صالحاً دينا خيرا لم يقطع يد احد بحلب ولا قتل احداً وحماها وبلادها ولما قدم من طرابلس طلبني من شيخنا ابى الفضل بن الشحنة لقراءة صحيح البخاري وذلك لانه لما كان بطرابلس كان يقرأ عندة تقي الدين ابن الصدر الحنبلى قاضي طرابلس فلما عزل حثه على انى اقرأ عنده فاكرمنى شيخنا بالقراءة عنده فاحبنى حبا زائداً واذا مر حديث يعرفه لكثرة ما قرئ عنده بطرابلس ثم سافر الى جهة البيرة لاجل مجئ جاه نكير بن قرايلوك اليها وكبسها واخذ منها مالا وامرنى بالقراءة فى غيبته فلما قدم حلب بلغه خبر العزل ثم انه في آخر شعبان صرع فدخلت اليه فرأيت عقله مختلا فقال لي تمم البخاري بالجامع فاني عزلت. وضربت الحوطة السلطانية على حواصله فلم يحصل على شيء وسافروا به من حلب سلخ شعبان الى دمشق فمات قبل وصوله الى سراقب فلما وصل جماعته الى المعرة وصل تنم (نائب حلب) اليها فكان هذا يدق بشائره

وهذا النائحة قائمة عليه والصياح في وطاقه فسبحان من لا يزول ملكه وبني برسباي جامعاً بدمشق وبرجاً على البحر بطرابلس ولم يأخذ من عمارة حلب شيئاً.

(سنة ٨٥٢)

قال ابو ذر فى اولها ولدت امرأة بقرية بنجاره من عمل سرمين لها جسد واحد وعنق واحدة وعلى العنق رأسان من جهة واحدة فى كل رأس وجه في كل وجه عينان وفم وانف واذنان فأذا بكت بكت من المكانين وعاشت يوماً واحداً وفي المحرم حضر جماعة من اهل اعزاز وصحبتهم الخطيب وشكوا الى الكافل تنم بأنهم ظلموا فضربهم واراد اشهارهم في البلد فخلصهم العامة فوقع بسبب ذلك فتنة بين الكافل والعامة ورمى جماعة من مماليك الكافل على العامة بالنشاب فجرح جماعة وقتل بعض ثم دخل الأمير الكبير والحاجب ودوادار السلطان ونائب القلعة بينهم وسكنت الفتنة وفى منتصف ربيع الأول طفا السمك الذى بخندق قلعة حلب ودام الطاعون وكان الطاعون خارج البلد اكثر لا سيما بالكلاسة وبانقوسا وصار الناس يبيتون على النعوش وعمل الناس نعوشاً وتكلم فى عدد الموتى فقل ومكثر والصحيح انه خرج من باب المقام دون الستين وفوق الخمسين نفساً وحصلت رائحة كريهة في بعض القرى لكثرة الموتى

ذكر عزل تنم وتولية حلب لقانى بك الحمزاوى

قال ابو ذر وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة صرف تنم عن كفالة حلب بالحمزاوي وكان تنم كثير الطمع في اموال الرعية وصادر اهل الباب ومن حولها من القري عند ذهابه اليها وكثر قطاع الطريق فى أيامه وصارت العرب من زعب يأتون الى القرى ويأخذون الغفر حتى لقد رأيت فلاحاً يزرع بقرية

بارت التي للأشراف وضع بيدره عند مقام الأنصاري فجاء العرب اليه يطلبون الغفر على بيدره واحدث خفراء عندخان طومان يغفرون القوافل الى سرمين وذلك لعجزه عن ضبط المملكة وعاتب شخصاً من اكابر اهل عين تاب بالصفع وادخله السجن فمات بالسجن من الصفع

ترجمة تنم المؤيدى

قال في المنهل الصافي تنم بن عبد الله بن عبد الرزاق الامير سيف الدين من مماليك الملك المؤيد شيخ وممن صارفي ايامه خازنداراً صغيراً ودام علي ذلك مدة يسيرة الى ان نقله الملك الاشرف الى وظيفة رأس نوبة الجمدارية (ثم قال) وفي سنة احدي وخمسين وثمانمائة خلع عليه بنيابة حماة بعد توجه الامير يشبك الصوفي الى نيابة طرابلس وذلك في شهر ربيع الاول فتوجه الامير تنم الى حماة واقام بها الى شهر رجب من السنة برز المرسوم الشريف بانتقاله الى نيابة حلب عوضاً عن الامير برسباي الناصرى بحكم مرضه فتوجه اليها وباشر نيابتها مدة يسيرة ووقع بينه وبين اهلها وحشة وكثر الكلام فى حقه الى ان عزل عن نيابة حلب بنائبها قديما الامير قاني بك الحمزاوى وطلب الى القاهرة فقدمها في مستهل شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة فاخلع السلطان عليه وانعم عليه بفرس بقماش ذهب واجلسه تحت امير مجلس فوق بقية الامراء وفي سنة ٨٥٣ في صفر نقله الى امرة مجلس . ولم يذكر صاحب المنهل تنقلاته بعد ذلك ولا تاريخ وفاته ولعلها تاخرت عن وفاة المؤلف .

(سنة ٨٥٣)

الكلام على سقف الجامع الأعظم وجداريه القبلي

والشمالى وما حصل بهما فى زمن قاني بك

قال في كنوز الذهب واما سقفه فكان جملونا كجامع دمشق وكان بحائط المحراب وحائط الصحن قماري ومناظر وآثارها باقية الى الآن فلما احترق الجامع في ايام التتار بنى ابن صقر القبو فغوش عليه كافل حلب وقال له انما بنيت اصطبلاً فلما كانت دولة الظاهر جقمق وكافل حلب اذ ذاك قاني بك الحمزاوى وملاك امر حلب بيد زين الدين عمر سبط ابن السفاح اختلفت اقاويل المهندسين ورأسهم على ابن الرحال وكان ماهراً في صنعته حينئذ وآراؤهم فى امر الحائط الذي فيه ابواب القبلية وهو نهاية في الجودة والترصيف وجودة النحت وثقل الآلة وحسن التركيب والترتيب وكثرة مافيه الكوي طلباً للمكنة والحكمة وليس بحلب حائط مثله اذمال اوسطه وخرج عن الميزان ميلا فاحشاً وكانوا قد زانوه وظهر لهم ذلك وعلى رأس الباب المذكور نسر مبني بالحجارة الهرقلية وعليه رفرف جدده قصروه كافل حلب واعانه عليه شيخنا المؤرخ (ابن الخطيب) وظهر تشقق وانفساخ في القبو الملاصق للحائط وكان الناس في صلاة الجمعة والخطيب على المنبر انهار تراب من الشقوق ففزع الناس وخرجوا من القبلية حتى انى كنت اصلي فيها فخيل لي ان الحائط قد سقط على الناس من شدة الفزع فحضر كافل حلب قانيباي الحمزاوي ومعه ابن السفاح ورؤساء البلد والمهندسون والبنائون ومنهم الحاج محمد شقير وكان عالماً بصنعته وفيه ديانة فاضطربوا ايضاً واختلفت اقوالهم فبعضهم اشار بنقض الحائط وقال اخاف ان

وقع وقوع المنارة [١] وبعضهم اشار بحفر حفر فى صحن الجامع ليكشف عن اساس الجامع ينظر فى حاله وقال انما اتي من قبل الماء المجتمع في المصنع الذى بصحن الجامع لحفروا الحفاير فوجدوا الحائط مبنياً على قناطر فقال بعضهم ان الذى بناه بناه على اساسه القديم ولم يصل به الى الجبل وقال بعضهم بل هذا طلب للمكنة واخذوا في نزح الماء من المصنع وتفرق النايب والناس عن غير طائل قال لى ابن الرحال بينا انا فى صحن الجامع اذ انا بشخص يتكلم بين الناس ويقول الرأي ان ينقض النسر الذي على الباب وان ينقض القبو المتقطع ويترك الحائط على حاله ولم اعرف الرجل فتدبرت كلامه فوقع في قلبي انه الصواب فاشرت بذلك فاخذوا فى نقض القبو الملاصق للحائط وكان الرأي ان ينقض قليلا قليلا فزادوا في النقض فتقطع بقية القبو ولو علم الكافل بذلك لقتل ابن الرحال وكانوا قدكاتبوا السلطان فى امره فأرسل الف دينار الى ابن السفاح ليصرفها فى عمارة ذلك فاتفق رأي العامل نجم الدين مع ابن السفاح وقطعا المستحقين خلا ارباب الخمس وشرعوا في عمارة ذلك فلما خاف ابن السفاح من هيبة السلطان صرف شيئاً قليلاً من مال السلطان في عمل البوارز التي على الحائط المذكور واخذت حجارة النسر ووضع منها شيء فى معبر الباب الغربي (٢) وبقي الباب الغربي بغير رفرف فشرع القاضي الحنفى ابن الشحنة فى عمل رفرف عليه وركب في شهر شعبان سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة وثبت الحائط

(١) فى هامش الكراسة المنقولة من كنوز الذهب بخط بعض الفضلاء ما نصه اقول وقد كانت المنارة الأصلية فى الحائط الغربى ملاصقة لحائط القبلية الشمالى الملاصق للصحن وحين رم الجامع سنة ١١٧٠ شوهد بابها ورسمها من اعلا السطح اهـ

(٢) كان الباب الغربى فى وسط الرواق الغربى ثم سد بعد ذلك وفتح الباب الموجود الآن امام المدرسة الحلاوية

على حاله ولم يزدد بعد ذلك شيئاً انتهى (١)

وفي رجب دخل الحمزاوي الى حلب كافلاً وكان لين الجانب كثير الحياء والتودد للناس وله زوج عملت خيراً كثيراً لم تدع مزاراً بحلب الا وارسلت له الدراهم واحسنت للفقراء وعزلت عقبة ديركوش وسهلتها بعد صعوبتها وكانت لاتسمع بفقير صالح الا واحسنت اليه ولا بمعروف الا وبادرت اليه وتحسن لأهل الحبس كثيرا وتطعم الأيتام وتكسوهم وتزوجهم وكانت شهمة لها همة عظيمة فى فعل الخير وماتت بعد زوجها بدمشق عن اثاث كثير

(سنة ٨٥٥)

﴿ اخلاق وعادات ﴾

قال ابو ذر في حوادث هذه السنة فى جمادى الأولى عمل الحاج محمد بن خليفة المصرانى وهو من اهل بانقوسا طهوراً لأولاده واراد اهل بانقوسا ان يلبسوا السلاح على عادتهم في المشي في خدمة المطهرين فشاع الخبر بأنهم يريدون الأيقاع بالحوارنة فأرسل الكافل خلف الأكابر وحذرهم من الفتن واشهر النداء بعدم لبسهم فدخل اليهم جماعة من اكابر تجار بانقوسا والتزموا بأن لا يحدث شر بين الطائفتين فأذن في ذلك فلبسوا على عادتهم وطافوا في البلد فلما وصلوا الى تحت القلعة صاح شخص ياالقيس فوقعت الفتنة وحمي الوطيس ودامت الى قرب العصر فقتل جماعة من الطائفتين ومن المتفرجين وجرح جماعة فلما كان يوم الجمعة قبل الصلاة اقتتلوا ايضاً تحت القلعة فأمر الكافل الأمراء ومماليكه فلبسوا السلاح واشهروا النداء ودار القضاة الأربع والمنادي ينادي من لم يرجع عما هو عليه قتل فسكنت الفتنة

(١) في الهامش وقد جدد في دولة آل عثمان

واعلم ان سبب العداوة اولاً انه لما مات يزيد ابن معاوية بويع ابن الزبير رضى الله عنهما بمكة وقام مروان بن الحكم بالشام في ايام ابن الزبير واجتمعت عليه بنو امية وصار الناس بالشام فرقتين اليمانية مع مروان والقيسية مع الضحاك بن قيس متابعين لأبن الزبير لأن الضحاك بايع ابن الزبير سراً بالشام وآخر ذلك ان الفريقين اقتتلوا بمرج راهط في الغوطة وانهزم الضحاك والقيسية وقتل الضحاك وجمع كثير من فرسان قيس ونادى منادي مروان ان لا يتبع احد منهزماً ودخل مروان دمشق ثم صار هذا فى البلاد .

(سنة ٨٥٧)

ذكر وفاة الملك الظاهر جقمق العلائى وسلطنة ولده الملك المنصور عثمان

قال ابن اياس ما خلاصته فى هذه السنة في صفر توفي الملك الظاهر جقمق العلائي وله من العمر احدى وثمانون سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية اربع عشرة سنة وعشرة اشهر وكان ملكاً عظيماً جليلا دينا خيرا متواضعاً كريما يحب فعل الخير وكان عنده لين جانب يحب العلماء وينقاد الى الشريعة ويقوم للعلماء اذا دخلوا عليه وكان يحب الأيتام ويكتب لهم الجوامك (الرواتب) ولا يخرج اقطاع من له ولد الا الى والده وكانت الدنيا في ايامه هادئة من الفتن والتجاريد

ولما مات اقيم في السلطنة ولده الملك المنصور ابو السعادات فخر الدين عثمان وهو الحادي عشر من ملوك الجراكسة واولادهم بالعدد وبويع بالسلطنة وله من العمر نحو تسع عشرة سنة

ذكر خلع الملك المنصور عثمان وسلطنة الملك الأشرف اينال العلائى

قال ابن اياس بقي الملك المنصور فى السلطنة ثلاثة واربعين يوماً ثم خلع واقيم فى السلطنة الملك الأشرف اينال العلائي الظاهري وهو الثاني عشر من ملوك الجراكسة .
قال وفيها قدم القاضى محب الدين ابن الشحنة الى القاهرة من غير طلب فأراد السلطان ان يرده الى حلب فوعد بمال فأذن له بالدخول الى مصر فدخل على كره من الجمالي يوسف ناظر الخاص (ثم قال) وقرر القاضى محب الدين ابن الشحنة باستمراره في قضاء حلب [قال] وفيها خلع السلطان على محب الدين ابن الشحنة وقرره فى كتابة السر بمصر وصرف عنها محب الدين بن الاشقر وهذه اول عظمة ابن الشحنة بمصر وكان قرر فى قضاء الحنفية بحلب فتكاسل عن التوجه الى حلب وسعى فى كتابة السر حتى قرر بها

وفيها توفي القاضى ضياء الدين بن النفيسى الشافعى الحلبي كاتب السر بحلب وكان من اعيان الناس الرؤساء بحلب

وفي هذه السنة استولى السلطان محمد الفاتح رحمه الله على القسطنطينية واتخذها دار ملكه وقد بسط كيفية ذلك غير واحد من المؤرخين

[سنة ٨٥٨]

قال ابن اياس فيها قرر فى نيابة حلب اقبردي الظاهري الساقى عوضاً عن قانى بك الحمزاوى ثم وصل الي مصر قاصد قانى بك وعلى يده تقدمة حافلة الى السلطان وكان قد اشيع عنه العصيان والمخامرة فبطل ماقرر وبقي قانى بك فى النيابة .

[سنة ٨٥٩]

﴿ ذكر تولية حلب للأمير جانم الأشرفي ﴾

قال ابن اياس في هذه السنة جاءت الأخبار بموت جلبان نائب الشام [الذي كان نائب حلب] فعين السلطان نيابة الشام الى قانى بك الحمزاوي نائب حلب وخلع السلطان على جانم الأشرفي وقرره في نيابة حلب عوضاً عن قاني بك الحمزاوي. قال ابو ذر كان خروج الحمزاوي من حلب في مستهل ربيع الآخر.

﴿ ترجمة قانى بك ﴾

قال في المنهل الصافي قانى بك ابن عبد الله الحمزاوي الأمير سيف الدين نائب حلب هو من مماليك الأمير سودون الحمزاوى الدوادار في الدولة الناصرية فرج ثم اتصل بعد موت استاذه بخدمة والدي رحمه الله [هو تغري بردي الذي كان نائباً بحلب سنة ٧٩٦] هو وجماعة من اخوته وطالت ايامه عند الوالد الى ان ثقل الوالد في مرض موته ففر قاني بك من عنده الى الأمير شيخ المحمودي ودام عنده الى ان تسلطن وانعم عليه بأمرة عشرة بالقاهرة ثم نقله الى امرة طبلخاناه (وبعد ان ذكر تنقلاته قال) ثم نقله الملك الظاهر جقمق الى نيابة طرابلس في اواخر سنة اثنتين واربعين وثمانمائة فباشر نيابة طرابلس اشهراً ونقل الى نيابة حلب بعد الأمير جلبان في سنة ثلاث واربعين وثمانمائة فتوجه الى حلب وحكمها سنين الى ان عزل عنها بالأمير قانى بك الأبو بكري الناصري البهلوان في سنة ثمان واربعين او في اوائل سنة تسع واربعين ثم استقدم الى الديار المصرية ثم اعيد الى نيابة حلب ثانياً بعد عزل الأمير تنم بن عبد الرزاق المؤيدي في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة وسر اهل حلب بعوده اليهم اهـ.

قال السخاوي في الضوء اللامع ثم نقله الأشرف بعد حلب وذلك في سنة ٨٥٩ (كما سيأتي) الى نيابة دمشق ومات بها سنة ثلاث وستين ودفن بخانقاه تغرى برمش تحت قلعتها وقد ناهز الثمانين وسر الدمشقيون بوفاته لكثرة جنايات مماليكه الذي استكثر منهم وجماعة بابه ومع ذلك فهو شديد الأسراف على نفسه سامحه الله اه

قال ابو ذر وفي رابع عشر جمادى الأولى وصل كافل حلب جانم من القاهرة الى محل كفالته واحضر بين يديه ما تحصل من الجهات في غيبته فقال لهم هذه الدراهم لايحل اخذها فقال له بعض وسائط السوء متى تعففت واظهرت العدل يخاف عليك من سطوات السلطان لأنه يقول انما فعلت ذلك طلباً للسلطنة فأخذها كرها اه

﴿ وصول ماء السمرمر الى حلب ﴾

قال ابو ذر وفي سابع عشر جمادى الأولى وصل ماء السمرمر الى حلب وخرج الناس الى لقيه بالذكر والدعاء فأخرجوه الى القلعة وعلقوه بمأذنة جامعها ووقفت على كتاب قديم كتب الى الممالك الشرقية بسبب احضاره (وساق هنا الكتاب ولم اجد كبير فائدة في ذكره فأضربت عنه ثم قال) وهذا الماء هو كائن في بلاد العجم اخبرني من احضره بأنه في واد وعلى مكانه خدمة والسمرمر طائر يعادي الجراد ويقتله ويكون بينهما مقتلة عظيمة يحمل كل منهم على الآخر ويفر الجراد بين يديه اه

اقول من خواص هذا الماء على ما زعموا انه يكون سبباً لجلب طير السمرمر من الأماكن القاصية الى هذه الديار فيدفع عنهم جيوش الجراد الجرارة .

(سنة ٨٦١)

الغلاء الشديد فى حلب

قال ابو ذر في شهر صفر تزايد ارتفاع الأسعار واشتد الغلاء فشكى الناس حالهم الى كافل حلب جانم في يوم الخميس اول ربيع الأول ثم صاحوا عليه يوم الجمعة وجاء اناس من طرف البلد الى سوق الصابون ونهبوا حانوتا وماج الناس كموجان البحر وصلى الناس الجمعة وهم في وجل كبير وخوف من نهب الأسواق فغلقت الأسواق ولم يدخل احد الى الجامع من بابه الشرقى لأغلاق الأسواق ثم بعد صلاة الجمعة رمي الناس بعضهم بعضاً بالحجارة على سطح الجامع واصبح الناس وباب الجامع المذكور والاسواق مغلقة .

بطلان الدراهم المستعملة وضرب دراهم جديدة بحلب

وفى العشرين منه غيرت الدراهم بحلب وصار الأشرفى بخمسين درهماً وكان الاشرفى فى ايام الأشرف برسباي بأربعين درهماً وصار يترقى لفساد المعاملة حتى صار بمائة درهم وكانت الدراهم غالبها نحاس بسكك مختلفة فيذهب الشخص ليشتري له حاجة فترد عليه ولا يقبضها غالب الناس وغلت الاسعار بسبب ذلك فأجتهد الكافل جانم اخو الأشرف في ابطالها وضرب الدراهم واقام لدار الضرب الشيخ شمس الدين ابن السلامي وكان قد فاوضني في ذلك فامتنعت واعتذرت بأنى لا أعرف الدراهم ولا الزغل فأعفانى من ذلك ثم اقام لها بعد ذلك الشيخ شمس الدين ابن الشماع الشافعي وكان يخرج تارة بنفسه لدار الضرب وتسبك الدراهم بحفرته وتصك وعتب بعض النـاس عليه فى ذلك اذ هو صوفي فكيف يدخل نفسه فى امور الدنيا فبلغه ذلك فقال بذلت نفسى لأصلاح احوال الناس واحضر اربع صيارف عارفين بالسكك والنقد فبعد ختمها يقف عليها الصيارف الأربع

وكان الناس تضرروا بـالدراهم العتيقة ضرراً زائداً وكان وزن الدراهم اذ ذاك ربع درهم. وضرب دراهم كل درهم وزن درهم وكان عليها النور اذ هي خالية من الغش

﴿ حادثة الشيخ جنيد الأردبيلي وما آل اليه امره ﴾

قال ابو ذر في حوادث هذه السنة ومن خطه نقلت وفي الثلاثا خامس عشرين رمضان عقد مجلس بدار العدل بالجنينة عند كافل حلب جانم وحضره القضاة الأربع والشيخ شمس الدين ابن الشماع والشيخ شمس الدين محمد بن السلامى بسبب الشيخ جنيد ابن سيدي علي ابن صدر الدين الأردبيلي . وهذا الرجل سكن كلز وبنى بها مسجداً وحماماً وللناس فيه اعتقـاد عظيم بسبب ابيه وجده ويأتمرون بأمره ولا يغفلون عن خدمته ويثابرون على لزوم بابه ويأتيه الناس من الروم والعجم وسائر البلاد ويأتيه الفتوح الكثير ثم سكن جبل موسى عند انطاكية هو وجماعته وبنى به مساكن من خشب وفي الجملة كان على طريق الملوك لا على طريق القوم .

وكان كافل حلب قد ارسل خلفه قبل ذلك فلم يحضر وذهب مع جماعة الكافل اليه شمس الدين بن عجين الشافعي مفتي انطاكية فأمسكه عنده وهم بقتله ثم ارسل خلفه ثانيا دوادار السلطـان الماس ومعه جماعة من الأجنـاد فلم يحضر فلما حضر الماس نسب الى جماعته المقيمين عنده انه حارب من ذهب خلفه وان في الموقعة قتل ابراهيم ابن غازى من امراء التركمان بجبل الأقرع فعقد هذا المجلس بسبب هذا فبينما نحن في المجلس ارسل الكافل خلف الشيخ محمد ابن الشيخ اويس الأردبيلي المقيم بحلب وهذا كان ايضاً بأربل ثم انتقل الى حلب وتزوج الشيخ جنيد بأخت الشيخ محمد ثم تشاجرا وتطالقا وصـار فى النفوس شيء فلما حضر سأله مايقول في هذا الرجل فقال انـا بيني وبينه عداوة لا يقبل كلامي فيه ثم

انصرف فاستحسن الحاضرون عقله فبينا نحن كذلك اذ حضرت ورقة من عند الشيخ عبد الكريم ان هذا الرجل شعاشعي المذهب وورقة من عند الشيخ احمد البكرجى ان هذا الرجل تارك الجماعة ونسب اليه اشياء الى ان قال ثم خرج الناس اليه الى الجبل فأقتتلوا واسفرت الوقعة عن قتلى من الفريقين فتسحب من الجبل الى جهة بلاد العجم واقام هناك ثم خرج على بعض ملوكها فقتل . وبعض اصحابه يدعى حياته. وقول الشيخ عبد الكريم هذا شعاشعي نسبة الى محمد بن فلاح الذى ظهر بالجزائر وقتل الناس وحملهم على الرفض وترك الجماعات ونكاح المحارم ويعرف بالشعشاع .

وسيأتي بعض هذه القصة في ترجمة الشيخ محمد الكواكبي المتوفى سنة ٨٩٧

(سنة ٨٦٣)

ذكر تولية الامير اينال اليشبكى والطاعون العظيم بحلب

قال في تحف الأنباء في هذه السنة في ربيع الآخر ولي نيابة السلطنة بحلب اينال اليشبكى عوضاً عن جانم الأشرفى . وفي جمادى الآخرة وقع الطاعون بحلب فأحصي من مات بها وبضواحيها فكان زيادة عن مائتي الف انسان

(سنة ٨٦٥)

في هذه السنة توفي الملك الأشرف وتولى السلطنة ابنه الملك المؤيد شهاب الدين احمد . وفى شعبان خلع الملك المؤيد وتولي السلطنة الملك الظاهر ابو سعيد خشقدم الناصري المؤيدي

وفاة اينال اليشبكى وترجمته

قال السخاوى اينال اليشبكى الجكمي ويقال له حاج اينـال خدم عند بعض الأمراء قليلا ثم صار من امراء دمشق ثم قدّم بها في ايام الظاهر جقمق ثم نقل

لنيابة الكرك ثم لحماة ثم لطرابلس ثم لحلب في سنة ثلاث وستين كل ذلك بالبذل الى ان مات بها في سابع عشرين شعبان سنة ٦٥ وقد قارب الستين وكان مسرفاً على نفسه بل ساءت سيرته بآخره وابغضه الحلبيون ورجموه غير مرة لكثرة متاجره وشرهه في جمع المال مع سكون وعقل ورئاسة وحشمة وتواضع اهـ

ذكر تولية حلب للأمير جانى بك الناجى

قال فى تحف الأنباء وبعد وفاة اينال اليشبكى تولي نيابة السلطنة بحلب جانى بك الناجي وقرر فى نيابة قلعتها كمشبغا السيفي

(سنة ٨٦٦)

﴿ ذكر عصيان جانم الأشرفى نائب حلب السابق ﴾

قال في تحف الانباء فى هذه السنة اتت الأخبار الى السلطان من حلب بأن جانم نائب دمشق (ونائب حلب السابق) قد قطع الفرات في جموع وافرة وهو قاصد الأعمال الحلبية وقد وصل الى تل باشر وان نائب حلب تهيأ لقتاله فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت احواله وعين تجريدة الى حلب وعين بها من الأمراء والمقدمين جاني بك وبلباي وازبك بن ططخ وغيرهم وعين من المماليك السلطانية نحواً من ستمائة مملوك واخذ فى اسباب تفرقة النفقة عليهم فبينما هم على ذلك اذ جاءت الأخبار بأن جانم عاد من حيث اتى وقد وقع بينه وبين عسكره خلف وثاروا عليه وقصدوا قتله فلما تحقق السلطان ذلك امر بدق البشائر بالقلعة وعلى ابواب الأمراء



(سنة ٨٦٧)

﴿ ذكر قتل جانم الاشرفي الذي كان نائب حلب ﴾

قال في تحف الأنباء وفي هذه السنة تحيل جاني بك الناجي فى قتل جانم نائب دمشق بالرها (وكان توجه اليها هاربًا كما بسطه السخاوى) حتى قتله بغتة على يد مماليكه فلما وصل خبر قتله الى السلطان امر بدق البشائر ايضاً بالقلعة وعلى ابواب الأمراء فعد موته من سعد الملك الظاهر خشقدم اه

قال السخاوي فى ترجمته كان جانم الأَشرفي دينا متعبدا متعففاً محباً للسنة والفقهاء والصالحين منور الشيبة قصير القامة كثير الأفضال والمواساة مجتهداً في احكامه متحرياً في احواله الى ان قال وبالجملة فقد عاش سعيداً ومات شهيداً

(سنة ٨٦٨)

(ذكر تولية حلب للأمير برد بك الجمدار)

قال في تحف الأنباء فى هذه السنة تولي نيابة السلطنة بحلب برد بك الجمدار .
وفي سنة ٨٧٠ ارسل برد بك نائب حلب تقدمة حافلة الى السلطان على يد دواداره ابي بكر فأكرمه وخلع عليه (وذلك علامة على اقراره على عمله)

(سنة ٨٧١)

﴿ ذكر تولية حلب للأمير يشبك البجاسي ﴾

قال فى تحف الأَنباء فى هذه السنة في صفر مات برسباي البجاسى نائب دمشق فأرسل السلطان خلعة الى برد بك الجمدار وقرره في نيابة دمشق وارسل خلعة الى يشبك البجاسى وقرره فى نيابة حلب
وفي جمادى الآخرة جاءت الأَخبار من حلب الى السلطان بأن رستم بن دلغادر

(ملك مرعش) قد تحارب مع شاه سوار (نائب ابلستين) فرسم السلطان ان يخرج عسكر حلب لمساعدة رستم وهذا اول فتح باب الشر مع شاه سوار

(سنة ٨٧٢)

ذكر فتنة شاه سوار نائب ابلستين التي ظلت من هذه السنة الى ان قتل فى سنة ٨٧٧

قال ابن اياس فى حوادث هذه السنة فيها جاءت الأَخبار من حلب بأن خارجياً تحرك على البلاد يقال له شاه سوار فرسم السلطان للأَمير بردبك الجمدار نائب حلب بأن يخرج اليه ثم جاءت الأَخبار من بعد ذلك بأن بردبك نائب حلب لما خرج الى سوار التف عليه واظهر العصيان على السلطان وقصدا التوجه الى الشام (١) فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت احواله وعين الى سوار تجريدة وبها من الأمراء خمسة مقدمو الوف اه

ذكر وفاة السلطان خشقدم الظاهرى وسلطنة ابى النصر بلباي المؤيدى ثم خلعه وسلطنة الملك الظاهر ابي سعيد تمربغا ثم خلعه وسلطنة الملك الأشرف قايتباي المحمودي

قال ابن اياس ما خلاصته فى ربيع الأَول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة توفي السلطان الملك الظاهر خشقدم الظاهرى وله من العمر نحو خمس وسبعين سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست سنين ونصفاً واقيم في السلطنة بعده الملك الظاهر ابو النصر سيف الدين بلباي المؤيدي ولم يتم امره فى السلطنة وبان عليه العجز فخلع سابع جمادى الأُولى من هذه السنة وكانت

---

(١) يغلب على الظن ان ذلك خلاف الحقيقة وانها ما سيأتيك قريباً

مدة سلطنته شهرين الا اربعة ايام ثم وقع الأتفاق من الأمراء على سلطنة الأتابكى تمربغا فأقيم في السلطنة سابع جمادى الأولى ثم خلع سادس رجب واقيم في السلطنة قايتباي المحمودي ولقب بالملك الأشرف وله من العمر خمس وخمسون سنة .

انتصار شاه سوار على الجيوش المصرية

قال في تحف الأنباء وفي ربيع الأول اتت الأخبار الى مصر بأن شاه سوار قد كسر العسكر الشامي والحلبي وقتل كثيرين من الأعيان واستولى على عدة مدن وقلاع واسر بردبك الجمدار نائب دمشق وقتل قاني بك الحسنى نائب طرابلس وقراجا الظاهرى اتابك دمشق ونوروز المحمودي احد المقدمين الألوف بحلب والماس الأشرفى اتابك حلب ومحمد غريب الأستادار بحلب ومن العسكر ما لا يحصى وهذا اول استظهار شاه سوار على العسكر واول فتكه بهم

وفي ربيع الآخر تخلص بردبك الجمدار من اسر شاه سوار وهرب واتى الى القاهرة واختفى فأنه كان سبباً في كسرة العسكر لأنه كان متواطئاً مع سوار في الباطن فقبض عليه السلطان وارسله الى القدس وسجنه بها

عود بردبك الجمدار الى نيابة حلب

وفي جمادى الأولى ارسل ازبك بن ططخ نائب الشام يشفع عند السلطان في بردبك الجمدار بأن يعاد الى نيابة حلب فأجابه الى ذلك واعاده الى نيابتها .

قدمنا ان فى هذا الشهر اقيم فى السلطنة الملك الأشرف قايتباي (قال ابن اياس) بعد ان اقيم فى السلطنة اخذ في عرض العساكر بسبب التجريدة لسوار واستمر جالساً على الدكة وهو يعرض ويكتب الى ما بعد العصر ثم ضيق على اولاد الناس والزمهم بالسفر الى سوار او يقيموا لهم بدلاً فصار يأخذ من كل واحد

ان كان لا يسافر مائة دينار عوضاً عن البديل الى السفر وقرر على جماعة من المباشرين جملة مال وامرهم بأحضاره بسرعة ليستعين به على نفقة العسكر وهذه اول شدة وقعت منه في حق الناس فلما تكامل حضور المال حملت النفقات للأمراء المعينين للسفر فحمل للأتابكى جاني بك قلقسيز اربعة آلاف دينار ولبقية الأمراء المقدمين لكل واحد ثلاثة آلاف دينار وللأمراء الطبلخانات لكل واحد خمسمائة دينار وللأمراء العشراوات لكل واحد مائتا دينار وانفق على الجند لكل واحد من المماليك مائة دينار ويوم الاثنين ثاني عشر شعبان خرج الامراء والعسكر المعينون للتجريدة وكان لهم يوم مشهود وهذه اول تجريدة خرجت من مصر الى شاه سوار (اي اول تجريدة من طرف قايتباى) فكانوا نحو عشرين اميراً ما بين مقدمى الوف وطبلخاناب وعشراوات ومن الجند نحو الف مملوك

(ثم قال ابن اياس) وفي ذي القعدة جائت الاخبار بـأن العسكر الذى توجه الى شـاه سوار قد انكسر كسرة شنيعة واسر الأتابكى قلقسيز وقتل جماعة من الامراء ومن الجند مالا يحصى وكان غالب العسكر من الخشقدمية واما من قتل من الخاصكية والمماليك السلطـانية فما ضبطوا وقد نهب برك الامراء والعسكر قاطبة والذى سلم دخل الى حلب فى اسوأ حـال من العري والمشي وقد قوى امر سوار وتوجه الى عينتاب وحاصر قلعتها وملك البلد واشيع بين الناس ان ابن عثمان ملك الروم ارسل نجدة من عسكره الى سوار (ثم قال)

وكانت هذه الواقعة سابع ذي القعدة من السنة المذكورة فلما وردت هذه الاخبار ماجت القاهرة وحار السلطان فى امره وما يظن ان سواراً يقوي على العسكر لكثرته ثم جاءت الأخبار بأن سواراً سجن الأتابكى جانى بك قلقسيز فيجب وان عسكر سوار قد قوي بما نهبه من العسكر من خيول وسلاح وبرك وقد

عزم سوار بأن يزحف على حلب

فلما تحقق السلطان ذلك امر بعقد المجلس بالقلعة فحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الأربعة وهم ولي الدين الاسيوطى الشافعى ومحب الدين بن الشحنة الحنفى وحسام الدين بن حريز المالكى وعز الدين الحنبلى وحضر شيخ الاسلام يحي الأقصرائى وحضر سائر العلماء وكان هذا المجلس بالحوش السلطانى فلما تكامل المجلس قام القاضى كاتب السر ابوبكر بن مزهر وتكلم عن لسان السلطان ووجه الخطاب الى الخليفة والقضاة ومشايخ العلم بما معنـاه من كلام طويل بأن بيت المال مشحوت من المال وان سوار الباغي قد استطال على البلاد وقتل العباد ولا بد من خروج تجريدة عسكر لتحمى بلاد المسلمين وان العسكر يحتاج الى نفقة وليس في بيت المال شيء وان كثيرا من الناس معهم زيادة فى ارزاقهم ووظائفهم وان الأوقاف قد كثرت على الجوامع والمساجد وان قصد السلطان ان يبقى لهم ما يقوم بالشعائر فقط ويدخل الفائض الى الذخيرة . فمال الخليفة وقضاة الجاه الى شيء من معنى الأجابة الى ذلك

فبينما هم على ذلك اذ حضر شيخ الأسلام امين الدين الأقصرائي الحنفى وكان قد تأخر عن الحضور فأرسل خلفه السلطان فلمـا حضر اعاد عليه كاتب السر الكلام الذى وقع اول المجلس

فلما سمع هذا الكلام انكره غاية الأنكار وقال في الملأ العام من ذلك المجلس لا يحل للسلطان ان يأخذ اموال الناس الا بوجه شرعي واذا نفد جميع ما في بيت المال ينظر الى ما في ايدي الأمراء والجند وحلي النساء فيأخذ منه مـا يحتاج اليه واذا لم يوف بالحاجة ففى ذلك ينظر في المهم ان كان ضروريًا فى المنع عن المسلمين حل ذلك بشرائط متعذرة وهذا هو دين الله تعالى . ان سمعت

آجرك الله على ذلك وان لم تسمع فافعل ماشئت فأنا نخشى من الله تعالى ان يسألنا يوم القيامة ويقول لنا لم لا نهيتموه عن ذلك واوضحتم له الحق ولكن السلطان ان اراد ان يفعل شيئاً يخالف الشرع فلا يجمعنا ولكن بدعوة فقير صادق يكفيكم الله مؤنة هذا الامر كله ثم قام فانجبه منه السلطان وانفض المجلس من غير طائل وكثر القيل والقال وشكر الامراء الشيخ امين الدين على ذلك وغالب الناس وكثر الدعاء له وعد هذا المجلس من النوادر

ثم ان السلطان نادى للجند بالعرض واخذ فى اسباب خروج تجريدة وهي التجريدة الثانية

(سنة ٨٧٣)

(ذكر تولية حلب للأمير اينال الأشقر)

قال ابن اياس في هذه السنة قرر اينال الاشقر في نيابة حلب عوضاً عن بردبك البجمقدار بحكم انتقاله الى نيابة الشام عوضاً عن ازبك بن ططخ بحكم انتقاله الى الاتابكية

وفي ربيع الأول عين السلطان الامير ازدمر الطويل الأينالي بأن يخرج ومعه خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية الى حفظ البلاد الحلبية ويقيم بحلب الى ان تحضر الجريدة ويخرج عقيب ذلك وكان بلغ السلطان بأن عسكر سوار نزل على قلعة درندة وحاصرها فبادر الامير ازدمر وخرج فى قلب الشتاء ليحفظ حلب وكان ذلك عين الصواب [ثم قال] فحمل لأزدمر الطويل ستة آلاف دينار وحمل لقجماس الطويل احد امراء الطبلخانات خمسمائة دينار وحمل للامراء العشراوات لكل واحد منهم مائتي دينار واعطى لكل مملوك مائة دينار فكان

الذى صرف على هذه التجريدة التي خروج فيها ازدمر الطويل ومن عين معه من الامراء ومن الجند وهم نحو من خمسمائة مملوك ما يزيد على مائتي الف دينار لخروج ازدمر الطويل ومن عين معه من الامراء ومن الجند في اوائل الشتاء ليقيم في حلب .

قال ابن اياس وفى جمادى الآخرة عرض السلطان العسكر واخذ فى اسباب خروج العسكر الى سوار وهي التجريدة الثالثة فعين باش العسكر الأتابكى ازبك بن ططخ وقرقماش الجلب امير مجلس وغيرهم من الأمراء زيادة على عشرين اميراً ثم رسم لأولاد الناس من اراد السفر فليسافر ومن لم يسافر يحمل الى بيت المال مائة دينار ويقدمها بدلاً عنه وهذا لمن يكون له جامكية واقطاع ومن لم يكن له اقطاع وله الف دينار او له جامكية الف درهم يحمل خمسة وعشرين ديناراً ثم انفق السلطان على العسكر لكل مملوك مائة دينار ولكل امير مقدم الف الفا دينار وحمل للأمراء الطبلخانات لكل واحد خمسمائة دينار وللأمراء العشراوات لكل واحد مائتنا دينار فكان جملة ما صرف على هذه التجريدة نحواً من اربعمائة الف دينار

وفي شعبان خرج العسكر المعين الى سوار فخرجوا في تجمل زائد وطلبوا اطلاباً حافلة وفي ذي القعدة جاءت الأخبار من حلب بأن العسكر لما وصل اخذ باب الملك منهم وانهم في استظهار على العدو سوار ثم جاءت الأخبار من نائب حلب بقتل مال باي الاقطع اخو سوار وجماعة كثيرة من عسكره وبعث برأس مال باي الأقطع ومعها رأسان من امرائه فلما حضرت تلك الرؤس طيف بها بالقاهرة ثم علقت بباب زويلة وباب النصر

وفي ذي الحجة حضر تانى بك الظاهري احد رؤس النوب وكان من جملة من

خرج فى التجريدة فأخبر بكسر العسكر ورجوعه من حلب وهذه ثانى كسرة وقعت لعسكر مصر مع سوار فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت احواله وماجت القاهرة بمن فيها

وكان سبب انكسار العسكر ان سوار تحيل عليهم حتى دخلوا فى مواضع ضيقة بين اشجار فخرج عليهم السواد الأعظم من التركمان بالقسي والنشاب والسيوف والأطبار فقتلوا من العسكر مالا يحصى عددهم واخبر نانى بك بقتل الأمير قرقماش الجلب وسودون القصرى حمل مجروحاً الى حلب فمات بها وكان قد طعن فى السن وناف على الثمانين سنة وقتل كثيرون من الأمراء الكبار سردهم ابن اياس ثم قال واما من قتل من الجند والمماليك السلطانية ومشايخ عربان جبل نابلس والعشير التركمان والغلمان فما امكن ضبطه

وكانت هذه من الواقعات المشهورة التى لم يسمع بمثلها فلما شاع بين الناس ذكر من قتل من الأمراء والعسكر صار بالقاهرة فى كل حارة نعي ليلاً ونهارا مثل ايام الوباء فزاد قلق الناس من سوار ودخل الوهم فى قلوب العسكر مثل ايام تمرلنك وصاروا يرعدون من ذكره وصار العسكر بعد ذلك يدخلون الى القاهرة فى انحس حال من العري والجوع وبعضهم مجروح وبعضهم ضعيف وكان يدخل بعضهم وهو راكب على حمار او جمل او يدخل ماشياً وهو عريان ولم يلاقوا فى هذه التجريدة خيراً

(سنة ٨٧٤)

ذكر انكسار عسكر سوار على يد نائب ملطية

قال ابن اياس وفى صفر جاءت الأخبار من حلب بأن قرقماش الصغير نائب

ملطية تقاتل مع عسكر سوار واسر جماعة كثيرة من امرائه واقاربه وكان ذلك بمكيدة صعدت بيد قرقماش حتى بلغ فيهاذلك

[ذكر تولية حلب للأمير قانصوه اليحياوى]

قال ابن اياس وفي ربيع الآخر ارسل السلطان خلعة الى قانصوه اليحياوى باستقراره في نيابة حلب عوضاً عن اينال الأشقر وكتب الى اينال الأشقر بالحضور الى القاهرة على تقدمة الف بها . وذكر السخاوي فى ضوئه ان وفاة اينال كانت سنة ٨٧٩ وقال غير مأسوف عليه وقد كنت اشهد فى وجهه المقت وكان من سيئات الدهر

وفيه جاءت الأخبار بأن ابن رمضان امير التركمان اخذ جماعة من التركمان وكبس على اعوان سوار واخذ منهم قلعة سيس فسر السلطان بهذا الخبر وارسل الى ابن رمضان خلعة سنية

وفي جمادى الأولى حضر الى القاهرة قراجا السيفي واخبر بأن شاه سوار اطلق الأتابكى جاني بك قلقسيز وبعث به الى حلب وقد اكرمه غاية الأكرام وقصد بذلك ان يرضى خاطر السلطان وقرر مع الأتابكى جاني بك قلقسيز بأن يكون سفيراً بينه وبين السلطان فى امر الصلح

وفى رمضان حضر الأتابكى ازبك وكان مقيماً بحلب من حين كسر العسكر فدخل القاهرة هو ومن بقي معه من الأمراء والعسكر وصحبته شاه بضاع اخو سوار الذى اخذ منه سوار البلاد [وفيه ايضاً] صعد قاصد سوار الى القلعة وصحبته هدية للسلطان فلم يؤذن له فى صعودها معه وحضر بمكاتبة سوار فكان مضمونها انه يطلب الصلح من السلطان لكن على شروط منه لم يقبلها السلطان منها ان

يكتب له السلطان تقليدا بأمرة [الأبلستين] وان ينعم عليه بتقدمة الف بحلب وان فعل ذلك يسلم عينتاب للسلطان فطال الكلام من القاصد والسلطان ولم ينتظم الأمر بينهما في شيء من الصلح ونزل القاصد بغير خلعة

(سنة ٨٧٥)

ذكر انكسار ابن رمضان امير التركمان مع سوار

قال ابن اياس وفي المحرم جاءت الاخبار بان شاه سوار تقاتل مع ابن رمضان امير التركمان فانكسر ابن رمضان وملك سوار قلعة اياس فانزعج السلطان لهذا الخبر واخذ في اسباب تجريدة الى سوار

وفيه عين السلطان الامير اينال الاشقر رأس نوبة النوب ومعه عدة من الامراء الطبلخانات والعشروات وعدة من الجند بسبب قتال سوار وقد خشي السلطان من سوار ان يكبس حلب على حين غفلة فارسل هذه التجريدة يقيمون بحلب الى ان يرسل تجريدة ثقيلة بعد ذلك فلما عينه بعث اليه النفقة من يومه وحمل اليه اثني عشر الف دينار ثم انفق على بقية الامراء والجند والزمهم الخروج بسرعة فخرجوا عقيب ذلك من غير اطلاب ولا اشلة وقد عز ذلك على اينال الاشقر لكونه خرج في قلب الشتاء

وفي ربيع الآخر جاءت الاخبار من حلب بان حسن الطويل [ملك العراقين والموصل] تحرك على اخذ البلاد الحلبية وانه اظهر العداوة للسلطان وقد طمع في عسكر مصر بموجب ما فعله معهم سوار فثار السلطان لهذا الخبر وقصد ان يخرج الى حلب بنفسه

وفي جمادى الاولى عين السلطان تجريدة ثقيلة الى سوار وعين بها من الامراء

المقدمين يشبك دوادار كبير باش العسكر وتمراز النمشي ابن اخت السلطان احد المقدمين وخاير بك حديد الأشرفي وعين عدة من امراء طبلخانات وعشروات وعرض الجند وكتب منهم عدة امراء واعلمهم بان السفر يكون بعد ان يربع الخيل

وفى رجب جاءت الاخبار من حلب بان سوار قد استولى على سيس وقلعتها ففزع السلطان لهذا الخبر وفي شعبان عين السلطان الامير برسباي احد المقدمين بأن يخرج جاليش العسكر الى سوار قبل خروج الامير يشبك فخرج ومعه عدة من الجند وبعث اليه السلطان اربعة آلاف دينار

وفى شوال كان خروج العسكر المعين الى سوار فخرج الامير يشبك الدوادار الكبير وازدمر الاستادار وكاشف الكشاف وباش العسكر فكان في غاية العز والعظمة وقد فوض اليه السلطان امور البلاد الشامية والحلبية وغير ذلك من البلاد وجعل له الولاية والعزل فى جميع احوال المملكة وكتب معه خمسمائة علامة ويكتب على البياض وجعل له التصرف في جميع النواب والامراء ماخلا نائب حلب ونائب الشام فقط فكان له لما خرج يوم مشهود وطلب طلباً حافلا بحيث لم يعمل مثله قط وجر في طلبه عدة خيول ملبسة بركستونات فولاذ مكفتة بالذهب وبركستونات مخمل ملون وصنع في رنكه (او نه) صفة سبع وقد اقترح اشياء عجيبة غريبة لم يسبق اليها ورسم لمماليكه بان يخرج في الطلب باللبس الكامل وخرج صحبته الامراء الذين تقدم ذكرهم ومن الجند نحو الفي مملوك فرجت له القاهرة واستمرت الاطلاب تنسحب الى قريب الظهر ثم خرج العسكر افواجاً افواجاً حتى سد الفضاء وكانوا من اعيان الشجعان فتفاءل الناس بان هذا العسكر ينتصر وان سواراً مأخوذ لا محالة وكذا جرى .

(سنة ٨٧٦)

استرداد عينتاب وآدنة وطرسوس من شاه سوار

قال ابن اياس في صفر جاءت الاخبار من حلب بان الامير يشبك الدوادار اخذ قلعة عينتاب من جماعة سوار وان سواراً اخذ اولاده وعياله واودعهم بقلعة زمنوطو وصار عنده النتر من العسكر بخلاف العادة

وفيه جاءت الاخبار بأن الامير يشبك اخذ من سوار ماكان استولى عليه من آدنة وطرسوس وتحارب مع جماعة سوار اشد المحاربة حتى طردهم من تلك البلاد وملكها

وفي جمادى الاولى حضر محمد بن نائب بهسنا بمكاتبة يذكر فيها انحلال امر سوار من الأمير يشبك وان عسكر سوار قد فل عنه وهو خائف من العسكر ثم ارسل الامير يشبك يطلب من السلطان نفقة للعسكر يتوسع بها فان العليق كان هناك مشحوتاً فبعث له السلطان مائة الف دينار تفرق على العسكر هناك

وفي جمادى الآخرة وصل قاصد من عند الأمير يشبك الدوادار على يده مكاتبة يذكر فيها انه وقع بينه وبين عسكر سوار واقعة مهولة على نهر جيحون وجرح فيها الأَمير تمراز الشمشي في يده بسهم نشاب وكان اول من القى نفسه في النهر فلما بلغ العسكر رموا انفسهم فى النهر خلفه فجرح تمراز واغمي عليه فحملوه ورجعوا به الى الوطاق ثم ان الأَمير يشبك ثبت وقت الحرب وزحف بالعسكر على عسكر شاه سوار وكان بين الفريقين ساعة تشيب فيها النواصى فانكسر عسكر سوار كسرة بليغة وقتل منه ما لا يحصى عدة . وهرب سوار في نفر قليلٍ من عسكره وطلع الى قلعة زمنوطو واختفى . فلما بلغ الأمير يشبك ان

سواراً في قلعة زمنوطو حاصرها اشد المحاصرة ورمى بالمدافع واستمر محاصراً لها

وفي رمضان جاءت الأخبار من عند يشبك الدوادار بأن شاه سوار قد تلاشى امره وفل عنه غالب عسكره وارسل يطلب الصلح من الامير يشبك وان يكون نائبا عن السلطان في قلعة درنده وانه يرسل ولده بمفاتيح القلعه فاوافق السلطان على ذلك الا ان يحضر سوار بنفسه ويقابل السلطان

وفي ذي الحجة وصل قاصد من عند يشبك الدوادار ومعه مكاتبة يخبر فيها ان سواراً ارسل يطلب الامان لنفسه وانه يقيم بقلعة زمنوطو هو وعياله فقال له الامير يشبك حتى نكاتب السلطان بذلك

[سنة ٨٧٧]

﴿ ذكر القبض على شاه سوار وقتله ﴾

قال ابن اياس في المحرم حضر قاني بك وعلى يده مكاتبة الأمير يشبك الدوادار تتضمن القبض على شاه سوار ونزوله من قلعة زمنوطو وقد وصل قانى باي من حلب الى مصر في ثلاثة عشر يوماً فلما صحت هذه الأخبار عند السلطان سر بذلك وخلع على قانى باي خلعة حافلة وكذلك سائر الأمراء خلعوا عليه

وكان ملخص اخبار القبض على شاه سوار انه لما طلع الى قلعة زمنوطو واختفى بها حاصره الأمير يشبك الدوادار اشد المحاصرة وقد فل عن سوار عسكره واراد الله خذلانه فأرسل يطلب الأمير تمراز التمشى قريب السلطان فتلطف الأمير يشبك بالأمير تمراز حتى وافقه الى طلوعه الى سوار فطلع الى قلعة زمنوطو

وصحبته القاضي شمس الدين بن اجا الحلبي قاضي العسكر [١] وهو والد القاضي كاتب السر الآن فلما طلع الأمير تمراز الى سوار واجتمع به تعلل سوار بأنه يلبس خلعة السلطان ويبوس الأرض ولا يقابل الأمير يشبك فما وافقه الأمير تمراز على ذلك فقال له سوار انا قتلت من العسكر جماعة كثيرة واخشى اذا نزلت اليهم يقتلوني فقال الأمير تمراز ضمانك علي فما يصيبك شيء فما وافق سوار على نزوله من القلعة فقام الأمير تمراز والقاضي شمس الدين بن اجا من عنده والمجلس مانع . فلما عاد الأمير تمراز بالجواب على الأمير يشبك لم يوافق على ذلك وحاصر سوار وضيق عليه ورمى عليه بالمدافع فما أطاق سوار ذلك فأرسل بطلب الأمير تمراز والقاضي شمس الدين بن اجا ثانيا على انه ينزل صحبتهما فطلع اليه الأمير تمراز وابن اجا ثانيا فطال بينهما المجلس وقيل ان سواراً اضاف الأمير تمراز وابن اجا بقلعة زمنوطو فلما طال جلوس الأمير تمراز وابن اجا بقلعة زمنوطو عند سوار ماج العسكر على بعضه واشيع بأن سوار قد قبض على الأمير تمراز وابن اجا فلما مضى من النهار النصف الأول نزل الأمير تمراز هو والقاضي ابن اجا وصحبتهما شاه سوار وهو في نفر قليل من عسكره فتوجه الى وطاق الأمير يشبك الدوادار ونزل عن فرسه ودخل على الأمير يشبك في الخيمة فقام اليه ورحب به واحضر اليه خلعة والبسها له . فلما اراد الانصراف من عنده قال الأمير يشبك امض الى نائب الشام وسلم عليه وكان يومئذ برقوق نائب الشام

(١) هو محمد بن محمود بن خليل الحلبي المعروف بأن اجا وكان مرافقاً للأمير يشبك في هذه الحملة والف في ذلك رحلة في ١٣٠ صحيفة من حين خروج يشبك الى حين عوده الى مصر وقد تفضل بارسالها الينا اعارة من مصر سعادة المفضال احمد تيمور باشا وقد تصفحتها فوجدت ملخصها فيما نقلته هنا عن ابن اياس وغيره فاكتفيت بذلك وكتب على ظاهرها ان ولادته سنة ٨٢٠ بحلب وتوفي بها سنة ٨٨١ كما في ترجمته في الضوء اللامع

فلما توجه اليه سوار نزل عن فرسه ودخل الى برقوق وصحبته الأمير تمراز فلما وقف بين يدي برقوق قال له برقوق من انت قال له انا سوار قال انت سوار قال نعم انا سوار فجعل يكرر عليه هذا الكلام فيقول له نعم انا سوار ثم قال له برقوق انت الذى قتلت الأمراء والعسكر فسكت سوار ثم قال برقوق احضروا له خلعة فاتوا اليه بخلعة وفي ضمنها زنجير فلما البسوها له وضعوا الزنجير في عنقه فلما رأى جماعة سوار انه وضع في رقبته زنجير ثاروا على جماعة برقوق وسلوا سيوفهم وكان برقوق اكمن كمينا حول الخيمة وهم لابسون آلة الحرب فهجموا على جماعة سوار وقطعوهم ثم قبضوا على سوار وادخلوه في بعض الخيام فلما رأى الامير تمراز ذلك شق عليه وقال لبرقوق انا نزلت بسوار من القلعة وحلفت له انكم لا تشوشون عليه فكيف يبقى احد يأمن لكم فاخرق برقوق بالامير تمراز اخراقاً فاحشا وربما لكمه فخرج تمراز من عند برقوق وهو غضبان . وكان الامير يشبك حلف للامير تمراز انه اذا قابله سوار لا يقبض عليه ولا يشوش عليه فلما نزل اليه سوار ندب برقوق الى ما فعله بسوار وكان هذا عين الصواب ودع الامير تمراز يغضب

فلما تحقق العسكر القبض على سوار قاموا على حمية وقصدوا التوجه الى الديار المصرية

تولية الأبلستين للأمير شاه بضاع اخى سوار

ولما قبض على سوار خلع يشبك على شاه بضاع اخي سوار وقرره عوضاً عن اخيه في امرة الابلستين . ولما كان يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الاول سنة سبع وسبعين وثمانمائة دخل الامير يشبك الدوادار الى القاهرة وصحبته شاه سوار ودخل سوار قدام الامير يشبك وهو راكب على فرس وعليه خلعة تماسيح على اسود وعلى رأسه عمامة كبيرة وهو في زنجير كبير طويل وراكب الى جانبه شخص

من الامراء العشروات وهو مشكوك مع سوار في الزنجير وكان قدام سوار اخوته واقاربه واعيان من قبض عليه من امرائه ممن نزل معه من قلعة زمنوطو فكانوا نحواً من عشرين انسانا وكان يوماً مشهوداً

ثم انهم صلبوا على باب زويلة وخمدت فتنة سوار كانها لم تكن بعد ماذهب عليها اموال وارواح وقتل جماعة كثيرة من الامراء وكسر الامراء ثلاث مرات ونهب بركهم وقد انتهكت حرمة سلطان مصر عند ملوك الشرق وغيرهم حتى ان الفلاحين طمعوا فى الترك وتبهدلوا عندهم بسبب ما جرى عليهم من سوار وكادت ان تخرج المملكة عن الجراكسة وقد اشرف سوار على اخذ حلب وقد خطب له بالأبلستين وضربت هناك السكة بأسمه

تتمة اخبار سوار واسباب عصيانه

قال القرمانى فى تاريخه فى الكلام على الدولة الدلغادرية فى سنة سبعين وثمانمائة قدم رسلان بن سليمان بن ناصر الدين بك الدلغادرى التركماني الى القاهرة فقتله صاحب مصر لكونه سلم بلاد خربوت الى حسن الطويل ملك بلاد العراق والموصل) وعين مكانه اخاه شاه بداق [بضاع] بن سليمان واعتضد اخوه شاه سوار بيك بسلطان الروم فاستولى على البستان ولما بلغ ذلك صاحب مصر ارسل لقتاله جمعاً كثيراً من العسكر فهزمهم شاه سوار وافناهم بالقتل [حسبما شرحناه]

وقال السخاوى في الضوء اللامع في ترجمته هو سوار بن سليمان بن ناصر الدين بك دلغادر التركماني ويسمي فيما قيل محمد ويقال له شاه سوار نائب الابلستين خرج عن الطاعة ومشى على بعض البلاد الحلبية محتجاً بأنها لآبائه واجداده فقرر

الظاهر خشقدم فى سنة احدى وسبعين عوضه اخاه شاه بضاع على عادته قبل فاستمان باسترجاعها منه بملك الروم ابن عثمان وخرج اليه نواب الشام وحلب وغيرها فكسرهم بمواطئة نائب الشام بردبك البجمقدار (ثم ذكر تجهيز العساكر اليه الى ان القي القبض عليه واخذ الى مصر وصلب فيها سنة سبع وسبعين وهو ابن بضع واربعين سنة . قال وكان فيما قيل يكثر التلاوة من المصحف لطول الطريق ويصوم الاثنين والخميس مع فهم في الجملة ومشاركة في بعض منطق ومعاناة للنظر في النجوم قد نبذه الشيب ببعض شعرات في لحيته من الجانبين بعمامة مدورة وفوقاني مفتوح مزين بقصب بمقلب لطيف على جاري عادة تفصيل التركمان ووجهه حسن ابيض اللون ظاهر الحمرة مستدير اللحية بشعر اسود جميل الهيئة محترم الشكل وتألم غير واحد من المقدمين لأتلافه والله يحسن العاقبة

ذكر الحرب بين المصريين وبين حسن الطويل ملك العراقين

قال ابن اياس وفى جمادى الآخرة عين السلطان تجريدة الى حسن الطويل بها من الامراء المقدمين ثلاثة وهم جانى بك قلقسيز امير سلاح وسودون الافرم وقراجا الطويل الاينالى وعدة من الامراء الطبلخانات والعشروات ومن الجند نحو من خمسمائة مملوك فلما عينهم انفق عليهم وامرهم بالمسير الى حلب بسرعة من غير تأخير

وفيه جاءت الأخبار من حلب بان عسكر حسن الطويل قد استولى على كختا وكركر وبعث مكاتبة مكتوبة بماء الذهب الى شاه بضاع صاحب الابلستين بأن يسلم اليه القلاع التي حوله ولا يخرج عن طاعة وارسل له فى المكاتبة الفاظاً

مزعجة بما معناه واطيعوا الله ورسوله واولي الامر منكم ثم هدده في مكاتبته بانه متى خالفه يحصل اه منه ما هو كيت وكيت

فارسل بضاع المكاتبة للسلطان فلما قرأها السلطان وعلم ما فيها انزعج لذلك وتأثر ثم عين الامير يشبك الدوادار باش العسكر وعين تجريدة اعظم من الاولى التي عينها قبل ذلك فعين بها من الامراء المقدمين يشبك الدوادار واينال الاشقر وبرسباي قرا ومن الامراء الطبلخانات والعشروات عدة وافرة وكتب من الجند فوق الفي مملوك ثم انفق عليهم واخذوا في اسباب الخروج الى السفر فخرجت التجريدة الاولى قبل ذلك وكان باش العسكر جاني بك قلقسيز امير سلاح ومن معه من الامراء فلما دخل من الريدانية خرج الامير يشبك ومن معه من الامراء فرجت لهم القاهرة وكان لهم يوم مشهود

وفي رجب جاءت الاخبار من حلب بان ورديش نائب البيرة قد قبض على جماعة من عسكر حسن الطويل وكسر جاليشه فسر السلطان بهذا الخبر

وفي شعبان حضر قصد نائب حلب واخبر ان نائب حلب قبض على عثمان ابن اغلبك [١] وشخص آخر كان استادارا على تقدمة حسن الطويل التى كانت بحلب وقبض على جماعة آخرين نحواً من الاربعين نفراً وقد نسبوا الجميع الى المواطأة مع حسن الطويل وكانوا يكاتبونه باخبار المملكة فامر نائب حلب بشنقهم.

وفي رمضان جاءت الاخبار من حلب بان الأمير يشبك الدوادار دخل الى حلب وكان له يوم مشهود فلما استقر بحلب قدم عليه قاصد من عند حسن

(١) هو بانى الجامع في المحلة المعروفة به المشهورة الآن بمحلة باب الأحمر وانظر ترجمته في القسم الثانى في وفيات سنة ٨٧٨

الطويل وعلى يده مكاتبة شرحها انه ارسل يطلب جماعته الذين اسروا وسجنوا بحلب وانهم اذا اطلقوهم يطلق من عنده من الاسرى وكان عنده دولات باي النجمى الذي كان نائب ملطية وجماعة آخرون فلم يلتفت اليه يشبك ولا اجابه عن ذلك بشيء

وفي ذي القعدة جاءت الاخبار من حلب بان الأمير يشبك بعث جماعة من العسكر الى البيرة لقتال عسكر حسن الطويل وقد بلغه ان حالهم تلاشى الى الفرار وان حسن الطويل ارسل يكاتب الافرنج ليعينوه على قتال عسكر مصر وهذا اول ابتداء عكسه لكون ارسل يستعين بالافرنج على قتال المسلمين وفيه جاءت الاخبار بان ابن عثمان ملك الروم ارسل قاصده الى الامير يشبك بان يكون عوناً للسلطان على قتال حسن الطويل فاكرم القاصد وارسل صحبته القاضي شمس الدين ابن اجا الحلبي قاضي العسكر بان يتوجه الى ابن عثمان وعلى يده هدية حافلة ومكاتبة بان ينشئ بينه وبين السلطان مودة بسبب امر حسن الطويل وفيه وصل الى السلطان مكاتبة من عند ابن الصوا من حلب يخبر فيها بان الأمير يشبك قد انتصر على عسكر حسن الطويل ورحلهم عن البيرة وان ولد حسن الطويل قد جرح جراحات بالغة وآخر من اولاده اصيب في عينه ووقع بين الفريقين مقتلة شديدة ثم رحل عسكر حسن الطويل من البيرة وقد خذلهم الله تعالى بعد ماعدوا من الفرات وطرقوا البلاد الحلبية من اطرافها . وعاد الامير يشبك الى الديار المصرية فدخلها في سنة ٨٧٨

(سنة ٨٧٩)

قال ابن اياس في هذه السنة في المحرم قدم قاصد حسن الطويل وعلى يده مكاتبة تتضمن الاعتذار عما كان منه وان ذلك لم يكن باختياره فاكرم السلطان

ذلك القاصد واظهر العفو عما جرى منه

وفى جمادى الاولى عاد الامير يشبك الجمالي الذى كان توجه الى ابن عثمان ملك الروم وقابل السلطان في خليج الزعفران وعليه خلعة ابن عثمان ومكاتبة تتضمن التودد بينهما فانسر السلطان بذلك

(سنة ٨٨٠)

قال ابن اياس في ربيع الاخر من هذه السنة جاءت الاخبار من حلب بان (اغرلو) ابن حسن الطويل قد وقع بينه وبين ابيه وقد بعث يستنجد بنائب حلب على ابيه فجهز نائب حلب معه جماعة من عساكر حلب وجعل عليهم باش اينال الحكيم اتابك حلب وجانم السيفي وجانى بك نائب جده وكان يومئذ نائب البيرة ودولات باي المحجوب وآخرين من امراء حلب فلما خرجوا الى عسكر حسن الطويل تقاتلوا معهم فانكسر عسكر حلب وجرح محمد اغرلو جرحا بليغا ورجع الى حلب في خمسة انفار وان اينال الحكيم فقد في المعركة وان دولات باى اسر في المعركة وقتل من عسكر حلب جماعة كثيرة فلما بلغ السلطان هذا الخبر تشوش له وعين جماعة من الامراء منهم الاتابكى ازبك ويشبك الدوادار وتمراز رأس نوبة النوب وازدمر الطويل حاجب الحجاب وبرسباى قرا وخاير بك بن حديد ودريش وعين من الامراء الطبلخانات والعشروات عدة وافرة وامرهم بان يتجهزوا ويكونوا على يقظة حتى يرد عليهم من امر حسن الطويل ما يكون فاضطربت احوال العسكر فبينما هم ذلك اذ ورد كتاب من ابن الصوا يخبر فيه بان عسكر حسن الطويل عاد الى بلاده ولم يحصل منه ضرر.

وفى جمادى الاولى وصل القاضي شمس الدين بن اجا قاضى العسكر وكان قد توجه قاصداً الى حسن الطويل فاخبر بان الطاعون قد هجم في بلاده ومات

من عسكره ما لا يحصى وقد تلاشى امره فسر السلطان بهذا الخبر

وفيه قدمت الى القاهرة زوجة حسن الطويل ام ولده محمد اغرلو تستجير لولدها محمد بالسلطان بأن يشفع له عند ابيه ويصالح فاكرمها السلطان وانزلها بدور الحريم

وفى جمادى الآخرة جاءت الأخبار من بلاد الشرق بوقوع فتنة بين شاه بضاع ابن دلغادر صاحب الأبلستين وبين بن قرمان ووقع بينهما مقتلة عظيمة ووقع ايضاً بين حسن الطويل وبين اخيه اويس وبعث اليه طائفة من عسكره بالرها فحاربوا اويساً وقتلوه ومن معه من العسكر

[سنة ٨٨١]

ذكر توجه قانصوه اليحياوى نائب حلب الى مصر
وعوده الى النيابة

قال ابن اياس فى جمادى الاولى في هذه السنة حضر الى الابواب الشريفة قانصوه اليحياوي نائب حلب وكان قد اشيع عنه انه قد خرج عن الطاعة فلما حضر خلع عليه السلطان باستمراره وبطلت تلك الاشاعه وكان القائم في امر مساعدته الأتابكى ازبك امير كبير

[سنة ٨٨٢]

ذكر مجىء السلطان قايتباى الى حلب وعوده الى مصر

قال ابن اياس في جمادى الاولى خرج السلطان على حين غفلة من العسكر وتوجه الى الصالحية ثم بعد ايام اشيع بأن السلطان توجه من هناك الى البلاد الشامية فتعجب الناس من ذلك وكان فى نفر يسير من العسكر بحيث انه كان معه من

المماليك نحو من اربعين مملوكاً من خواصه وكان معه بعض امراء عشراوات وتاني قرا الدوادار الثاني وآخرون من الامراء . وفى شعبان وصل هجان من عند السلطان واخبر بأن السلطان دخل حلب واقام بها وهو قاصد الى جهة الفرات وقد عرج قبل دخوله الى حلب نحو طرابلس

وفى رمضان جاءت الأخبار من حلب بأن السلطان لما توجه الى الفرات اقام هناك اياماً ثم عاد الى حلب ورحل عنها وكان القصد من هذه السياحة الكشف عن امر النواب والقلاع بنفسه وفي شوال عاد السلطان الى القاهرة ودخلها فى موكب عظيم

وفى هذه السنة توفي السلطان حسن الطويل ملك العراقين وتولى بعده السلطنة ولده خليل

(سنة ٨٨٤)

ذكر تولية حلب للأمير ازدمر بن مزيد

قال ابن اياس فى ربيع الاول من هذة السنة نقل السيفى قانصوة اليحياوى من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضاً عن جاني بك قلقسيز بحكم وفاته ونقل ازدمر قريب السلطان من نيابة طرابلس الى نيابة حلب عوضاً عن قانصوه اليحياوى بحكم انتقاله الى نيابة الشام

قال رضي الدين الحنبلى في تاريخه در الحبب فى ترجمة ازدمر المذكور ولي كفالة حلب في دولة قريبه السلطان الملك الأشرف قايتباي ودخل حلب متولياً فى جمادى الاولى سنة اربع وثمانين وثمانمائة فى ابهة وتجمل والبس القضاة والأمراء واركان الدولة الخلع على العادة وكان شجاعا سيئ الخلق حضر الوقعة التى كانت

بين عسكري السلطان قايتباى والسلطان بايزيد فاقتحم المعركة فضرب بسيف على انفه وفمه فسماه بازدمر الأشرم من يومئذ

وكان بحلب طائفة من العتاة الأبطال يعرفون بالحوارنة في دولة الجراكسة وكانوا ذوي بطش وسفك لدماء اعوان الظلمة كالاستادار فمن دونه حتى كانوا يقولون نحن نقتل فلاناً ونعطى ديته معلاقا معلاقا معلاقاً لأنهم كانوا قصابين او من ذرية القصابين يأوون طرف باب المقام والقصيلة فبطشوا ببعض اعوان ازدمر فصار يتتبعهم ليقتلهم فحصروه مرة بدار العدل فخشي شيخهم ابن بسيرك من عاقبة الأمر فأمرهم ان يطردوه بالسلاح والحجارة صورة ففعلوا فهرب الى دار العدل وقال لأزدمر ان لم تناد لهم بالأمان والأطمئنان والا قتلوك وقتلونى ومتى اطمأنوا فتتبع واقتل فنادى ثم امسك منهم بعد مدة طائفة وأمر بأحضارهم متى كان القضاة الأربع عنده في يوم الموكب وكان منهم جدي الجمال الحنبلي ولكن بحيث لايرونهم وامر الجلاد بقتلهم ليلبس على السلطان انهم قتلوا بالشرع يوم الموكب بحضرة جميع القضاة فالتفت جدى فأذا احدهم قد ضربت عنقه فأغلظ جدى له القول وقام من المجلس وقام باقي القضاة معه فحقنت دماء الباقين بسببه وكان يملك الف مملوك وانشأ بحلب خاناً بسوق الصابون وحماماً بساحة باب المقام وتربة بقرب سعد الأنصارى دفن بها زوجته وكانت صالحة يخاف هو منها مع سطوته والدار التى دخلت الآن فى خبر كان وذكرنا شيئاً من خبرها (هكذا) ومع شهامته كان يذهب الى الجديدة فيشرب الخمر بها وعاد منها مرة وهو سكران فاضطرب اه

قال ابن اياس وفى ذى الحجة جاءت الأخبار بوفاة خليل بن حسن الطويل ملك العراقين قتله بعض امرائه ولما مات ولي بعده اخوه يعقوب وكان من

خيار بنى حسن الطويل

(سنة ٨٨٥)

ذكر عصيان سيف امير آل فضل فى نواحى حماة

وتوجه الأمير يشبك الى حماة بسبب ذلك

قال ابن ايـاس فى صفر من هذه السنة جاءت الأخبـار من حماة بوقوع فتنة كبيرة فيها قتل فيها نائب حماة ازدمر بن ازبك قريب السلطان وسبب ذلك ان سيف امير آل فضل كان قدخرج عن الطاعة فحاربه ازدمر نائب حماة فقتل في المعركة وقتل معه جمع من امراء حماة فانزعج السلطان لهذا الخبر جداً

وفى ربيع الاول عين السلطان الامير يشبك الدوادار للخروج الى حماة بسبب قتال سيف امير آل فضل الذي قتل ازدمر نائب حماة وهذه السفرة كانت آخر العهد بالامير يشبك ولم يعد منها الى مصر وعين معه من الامراء المقدمين برسباي قرا وتانى بك قرا وعدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات وعدة وافرة من الجند وقد لهج الناس بأن هذه التجريدة خرجت الى سيف وكان الأمر كذلك وراح اكثر الامراء والعسكر على السيف فكان كما قيل فى المعنى

لاتنطقن بما كرهت فربما　　نطق اللسان بحادث سيكون

وكان الامير يشبك له غرض تـام في السفر الى ديار بكر وقد سأل السلطان في ذلك بنفسه والسبب في ذلك ان الامير يشبك كان وقع بينه وبين جلبان السلطان بسبب جانم الشريفي (احد الامراء اتهم الامير يشبك فى قتله) فصار معهم فى تهديد وقصدوا قتله غير مامرة فحسن له بعض الاعاجم ان مملكة حسن الطويل سائبة وان العسكر مختلف على ابنه يعقوب ومتى حاربتهم لايقدرون

على محاربتك ويسلمونك مملكة العراق قاطبة فانصاع الامير يشبك لهذا الكلام وسأل السلطان السفر بنفسه حتى يجعل الله لكل شيء سببا لنفوذ القضاء والقدر كما قيل في المعنى

اتطمع من ليلى بوصل وانما   تقطع اعناق الرجال المطامع

فلما عين السلطان الامراء وعرض من بعد ذلك الجند وكتب منهم نحواً من خمسمائة مملوك وانفق عليهم ازيد من مائة الف دينار وامرهم بسرعة التجهيز والخروج صحبة الامير يشبك وفي ربيع الآخر خرج الامير يشبك الى التجريدة من غير طلب لذلك وكان عليه خمدة زائدة فتفاءل الناس انه لا يعود الى مصر ابداً وكذا جرى .

وفي شوال جاءت الأخبار من الرها بوقوع كائنة عظيمة طامة قتل فيها الامير يشبك الدوادار وانكسر العسكر قاطبة وقتل الأكثر منهم وكان سبب ذلك ان الامير يشبك لما دخل الى حلب كان صحبته نائب الشام ونائب حلب ونائب طرابلس ونائب حماة والعسكر الشامي والحلبي والمصري وغير ذلك من العسكر فلما استقر بحلب بلغه ان سيف امير آل فضل الذى خرج بسببه قد فر وتوجه الى نواحي الرها فقوى عزم الامير يشبك بأن يعدى من الفرات ويتبع سيفا في اي مكان كان فيه . فعدى من الفرات هو والعساكر فاجتمع معه فوق عشرة آلاف انسان فلما عدى توجه الى نحو الرها وكان المتولي امرها يومئذ شخص يقال له بابندار احد نواب يعقوب بك ابن حسن الطويل فحاصر الامير يشبك مدينة الرها اشد المحاصرة فلما اشرف على اخذها ارسل بابندر يتلطف بالامير يشبك ويقول له ضمان مسك سيف عليّ وارسل يقول له ارحل من الرها وانا أجمع لك من المدينة مالاً له صورة فابى الامير يشبك من ذلك لما رأى من كثرة

العساكر التى كانت معه فطمعت آماله في اخذ مدينة الرها ويزحف بعد ذلك على ملك العراق كما حسنوا له ذلك فزعق النفير وركب العسكر قاطبة فبرز بابندار ومن معه من العسكر وتحارب معهم فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انكسر عسكر مصر قاطبة وبقية العسكر قاطبة فاسر الامير يشبك وهو راكب على ظهر فرسه فأتوا به الى بابندار واسروا نائب الشام قانصوه اليحياوي ونائب حلب ازدمر بن مزيد ونائب حماة جانم الجدادي وقتل بردبك قريب السلطان نائب طرابلس واسر برسباي قرا حاجب الحجاب وتاني بك قرا احد المقدمين وقتل من الامراء العشراوات ومن امراء الشام وحلب ما لا يحصى وقتل من العساكر التى كانت مع الامير يشبك مالا يحصى عددهم وكانت حوافر الخيل لا تطأ الا على جثث القتلى من العسكر

ذكر قتل الأمير يشبك الدوادار

واما الامير يشبك الدوادار فانه اقام في الاسر ثلاثة ايام ثم فى اليوم الرابع بعث اليه بعبد اسود من عبيد التركمان قطع رأسه تحت الليل واحضرها بين يدي بابندار وقيل انه حز رأسه بالسيف عدة مرار وهي لا تنقطع فقطعها بسكين صغير وعذبه غاية العذاب فلما طلع النهار وجدوا جثته بغير رأس وهي مرمية على قارعة الطريق وعورته مكشوفة حتى ستره بعض الغلمان بحشيش من الارض فلما قطعت رأس الامير يشبك بعث بها بابندار الى بلاد العجم الى يعقوب بن حسن الطويل فكان له يوم مشهود بمدينة ماردين وطافوا بها بلاد العجم وهي على رمح وألبسوا رأس الامير يشبك تخفيفته الكبيرة لما طافوا بها وطافوا بالنواب والامراء الذين اسروهم وهم فى قيود وزناجير والمماليك الذين اسروا مشاة وارسل بابندار

الى يعقوب بن حسن جميع مانهبه من العسكر من مال وخيول وسلاح وقماش وبرك وغير ذلك مما لايحصى وكانت هذه الكسرة على عسكر مصر من الوقائع الغريبة وكان قتل الامير يشبك في العشر الأخير من رمضان سنة خمس وثمانين وثمانمائة بالرها وقد ساقه اجله حتى خرج فى هذه التجريدة بسبب سيف امير آل فضل فكانت منيته بالرها وكان الامير يشبك باغياً على بابندار فأنه قصد محاربته من غير سبب ولاموجب لذلك كما قيل

من لاعب الثعبان فى وكره   يوماً فلا يأمن من لسعته

وقد نهى بعض الحكماء عن التوجه الى بلاد الشرق من غير حاجة فقال

اذا شئت ان تلقي دليلاً على الهدى   لتقفو آثار الهداية من كاف
فخل بلاد الشرق عنك فانها   بلاد بلا دال وشرق بلا قاف

ذكر تولية حلب للأمير ورديش

قال ابن اياس لما ورد الخبر الى مصر بالقبض على يشبك وانكسار العساكر المصرية ماجت القاهرة عن آخرها واضطربت احوال السلطان ثم اشيع بين الناس ان السلطان قصد السفر الى حلب بنفسه ويقيم بها خوفاً من عسكر يعقوب بن حسن ان يطرق بلاد حلب والشام فأن النواب قاطبة كانوا في الاسر عند يعقوب بن حسن .

ثم ان السلطان عين الاتابكى ازبك الى حلب وعين معه ورديش احد المقدمين وخلع عليه وأقره في نيابة حلب عوضاً عن ازدمر وعين من الامراء العشراوات والطبلخانات عدة وافرة منهم جانى بك حبيب امير اخور وآخرين من الامراء ثم عرض الجند وكتب منهم جماعة واستحثهم على الخروج بسرعة قبل ان تهجم

عساكر الشرق على حلب ولولا فعله ذلك لخرج من يده غالب جهات حلب ثم بعد ايام خرج الاتابك من القاهرة هو والعسكر فى تجمل زائد وكان له يوم مشهود وفوض السلطان امر البلاد الشامية والحلبية للاتابكى ازبك وجعل له التكلم في امور المملكة من ولاية وعزل .

وفي ذي الحجة جاءت الاخبار من جلب بقتل محمد بن حسن بن الصوا الحلبي نائب قلعة حلب وكان من اخصاء السلطان ثار عليه اهل حلب بسبب مظالم احدثها بحلب فقتله العامة وقتل فرج بن اغلبك حاجب الحجاب بحلب وكان رئيساً حشماً من اعيان اهل حلب وكان لابأس به

(سنة ٨٨٦)

قال ابن اياس فى المحرم ارسل السلطان تاني بك الجمالي احد المقدمين الى حلب اعانة للاتابكى ازبك فطلب وخرج وكان له يوم مشهود

وفى صفر جاءت الأخبار من حلب بأن الاتابكى ازبك لما وصل الى حلب وجد امر الفتنة التي وقعت بين عسكر مصر وبين بابندار قد سكن امرها وان يعقوب بن حسن الطويل شق عليه ما فعله بابندار من سرعة قتله للامير يشبك الدوادار ولامه على ذلك ثم ان الاتابكى ازبك ارسل جاني بك حبيب قاصداً الى يعقوب بن حسن فتاطفه فى الكلام وكان الامير جانى بك حبيب ذا سياسة ورياء حلو اللسان فأكرمه يعقوب واجله ثم اطلق من كان عنده من الاسرى من النواب والامراء وغير ذلك فسلمهم للامير جاني بك فأتى بهم الى حلب صحبته فلما بلغ السلطان هذا الخبر سر به جداً

وفي رمضان وصل قاصد من عند يعقوب بن حسن الطويل وعلى يديه مكاتبة من عند يعقوب وهو يعتذر فيها مما وقع من بابندار وان ذلك لم يكن بعلمه فعتب

السلطان على القاصد وخلع عليه واذن له فى السفر .

وفى شوال جاءت الأخبار بوصول الامير ازبك الى غزة وصحبته النواب والامراء الذين كانوا اسروا عند بابندار فأرسل هجانا للاتابكى ازبك بأن يقبض على قانصوه اليحياوي الذي كان نائب الشام واسر عند بابندار ويرسله الى القدس بطالا وان بقية الامراء والنواب يحضرون الى القاهرة وكان قد بلغ السلطان بأن قانصوه اليحياوى كان سببا لكسرة العسكر وقتل يشبك فعمل له ذنب كبير بسبب ذلك فكان كما قيل

له الف ذنب لانعد بواحد ولى فرد ذنب لايعادله الف

(سنة ٨٨٧)

﴿ ذكر قتل سيف امير آل فضل ﴾

قال ابن اياس فى جمادى الاولى جاءت الأخبار بقتل سيف امير آل فضل الذى خرج الامير يشبك الدوادار بسببه كما تقدم قتله ابن عمه غسان فى بعض بلاد العراق

سنة ٨٨٨

ذكر محاصرة على دولات بن دلغادر الى ملاطية

قال ابن اياس فى جمادى الآخرة جاءت الأخبار بأن على دولات بن ذى الغادر قد اتى الى ملطية في جمع كثير من العساكر وقد حاصر البلد اشد المحاصرة فانزعج السلطان لهذا الخبر

وفيه عرض السلطان الجند وعين تجريدة الى حلب بسبب على دولات بن دلغادر وعين بها من الأمراء ازدمر امير مجلس الذي كان نائب حلب والأمير

تغرى بردي ططر حاجب الحجاب الثانى وغيرهم من الامراء ومن الجند نحو خمسمائة مملوك وانفق عليهم فبلغت النفقة على الامراء والجند زيادة عن سبعين الف دينار

وفى رجب خرج الامراء والعسكر الى التجريدة التى عينت الى على دولات ابن دلغادر وكان آخر العهد بالأمير ازدمر امير مجلس الذى كان نائب حلب فلم يدخل الى مصر بعد ذلك

(سنة ٨٨٩)

ذكر ارسال تجريدة ثانية الى ابن دلغادر صاحب

مرعش ومبدأ الخلاف بين دولة الجراكسة فى مصر والدولة العثمانية

وانكسار العساكر المصرية وقتل ورديش نائب حلب

قال ابن اياس فى المحرم عين السلطان تجريدة ثانية تقوية لمن تقدم من العسكر فعين تمراز التمشى امير سلاح باش العسكر ومن المقدمين ازبك اليوسفى وعين من الجند نحواً من اربعمائة مملوك من المماليك السلطانية

وكان سبب تعيين هذه الجريدة ان السلطان قد بلغه ان ابن عثمان ملك الروم (هو السلطان بايزيد ابن السلطان محمد الفاتح رحمه الله تعالى) قد امد على دولات بعساكر كثيرة وهذا اول تحول ابن عثمان على بلاد السلطان واستمرت الفتن بعد ذلك تتزايد الى ان كان ماسنذكره فى موضعه

وفي ربيع الاول جاءت الاخبار بأن العسكر الذي خرج من القاهرة قد تقاتل مع علي دولات اخي سوار وقد كسر العسكر وقتل منهم جماعة كثيرة من الامراء والجند فقتل الامير قاني بك احد امراء الطبلخانات وقتل معه جماعة من امراء

حلب والشام

وفي رمضان جاءت الاخبار من حلب بأن ورديش نائب حلب خرج فى جمع من العساكر وتقاتل مع على دولات اخى سوار وقد امده ابن عثمان بجمع كثير من عساكره فلما التقى العسكران وقع بينهما واقعة مهولة فأنكسر العسكر الحلبي وقتل ورديش نائب حلب وجماعة كثيرة من العسكر الحلبي والمصري وكان ورديش شجاعاً بطلاً واصله من مماليك الظاهر جقمق يعرف بورديش بن محمود شاه وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة سيس ثم نيابة قلعة الروم ولم يباشرها ثم تولى نيابة البيرة ثم بقي اتابك العساكر بحلب ثم بقي مقدم الف بمصر ثم بقي نائب حلب واستمر بها الى ان قتل على يد على دولات باي وقتل ايضاً الماس نائب صفد وعدة من الامراء (ذكرهم ابن اياس)

ذكر العود لمحاربة على دولات وانكسار عساكره

قال ثم جاءت الاخبار من بعد ذلك بأن الامير تمراز لما حصلت هذه الكسرة لعسكر حلب ركب هو والامير ازدمر امير مجلس [نائب حلب السابق] والعسكر المصرى وتوجهوا الى علي دولات فتقاتلوا معه فانكسر على دولات وعسكره وعسكر ابن عثمان ونهبوا جميع بركهم واخذوا صناجق ابن عثمان ودخلوا بها الى حلب وهى منكسة وكانت هذه الحركة اول الفتن مع ابن عثمان واستمرت من يومئذ عمالة [١] مع سلطان مصر ومعه حتى كان من امرهما ماسنذكره . وكان اصل هذه الفتنة تعصب ابن عثمان لعلي دولات وكان ابن عثمان متحملاً على سلطان مصر فى الباطن بسبب اشياء لم تظهر للناس

(١) لعل قصده متواصلة

ذكر تولية حلب للأمير ازدمر للمرة الثانية

قال ابن اياس وفي ذى القعدة ارسل السلطان خلعة الى ازدمر بن مزيد امير مجلس ورسم له بعوده الى نيابة حلب كما كان اولاً عوضاً عن ورديش بحكم قتله عند على دولات

وفي ذى الحجة جمع السلطان الامراء وضربوا مشورة فى امر ابن عثمان بسبب ما وقع منه فى تعصبه لعلى دولات فأشار السلطان هو والاتابكى ازبك وغيره من الامراء بان السلطان يرسل هدية على يد قاصده وتزول هذه الوحشة من بينهما فانصاع السلطان لهذا الكلام وعين فى ذلك المجلس الامير جانى بك حبيب امير اخور ثاني وقد تقدم انه توجه الى يعقوب بن حسن الطويل ملك العراقين

(سنة ٨٩٠)

ذكر توجه جانى بك حبيب الى القسطنطينة رسولاً

وسبب الوحشة بين الدولة المصرية والدولة العثمانية

قال ابن اياس وفي صفر كان توجه جانى بك حبيب امير اخور ثانى الى ابن عثمان وكان توجهه من الاسكندرية من البحر وارسل السلطان صحبته تقليداً من الخليفة الى ابن عثمان بان يكون مقام السلطان على بلاد الروم وما سيفتحه الله تعالى على يديه من البلاد الكفرية وارسل الية ايضاً الخليفة مطالعة تتضمن تخميد هذه الفتنة التي قد انتشت بينه وبين السلطان وفى المطالعة بعض ترقق له والذي استفاض بين الناس ان سبب هذه الفتنه الواقعة بينه وبين السلطان ان بعض ملوك الهند ارسل الى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار الهند فلما وصل الى جدة احتاط عليها نائب جدة واحضرها صحبته الي السلطان وكان

من جملة تلك الهدية خنجر قبضته مرصعة بفصوص ثمينة فطمع السلطان في تلك الهدية واخذ الخنجر فلما بلغ ابن عثمان ذلك حنق وجاء في عقب ذلك ان علي دولات ترامى على ابن عثمان وشكى له من افعال السلطان وما يصدر منه فتعصب لعلي دولات وامده بالعساكر واستمرت الفتنة تتسع حتى كان منها ما سنذكره في موضعه وقد طمع غالب ملوك الشرق في عسكر مصر بموجب ماوقع لهم مع سوار وبابندار وغير ذلك من ملوك الشرق

ثم ان السلطان ارسل الخنجر المذكور والهدية التى بعث بها ملك الهند وارسل يعتذر الى ابن عثمان عن ذلك بعد ان صار ماصار فكان كما قيل

جرى ماجرى جهراً لدى الناس وانبسط* وعذر أتى سراً يؤكد ما فرط
ومن ظن ان يمحو جليّ جفائه* خفي اعتذار فهو فى غاية الغلط

وفي ربيع الأول عرض السلطان العسكر وعين تجريدة الى علي دولات وعين بها من الامراء برسباى قرا رأس نوبة النوب وتاني بك الجمالي احد المقدمين ورسم لهم بان يتقدموا جاليش العسكر الى ان يخرج الاتابكى ازبك ثم انفق على العسكر الذى تعين للتجريدة فبلغت النفقة زيادة عن مائة الف دينار

ذكر اول وقعة بين الدولة المصرية والدولة العثمانية

واستيلاء العثمانيين على قلعة كولك

قال ابن اياس في جمادى الآخرة جاءت الأخبار من حلب بان عسكر ابن عثمان قد استولى على قلعة كولك وكان بها شخص من المماليك السلطانية يقال له طوغان الساعى فلما حاصروه سلمها اليهم بالأمان وكانت هذه اول وقائع ابن عثمان ثم اتسع الامر بعد ذلك وكان ما سنذكره في موضعه

وفى شعبان جاءت الأخبار بان عساكر ابن عثمان قد استولوا على اطراف بلاد السلطان وارسل ازدمر نائب حلب يستحث السلطان بخروج تجريدة ثقيلة او يخرج السلطان بنفسه فتكدر السلطان لهذا الخبر ونادى للعسكر بالعرض ثم عرض الجند بحضرة الاتابكى ازبك وكان هو المشار اليه في تعيين الجند مما يختاره منهم ثم عرض القرانصة واولاد الناس وصار الذي لا يطيق السفر منهم يقيم له بديلاً كاملاً بخيوله ولبسه وغير ذلك ويورد مائة دينار من له اقطاع وجامكية ثم ان المماليك المعينة للسفر اطلقوا في الناس النار وصاروا يأخذون بغال الناس وخيولهم غصباً حتى اخذوا بغال الطواحين والاكاديش التي بها وتعطلت الطواحين بسبب ذلك وتشحط الخبز من الدكاكين وكادت ان تكون غلوة كبيرة حتى وبخ السلطان المماليك بالكلام ونادى في القاهرة بالأمان والاطمئنان وان كل من اخذ له بغل او فرس يطلع الى امير اخور كبير يخلصه فسكن الحال قليلا

ذكر خروج العسكر المعين الى علي دولات بقيادة الاتابكى ازبك

قال ابن اياس وفي شوال خرج العسكر المعين الى علي دولات وكان باش العسكر الاتابكى ازبك وكان صحبته قانصوه امير اخور كبير وتاني بك قرا احد مقدمي الألوف وقد تقدم قبلهم ستة من الامراء المقدمين ازدمر امير مجلس وتغرى بردي ططر وقرر بعدهم تمراز امير سلاح وازبك اليوسفي احد الامراء المقدمين ثم خرج من بعدهم برسباى قرا رأس نوبة النوب وتاني بك الجمالي احد المقدمين فكان جملة الذين خرجوا اولاً وآخرا تسعة امراء بالاتابكى ازبك ومن الجند نحو من ثلاثة آلاف مملوك مما تقدم في الاول والآخر وكانت هذه التجريدة

من اعظم التجاريد وطلب الاتابكي ازبك طلباً حافلاً حتى رجت له القاهرة وكذلك قانصوه كان طلبه غاية في الحسن بحيث لم يعمل مثله قط قيل كان مصروف طلب قانصوه نحواً من ثمانين الف دينار وخرج العسكر وهم لابسون آلة الحرب وكان لهم يوم مشهود وكان مع الامير ازبك عدة امراء طبلخانات وعشراوات والجم الغفير من الخاصكية والمماليك السلطانية فعدت هذه التجريدة من النوادر

ذكر عود جانى بك حبيب من القسطنطينية واخباره بما لاقاه

قال ابن اياس وفى ذي القعدة عاد جانى بك حبيب الذي توجه الى ابن عثمان قاصداً وكان قد سافر اولاً من البحر المالح وعاد من طريق ملطية فلما طلع بين يدي السلطان كان عليه خلعة ابن عثمان فخلع عليه وعلى من كان معه من الخاصكية ثم ان جانى بك حبيب خلا بالسلطان واخبره عن احوال ابن عثمان بانه ليس براجع عن اذاه لعسكر مصر وانه لم ير منه اقبالا ولا اكرمه وانه غير ناصح للسلطان فكثر القال والقيل بسبب ذلك .

وفي ذى الحجة جاءت الأخبار من نائب حلب بان علي دولات ارسل يسأل فى الصلح بعدما اتسع الخرق على الراقع كما قيل فى المعنى

اتروض نفسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

(سنة ٨٩١)

ذكر الحرب بين العساكر المصرية والعساكر العثمانية وانتصار العساكر المصرية

قال ابن اياس وفي صفر جاءت الأخبار من حلب بان العسكر المصري تقاتل مع

عسكر ابن عثمان وانتصر على عسكر ابن عثمان وقتل منهم جماعة كثيرة نحواً من اربعين الفا من توابع عسكره وقبض على احمد بك ابن هرسك وكان باش عسكر ابن عثمان واجل امرائه ومعه جماعة من الامراء اصحاب الصناجق العثمانية واسروهم واودعوهم فى الحديد فلما بلغ السلطان ذلك سرّ به .

وفى ربيع الاول وصل دوادار نائب حلب واخبر بصحة كسرة ابن عثمان والقبض على احمد بك بن هرسك وجماعة من امراء ابن عثمان واعيانهم وقد أخذ العسكر المصري من النهب ما لا يحصى من خيول وجمال وسلاح وبرك وقماش وغير ذلك واخذوا صناجقهم وكانوا نحواً من مائة وعشرين صنجقا وقد قطعت عدة وافرة من رؤس عسكر ابن عثمان وستحضر صحبة قيت الرجبى الساقي الخاصكى فسر السلطان لهذا الخبر وخلع على دوادار نائب حلب خلعة حافلة وفى ربيع الآخر وصل قيت الساقى من حلب ومعه عدة وافرة من الرؤس التي قطعت من عسكر ابن عثمان فلما دخل القاهرة زينت له زينة حافلة واصطفت الناس للفرجة فدخل وقدامه الرؤس محمولة على الرماح وكان عدتها مايزيد على مائتي رأس

ذكر عود العساكر العثمانية مع العساكر المصرية

قال ابن اياس وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار بأن عسكر ابن عثمان لما حصلت لهم تلك الكسرة تجمع جيشاً كثيفا ورجع الى المحاربة ثانياً وان عسكر السلطان بعد ان رجع الى حلب خرج ثانيا الى نحو كولك فتنكد السلطان الى الغاية لهذا الخبر ونادى للعسكر بالعرض فعرض وعين جماعة من الامراء المقدمين والجند فكانوا نحواً من خمسمائة مملوك وكان الباش عليهم يشبك الجمالي

الزردكاش الكبير احد المقدمين ثم انفق عليهم واستحثهم على الخروج الى حلب وضاق الأمر بالسلطان حتى قصد ان يخرج الى التجريدة بنفسه وارسل السلطان الى كرتباي الأحمر كاشف البحيرة بأن يجمع له من طائفة العربان الذين بالبحيرة مايقدر عليه ثم عرض جماعة من الزعر وقصد ان ينفق عليهم لكل واحد ثلاثين ديناراً وان يخرجوا صحبته وصار ينتظر مايرد عليه من الأخبار ثم خرج الامير يشبك الجمالى ومن عين معه من الجند الى جهة حلب فكان لهم يوم مشهود

وفي ذى القعدة كان دخول الاتابكى ازبك وبقية الامراء والجند ممن كانوا مسافرين في التجريدة الى علي دولات والى عسكر ابن عثمان وهم مزنجرون والصناجق منكسة وكان صحبتهم جماعة من اعيان امرائه وهم بزناجير على خيولهم وصحبتهم باش عسكر ابن عثمان وهو احمد بك بن هرسك وهو راكب وفي عنقه زنجير وقيل ان ابن هرسك كان اميراً كبيرا اتابكى ابن عثمان فلما عرضوا على السلطان عانب احمد بن هرسك ووبخه بالكلام ثم سلمه الى الامير قانصوه خمسمائة امير اخور كبير ثم وزع بقية الأسراء على جماعة من المباشرين حتى قضاة القضاة ثم خلع على الاتابكى ازبك وعلى بقية الامراء ونزلوا الى دورهم

(سنة ٨٩٢)

ذكر اطلاق احمد بك بن هرسك قائد العساكر العثمانية

قال ابن اياس وفي المحرم رسم السلطان بفك قيد احمد بك بن هرسك الذى قد اسر وكذلك فك قيود من اسر من عسكر ابن عثمان واخذوا فى اسباب تجهيزهم الى بلادهم وقد اشيع امر الصلح بين السلطان وابن عثمان

وفي شوال جاءت الأخبار بفرار شاه بضاع بن دلغادر وكان مسجوناً بقلعة دمشق فلما بلغ السلطان ذلك تنكد الى الغاية ورسم بشنق نائب قلعة دمشق ثم جاءت الاخبار بأن شاه لما فر من قلعة دمشق توجه الى ابن عثمان فأكرمه واقام عنده الى ان كان من امره ماسنذكره في موضعه

(سنة ٨٩٣)

ذكر الحرب بين العساكر المصرية والعثمانية وانتصار المصريين ايضاً

قال ابن اياس في المحرم جاءت الأخبار بأن ابن عثمان ارسل عسكراً عظيماً وقصد محاربة عسكر مصر . وفي جمادى الأولى جاءت الأخبار من حلب بان ابن عثمان جهز عسكراً وقد وصل الى آدنة فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت احواله ونادى بالعرض لحضر الاتابكى ازبك باش العسكر فكتب بحضرته من الجند نحواً من اربعة آلاف مملوك وعين من الأمراء المقدمين احد عشر اميراً ومن الأمراء الطبلخانات والعشروات زيادة عن ستين اميرا حتى عدت هذه التجريدة من نوادر التجاريد وقد بلغ السلطان ان ابن عثمان جمع من العساكر مالا يحصى فلما عرض الجند وعين الامراء اخذ فى اسباب تفرقة النفقة ثم انه عين ثلاثة من الخاصكية بأن يسيروا على الهجن لكشف اخبار ابن عثمان وما يكون من امره واستحثهم على الخروج ورد الجواب عليه بسرعة .

وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن عسكر ابن عثمان قد استولى على قلعة اياس من غير قتال ولامانع . وفي جمادى الآخرة بعث السلطان نفقات الامراء المقدمين والعشراوات فبلغت النفقة على الامراء خاصة دون الجندمائة الف دينار وثلاثة

آلاف دينار ثم انفق على الجند على العادة فكانت جملة النفقة على الامراء والجند نحواً من الف الف دينار حتى عد ذلك من النوادر ولم يسمع فيما تقدم من الدول الماضية ان احداً من السلاطين فعل مثل ذلك وكانت نفقة ازبك الامير الكبير وحده ثلاثين الف دينار وكانت عادة نفقة الأتابكية الى دولة الظاهر برقوق عشرة آلاف دينار ولم يسمع بأوسع من هذه النفقة قط فكان كما قيل

تهب الألوف ولا تهاب الوفها * هان العدو عليك والدينار

فلما اخذ المماليك النفقة اطلقوا فى الناس النار واخذوا البغال والخيول حتى اكاديش الطواحين وحصل منهم الضرر الشامل في حق التجار وغيرهم

وفيه كان خروج ازبك امير كبير ومن عين معه من العسكر وكان يوماً مشهوداً واستمرت الأطلاب تنسحب من اشراق الشمس الى ما بعد الظهر وخرج العسكر وهم لابسون آلة السلاح حتى عد ذلك من النوادر . وكان طلب ازبك امير كبير وقانصوه خمسمائة غاية فى الحسن حتى قيل كان مصروف طلب قانصوه خمسمائة نحواً من ثمانين الف دينار ثم ان الامراء برزوا ونزلوا بالريدانية واستمروا هناك الى ان رحلوا ولم تخرج من مصر تجريدة اعظم من هذه لا في زمن الظاهر برقوق ولا غيره

وفى رجب جاءت الأخبار من حلب بأن ابن عثمان بعث عدة مراكب من البحر وهي مشحونة بالسلاح والعسكر وقد وصلت الى جهة باب الملك ليقاطع بها على العسكر المصري فما تم له ذلك وكانت النصرة لعسكر مصر كما سيأتي ذكره

وفي رمضان جاءت الاخبار ان ازبك الامير الكبير ملك باب الملك واستخلصه من ايدى عسكر ابن عثمان بعد ان اتوا اليه في ستين مركباً وهى مشحونة بالسلاح والمقاتلين فقلق العسكر من ذلك وانقطعت قلوبهم وظنوا انهم المأخوذون فبينماهم

على ذلك اذ بعث الله تعالى بريح عاصفة فغرق غالب تلك المراكب فى البحر المالح والذى فر من البحر من العسكر العثمانى وطلع الى البر قتله العسكر المصري وكانت النصرة لهم على العثمانية على غير القياس

وفيه ورد الخبر من ازبك الامير الكبير بأنه في ثامن رمضان وقعت معركة عظيمة بين عسكر مصر وعسكر ابن عثمان فقتل من الفريقين ما لا يحصى وكان ممن قتل من امراء مصر دولات باي الحسنى رأس نوبة ثاني اصيب بمدفع وقتل من مماليك السلطان عدة وافرة ومن العسكر العثماني اكثر وقد هزموا العثمانية وغنم منهم عسكر مصر اشيـاء كثيرة من خيول وسلاح وغير ذلك فلما سمع السلطان بهذا الخبر امر بدق البشائر بالقلعة سبعة ايام. وفى شوال وصل مغلباى البجمقدار احد الامراء العشراوات من مماليك السلطان وصحبته عدة رؤس قطعت من عسكر ابن عثمان وكانت نحواً من مائتي رأس فشق مغلباى من القاهرة وقدامه تلك الرؤس وهي على الرماح وكان له يوم مشهود فخلع عليه السلطان ونزل فى موكب حافل

وفيه جاءت الأخبار بأن العسكر العثمانى بعد ماحصلت هذه الكسرة عاد ايضاً الى آدنة وان العسكر المصري شرع في حصارهم بها وقد تمادى الأمر في ذلك حتى اخذت بعد مضي ثلاثة اشهر وقتل فى مدة هذه المحاصرة من الفريقين ما لا يحصى وآل الأمر الى اخذها بالأمان وجرى في ذلك امور يطول شرحها اهـ

سنة ٨٩٤

ذكر عود الامير ازبك الى البلاد المصرية وارسال تجريدة الى البلاد الحلبية لمجيء الأخبار برجوع العساكر العثمانية

قال ابن اياس في صفر دخل الامير الكبير ازبك ومن كان معه مسافراً في

التجريدة من الامراء وبقية العسكر وكان لهم يوم مشهود ومن العجائب انه فى حالة دخولهم الى القاهرة اشيع بين الناس عودهم الى حلب عن قريب لان عسكر ابن عثمان قد استولى على سيس وعلى طرسوس وغير ذلك من البلاد الحلبية وحضر مع الامير ازبك جماعة كثيرة من عسكر ابن عثمان اتوا طائعين بأختيارهم فأنزلهم السلطان فى ديوانه وقرر لهم الجوامك وهم الى الآن باقون فى الديوان يسمون العثمانية

وفى ربيع الآخر جاءت الأخبار بأن شاه بضاع بن دلغادر حضر الى الأبلستين ومعه طائفة من عسكر ابن عثمان وكبس على اخيه على دولات وقبض على اثنين من اولاده

وفيه قرر السلطان مملوكه قانصوه الغورى في حجوبية حلب عوضاً عن باكير ابن صالح الكردي الذى نقل الى نيابة قلعة الروم وقانصوه هذا هو الذى تولى السلطنة فيما بعد

وفيه جاءت الأخبار من عند نائب حلب بأن عسكر ابن عثمان لما بلغهم رجوع العسكر المصرى طمعوا في اخذ البلاد الحلبية وارسل يستحث السلطان في خروج تجريدة بسرعة لحفظ مدينة حلب فلما بلغ السلطان ذلك عرض العسكر وعين تجريدة وكتب عدة وافرة من الجند الذين كانوا مقيمين في القاهرة وجعل الباش على هذه التجريدة قانصوه الشامي احد مقدمى الألوف ومن الأمراء الطبلخانات يشبك رأس نوبة ثاني وغيرهم ثم انفق على الأمراء وامرهم بسرعة الخروج الى التجريدة من غير اهمال

وفي جمادى الآخرة رسم السلطان بسلخ شخص يسمى احمد بن الديوان من اهل حلب فسلخه في المقشرة وسلخ معه والده محمد واشهروهما في القاهرة على

جمال وكان احمد بن الديوان من اعيان الناس الرؤساء بحلب وكان من اخصاء السلطان فنقل انه كاتب ابن عثمان في شيء من اخبار المملكة فلما بلغ السلطان ذلك تغير خاطره عليه وجرى عليه امور يطول شرحها وكانت من الوقائع المهولة وفيه خرجت التجريدة ومن عين بها من الامراء والعسكر وكان يوماً مشهوداً قيل قد بلغت النفقة على الأمراء والجند في هذه التجريدة الخفيفة نحو من مائة وخمسين الف دينار غير جامكية اربعة اشهر وثمن الجمال وكان السلطان درياً في خروج هذه التجريدة لصون مدينة حلب

وفيه قدم قاصد من عند داود باشا وزير ابن عثمان يشير على السلطان بأن يبعث قاصداً الى ابن عثمان لعل ان يكون الصلح فرد له الجواب اذا اطلق تجار المماليك الذين عنده وبعث مفاتيح القلاع التي اخذها كاتبناه في امر الصلح وارسلنا له قاصداً

وفى شعبان حضر اسكندر بن جيحان احد الأمراء المقدمين لأبن عثمان وقد اسره بعض النواب وكان على دولات هو القائم في القبض عليه فكان له بالقاهرة لما دخل يوم مشهود واسر معه جماعة من العثمانية فلما عرضوا على السلطان رسم بسجنهم

(سنة ٨٩٥)

﴿ ذكر عود شاه بضاع الى طاعة الدولة المصرية ﴾

قال ابن اياس في المحرم قدم الى القاهرة شاه بضاع بن دلغادر وقد تقدم القول بأنه هرب من قلعة دمشق وكان مسجوناً بها فلما هرب توجه الى ابن عثمان والتف على عسكره وملك الأبلستين واستمر في عصيانه مدة طويلة ثم وقع بينه وبين ابن عثمان فتنة وقصد قتله ففر منه والتجأ الى السلطان فلما جاء اليه

اكرمه السلطان وخلع عليه ثم بعد مدة ارسله الى منفلوط ليقيم بها واجرى عليه ما يكفيه فعد ذلك من جملة سعد السلطان

ذكر مجيء العساكر العثمانية الى كولك وارسال المصريين تجريدة لهم

قال ابن اياس في ربيع الأول جاءت الاخبار من عند علي دولات بأن ابن عثمان اهتم في تجهيز عساكر وقد وصل اوائلهم الى كولك فلما بلغ السلطان ذلك جمع الأمراء فوقع الأتفاق على خروج تجريدة صحبة امير كبير

ثم اخذ السلطان في جمع الخمس من نواحي الشرقية كما فعل عند خروج التجريدة الماضية لأجل فرسان العرب لتخرج صحبة امير كبير باش العسكر فحصل للمقطعين بسبب ذلك غاية الاذى وقطع الخمس من خراجهم مرتين

وفيه عرض السلطان اولاد الناس اصحاب الجوامك من الف درهم فما دونه وكان امرهم ان يتعلموا رمي البندق الرصاص قبل ذلك فلما عرضهم ورموا قدامه كتبهم في التجريدة وانفق عليهم كل واحد ثلاثين ديناراً وكل اثنين اشركهم في جمل اعطاه لهما وخرجوا صحبة التجريدة. وفيه نادى السلطان للعسكر بالعرض واشيع امر التجريدة الى ابن عثمان فلما عرضهم السلطان بادر اليهم بتفرقة النفقة ثم وقع في ذلك اليوم بعض اضطراب من المماليك الجلبان وقام السلطان من الدكة ونزل وقال انا انزل لكم عن السلطنة وامضي الى مكة فتلطف به الامراء ثم آل الامر بعد ذلك الى ان انفق عليهم لكل مملوك مائة دينار على العادة وجامكية اربعة اشهر وثمن جمل سبعة اشرفية فانفق في ذلك على عدة طباق واستمر على ذلك حتى أكمل النفقة ثم حملت نفقة الأمراء المقدمين والطبلخانات

والعشراوات وقد تعينوا للسفر اجمعين ولم يبق بمصر سوى اقبردي الدوادار وازدمر تمساح فكانوا على الحكم الأول كما تقدم فبلغت النفقة على الأمراء والجند نحواً من خمسمائة الف دينار وكانت هذه التجريدة آخر تجاريد الأشرف قايتباى الى ابن عثمان وغيره ولم يجرد بعدها ابداً ثم نادى للعسكر بأن لا يخرج منهم احد قبل الباش فما سمعوا له شيئاً .

وفي خامس عشر ربيع الآخر خرج امير كبير ازبك من القاهرة قاصداً البلاد الحلبية وصحبته الامراء والعسكر وكانت عدتهم عشرة وهم على ما ذكرناه في التجريدة الماضية واما الامراء العشراوات والطبلخانات فكانوا زيادة على الخمسين اميراً واما المماليك السلطانية فكانوا زيادة عن اربعة آلاف مملوك فكان لهم يوم مشهود حتى رجت لهم القاهرة واستمرت الأطلاب تنسحب من اطراف الشمس الى قريب الظهر وخرج مماليك الامراء وهم باللبس الكامل من آلة السلاح فعدت هذه التجريدة من نوادر التجاريد وقد طال امر الفتن بين السلطان وبين ابن عثمان والامر لله .

وفى رجب وصل هجان من عند العسكر وأخبر بأن العسكر قصد التوجه الى بلاد ابن عثمان وقد ارسلوا ماماي الخاصكى رسولاً الى ابن عثمان فلما ابطأ عليهم خبره زحف العسكر المصرى على اطراف بلاد ابن عثمان ووصلوا الى قيسارية وفتكوا بها ونهبوا عدة من ضياعها واحرقوها ثم فعلوا مثل ذلك بعدة اماكن من بلاد ابن عثمان وانقسموا فرقتين فرقة الى (ماونده) وفرقة مقيمة بكولك ينتظرون ما يكون من هذا الامر .

وفى شعبان حضر هجان واخبر بأن العسكر على حصار قلعة كوارة ومات في مدة المحاصرة قانصوه بن فارس المعروف بقرا وهو من مماليك السلطان وكان

من الامراء العشراوات ثم اخذت هذه القلعة فيما بعد وهدمت الى الارض وفي ذي القعدة جاءت الأخبار بأخذ قلعة كوارة من يد عسكر ابن عثمان فسر السلطان بذلك ثم بعد مدة وردت عليه الأخبار بأن العسكر قلق وهو طالب المجئ الى مصر فتنكد السلطان لذلك وارسل عدة مراسيم للامراء بالاقامة فما سمعوا له شيئاً . ثم جاءت الأخبار بأن ازبك امير كبير قد دخل الى الشام هو والامراء والنواب والعسكر قاصدين الدخول الى القاهرة من غير اذن وقد جاؤا طالبين وقوع فتنة وصرحوا بذلك ثم نودي من قبل السلطان بان العسكر الذى قدم من التجريدة يصعد القلعة فامتنع المماليك من ذلك ولم يصعدوا الى القلعة

(سنة ٨٩٦)

ذكر الصلح بين السلطان بايزيد و بين السلطان قايتباي

قال ابن اياس في جمادى الآخرة حضر الى الأبواب الشريفة قاصد من عند ابن عثمان صحبة ماماي الخاصكى الذى توجه قبل تاريخه الى ابن عثمان وكان هذا القاصد الذي حضر من اجل قضاة ابن عثمان وكان متوليا القضاء بمدينة بروسة وهو شخص من اهل العلم يقال له الشيخ علي جلبي فلما صعد الى القلعة اكرمه السلطان وبالغ في تعظيمه جداً وحضر على يديه مفاتيح القلاع التي كان ابن عثمان قد استولى عليها فسلمها الى السلطان واشيع امر الصلح فأنزله السلطان فى مكان اعد له على غاية الاكرام .

ثم ان السلطان اطلق اسكندر بن ميخال (فيما سبق سماه ابن جيجان ولعل ما هنا اصح) الذي كان اسر وسجن كما تقدم واقام مدة طويلة فلما اطلقه السلطان احسن اليه وكساه وكذلك اطلق الاسرى الذي كانوا مأسورين من عسكر ابن

عثمان وكساهم واحسن اليهم وتوجهوا الى بلادهم صحبة القاصد لما سافر . هذا ما كان من ملخص امر الصلح بين السلطان وبين ابن عثمان

ذكر وقوع فتنة بين نائب حلب وبين اهلها

قال ابن اياس في شوال جاءت الأخبار من حلب بوقوع فتنة كبيرة بين نائب حلب وبين جماعة من اهلها وقتل في هذه الفتنة من مماليك ازدمر نائب حلب سبعة عشر مملوكاً وقتل من اهل حلب نحو من خمسين انسانا واحرقوا جماعة من حاشية النائب بالنار وكادت حلب ان تخرب عن آخرها لولا ان قانصوه الغورى حاجب الحجاب بحلب قام في اخماد هذه الفتنة حتى سكنت . ولما سمع السلطان بذلك عين ماماي الخاصكى بان يتوجه الى حلب ليكشف عن هذه الفتنة واخذ في اسباب السفر الى حلب

(سنة ٨٩٩)

ذكر وفاة ازدمر بن مزيد نائب حلب

قال ابن اياس في صفر جاءت الأخبار من حلب بوفاة ازدمر نائب حلب قريب السلطان وكان انسانًا حسنًا لا بأس به وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة طرابلس ونيابة صفد ونيابة حلب وامرية مجلس مصر وغير ذلك من الوظائف والنيابات ومات وهو في عشر الستين وكان في اوائل عمره في قلة وخمول واقام على ذلك دهراً طويلاً فلما تسلطن السلطان قايتباي ظهر انه من قرابته فجاءت اليه السعادة بغتة فأقام بها مدة ومات اه . قال السخاوى في الضوء اللامع في ترجمته كان ازدمر ممن شهد وقعة الرها مع الدوادار الكبير وقطع انفه وشفته مع القبض عليه فلما توجه جانبك حبيب رسولاً من الاتابك

ازبك بسبب الصلح المتضمن اطلاق المقبوض عليهم كان ممن افرج عنه وجيء به الى القاهرة مع الاتابك فاعطي امرة مجلس وكانت شاغرة بموت لاجين ثم سافر باش التجريدة المجهزة لعلاء الدولة ابن دلغادر في سنة ثمان وثمانين فلما قتل نائب جانبك المدعو ورديش اعيد لنيابة حلب وابتنى بها حماماً هائلا وتربة بجوار الانصاري [١] عقب موت زوجته سورباي بل شرع فى بناء خان عظيم بالقرب من سوق الصابون [٢]

ذكر تولية حلب للامير اينال السلحدار

قال ابن اياس بعد موت ازدمر ارسل السلطان خلعة الى اينال السلحدار نائب طرابلس ونقله الى نيابة حلب عوضاً عن قريبه ازدمر بحكم وفاته

(١) فى قرية الانصارى المطلة على مدينة حلب بنايتان قديمتان احداهما مشهد الانصارى وقد سبق الكلام عليه في حوادث سنة ٨٣٠ والثانية هذه التربة وهي تعرف الآن عند اهل القرية بجامع الحديد . وقد شاهدت هذا المكان سنة ١٣٤٢ فاذا فيه ايوان كبير مرتفع مبني بالحجارة الضخمة يكتنفه قبتان مرتفعتان ايضا وفي اليمنى منهما قبران لعل احدهما هو قبر زوجة ازدمر وهناك منارة خربة والمكان جميعه مشرف على الخراب واذا لم تداركه الايدي بالعمارة فسيخرب جميعه ويصبح اثرا بعد عين ومكتوب على باب التربة من الخارج [١] انشا هذه التربة المباركة ايام الملك الاشرف السيفى ازدمر مولانا ملك [٢] الامراء بحلب المحروسة عز نصره بتاريخ ثلاث وتسعين وثمانماية

ومكتوب على الباب من الداخل

[١] الحمد لله هذه تربة الست المصونة جهة مولانا ملك الامراء السيفى ازدمر كافل [٢] المملكة الحلبية المحروسة عز الله نصره بتاريخ شهر ربيع . . سنة ثلاث وتسعين وثمانماية اهـ

(٢) هو المشهور الآن بخان الصابون وامامه السوق المعروف بسوق الصابون الى الآن

(سنة ٩٠١)

وفاة قايتباى سلطان الديار المصرية وسلطنة ولده محمد

قال ابن اياس فى سابع عشر ذي القعدة من هذه السنة كانت وفاة السلطان قايتباي واقيم في السلطنة ولده الناصري محمد وكانت مدة سلطنة قايتباي في الديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين سنة واربعة اشهر واحدى وعشرين يوماً وتوفي وله من العمر ست وثمانون سنة ثم ساق ابن اياس ترجمته واطال في ذلك

(سنة ٩٠٣)

ذكر عصيان آقبردى ومحاصرته لحلب وتولية حلب

للامير جان بلاط بن يشبك

لآقبردي الدوادار وقائع كثيرة حصلت بينه وبين الامراء بمصر بسطها ابن اياس وآخر الامر هرب من مصر واتى الى غزة وملكها فاتفق رأي الأمراء على ارسال تجريدة اليه

وفي ربيع الاول عين السلطان تجريدة بسبب آقبردى الدوادار فأنه لما انكسر وخرج من مصر هارباً حاصر الشام وقصد ان يملكها فما قدر فنهب الضياع التى حول دمشق وخرب غالبها وفعل مثل ذلك بضياع حلب فوقع الأتفاق من الأمراء على خروج تجريدة له فعينوا ذلك وانفق السلطان على العسكر المعينين للتجريدة وبعث نفقة الأمراء الذين عينوا للخروج وهم قانصوه البرجي امير مجلس وقيت الرحبي حاجب الحجاب وقانصوه الغوري احد المقدمين وهو الذي تسلطن فيما بعد وغيرهم

وفيه جاءت الأخبار بان اقبردى بعد ان حاصر الشام نحواً من شهرين لم يقدر

عليها وحاربه الأمراء الذين بالشام ورموا عليه بالمدافع وفر الى حلب فلما توجه الى حماة حاصرها واخذ منها اموالا لها صورة فلما وصل الى حلب حاصرها نحواً من شهرين وكان اينال السلحدار يومئذ نائب حلب وكان من عصبة آقبردى فقصد ان يسلمه مدينة حلب فرجمه اهل المدينة وطردوه منها وحصنوا المدينة بالمدافع على الاسوار فعند ذلك فر آقبردي ومن كان معه من الامراء والعسكر وكذلك اينال نائب حلب صحبتهم وفروا اجمعون وتوجهوا الى على دولات والتجأوا اليه فلما بلغ الأمراء ذلك اضطربت احوالهم فوقع الاتفاق على ان يولوا جان بلاط بن يشبك الذي كان دواداراً كبيرا نيابة حلب عوضاً عن اينال الذي كان بحكم فراره مع اقبردى

وفى ربيع الآخر كان خروج الامراء الذين عينوا للتجريدة فكان لهم يوم مشهود حتى ارتجت لهم القاهرة وقد تقدمهم كرتباى الاحمر الذي تقرر في نيابة الشام وجان بلاط ابن يشبك الذى تقرر فى نيابة حلب

وفى رجب مات بالطاعون شاه بضاع بن دلغادر امير التركمان وكان مقيماً بالقاهرة . وفيه جاءت الأخبار بأن العسكر الذين توجهوا الى مواجهة آقبردى قد تبعوه الى عين تاب وتقاتلوا معه هناك ووقع بينهم واقعة عظمية فانكسر اقبردى كسرة مهولة وقتل لعلي دولات معه ولدان وقتل من الخاصكية والمماليك الذين كانوا معه جماعة كثيرة وقد حاربه كرتباى الاحمر نائب الشام اشد المحاربة الى ان انكسر وهرب على جبل الصوف وتوجه منه الى نحو الفرات بمن معه الامراء والمماليك .

وفى شوال وصل سودون الدواداري احد الأمراء العشراوات وصحبته عدة رؤس ممن قتل في المعركة التي وقعت بين اقبردى والعسكر الذين خرجوا من

مصر فكان عدة تلك الرؤس احدى وثلاثين رأساً وكان فيها رأس اينال السلحدار نائب حلب الذى فر مع اقبردى ورأس ابن على دولات الذى قتل في المعركة وفي ذى القعدة جاءت الأخبار من حلب بأن اقبردي الدوادار لما بلغه ان التجريدة عادت الى مصر عاد الى عين تاب وصار ينهب البلاد ويقطع الطريق على التجار فلما بلغ الامراء ذالك اعياهم امره

(سنة ٩٠٤)

قتل الملك الناصر محمد وسلطنة قانصوه الاشرفي

قال ابن اياس فى ربيع الأول من هذه السنة قتل الملك الناصر محمد بن قايتباى وتولى السلطنة بعده قانصوه ابن قانصوه الاشرفي الملقب بالملك الظاهر ابى سعيد وهو السابع عشر من ملوك الجراكسة بالديار المصرية وخال الملك الناصر

ذكر تولية حلب للأمير قصروه بن ايذال ومحاصرة اقبردى لحلب

قال ابن اياس وفى ربيع الاول عمل السلطان الموكب بالقصر وخلع على قصروه ابن اينال وقرره فى نيابة حلب عوضاً عن جانى بلاط بن يشبك الذي نقل الى الشام بحكم وفاة كرتباى الأحمر نائب الشام وخرج الأمير قصروه من مصر في ربيع الآخر

وفي ربيع الآخر جاءت الأخبار من حلب بأن اقبردى الدوادار قد حاصر حلب اشد المحاصرة واحرق ماحولها من الضياع واشرف على اخذ المدينة وقد التم عليه الجم الغفير من الناس والتركمان وحصل منه غاية الضرر فلما تحقق السلطان ذلك عين تجريدة ثقيلة الى اقبردي وكان باش العسكر تانى بك الجمالي امير سلاح

وبها من الأمراء المقدمين قانى باى امير اخور كبير وسودون العجمي وبلباي المؤيدي وعدة وافرة من العسكر فأنفق عليهم واستحثهم على الخروج الى حلب بسرعة . وفي ربيع الآخر توجه جانم طاز الأبراهيمي احدالعشراوات الى علي دولات بن دلغادر وصحبته خلعة وتقليد الى علي دولات باستمراره على امرية التركمان على عادته .

وفي جمادى الأولى خرجت التجريدة المعينة الى اقبردى الدوادار وكان لخروجها يوم مشهود . وفيه جاءت الأخبار من دمشق بأن قصروه الذي قرر نائب حلب لما دخل الشام وضع يده على مال كرتباي الأحمر جميعه وكان مبلغاً ثقيلا نحواً من سبعة وستين الف دينار وكان هذا اول عصيان قصروه واستخفافه بالسلطان فلما بلغ السلطان ذلك تنكد لهذا الخبر وعين مشد أحد الدوادارية بالتوجه الى قصروه وان يأمره برد ما اخذه من مال كرتباي الأحمر فلما توجه الى قصروه لم يلتفت الى مراسيم السلطان ولا رد شيئاً من المال الذي اخذه واعتذر بأشياء لم تقبل

ارسال خاير بك اخى قانصوه رسولاً الى ابن عثمان وعوده

قال ابن اياس في حادى عشر شعبان وصل خايربك اخو قانصوه البرجى الذى توجه قاصداً الى ابن عثمان ملك الروم وكان الملك الناصر ارسله اليه فى المحرم من السنة الماضية ولما وصل اليه اكرمه واظهر الفرح بسلطنة الملك الناصر فلما بلغه قتلة الملك الناصر شق عليه ووبخ خاير بك بالكلام

وفي شعبان ايضاً جاءت الأخبار بأن عسكر ابن عثمان زحفوا على بلاد السلطان وآل الأمر الى ان ابن عثمان ارسل يقول لنائب حلب اعزل ابن طرغل فأجابه نائب حلب الى ذلك وعزل ابن طرغل (١)

(١) اقول لم اعلم ابن طرغل من هو ولا الأسباب التي دعت السلطان بايزيد الى حمل نائب حلب على عزله

وفي رمضان اجتمع السلطان والأمراء في قاعة البحرة وضربوا مشورة في امر اقبردي الدوادار فوقع الاتفاق في ذلك اليوم على ان اقبردي يستقر في نيابة طرابلس

وفي شوال جاءت الأخبار من حلب بأن أقبردي الدوادار دخل الى حلب طائعاً وقد تم الصلح بينه وبين الأمراء الذين توجهوا من مصر وسبب ذلك ان العسكر الذين توجهوا الى قتال اقبردي وجدوه بمرعش عند علي دولات فلما طال الأمر على العسكر وكان الغلاء موجوداً بحلب والعليق لم يوجد ارسل قصروه نائب حلب يسأل اقبردي في الصلح فتوجه اليه قاني باي الرماح امير اخور كبير فمشى في امر الصلح وكان السلطان والأمراء مائلين الى ذلك فلما وثق اقبردي بذلك حضر صحبة قاني باي الرماح ودخل الى حلب طائعاً مختاراً فلاقاه قصروه نائب حلب وسائر الامراء الذين كانوا هناك وكان الامير اقبردي متوعكاً في جسده فلما استقر بحلب كاتبوا بذلك السلطان فعين له خلعة حافلة وفرساً بسرج ذهب وكنبوش وكتب له تقليد نيابة طرابلس وماها في كل سنة ثم اخذوا في اسباب التوجه اليه

وفي شوال جاءت الأخبار بوفاة اقبردي بن علي الدوادار الكبير ساق ابن اياس ترجمته ثم قال ان اقبردي لما دخل الى حلب واقام بها اعترته آكلة في فمه وقيل في وجهه رعت فيه حتى مات بحلب ودفن عند سيدي سعد الأنصاري ثم نقلت جثته الى القاهرة سنة خمس وتسعمائة ودفن بتربته التي انشاها له في الصحراء

﴿ ذكر تولية حلب للأمير دولت باي ﴾

قال ابن اياس وفي ذي الحجة انتقل قصروه من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضاً عن جان بلاط نائب الشام بحكم انتقاله الى الاتابكية بمصر وانتقل دولات باي

بن اركماس نائب طرابلس الى نيابة حلب عوضاً عن قصروه

ذكر خلع السلطان قانصوه وتولية السلطنة للملك الأشرف ابي النصر جان بلاط ابن يشبك الأشرفي

قال ابن اياس فى الثاني من ذي الحجة خلع السلطان قانصوه ابن قانصوه وولي السلطنة الملك الأشرف ابي النصر جان بلاط ابن يشبك الأشرفي

(سنة ٩٠٦)

ذكر خلع ابي النصر جان بلاط وسلطنة الملك العادل طومان باى

قال ابن اياس ما خلاصته في جمادى الآخرة من هذه السنة خلع السلطان ابو النصر جان بلاط وتولى السلطنة طومان باي ولقب بالملك العادل وهو التاسع عشر من ملوك الجراكسة .

﴿ ذكر تولية حلب للأمير قرقماش بن ولي الدين ﴾

قال ابن اياس فى رجب عمل السلطان الموكب وخلع على جماعة من الامراء فخلع على دولات باي المشهور باخي العادل وقرره في نيابة الشام وقرر ارقماش (قرقماش) بن ولي الدين فى نيابة حلب عوضاً عن دولات باى (اقول) دولات باى نائب حلب السابق كان حضر الى الشام لما عصى بها نائبها قصروه وحضر لأجله من مصر الأمير طومان باي ولما انتصر على قصروه ادعى السلطنة لنفسه وبويع بالشام وساعده على ذلك دولات باي نائب حلب ولما تم امره فى السلطنة عين نيابة الشام لدولات باى نائب حلب وعين نيابة حلب الى قرقماش ابن ولي الدين ثم توجه السلطان طومان باي بمن معه من الامراء الى مصر

وحاصر السلطان جان بلاط الى ان اسره وارسله الى الاسكندرية وبويع ثانياً واستقل في السلطنة ولما تم له ذلك خلع على جماعة من الامراء من جملتهم دولات باى وقرره في نيابة الشام وقرر قرقماش في نيابة حلب كما قدمنا

وقد بسط ذلك ابن اياس في حوادث هذه السنة وفى السالنامة الحلبية ان قرقماش بن ولي الدين عين بها سنة ٩٠٥ وسنة ٩٠٦ عين بها اركماس بن ولي الدين وهو سهو فهما شخص واحد [قرقماش] او (اركماس) وقد كان تعيينه سنة ٩٠٦ لاغير ومنشأ هذا السهو ما قدمناه

وفى تحف الأنباء فى حوادث هذه السنة انه فى جمادى الاولى اتى على دولات الى دمشق وتعصب للأمير طومان باي وتكلم في سلطنته الخ وهو سهو ايضاً فأن الذى حضر هو الامير دولات باى نائب حلب واما على دولات فهو ابن دلغادر التركماني امير مرعش والبستان

ذكر قتل الملك العادل طومان باي وسلطنة الملك الأشرف ابي النصر قانصوه الغوري وهو آخر ملوك الجراكسة

قال القرمانى لما تمكن الملك العادل طومان باي من الملك بعد نصف شهر قتل الامير قصروه واستخف بالأمراء المقدمين فحقدوا عليه فاتفق قتل الرماح امير سلاح والأشرف الغوري الدوادار الكبير وغيرهما فركبوا عليه فى سابع عشر رمضان سنة ولايته فنزل في آخر نهاره من القلعة هارباً واختفى فتبعه العسكر الى ان ظفروا به فقتلوه وقطعوا رأسه ودفنوه في تربته التي اعدها لنفسه ايام أمرته فى اطراف الصحراء وتولى السلطنة الملك الأشرف ابو النصر قانصوه الغورى نهار الجمعة مستهل شوال سنة ست وتسعمائة (١)

---

(١) تنبيه • تاريخ ابن اياس المطبوع في مصر ينتهي سنة ٩٢٨ وقد سقط منه من

(سنة ٩٠٨)

(ذكر تولية حلب للأمير سيباي)

قال ابن اياس كان ممن قرر بالنيابة في اوائل هذه السنة سيباي المعروف بنائب سيس قرر فى نيابة حلب

(سنة ٩١٠)

عزل الأمير سيباى وتولية حلب للأمير خاير بك

وهو آخر امرائها من طرف الدولة المصرية الجراكسية

وذكر عصيان الأمير سيباي

قال ابن اياس فى ربيع الآخر عمل السلطان الموكب بالحوش وخلع على الأمير سودون العجمي وقرره في نيابة الشام عوضاً عن قانصوه البرجى بحكم وفاته وخلع على الأمير خاير بك اخو قانصوه البرجي الذي كان نائب الشام وقرره فى نيابة حلب عوضاً عن سيباي الذي كان بها ورسم لسيباي بأن يحضر الى القاهرة ليلي امرة مجلس عوضاً عن سودون العجمى بحكم انتقاله الى نيابة الشام

وفي جمادى الآخرة جاءت الأخبار من حلب بأن سيباي نائبها امتنع من الحضور الى القاهرة ولم يوافق بأن يلي امرة مجلس وقد اظهر العصيان فلما تحقق السلطان ذلك ابطل امر سودون العجمى من نيابة الشام واعيد الى امرة مجلس

سنة ٩٠٦ الى غاية سنة ٩٢١ وقد نبهت المطبعة على ذلك في آخر الجزء الثاني وقالت ان هذه المدة غير موجودة في النسخ التي بين يديها • وقد راجعت النسخة الخطية الموجودة في المكتبة الأحمدية فى مدينة حلب فوجدت فيها من سنة ٩٠٦ الى سنة ٩١٢ ومن سنة ٩٢٢ الى الآخر وهي سنة ٩٢٨ فيكون الناقص فيها من اول سنة ٩١٣ الى غاية سنة ٩٢١ والزائد عن النسخة المطبوعة من سنة ٩٠٧ الى غاية ٩١٢ ومن سنة ٩٢١ الى ٩٢٨ والحوادث المتعلقة بالشهباء فى هذه المدة منقولة عن هذه النسخة الخطية

كما كان وارسل السلطان الى اركماس نائب طرابلس بأن يكون نائب الشام عوضاً عن سودون العجمي الذى كان قرر بها

وفى التاسع عشر من جمادى الآخرة خرج الامير خاير بك الذى قرر في نيابة حلب وكان له يوم مشهود ونزل من القلعة فى موكب حافل قدامه الامراء قاطبة .

وفيه جاءت الاخبار بأن دولات باي قرابة العادل طومان الذي كان نائب الشام وولي ايضاً نيابة طرابلس قد اظهر العصيان والتف على سيباى نائب حلب وقد توجها الى دمشق وحاصرا المدينة واشرفا على اخذها فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت احواله

وفي رجب جاءت الاخبار بأن دولات باى اخا العادل توجه الى حماة ونهب غالب ضياعها وفر منها النائب الذي كان بها وقبض على اعيان اهلها فلما بلغ السلطان ذلك عين تجريدة الى البلاد الشامية

ذكر توسط على دولات صاحب مرعش فى الصلح بين سيباى ودولات باى وبين السلطان

قال ابن اياس وفى شوال حضر قاصد من عند على دولات وقد ارسل ليشفع عند السلطان في سيباى نائب حلب ودولات باي نائب طرابلس وكان قد اشيع عنهما العصيان وانهما من عصبة قيت الرجبى (احد الامراء الذين تغير خاطر السلطان عليهم لأستشماره انه ممن يتطلب السلطنة وسيباي كان من المتسببين اليه)

وفيه خلع السلطان على قاصد على دولات واذن له بالعود الى بلاده وكتب له الجواب عن امر سيباى نائب حلب ودولات باى نائب طرابلس (اي بالرضا عنهما وعودهما الى مصر) وفي سنة ٩١١ ولي نيابة الشام كما ذكره

ابن اياس في حوادث شهر ذي الحجة من هذه السنة

ترجمة سيباى الجركسى و آثاره بحلب والشام

قال في در الحبب سيباى بن عبدالله الجركسى كان كافل حلب قبل خير بك وفي ايام كفالتها وقع بينه وبين ابرك نائب قلعتها شنآن فحاصر القلعة ولم يقدر عليها فلما بان له تغير السلطان الغورى عليه اخذ معه ثوباً ابيض موصليا ودخل به عليه قائلاً انه جاء بكفنه فليفعل به مايختار من قتل اوغيره فصفح عنه ونقله الى كفالة دمشق ولم يزل يجمع بهـا العلماء عنده فى كل ليلة جمعة يتذاكرون بين يديه فى انواع العلوم بعد اكل السماط وهو الذي انشأ بحلب خلاء الجامع الكبير لينتفع به من بات بالجامع ومن لم يبت . وانشأ بدمشق المدرسة السيبائية كانه تلافى بأنشائها هفوته بحلب بالمدرسة الظاهرية الشهيرة بالسلطانية (تحت القلعة) حيث كان قد خرقها اذ حاصر القلعة من موضعين احدهما لأدخالها والآخر لنصبها تجاه القلعة ثم رمى بها الا انه رمى عليه القلعيون فلم يظفر بشيء اه

(سنة ٩٢٢)

﴿ ذكر الحرب بين السلطان سليم خان العثمانى و بين ﴾

(السلطان قانصوه الغوري في مرج دابق وقتل السلطان الغورى)

(وانكسار العساكر المصرية واستيلاء السلطان سليم على حلب ثم على)

(الشام ومصر وانقراض دولة الجراكسة)

[اسباب هذه الحرب]

قال الشيخ احمد بن زنبل الرمال المحلى في اوائل تاريخه الذي ذكر فيه الوقائع بين السلطان سليم خان وبين سلطـان مصر الملك الأشرف قانصوه الغوري . ان

السلطان سليما لما غزا شاه اسماعيل الصفوى سلطان العجم سنة ٩٢٠ وجاء بالعساكر من طريق البيرة [بيره جك] وكان نائبها يسمى علاء الدولة من طرف السلطان الغوري فأمر علاء الدولة اهل مرعش ان لا يبيعوا على عسكر السلطان سليم شاه شيئاً مطلقاً من المأكل والعلف فمات كثير من الناس والدواب من شدة الغلاء فلما جرى ذلك حصل للسلطان سليم من الغم ما لا مزيد عليه وكان السلطان سليم حاد المزاج فأراد ان يأمر العسكر بالحملة على تلك النواحى ويحاصر مرعش فأشار وزراؤه عليه ان يرسل للغوري يعلمه بذلك فأمر بجهيز مرسوم اليه يخبره بما فعل علاء الدولة فأجابه بأن علاء الدولة عاص امري فأن قدرت عليه فاقتله وخلع على قصاده وارسلهم ثم كتب الغوري مرسوماً وارسله خفية الى علاء الدولة يشكره على ما فعل ويغريه على قتال السلطان سليم ولا يمكنه من شيء ابدا وكان قصد الغوري القاء الفتنة بين الأثنين رجاء ان يقتل احدهما او كلاهما فيكتفي شرهما فأنه كان يعرف شدة بأس كل منهما فقوي قلب علاء الدولة على قتال السلطان سليم

واما السلطان سليم فأنه لما قرأ جواب الغورى علم بفراسته ان ذلك خديعة له فتحملت نفسه من الغوري غاية التحمل واسرها فى نفسه فكان ذلك سبباً لأثارة الفتنة بينهما حتى وقع ما وقع كما هو المشهور

قال القرماني فى تاريخه في الكلام على الدولة الدلغادرية لما توجه السلطان سليم لقتال شاه اسماعيل وجاوز حدود البستان اغار جماعة من عسكر علاء الدولة بن سليمان [صاحب البستان ومرعش وتلك النواحى] صحبة بعض اولاده على احمال ذخائر عسكر السلطان سليم فأخذ منه شيئاً كثيراً فلم يلتفت اليهم السلطان حتى عاد من غزو بلاد العجم وشتى بمدينة اماسية وعين جماعة من العسكر صحبة

سنان باشا الطواشي الى قتال علاء الدولة واقتتل الفريقان بقرب البستان فانهزم عسكر علاء الدولة وقتل هو وكان عمره اكثر من تسعين سنة فعين مكانه السلطان المبرور الأمير علي بيك ابن شاه سوار بن سليمان

وقال ابن زنبل في تاريخه المتقدم لما انثنى السلطان سليم راجعاً من قتال شاه العجم اسماعيل الصفوي مظفراً منصوراً يريد قتال علاء الدولة كان مع السلطان سليم خان [علي بيك] ابن شاه سوار وكان شاه سوار هو الملك والحاكم على تلك الديار وهو اخو علاء الدولة وكان شاه سوار قبض عليه على يد الأمير يشبك الدوادار وارسل الى مصر وشنق بها على باب زويلة في زمن السلطان قايتباي فأخذ الحكم بعده علاء الدولة [١] .

وكان لشاه سوار ولد اكبر اولاده فهرب الى السلطان سليم فما زال عنده حتى وقعت هذه الحرب مع علاء الدولة واصطف الفريقان للقتال وخرج شاه سوار الى الميدان بين الجمعين بأذن من السلطان سليم وقال من عرفني فقد كفى ومن لم يعرفني فأنا ابن شاه سوار اين من ربي فى انعام ابي اين المحبون لي ولوالدى فليأتوا تحت سنجق من حماني من عدوي ولا بد لكل انسان من يحبه ويبغضه فارتج عسكر علاء الدولة وافترق منه بعضه فمن كان يبغض علاء الدولة مالوا الى ابن شاه سوار فما تم غير ساعة حتى قتل علاء الدولة وغالب اولاده وقطعت رؤسهم وجاؤا بها الى السلطان سليم فأرسلها الى الغوري فلما رآها الغوري احس قلبه بزوال ملكه لما يعلم من اختلاف عسكره عليه كما وقع لعلاء الدولة وقال القرماني ارسل السلطان سليم وزيره فرهاد باشا بعسكر كثير الى قتال

---

(١) الصواب ان الذي استولى على تلك البلاد بعد شاه سوار هو شاه بداق او (بضاغ) ثم تغلب عليه اخوه علاء الدولة فأخذ تلك البلاد منه كما فى القرماني

ملك مرعش والبستان الأمير علاء الدولة فانتصر عليه فرهاد باشا وقتله وعين امارة تلك البلاد الى علي بيك بن شـاه سوار ابن اخي علاء الدولة وكان قد هرب من عمه والتجأ الى كنف السلطان وشرط عليه ان تكون الخطبة والسكة بأسم السلطان [١]

زيادة بيان فى اسباب هذه الحرب وحالة ملوك الجراكسة

قال عبدالله المراش فى كتابه مختصر تاريخ حلب (٢) فى الفصل الذي ذكر فيه انقضاء دولة الجراكسة واستيلاء آل عثمان على مملكتهم في الشام ومصر . قد علمت مما تقدم ان ملك الشام قد انتقل من الأيوبيين الى مماليكهم الجراكسة الذين شروهم بمالهم ورفعوا منازلهم حتى آل الأمر الى انهم تغلبوا على سادتهم واخذوا الملك منهم كما تغلب الترك على الخلفاء فى القرن الثالث للهجرة واستبدوا بالأمر

(١) انظر بقية الكلام على الدولة الدلغادرية فى حوادث سنة ٩٢٨

(٢) عبد الله المراش من ادباء المسيحيين فى حلب وقد كانت وفاته سنة ١٨٩٩ م الموافقة سنة ١٣١٦ هـ ومن جملة آثاره هذا التاريخ وهو فى مائة صحيفة صغيرة استهله بنبذة يسيرة من تاريخ حلب قبل الفتح الأسلامي فى سبع صحايف ثم عقد فصلاً تحت عنوان (ذكر الفتح الأسلامى) تكلم فيه على ذلك بصورة مختصرة الى مجيء تمورلنك الى حلب فى ٢٣ صحيفة ثم ذكر الفصل الذى ذكرناه هنا وهو فى ثمان صحائف ثم ذكر يوم مرج دابق في خمس صحايف وبعد ذلك تكلم على ثورة اهل حلب على واليهم خورشيد باشا وهذا الفصل احسن ما في الكتاب وسنأتيك في موضعه ان شاء الله تعالى

ثم تكلم على موقع حلب وعلى القلعة والجامع الاعظم وعلى بعض معاملاتها وقد اخذ الفصول الاخيرة عن الدر المنتخب المنسوب لابن الشحنة • وهذا الكتاب دخل خزانة كتب صاحب السعادة الوجيه الفاضل احمد تيمور باشا المصرى التى وقفها في مصر وهو بخط مؤلفه وقد اخذ عنه نسخة بالمصور الشمسى [الفوتوغراف] واهداه لنا بارك الله به وبامثاله من من ارباب الغيرة وذوى الهمة العالية ومحيي نشر العلم • وقد وصل الينا بعد ان نجز طبع الجزء الثاني لذا لم نذكره في المقدمة في عداد مؤلفي التواريخ الحلبية •

دونهم وهذا لعمرى مايترتب بحكم الضرورة على الاسترسال الى العبيد ولذا قيل اعط العبد الكراع فيطمع في الذراع

وكان هؤلاء الجراكسة بمكان من التغفل المقترن بالتهور فلا يبالون مايقولون او يفعلون ولا يحسبون العواقب ولا يميزون بين ما يليق فى بعض الأحوال وما لايليق اوما ينفع وما يضر وقد بلغ من حماقتهم وفرط اعتدادهم بأنفسهم انهم استنكفوا من استعمال المدافع (١) وبنادق البارود التى اخترعت فى ذلك العصر واستعملتها سائر الأمم حتى الترك انفسهم بل كانت من انكى سلاح اعدائهم هؤلاء عليهم وعنها تسبب ذهاب ملكهم فنبذوها ظهريا واحتقروها وجعلوا جل اعتمادهم على فروسيتهم وشجاعتهم الشخصية في معمعان الحرب وانت خبير ان الشجاعة او البسالة اذا لم يكن العقل لها مدبرا عدت تهورا وان الجرأة الشخصية لم يبق لها معنى بعد اختراع البارود واسلحته وما حدث عنه من تغير طرق القتال فلذا لم تغن عنهم شجاعتهم شيئاً

فلما افضى اليهم الأمر بعد الأيوبيين اخذوا يتداولونه بينهم على غير نظام ولا قانون بل افتياتا فكان الأمراء منهم يجتمعون ويبايعون بالسلطنة لمن يقع عليه اختيارهم منهم ثم يبدو لهم بعد قليل فيخلعونه او يقتلونه ويولون غيره فانفتح بذلك باب للمكايد والتوالس (٢) والأثرة حتى اصبح الملك مما يزهد فيه ويرغب عنه وحتى صار العرش رمزاً عن النعش واستمرت الحال على ذلك دهراً . فلما كانت سنة ست وتسعمائة للهجرة قتلوا سلطانهم سيف الدين واجتمعوا لتولية آخر مكانه فأجمع رأيهم على تولية قانصوه الغورى وهو واحد

(١) هذا غير صحيح فأنك تجد فيما نقلناه قبل اوراق انهم استعملوها لكن ربما يقال ان المدافع التي استعملها العثمانيون كانت اتقن واكثر عدداً

[٢] الولس الخيانة والخديعة وتوالسوا تناصروا في خب وخديعة اه قاموس

منهم فلم يقبل ان يلي السلطان حتى اخذ عليهم عهداً ان لا يقتلوه بل متى عنّ لهم ان يولوا غيره خلع نفسه طائعاً (١) فبايعوه على ما اشترط لأنهم توهموه لين العريكة يستطاع لهم خلعه بأيسر مرام وكانت البيعة بقلعة الجبل بحضرة الخليفة العباسى المستنصر بالله والقضاة الاربعة واصحاب الحل والعقد وذلك فى مستهل شوال من هذه السنة

الا ان الغورى لم يكن من لين العريكة بحيث توهموا بل كان بالأضافة الى غيره من امراء الجراكسة ذا رأي وفطنة وبصيرة فلما ولي السلطان رأى بعين بصيرته ما كان يراه كل ذي لب وهو ان تلك الحال لا يمكن دوامها لأنها داعية الى الأختلال فنوى ان يرتق هذا الفتق ما استطاع واضمر ان يقمع الأمراء ويكسر شوكتهم متى امكنه ذلك

وانما كانت قوتهم بالقرانصة وهم المماليك البحرية (٢) الذين كان معظم جند مصر منهم وكانوا فى ذلك بمنزلة الأنكجارية من الترك في الأعصر التالية وامراؤهم بمنزلة الأغاوات من هؤلاء فرام الغورى ان يقطع شأفتهم ليخلص له الملك وترسخ فيه قدمه ولعله كان ليدرك سؤله هذا لو لم تخترمه المنية ويذهب ملكه قبل ان يتم ما شرع فيه

وكان من جملة الذرائع التى تذرع بها لبلوغ أربه من استئصالهم انه اخذ يشترى لنفسه مماليك جددا يسميهم بالجلبان وكان يدربهم في ابواب الحرب متوخياً ان يجعلهم مكان القرانصة حتى صار عنده منهم عدد كاف فأشعر بعض الأمراء بما كان يدبره فتغاووا والتووا عليه وكان اشدهم تغاويا والتواءً خير بك نائب

---

(١) كما جاء في نزهة الناظرين فيمن ولي مصر من الخلفاء والسلاطين للشيخ مرعى الحنبلي المقدسى (٢) نسبة الى البحيرة من ارض مصر

حلب وجنبردي الغزالي (١) الا انهما رأيا من تأثل امره وماكان له من الهيبة في قلوب الرعية والمرؤسين من الجند ماحملهما على كتمان ما في نفسهما فلم يجسرا على معاملته بما جرت به العادة من الخلع والقتل بل ناصباه العداوة باطناً ومالئا عليه العدو وتربصا به السوء وكانت دولة بني عثمان في عنفوان شبابها وقتئذ وذلك انهم كانوا قد فتحوا القسطنطينية قبل ذلك بقليل اي في سنة سبع وخمسين وثمانمائة واستولوا على ماكان باقياً بأيدي الروم من مملكتهم القديمة واستووا مكانهم على عرش قسطنطين وتلوا دولة القياصرة بتة فانقرضت وكان ذلك آخر العهد بها وضخمت بذلك دولة آل عثمان وهابتهم الملوك كافة وكان اول من دخل القسطنطينية منهم السلطان محمد الملقب بالفاتح واقام في السلطنة بها ثلثين سنة اونحوها ومات سنة ثمان وثمانين وثمانمائة فخلفه ابنه بايزيد الثاني ولما كانت سنة سبع عشرة وتسعمائة خرج عليه ابنه سليم وانتزع منه الملك وكان سليم هذا مقداماً بعيد مرمي الهمة محباً للحروب مولعاً بالفتوح حريصاً على توسيع نطاق المملكة وكان كثير المطامع الا ان اشدها حبا اليه هو ان يلقب بالخليفة ويدعى خادم الحرمين الشريفين وهما مكة وبيت المقدس (٢) لأنه كان يرى انه اذا احرز هذه المنزلة وجبت له الطاعة على المسلمين كافة ايان كانوا فلذا جعل الأستيلاء على الشام ومصر نصب عينيه ونوى اذا فتحهما ان يقبض على الخليفة العباسي وكان يومئذ مقيماً بمصر فيكرهه على خلع نفسه من الخلافة والنزول له عنها ثم يفتح مكة فتعترف له بلاد العرب بالأمامة على المسلمين كافة

(١) قال الشيخ مرعي المقدسي هما رأس المحامرين عليه اهـ منه

(٢) الحرمان الشريفان هما مكة المكرمة والمدينة المنورة والعادة الجارية ان يقال في الدعاء خادم الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى والذي اراه ان هذه الفكرة تولدت معه بعد الأستيلاء على الديار الشامية والمصرية والله اعلم

وهكذا يحق له ان يلقب نفسه بالخليفة خادم الحرمين فأدرك سؤله كما سترى
ولا ريب انه كان مطلعا على تغاوي امراء الجراكسة على سلطانهم قانصوه الغوري
ووافقاً على ما كان خير بك والغزالي يضمران له من الخيانة بل لعله هو الذى
جرأهما على ذلك وراسلهما فيه سراً ووعدهما جزاء لمالأتهما ان يقطع احدهما
مصر والآخر الشام مدة حياتهما اذا فتح الله عليه هذين القطرين
الا انه رام قبل التصدي للغورى ان يتودد الى السنية من رعيته ورعية الغوري(١)
بأن يغزو اسمعيل شاه المتغلب يومئذ على بلاد الفرس وكان شيعيا غالياً واكره
الفرس على التشيع والغلو المفرط في الدين الا انه كان مع ذلك حليفاً للغوري
قال الشيخ مرعي المقدسي ان اسمعيل شاه هذا تغلب على بلاد فارس وقهر
ملوكها وقتل من عساكرها (٢) ماينيف على الف الف واستفحل امره
وضخمت دولته وعتا حتى ادعى الربوبية فكان عسكره يسجدون له (٣) وقتل
علماء السنة واحرق كتبهم ونبش قبور المشايخ واحرق عظامهم فلما بلغ ذلك
سليما تحركت نفسه لقتاله وعد ذلك من افضل الجهاد قلت وحداه الى ذلك
ايضاً ماطبع عليه من محبة الحروب والفتوح وما رآه من ثوران الحمية الدينية في

[١] هذه النظرية بعيدة كل البعد عن مرمى الحقيقة والذى اراه ان الذى دعاه الى ذلك ما كان عليه من التمسك بعقائد اهل السنة وحبه للجهاد وما كان يأتيه الشاه اسماعيل من الفظايع والمنكرات والبدع وخشية قصد بلاده نظراً لأستفحال امره كما يستفاد من تاريخ القطبي والسيد الدحلاني

(٢) هذا سهو وعبارة العلامة القطبي في تاريخ مكة وقتل خلقاً لا يحصون ينوف على الف الف نفس

(٣) لاصحة لذلك وعبارة الامام القطبي وكاد ان يدعي الربوبية وهي صريحة في انه لم يدعيها وقال بعد سطر وكانوا [اي رعيته] يعتقدون فيه الألوهية وانه لاينكسر ولا ينهزم ولم يذكر هو ولا السيد الدحلاني ان عسكره كانوا يسجدون له •

صدور الانكجارية وهم من السنية الخمس الغلاة فى دينهم فخاف ان يبطشوا به ان احجم عن السير بهم للبطش باسمعيل قال فزحف عليه فى عسكر جرار والتقى الجيشان بقرب تبريز وجرت بينهما وقعة هائلة فانهزم جيش اسمعيل واستولى سليم على خيامه وسائر ما فيها . ثم انه اراد الأقامة ببلاد فارس للتمكن من الأستيلاء عليهــا فلم يتأت له ذلك لشدة القحط لأن الاسعار قد غلت حتى بيعت العليقة بمائتي درهم والرغيف بمائة درهم وسبب هذا القحط تخلف قوافل الميرة التي كان سليم قد اعدها لتتبعه فى مكان الحاجة فقطعها عنه نائب مرعش بأيعاز الغورى كما سيأتى وكان اسمعيل لما انهزم امر فأحرقت ذخائر الحب والشعير كلها فلم يجد سليم في تبريز شيئاً فاضطر الى القفول عن بلاد فارس قبل اتمام فتحها

وكان الغوري حليفاً لأسمعيل كما اسلفنا فأوجس من الترك خيفة على نفسه وحدس ان سليما سيلتفت لا محالة الى الشام ومصر بعد فروغه من امر الفرس وعلم ان ضعف اسماعيل مما يزيد الترك قوة على قوتهم وهذا مــا يخشى معه زوال ملك المصريين فرأى من الحزم ان يكون ضلعه مع اسمعيل ليقوم عنه بوجه الترك فخالفه واوعز سراً الى نائبه بمرعش وبلادها ان يتسبب ما استطاع فى قطع قوافل الميرة عن سليم اذا اجتازت ببلاده وكان لابد لها من الأجتياز بها فى مسيرها الى فارس وان يثبط اهل عمله عن بيع الذخائر والعلف من الجيش العثمانى وخرج هو نفسه في عساكر مصر وسار الى حلب يروم في البــاطن اخافة سليم وتهديد ساقة جيشه الا انه اشاع في الظاهر انه لا يروم سوى السعي في الصلح بين الترك والفرس ولما كتب اليه سليم يشكو اليه ما فعله نائب مرعش اجابه ان النائب المذكور عاص علي فأن ظفرت به فأفعل به ماشئت ودس الى النائب سراً يشكره

على ما فعل ويغريه بالأستمرار على معاسرة الترك فلم تخف على سليم هذه المخاتلة وقفل عن بلاد فارس مصمماً على البطش بالغوري وشرع يتجهز لذلك ويتأهب وكان اول ما بدأ به انه انقض بجيشه على نائب مرعش وكسره شر كسرة واعتقله واعتقل بنيه ثم ضرب اعناق الجميع وارسل برؤسهم مع قصاده الى الغوري وهو يومئذ بحلب مع عساكره. فقال الغورى عندها زال والله ملكنا واخذ يشنع على افعال سليم على مسمع من قصاده وهو في كل ذلك يظهر انه ما خرج في الجيش من مصر الا ليصالح بين سليم واسمعيل وبلغ منه انه ارسل الى سليم وهو في قيسارية سفيراً في عشرة فرسان دارعين مدججين من خيار فرسانه فلما وقعت عليهم عين سليم وهم على تلك الشارة علم ان الغورى رام ارهاب عسكره برؤية هؤلاء الفرسان فكاد يتميز من الغيظ وقال للسفير اما كان عند مولاك رجل من اهل العلم يرسله الينا حتى ارسلك واصحابك هؤلاء يهول بكم على جندى رجاء ان تنخب قلوبهم من رؤية خيلكم وترائكها وفرسانكم ودروعكم وحسن بزتكم وامر بضرب اعناقهم فشفع وزيره يوسف باشا بالسفير وبين له ان الرسول لا يقتل فأبقى عليه وحده وقتل الباقين . ثم امر بالسفير بعد يومين فحلقت لحيته اهانة له والبسه ثوب اسمال واركبه على حمار ظالع وقال له اذهب الى مولاك وقل له يفرغ ما في وطابه ثم اقبل يزحف بجنده على حلب اه

[اقول] هذا ما ذكره المؤرخون من الأسباب في هذه الحرب واراها اسباباً ظاهرية والأسباب الحقيقية التي قوت عزيمة السلطان سليم على الأستيلاء على القطرين الشامي والمصري ودعته ان يأتي بجيوشه الجرارة الى هذه الديار هو تطرق الخلل في ادارة الدولة الجركسية ووهن قواها للفتن التي كانت تحصل بين الأمراء فيها وقتل بعضهم لبعض بقصد الحصول على الوظائف والسلطنة حتى

انك تجد المملوك من الجراكسة من حين دخوله الى مصر وهو فقير صعلوك يطمح بنظره الى نوال كبار الوظائف ويعلق آماله بالأستواء على عرش السلطنة اذ لا نظام للبيت السلطانى ولا لمن يلي الملك والسلطنة وكان نظامهم في ذلك (كل من قدر قام) فالفتن لذلك مستطير شررها لا يخمد لهيبها وكان ملوك الجراكسة وامراءهم يستعينون على اثارة هذه الفتن بظلم الرعية والضرائب الثقيلة والمصادرات المتتابعة يظهر لك ذلك من تتبع تاريخ ابن ايـاس المصري وكتاب السلوك في معرفة الملوك والمنهل الصافي وغيرها من تواريخ ملوك الجراكسة بمصر

فأحدثت هذه الأمور تاثيراً في المملكة المصرية واوهنت قواها وحل بها الهرم من جميع اطرافها . والمملكة العثمانية في ذلك العصر فى عنفوان شبابهـا واوج عظمتها قد انبسط سلطانها وتناءت اطرافها وتقوت شكيمتها وبالطبع ان اخبار المصريين وسيء احوالهم كانت تبلغ مسـامع ملوك آل عثمان فتوجهت عزائمهم الى تقويض اركان تلك الدولة المختلة الأدارة الجائرة على الرعية الظالمة لها وعلق السلطان بايزيد رحمه الله آماله على الأستيلاء على مصر وماكان تابعاً لها وبذر بذور ذلك ايام دولته كما قدمناه ولم يتم له ذلك لأن الأمور مرهونة بأوقاتها وتم هذا الفتح العظيم للمغفور له السلطان سليم خان رحمه الله .

استعدادات السلطان قانصوه الغوري لهذه الحرب

قال ابن اياس في المحرم من سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة حينما تحقق السلطان الملك الاشرف قانصوه الغورى ان ابن عثمان [السلطـان سليم خان] زاحف على بلاده نادي للعسكر بان كل من كان له فرس او اكثر فى الديوان يطلع يقبض ثمنه وصار يأخذ بخواطر المماليك القرانصه ويرضيهم بكل ما يمكن وصرف لهم اللحوم التى كانت منكسرة واعطاهم ثمن الخيول التي كانت لهم فى الديوان

وفيه ارسل السلطان مكاحل حديد ومدافع وصوانا الى ثغر الاسكندرية وسافرت في المراكب الى هناك فكانت نحو مأتي مكحلة وقد بلغه ان ابن عثمان جهز عدة مراكب تجيء على السواحل للديار المصرية

وفي صفر وكان مستهله يوم الاربعاء طلع الخليفة والقضاة الاربعة للتهنئة بالشهر فقال السلطان للخليفة لما جلس عنده اعمل برقك الى السفر وكن على يقظة فانا مسافر الى حلب بسبب ابن عثمان وقال للقضاة الأربعة مثل ما قال للخليفة اعملوا برقكم وكونوا على يقظة حتى تخرجوا صحبتى فقالوا الأمر لمولانا .

وفى ثامن صفر جلس السلطان بالميدان وعرض العسكر من كبير وصغير وكتب الجميع فعرض فى ذلك اليوم اربع طباق ولم يعف من العسكر احدا .

وفي سابعه عرض السلطان الأمراء وكان اعلمهم ان العرض فى هذا اليوم فطلعوا جميعاً فقيل عين فى ذلك اليوم من الامراء المقدمين ستة عشر اميرا واما الامراء الطبلخانات والعشروات فلم يعف منهم الا القليل وقال لهم الذي له عذر يعوقه عن السفر يذكره لى فاعفى منهم جماعة وفي تاسعه اكمل السلطان عرض العسكر قاطبة ولم يعف منهم احداً وفي ثالث عشره خرج عبد الرزاق اخو دولات واولاد على دولات الذين كانوا حضروا الى مصر فلما حضروا ارسل اليهم السلطان ثمانية آلاف دينار ليعملوا بها برقهم فتأهبوا وخرجوا فى ذلك اليوم وقصدوا التوجه الى حلب . وفى الخامس والعشرين منه جلس السلطان في الميدان وعرض الامراء والطبلخانات والعشراوات ورؤس النوب فلما عرضهم قال لهم اعملوا برقكم وكونوا على يقظة من السفر فاني انفق واخرج فى جمعى هذه فنزلوا على ذلك . وفي ثالث ربيع الاول جلس السلطان بالميدان وعرض الامراء الطبلخانات وخاصكية الخواص وعين منهم جماعة للسفر ثم طلع ودخل

الى قاعة البيسرية وفتح الحواصل واخرج منها عدة سروج بلور وعقيق وكنابيش زركش وسروج ذهب وبركستوانات فولاذ مكفتة بذهب وغير ذلك وافرد منها ما حسن بباله لاجل الطلب اذا خرج وسافر وهذا كله حتى يشاع بين الناس سفر السلطان الى حلب

وفي خامسه جلس السلطان بالميدان وعرض الامراء الطبلخانات والعشراوات والزم كل امير ان يستخدم عنده مماليك شيئ خمسة وشيئ ثلاثة وشيئ اثنان بحسب اقطاعه وقرر معهم ان بعد المولد الشريف يعرضهم قدامه بالميدان وهم باللبس الكامل والخيول الجيدة وكل من لم يفعل ذلك يخرجه عن امريته ويجعله طرخانا

وفي هذا اليوم نزل القاضى شهاب الدين بن الجيعان نائب كاتب السر عن لسان السلطان الى امير المؤمنين المتوكل على الله بسبب عمل برقه وقد كشفوا فى الدفاتر القديمة فوجدوا ان الخليفة اذا سافر صحبة السلطان يكون جميع برقه على السلطان فكتب الخليفة قوائم بمصروف عمل للبرق فبلغ ذلك عشرة آلاف دينار وقيل خمسة آلاف دينار فاخذ الشهابى احمد تلك القوائم وطلع بها الى القلعة ليعرضها على السلطان .

وفى سادسه جلس السلطان بالميدان وعرض مماليكه الجلبان قاطبة وعينهم الى السفر صحبته ولم يعف منهم سوى المماليك الصغار الكتابية المرد

وفي سابعه رسم السلطان للطواشية بان تدور على المماليك البطالة واولاد الناس الذين كان السلطان قطع جوامكهم بأن يطلعوا يوم السبت للعرض فالذى يصلح للسفر يعيد السلطان له جامكيته ويكتبه للسفر

وفي تاسعه جلس السلطان بالميدان وعرض جماعة من المماليك القرانصة من

الشيوخ والعواجز واولاد الناس اصحاب الجوامك فلما عرضهم عين منهم جماعة للشرقية وعين منهم جماعة مع كاشف الغربية وجماعة الى البحيرة وجماعة منهم الى الطوانة وجماعة الى المنوفية وجماعة الى منفلوط وجماعة الى الجيزة [امكنة حول مصر] والزمهم بان يكونوا مع الكشاف لرد العربان اذا ظهر منهم فساد وحفظ البلاد فى غيبة السلطان اذا سافر وقويت الاشاعات بسفر السلطان الى حلب . ودارت الطواشية على المماليك القرانصة واولاد الناس بسبب هذا العرض حتى عين هؤلاء الجماعة الى الجهات المذكورة

وفي حادى عشره طلع الى القلعة ودخل الى قاعة البيسرية وعرض في ذلك اليوم بكاير وقرقلات وجواشن وغير ذلك اشياء كثيرة من آلات السلاح من حواصل الذخيرة وفي الرابع عشر منه وردعلى السلطان مطالعة من عند سيباى نائب السلطان بالشام فارسل يقول له يامولانا السلطان ان البلاد الشامية مغلية (غالية) والعليق والتبن لايوجد والزرع فى الارض لم يحصد ولاثم عدو متحرك ولا يتعب السلطان سره ولايسافر وان كان ثم عدو متحرك فنحن له كفاية فلم يلتفت السلطان الى كلامه واستمر باقياً على حركة السفر الى حلب

وفى الثامن عشر منه انفق السلطان على العسكر نفقة السفر وقد تحقق امر خروج التجريدة فانفق على كل مملوك مائة دينار وجامكية اربعة اشهر بثمانية آلاف وثمن جمل سبعة دنانير ثم السلطان كتب اولاد الناس قاطبة الى السفر ولم يعطهم نفقة بل اعطاهم جامكية اربعة اشهر بثمانية آلاف وكان سبب ذلك ان القاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك قال السطان انا نظرنا في بعض التواريخ ان الملك الظاهر برقوق لما خرج الى التجريدة لم ينفق على اولاد الناس شيئاً فاعجب السلطان منه ذلك وقطع نفقة اولاد الناس قاطبة

فكثر عليه الدعاء من اولاد الناس . بسبب ذلك كانت هذه الواقعة من اعظم مساويه في حق اولاد الناس وحصل لهم كسر خاطر شديد وفى الحادى والعشرين منه وقف جماعة من اولاد الناس الى السلطان بسبب النفقة فلما وقفوا له ساعدهم أمير علان الدوادار وبقية الأمراء فلم يرث لهم السلطان وقال انا ما عندي نفقة لهؤلاء فالذي لا قدرة له على السفر يرد الأربعة شهور الجامكية التي اخذها وانا اترك له شهراً ويستريح وتنقطع عني جامكيته فرد جماعة كثيرة من اولاد الناس جامكية الأربعة شهور التى اخذوها واستمر امرهم مبنيا على السكوت . وفي الثالث والعشرين منه اكمل السلطان النفقة على العسكر قاطبة من قرانصة وجلبان ونادى عليهم فى الحوش ان السفر اول الشهر فاضطربت احوال العسكر وارتجت القاهرة وعز وجود الخيل والبغال والاكاديش فاغلقت الطواحين قاطبة وامتنع الخبز من الاسواق وكذلك الدقيق ووقع القحط بين الناس وضج العوام وكثر الدعاء واغلقت اسواق القماش بسبب المماليك واختفى الصناع والخياطون واضطربت احوال القاهرة واختفى جماعة من التجار خوفاً من المماليك واختفى طائفة من الغلمان خيفة السفر وصارت احوال مصر مثل يوم القيامة كل واحد يقول يارب روحى وقد عاب العسكر على السلطان هذا الرهج الذي وقع منه ولم يمش على طريقة الملوك السالفة عند خروجهم للسفر مع انه لم يكن امر يستحق هذا الرهج العظيم ولا جاءت اخبار بأن ابن عثمان قد وصل الى حلب ولا جاليشه ولا تحرك على بلاده وعابوا على السلطان عرضه عسكر مصر قاطبة في اربعة ايام وانفق عليهم مع العرض فخشوا ان يشاع فى بلاد ابن عثمان وبلاد الصوفى [الشاه اسماعيل صاحب بلاد العجم] ان السلطان الغوري قد عرض عساكره جميعاً في اربعة ايام فينسبونهم الى قلة وانه مابقي عسكر بمصر وربما

يطمع العدو اذا سمع بذلك وما كان هذا الرأي من الصواب وهذه الاحوال كلها غير صالحة .

وفي هذا اليوم ارسل السلطان نفقة الامراء المقدمين فأرسل للأتابكى سودون الدوادارى رأس نوبة النوب والامير اسباى حاجب الحجاب لكل واحد اربعة آلاف دينار وبقية الأمراء المقدمين الذين هم بغير وظائف لكل واحد منهم ثلاثة آلاف دينار واين هذه النفقة من النفقة التي كان يرسلها الأشرف قايتباي للأمراء المقدمين عند خروجهم الى تجاريد ابن عثمان فكان يرسل للأتابكى وحده ثلاثين الف دينار والأمير تمراز امير سلاح عشرين الف دينار وامير مجلس مثل ذلك وبقية الأمراء المقدمين لكل واحد منهم عشرة آلاف دينار حتى عد ذلك من النوادر الغريبة ولم يفعل الأشرف قايتباي ذلك الا فى آخر تجاريده لأبن عثمان سنة خمس وتسعين وثمانمائة فبلغت نفقة الأمراء قاطبة دون الجند مائة الف دينار وفى الخامس والعشرين منه انفق السلطان على الأمراء الطبلخانات والأمراء العشراوات وصار يستدعيهم واحداً بعد واحد مثل تفرقة الجامكية فاعطى لكل امير طبلخانات خمسمائة دينار واعطى لكل امير عشرة مائتي دينار ولم يرسل للخليفة نفقة فحصل له غاية المشقة وترامى على جماعة من الأمراء ان يقرضوه مبلغاً بربح ودخل في جهته ديون كثيرة ولم يتفق قط ان السلطان اذا سافر الى البلاد الشامية وصحبته الخليفة ان يخرج بلا نفقة وكانت عادة جميع السلاطين ان برك الخليفة اذا سافر يكون على السلطان وكان يرسل اليه خمسمائة دينار لأجل جوامك اتباعه فلم يلتفت السلطان لشيء من ذلك وشح معه في امر النفقة وكان الخليفة مظلوماً مع السلطان في هذه الواقعة .

وفى السادس والعشرين منه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى الريدانية ورتب

الفراشين كيف ينصبون الوطاق اذا برز السلطان للسفر ورتب منازل الأمراء وكيف تكون منازلهم بالريدانية

وفي هذا اليوم رسم السلطان اولده اميرا خوركبير بان يعمل برقه ويسافر صحبته وكان فى الأول رسم له بأن يكون مقيماً بباب السلسلة الى ان يحضر السلطان ثم بطل ذلك ورسم له بان يشرع في عمل برقه الى السفر .

وفى السادس من ربيع الآخر برز السلطان خيامه الى الريدانية وقد تحقق امر سفره الى البلاد الشامية ثم نادى للعسكر في الميدان ان كل من جهز برقه ولم يبق له عاقة يخرج ويسافر ويتقدم قبل خروج السلطان ولكن الى الآن لم يعلق السلطان الجاليش الذى هو مقدمة الجيش اذا سافروا الى البلاد الشامية وكانت العادة انهم اذا سافروا الى البلاد الشامية يعلقون الجاليش قبل خروجهم بأربعين يوماً فلم يمش السلطان على طريقة الملوك السالفة .

وفي هذا اليوم ارسل السلطان الى امير المؤمنين محمد المتوكل على الله نفقة السفر على يد حسام الدين الألواحى الف دينار وكان سعى له في ذلك الأمير طومان باي الدوادار الكبير ولولا هو ماكان يرسل له شيئاً فان السلطان ارسل للقضاة الاربعة يقول لهم اعملوا برقكم ولم يرسل شيئاً من النفقة وقد حصل لهم غاية الكلفة والمشقة لأنه من حين سافر الأشرف برسباي الى آمدسنة ست وثلاثين وثمانمائة لم يخرج الخليفة ولا القضاة الأربعة الى البلاد الشامية صحبة السلطان وكان للخليفة والقضاة الأربعة على السلطان عادة اذا سافروا الى البلاد الشامية يرسل لهم نفقة السفر فتغافل السلطان عن ذلك ثم بعد ايام ارسل السلطان للخليفة سيفاً مسقطاً بالذهب على يد شخص من الزردكاشية يقال له محمد العادلي وقد تقدم القول على انه ارسل نوبة جام حديد فكان مجموع ما حصل له من السلطان

من الأنعام ذهب وغير ذلك دون الفي دينار وقد تكلف الخليفة في هذه الحركة على مصروف برقه وغير ذلك نحو الخمسة آلاف دينار او اكثر .

وفي سابع ربيع الآخر حضر خليفة سيدي احمد البدوى وقد حضر يطلب من السلطان فلما مثل بين يديه قال له اعمل برقك حتى تسافر صحبتي الى حلب فلما سمع ذلك تعلل واظهر انه ضعيف لا يقدر على السفر فحنق منه السلطان والزمه بالسفر ولم يقبل له عذراً وارسل يقول لخليفة سيدى احمد الرفاعى اعمل برقك حتى تسافر صحبتي .

وفيه عرض السلطان غلماناً للبيوتات من الفراشين والبابية والركنجانية والحجارين والشربدارية والزردخانية من النفطية وغير ذلك وطلب الأمير علم الدين الذي يحكم على الطبالين والزمارين والزمه ان يصرف على من يسافر صحبته من الطبالين والزمارين والمنقرين من كيسه وقال له انت تأكل معلوم هذه الوظيفة عدة سنين فانفق عليهم من عندك والا فعندنا من يلي هذه الوظيفة ويفعل ذلك .

ثم عرض مغاني الدكة وهم احمد ابو سنة والمحوجب والحلاوى وامرهم ان يسافروا صحبته ثم عين جماعة من النجارين والحجارين وامرهم بالسفر معه ثم عرض هؤلاء المذكورين ولم ينفق عليهم شيئاً بل صرف لهم جامكية اربعة اشهر لا غير وقال لهم انتم تأكلون جوامك السلطنة كذا وكذا سنة فعند ارادتي سفركم تطلبون مني نفقة ولما تحقق القضاة سفر السلطان اخذوا في تجهيز امرهم وعمل برقهم وعينوا معهم جماعة كثيرة من النواب . وكذلك كلف جماعة من القراء والوعاظ بواسطة نقيب القراء شمس الدين الظريف وامروا ان يسافروا صحبة السلطان كما فعل القضاة مع نوابهم .

قال في تعطير المشام في تاريخ الشام (١) نقلاً عن الكواكب السائرة ان الغوري لما تجهز من مصر اشاع انه يريد الأصلاح بين ملوك الروم وملك العجم لما كان من المودة بين الغوري وملك العجم كما ذكرنا وكان ينسج المودة بينهما رجل اعجمي كان قربه الغوري بمصر وهو الذي اغراه على الخروج لأصلاح ذات البين بين ذينك الملكين وكان الغورى داخله وجل باطني من ملك العجم بسبب قصة عجيبة كانت ايضاً من اسباب تحرك السلطان سليم على ملك العجم وتلك القصة هو ان اسماعيل شاه ملك العجم كان قد قتل صاحب هراة وولده فبعث برأس الأب الى السلطان سليم وبرأس الأبن الى الغورى وكتب الى الأول رسالة مطلعها .

نحن أناس شأننا * حب علي بن ابي طالب
يعيبنا الناس على حبه * فلعنة الله على العائب

وكتب الى الثاني رسالة مطلعها

السيف والخنجر ريحاننا * اف على النرجس والآس
وشربنا من دم اعدائنا * وكأسنا جمجمة الرأس

فرد عليه الأول بهذين البيتين

ما عيبكم هذا ولكنه * بغض الذى لقب بالصاحب
وكذبكم عنه وعن بنته * فلعنة الله على الكاذب

ورد عليه الثانى بمقاطيع منها قول شيخ الأسلام البرهان بن ابى شريف

السيف والخنجر قد قصرا * عن عزمنا في شدة البأس
لو لم ينازع حلمنا بأسنا * افنى سلطاننا سائر الناس اه

---

(١) هو لصديقنا الشيخ محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى رحمه الله مؤلف موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين وغيره

خروج طلب السلطان الغوري من مصر

قال ابن اياس وفي يوم الأثنين عاشر ربيع الآخر خرج طلب السلطان وكان من ملخص امره انه اخرج الطلب من الميدان قبل طلوع الشمس ومشى به من الرميلة ونزل به من حدرة البقر وطلع به من الصليبة وكان ما اشتمل عليه الطلب انه جرّ فيه خمس عشرة نوبة هجن بأكوار زركش وكنابيش وخمس عشرة نوبة باكوار مخمل ملون واما الخيول فثلثمائة منها مائة فرس ببركستوانات فولاذ مكفت بذهب وجواغين مكفتة بالذهب وشيء مخمل ملون ومنها ثلاث طوائل بكنابيش زركش وسروج ذهب ومنها ثلاث طوائل بعراقي وسروج بداوي وطبول بازات وكان فى الطلب اربعة وعشرون تختا بأغشية حرير اطلس اصفر وكجاوتين مخمل بزركش وهما الجوشنان وكان فيه ست خزائن بأغشية حرير اصفر وكان فيه محفتان على البغال بأغشية حرير اصفر وكان بالطلب خمسة رؤس خيل خاصة منها اثنان بأرقاب مزركش وكنابيش وسروج بلور مزيكة من ذهب وشيء عقيق وطبول بازات بلور مزيكة بذهب وكان به فرسان بكنابيش وسروج ذهب وعليهما هلالات ذهب عوضاً عن الطيور .

وكان راكباً بالطلب بعض امراء عشراوات رؤس بالشاش والقماش وبعض خدام من الطواشية وكان راكباً به من المباشرين القاضى محمود بن اجا كاتب السر والقاضى محي الدين القصروى ناظر الجيش والقاضى علاء الدين ابن الأمام ناظر الخاص والقاضى شهاب الدين احمد بن الجيعان كاتب السر والقاضي ابو البقاء ناظر الأسطبل والقاضى بركات ابن موسى المحتسب والقاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك وناظر الدولة والشرفى يونس النابلسي الأستادار كان والقاضي

كريم الدين بن الجيعان واولاد الملكى وغير ذلك من المباشرين .
ثم جاء الصنجق السلطانى والكوسات والصناجق السلطانية والخليفة وكان به اربع طبول واربع زمور وعشرة احمال كؤسات وكان عادة طلب السلطان ان يكون به اربعون حمل كؤسات فشق طلب السلطان من الرميلة واصطف العسكر والجم الغفير من الناس بسبب الفرجة على الطلب فلما مر الطلب لم يعجب الناس واستقلوا الطلب التى به .
وفي هذا اليوم خرج سنيح امير المؤمنين المتوكل على الله وكان قدامه طبلين وزمرين ونفيرا ولم يخرج في ذلك اليوم غير طلب السلطان فقط (ثم قال) ان السلاطين المتقدمه كانوا يخرجون الى البلاد الشامية عندما تنتقل الشمس الى برج الحمل في اوائل فصل الربيع والوقت رطب واما الغورى فأنه سافر فى قوة الحر والشمس في برج السرطان فحصل للعسكر مشقة شديدة في الطريق وكان السلطان الغوري لا يقتدي الا برأي نفسه في جميع الأمور .

خروج السلطان الغورى مع امرائه وجيوشه

قال ابن اياس لما كان صبيحة يوم السبت خامس عشر ربيع الاول اجتمع سائر الامراء والمقدمين عند السلطان بالميدان وهم بالشاش والقماش وكان عدة الامراء الذين تعينوا للسفر صحبة الركاب الشريف خمسة عشر اميرا ثم انسحبت اطلاب الامراء المقدمين فكان اولهم طلب الامير كرت باي ثم طلب الامير اقباي الطويل امير اخور ثانى ثم طلب الامير تاني بك الخازندار ثم طلب الامير ابرك الاشرفى ثم طلب الامير علان بن قراجا الدوادار الثاني ثم طلب الامير بيبرس قريب السلطان ثم طلب الامير جان بلاط الشهير بالموتر

ثم طلب الامير قانصوه كرت ثم طلب الامير تمرا الحسني الشهير بالزردكاش ثم طلب الامير قانصوه ابن السلطان جركس ثم طلب الامير انسباي بن مصطفى حاجب الحجاب ثم طلب سودون الدواداري رأس نوبة النوب ثم طلب المقر الناصري محمد نجل المقام الشريف امير اخور كبير (ابن السلطان الغوري) ثم طلب الامير اركماس بن طراباى امير مجلس وقد قرر امير سلاح ثم بعد ذلك مشى طلب الاتابكي سودون بن جاني بك الشهير بالعجمي وكان طلبه في غاية الحسن والترتيب . فلما انقضى امر الاطلاب خرج السلطان من باب الاصطبل الذي عند السلم المدرج فخرج وقدامه النفير السلطاني المسمى بالبرغش وهو في موكب عظيم قل ان يتفق لسلطان موكب مثل ذلك الموكب فكان في اول الموكب الأفيال الثلاثة وهي مزينة بانواع الزينة ثم ترادف العسكر المنصور بالشاش والقماش ثم الامراء رؤس النوب بالعصي يفسحون الناس وقد ترادفت الامراء الطبلخانات والامراء العشراوات قاطبة ثم ارباب الوظائف من المباشرين (وقد تقدم ذكر اسماءهم) ثم قال

ثم تقدمت الامراء المقدمون قاطبة وصحبتهم ولد السلطان المقر الناصري امير اخور كبير والى جانبه الاتابكي سودون العجمي ثم من بعد ذلك تقدمت السادة القضاة الاربعة مشايخ الاسلام وهم قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاة الحنفي حسام الدين محمود بن الشحنة وقاضي القضاة المالكي محي الدين يحي الدميري وقاضي القضاة الحنبلي شهاب الدين احمد الفتوحي الشهير بابن النجار ثم من بعدهم امير المؤمنين المتوكل على الله محمد ابن المستمسك بالله يعقوب العباسي وهو لابس العمامة البغدادية التي بالعذبتين وعليه قباء بعلبكي بطراز اسود حرير ولم يكن على رأسه صنجق خليفتي وقد

اختصر هذا الخليفة اشياء كثيرة مما كان يعمل للخلفاء والمتقدمين من اقاربه
ثم اقبل السلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري وكان الخليفة قدامه بنحو
عشرين خطوة وكان السلطان راكبا على فرس اشقر بسرج ذهب وكنبوش
وعلى رأسه كلوته وهو لابس قباء بعلبكى ابيض بطرز ذهب على حرير اسود
عريض قيل كان فيه خمسمائة ذهب بفارقة واقبل والصنجق السلطانى على
رأسه ومقدم المماليك سنبل العثماني خلفه وصحبته السلحدارية بالشاش والقماش
والجم الكثير من الخاصكية والجمدارية واستمر ذلك اليوم حتى خرج من
باب النصر وكان يوماً مشهوداً ثم وصل الى المخيم بالريدانية
ثم فى عقب ذلك اليوم نزلت خوجخانات فيها الذهب والفضة وضمن كل
واحدة من الذهب العين الفي الف دينار خارجاً عن المعادن وقد فرغ
الخزائن من الاموال التى جمعها من اوائل سلطنته الى ان خرج في هذه التجريدة
وفرغ ايضاً حواصل الذخيرة واخذ مافيها من التحف وآلات السلاح الفاخرة
التى كانت بها من ذخائر الملوك السالفة من سروج ذهب وبلور وعقيق وغير
ذلك من كنابيش زركش وطبول بازات بلور ومينه وبركستوابات مكفتة واكوار
زركش وغير ذلك من التحف الملوكية فنزل جماعة من كتاب الخزينة صحبة
الخوجخانات وجماعة من الخزندارية وهم بالشاش والقماش فكانت تلك
الخوجخانات محملة على خمسين جملا ثم نزلت الزردخانة وهي محملة على مائة
جمل وقدامها طبلان وزمران وعيدان نقر على جمال فتوجهوا الى الوطاق .
[ثم قال] واخذ الامراء في الرحيل في الثامن عشر من ربيع الآخر وكان
جملة مامع هؤلاء الامراء الذين توجهوا صحبة السلطان تسعمائة واربعة واربعين
مملوكا على ماقيل ويقال ان عدة المماليك الذين خرجوا فى هذه التجريدة من

القرانصة والجلبان واولاد الناس خمسة آلاف نفر على ما قيل

﴿ مجئ قاصد من السلطان سليم الى السلطان الغورى ﴾

ولما كان السلطان بالمخيم الشريف ورد عليه مطالعة من عند نائب حلب واذا فيها ان ابن عثمان ارسل قاصداً فعوقناه عندنا واخذنا الكتاب منه وهاهو واصل لكم فوصل اليه وهو بالمخيم بالريدانية ولما فكه السلطان وقرأه فاذا فيه عبارة حسنة والفاظ رقيقة منها انه ارسل يقول له انت والدى واسألك الدعاء واني مازحفت على بلاد دولات الا بأذنك وانه كان باغيا علي وهو الذى اثار الفتنة القديمة بين والدي والسلطان قايتباي حتى جرى وهذا كان غاية الفساد فى مملكتكم وكان قتله عين الصواب واما ابن سوار الذي ولي مكانه فان حسن ببالكم ان تبقوه على بلاد ابيه او تولوا غيره فالامر راجع اليكم

واما التجار الذين يجلبون مماليك الجراكسة فانى مامنعتهم وانما هم تضرروا من معاملتكم فى الذهب والفضة فامتنعوا عن جلب المماليك اليكم وان البلاد التى اخذتها من علي دولات اعيدها لكم وجميع ماترومونه ويريده السلطان فعلناه فلما سمع السلطان ذلك احضر الامراء المقدمين وقرأ عليهم كتاب ابن عثمان فانشرح الامراء والسلطان لهذا الخبر واستبشروا بأمر الصلح والعود الى الاوطان عن قريب وكان هذا كله حيلا وخداعا من ابن عثمان حتى يبلغ بذلك مقاصده وقد ظهر حقيقة ذلك فيما بعد

تقرير السلطان الغورى للأمير طومان باي بنيابة الغيبة

قال وليلة رحيله من الريدانية خلع على الامير طومان باي الدوادار كاملية بسمور حافلة وقرره نائب الغيبة بالقاهرة الى ان يحضر

وفي تلك الليلة احضر مشاعل موقدة فطارت منها شرارة على خيمة السلطان

فاحترق منها فتفاءل الناس بذلك شرا

رحيل السلطان الغورى من الريدانية

قال ابن اياس وفى الثانى والعشرين من ربيع الآخر رحل السلطان من المخيم الشريف بالريدانية وصحبته الخليفة والقضاة الاربعة وولده والمقر الناصري امير اخور كبير واقباي الطويل امير اخور كبير واقباي الطويل امير اخور ثاني وكانت مدة اقامته فى الوطاق بالريدانية سبعة ايام

وصوله الى مدينة غزة

قال ابن اياس وفي رابع جمادى الاولى وصل السلطان الغورى الى مدينة غزة فلاقاه الامير دولات باي نائب غزة ومد له مدةً حافلة وقدم له تقدمة عظيمة قال الشيخ احمد بن زنبل المحلي في اوائل تاريخه الذي الفه فى الوقايع التى كانت بين هذين السلطانين لما وصل السلطان الغورى الى غزة اقام بها ثلاثة ايام فشكت الرعايا للسلطان من نائب غزة فعزله عنها ورسم عليه وعنفه على ما فعله وظلمه وزجره غاية الزجر وبعد ذلك رده اليها لكونه ابن عمه

﴿ ورود مكاتبة من سيباي نائب الشام الى السلطان الغوري وهو في غزة ﴾

قال المحلي ولما كان السلطان في غزة ورد عليه مكاتبة من عند سيباي نائب الشام يذكر فيها الذي يعرضه المملوك على المسامع العالية اعلاها الله تعالى وادامها ان العبد سمع بأن السلطان يريد السفر الى قتال ابن عثمان وان المملوك يقوم بهذا الامر ويكون السلطان مقيما بمصر ويمد المملوك بالعساكر المنصورة والذى يعلم به مولانا السلطان ان خير بك ملاحى علينا ومكاتيبه لاتنقطع من عند ابن عثمان في كل حين . فرد عليه السلطان ها نحن قد جئناهم بأنفسنا ثم امر بالرحيل بالجيوش والعساكر وهم يموجون كالبحر الزاخر والسحاب الماطر

ومن غريب صنع الله تعالى ان السلطان الغوري كان له رمال حاذق فكان كل حين يقول له السلطان انظر الى من يلي الحكم بعدي فيقول حرف السين فكان يعتقد انه سيباي وكان كلما كتب سيباى للسلطان بما يفعله خير بك نائب حلب من المكاتبات للسلطان سليم بأنه معه وانه ملاحى على ابناء جنسه ويحرضه على المجئ الى اخذ مصر من الجراكسة والسلطان الغوري لا يقبل من سيباي نصيحة حتى نفذ قضاء الله تعالى وحكمه وقدره وكل ما كان ولم يتمكن سيباي من ملاقاة السلطان الاعلى سعسع وهى قرية من قرى الشام وحضر سيباي قدام السلطان وقدم تقدمة عظيمة لها قدر وقيمة فشكره السلطان على فعله شكراً زائداً بعد ان خلع عليه خلعة عظيمة ولم يخلع على احد من النواب غيره وكل ذلك والسلطان معتقد ان الخيانة انما هي من سيباى وما قصده الا اخذ السلطنة كما ذكر المنجم الرمال على حرف السين ولا يظن ولا يخطر فى فكره ان السلطان سليما يقدر يدخل ارض مصر ابداً لما يعلم من شجاعة الجراكسة وكان السلطان الغوري يعلم ان سيباى بطل من الابطال ولا يخطر الموت له على بال فكان السلطان لايحسب الا حسابه واما خير بك فانه لم يكن السلطان يحسب له حساباً لما يعلم من جبانته وعدم شجاعته فأُخذه من لا يكترث به وكان سيباي من مماليك السلطان قايتباي وكان رجلاً يعد برجال

وصول السلطان قانصوه الغورى الى الشام

قال ابن اياس فى ثانى جمادى الاولى وصل السلطان الى الشام فلاقاه الأمير سيباي نائب الشام ودخل فى موكب حافل وقدامه الخليفة والقضاة الأربعة وسائر الأمراء المقدمين وامراء الطبلخانات والعشراوات وارباب الوظائف من المباشرين والجم الكثير من العسكر والناس ولاقاه امراء الشام وعساكرها

وحمل على رأسة القبة والجلالة كما جرت به عوائد الملوك من قديم الزمان فزينت له مدينة دمشق زينة حافلة ودقت له البشائر بقلعة دمشق ونثر على رأسه بعض تجار الأفرنج ذهباً وفضة وفرش له سيباى تحت حافر فرسه الشقق الحرير وازدحمت عليه المماليك بسبب نثار الذهب والفضة فكاد السلطان ان يسقط عن ظهر فرسه من شدة زحام الناس عليه فمنعهم من نثار الذهب والفضة ومن فرش الشقق الحرير تحت حافر فرسه فكان له يوم مشهود وعد ذلك من المواكب المشهودة فاستمر ذلك الموكب الحافل حتى دخل من باب النصر الذي بدمشق وخرج الى الفضاء منها وتوجه الى المصطبة التى يقال لها مصطبة السلطان وهي بالقابون القاقونى فنزل هناك ورسم لبعض حجاب دمشق بعمارتها وكانت قد تشعثت من مرور السنين

وصوله الى مدينة حلب

قال ابن اياس وفى العاشر من جمادى الآخرة وصل السلطان قانصوه الغوري الى حلب فكان لدخوله يوم مشهود وقدامه الخليفة والقضاة الأربعة وسائر الأمراء كموكبه بالشام وحملت القبة والجلالة على رأسه وكان حاملها ملك الأمراء خاير بك نائب حلب كما فعل سيباي نائب الشام

(مسير السلطان سليم بعساكره الى هذه الديار)

قال المحلي ان السلطان سليما لما تقوت آماله في اخذ مصر استشار وزيره الأعظم احمد باشا بن هرسك وبعده بيرى باشا فقال ابن هرسك للسلطان سليم نحن تصادمنا مع عسكر مصر فى زمن ايبك وكنت انا قائد العسكر وكسرونا اشد كسرة وقبضوا علي ودخلت مصر اسيرا حتى وقفت بين يدي السلطان قايتباى

فمنّ عليَّ باطلاقي وعفى عني عفا الله عنه وقد حلفت له ان لا اسحب فى وجه القبلة سيفاً وصدقه على ذلك بيرى باشا ثم بعد ثلاثة ايام امر السلطان سليم بعزل الأثنين ثم سار قاصداً عسكر مصر فلما وصل الى مدينة زملطي اقام ينتظر الأخبار فلم يأنه احد فأمر السلطان سليم بارسال قاض الى الغوري وكان اسم القاضى زيرك زاده وكان اعرج

[وصول القاضي زيرك زاده والأمير قراجا باشا الى حلب رسولين من السلطان سليم خان الى السلطان قانصوه الغورى]

قال ابن اياس وفي حال دخول السلطان الغورى الى حلب حضر قصاد سليم شاه ابن عثمان ملك الروم فقيل انه ارسل اليه قاضى عسكره وهو شخص يقال له ركن الدين واحد امرائه يقال له قراجا باشا وصحبتهم سبعمائة عليقة فنزلوا بمدينة حلب وبلغني من الكتب الواردة بالأخبار ان السلطان لما حضر بين يديه قاضى ابن عثمان وقراجا باشا شرع يعتبهم على افعال ابن عثمان وما يبلغه عنه وما جرى منه في حقه واخذه لبلاد على دولات فقال له القاضي وقراجا باشا نحن فوض لنا استاذنا امر الصلح وقال كل ما اختاره السلطان افعلوه ولا تشاوروني وكل هذا حيل وخداع حتى تبطل همة السلطان عن القتال ويثني عزمه عن ذلك وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد . ثم ان قاضى ابن عثمان احضر فتاوي من علماء بلاد الروم وقد افتوا بقتل شاه اسماعيل الصوفى وان قتله جائز فى الشرع وارسل يقول في كتابه للسلطان انت والدى واسألك الدعاء ولكن لا تدخل بيني وبين الصوفي ومن جملة مخادعة السلطان ابن عثمان للسلطان الغوري انه ارسل يطلب منه سكرا وحلوى فأرسل له الغوري مائة قنطار سكر وحلوى في علب كبار وهذه حيلة منه وارسل يقول فى كتابه انى لا أحول عن اسماعيل شاه ابداً حتى افطم

اثره من وجه الأرض فلا تدخل بيننــا فيما يكون من امر الصلح واظهر انه قاصد نحو الصوفي ليحاربه والأمر بخلاف ذلك فى الباطن وذكروا له انه على قيسارية يقصد التوجه على الصوفى ثم ان السلطان خلع على قصاد ابن عثمان الخلع السنية وقيل ان السلطان ابن عثمان ارسل الى السلطان الغورى تقدمة حافلة وللخليفة وامير كبير سودون العجمي فكانــ ما ارسله ابن عثمان من التقدمة اربعين مملوكاً وابدان سمور واثواب مخمل واثواب صوف واثواب بعلبكية وغير ذلك وكان ما ارسله الى الخليفة بدنين سمور وثوب بكفوف قصب وثوبي صوف عال وارسل اليه قاضى عسكر ابن عثمان ثوبين صوفا وسجادة وبغلة وارسل ابن عثمان الى امير كبير ايضاً تقدمة حافلة مابين سمور ومخمل وصوف ومملوكين.

قال المحلي ارسل السلطان سليم خان القاضى زيرك زاده رسولاً الى السلطان الغوري فسار حتى وصل الى حلب فرأى اوطاق الغورى خالياً من العسكر ما فيه الا نحو الألف او الألفيــن لانهم كانوا كلهم دخلوا الى مدينة حلب واخرجوا الناس من بيوتهم وسبوا حريمهم واولادهم فاذوهم الأذى البليغ وكان ذلك سبباً لقيام اهل حلب مع السلطان سليم على الجراكسة لشدة ماحل بهم من الضرر ولما بلغ الغوري انه جاء قاصد من عند السلطان سليم اذن له فتمثل بين يديه وتأدب غاية الأدب فرحب به وسأله عن السلطان سليم فقال له القاضي هذا ولدك وتحت نظرك فقال له الغورى لولا انه مثل ولدي ماجئت مرــ مصر الى هنا بأهل العلم جميعاً حتى نصلح بينه وبين اسماعيل شاه ثم اجزل عطاءه وصرفه

[ارسال السلطان الغوري وهو في حلب قاصداً الى السلطان سليم]

قال المحلي بعدان توجه رسول السلطان سليم من حلب من عند السلطان الغورى

امر السلطان الغوري بارسال قاصد الى السلطان سليم فشاور أكابر دولته فأشاروا بارسال رجل من اهل العلم والدين ليتكلم بينهما بالمعروف رجاءً لحقن دماء المسلمين فلم يفعل ما اشاروا به وامر بأحضار الامير مغلباي دوادار وكان رجلا فاضلا قادراً على رد الاجوبة واقامة الحجة فقال له الغوري جهز نفسك واخرج اكشف لنا خبر اهل الروم وماهم عليه واعط هذه المكاتبة الى ملكهم ثم امر عشرة من خيار العسكر بالتوجه مع مغلباي الى عسكر السلطان سليم وهم لابسون الملابس الفاخرة كل من رآهم يتعجب فى خلقهم وحسن خيلهم وهندامهم وهم كالعرائس واصطفوا صفاً واحداً فلما دخلوا ووقفوا بين يدي السلطان سليم من غير اطالة نظر اليهم مليـا وامتلأ من الغيظ ثم قال للامير مغلبـاي يامغلباي استاذك ماكان عنده رجل من اهل العلم يرسله لنا وانمـا ارسلك بهؤلاء يرعب بها قلوب عسكري ويخوفهم برؤية اجنـاده ولكن انا اكيده بمكيدة اعظم من مكيدته ثم امر برمي رقبة مغلباي وجماعته وصاح من صميم قلبه بجلاد فارتجفت قلوب الحاضرين لذلك فقام الوزير يونس باشا وقبل الارض بين يديه وقال الرسول لايقتل وليس له ذنب فقال لابد من ذلك فقال الوزير فان كان ولابد فابق كبيرهم مغلباي فامر بحبسه ورمي رقبة العشرة قدام اوطاقه واحداً بعد واحد وهو ينظر اليهم وحبس مغلباى بقلعة زمنوطو يومين ثم احضره وحلق ذقنه والبسه طرطورا واركبه على حمار اعرج معقور وقال له قل لأستاذك يجتهد جهده وهاانا متوجه اليه

ارسال السلطان الغورى الامير كرتباي لكشف الأخبار

قال ابن اياس بعد توجه الامير مغلباي الى السلطان سليم جهز السلطان الغورى

الامير كرتباي الاشرفي احد الأمراء المقدمين الى السلطان سليم وصحبته هدية حافلة بنحو عشرة آلاف دينار وذلك بعد ان خلع على قاضي عسكر ابن عثمان ووزيره قراجا باشا خلعة سنية واذن لهما بالعود الى بلادهما وكان هذا هو عين الغلط من السلطان الغوري حيث اطاق قصاد ابن عثمان قبل ان يحضر مغلباى ويظهر له من امر ابن عثمان مايعتمد عليه ولما وصل الأمير كرتباى الى عينتاب بلغه ان السلطان ابن عثمان ابى الصلح وقبض على مغلباي ووضعه في الحديد بعد ان قصد شنقه فشفع فيه بعض وزرائه وقصد حلق لحيته وقد قاسى منه من البهدلة مالا يمكن شرحه

فلما تحقق الامير كرتباى ذلك رجع الى حلب واعلم السلطان بما فعله سليم شاه بالأمير مغلباي وان طوالع عسكره قد وصلت الى عينتاب وملكت قلعة ملطية وبهسنا وكركر وغير ذلك من القلاع ولما وصل الأمير كرتباى بهذه الأخبار الرديئة الى السلطان اضطربت احواله واحوال الناس واحوال العسكر قاطبة .

قال المحلى امر السلطان الغوري الامير كرتباى ان يكشف خبر السلطان سليم وعسكره ويرجع على الفور فتوجه كرتباي ولما وصل الي قيسارية وجد اهلها قد قفلوا ابوابها وتأهبوا لقتال اهل مصر لما بلغهم مافعلوه فى حلب واهلها من اخراجهم من اماكنهم ونهب اموالهم والتعرض لنسائهم وبناتهم ووجد يونس نائب عينتاب عزل حريمه وماله وهو معول على الرحيل الى السلطان سليم وقد غلب على ابناء جنسه ومال مع الروم فرجع كرتباي واخبره بان قيسارية وعينتاب عصوا علينا وارادوا قتالنا ومالوا مع السلطان سليم وان طلائع عسكره قد اقبلت فارتج عسكر مصر لذلك ووقع الخلل فيهم

﴿ رجوع الامير مغلباى من عند السلطان سليم ﴾

قال ابن اياس ما زال السلطان الغورى يكذب في امر السلطان سليم شاه تارة وبصدق اخرى الى ان حضر الامير مغلباى دوادار سكين من عنده وهو فى حال نحس بزنط اقرع على رأسه وعلى بدنه كبر عتيق وهو راكب على اكديش هزيل وقد نهب جميع بركه واخذت خيوله وقماشه واخبر ان ابن عثمان ابى الصلح وقال له قل لأستاذك يلاقينا على مرج دابق واخبره انه وضعه في الحديد وقصد ان يحلق لحيته (يظهر ان هذا اصح مما تقدم عن المحلى انه فعل ذلك) وقدمه الى الشنق ثلاث مرات فشفع فيه بعض وزرائه وحمله الزبل من تحت خيله في قفة على رأسه وقاسى منه من الهوان والاهوال مالاخير فيه فلما سمع السلطان هذه الحكاية تحقق وقوع الفتنة بينه وبين ابن عثمان فقيل انه انعم على مغلباى بألف دينار وخيول وقماش في نظير ماذهب له

خطيب الجامع الكبير بحلب مدة اقامة السلطان الغوري بها

قال ابن اياس ان السلطان لما دخل الى حلب رسم لقاضي القضاة كمال الدين الطويل بأن يخطب فى الجامع الكبير الذي بحلب فاجتمع الجم الكثير من اهل حلب في الجامع المذكور فخرج قاضى القضاة كمال الدين الطويل ورقى المنبر وخطب خطبة بليغة واورد احاديث شريفة في معنى الصلح واذن المؤذنون بالجامع وقرأوا حزب السلطان هناك وعملت الوعاظ وكان يوماً مشهوداً بالجامع المذكور ولم يحضر السلطان ولم يصل صلاة الجمعة هناك كما فعل بدمشق فعابوا عليه ذلك وكان قاضى القضاة كمال الدين يخطب بالجامع الكبير مد اقامة السلطان بحلب

اسعار القوت ذلك الحين في حلب

قال ابن اياس ورد كتاب من امير المؤمنين الى والده امير المؤمنين يعقوب فيه اخبار ما كان من الحوادث وذكر فيه عن امر الاسعار فى حلب فقال الشعير كل اردب بسبعة وعشرين نصفاً والخبز كل رطل بثلاثة دراهم والجبن بنصفين الرطل واللحم بتسعة دراهم كل رطل مصري والدبس بنصف فضة الرطل المصرى وتناهى سعر القمح الى اشرفيين كل اردب والكرسنة عليق الجمال بمائة واربعة وعشرين درهما الاردب

انعام السلطان الغوري وهو بحلب على امرائه وجيوشه

بالرتب والدنانير وتحليفه لأمرائه الايمان على عدم الخيانة

قال ابن اياس ومن الحوادث التى وقعت من السلطان بحلب انه انعم على قانصوه نائب قلعة حلب بتقدمة الف وعلى يوسف الناصرى شاد الشرابخانه الذي كان نائب حماة وعلى طراباى نائب صفد وعلى تمراز نائب صفد ومنها انه انفق على اولاد الناس الذين توجهوا صحبته بلا نفقة لكل واحد منهم ثلاثون ديناراً وكان رسم لهم قبل ذلك لكل واحد بخمسين دينارا فعارض في ذلك كاتب المماليك وجعلها ثلاثين ديناراً وصرف للعسكر ثمن اللحم عن ثلاثة شهور ثم ان السلطان فرق على مماليكه الجلبان من حواصل قلعة حلب عدة سلاح لم يعبر عنها وفرق عليهم خيولا مالها عدد وصار ينعم عليهم بالعطايا الجزيلة من مال وخيول خاص وسلاح بطول الطريق ولم يعط المماليك القرانصة شيئاً فعز ذلك عليهم في الباطن ثم ان السلطان قرأ ختمة في الميدان الكبير بحلب يوم الخميس مع ليلة الجمعة وحضر امير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الأربعة

ومشايخ الزوايا وصلى امير المؤمنين بالسلطان في الخيمة صلاة العصر وصلاة المغرب وانعم السلطان في ذلك اليوم باربعمائة دينار ومائة رأس غنم وانعم على قاضي القضاة الشافعي بسبعين ديناراً وعلى نوابه ومن معه من العلماء بسبعين ديناراً والقاضي الحنفي كذلك وانعم على القاضي المالكي بخمسين ديناراً وعلى نوابه الثلاثين بثلاثين ديناراً وانعم على الفقراء الذين سافروا صحبته لكل واحد منهم عشرة دنانير وانعم على القراء الذين حضروا هذه الختمة من قراء حلب وغيرها لكل واحد خمسة دنانير

وفي عقيب ذلك احضر السلطان الأمراء المقدمي الالوف والنواب والامراء الطبلخانات والأمراء العشراوات وحلفهم على المصحف الشريف بانهم لا يخونون ولا يغدرونه فحلفوا كلهم على ذلك ثم نادى للعسكر بالعرض في الميدان الذي بحلب فعرضوا وهم باللبس الكامل وادخلهم من تحت سيفين على هيئة قنطرة كما هي عادة الاتراك وعندهم ان هذا هو القسم العظيم

وقال المحلى جمع السلطان الأمراء والاعيان وتحالفوا على ان لا احداً منهم يخون صاحبه وان يكونوا على قلب رجل واحد ويقاتلوا عدوهم بعد ان كان غالب العسكر ما يظن الا الصلح بين السلطان سليم وبين شاه اسماعيل . واما يونس نائب عينتاب فانه ندم على فعله مع كرتباى (الذي توجه للكشف ومر على عينتاب فاظهر له النائب ميله الى السلطان سليم) وقال في نفسه ربما تكون النصرة لهم فلا آمن على نفسي ولكن اجعل لي معهم وجهاً وركب من ساعته الى ان تمثل بين يدي الغوري وزعم ان السلطان سليما قبض عليه وانه هرب منه وجاء الى مولانا السلطان مساعداً له على عدوه فلم تنطل حيلته على السلطان ثم امر بتوسيطه في الوقت والساعة فوسط والامراء والاعيان كلهم

مجتمعون فقام من بينهم الأمير سيباي نائب الشام وقبض على خاير بك نائب حلب وجره من طوقه بين يدي السلطان الغوري وقال يامولانا السلطان اذا اردت ان الله ينصرك على عدوك فاقتل هذا الخائن وكان خاير بك في يده كالشاة بين يدى السبع وهو يجره فقام الامير جانبردى الغزالى وقال يامولانا السلطان لانفتن العسكر وتبدأ في قتال بعضهم بعضاً وتذهب اخباركم الى عدوكم ويزداد طمعه فيكم وتضعف شوكتكم والرأي لكم وتأخر في مكانه وهذه مكيدة من الغزالى والا كان خاير بك قد هلك فعند ذلك امرهم السلطان ان يتحالفوا ثانياً وان لا يخون منهم احد والخائن يجازيه الله تعالى وعليه لعنة الله ثم امر السلطان ان ينادي في حلب بالرحيل منها بالعسكر لقتال السلطان سليم وان يتأهب كل واحد ويستفيق لنفسه وكان ذلك في يوم الجمعة ثانى رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وكان له موكب حتى رجت الأرض وليس الخبر كالعيان وكان الجلبان ثلاثة عشر الف مملوك كلهم مشترى الغورى ولا واحد منهم الا ويعرف سائر انواع الحرب والفروسية فانه كان مجتهداً في تعليم الجلبان وكان قصده ان ينشيء له عسكراً من مماليكه الذين يشتريهم ويقطع القرانصة وهم مماليك الملوك الذين قبله وكان يحسب حسابهم خوفاً من ان يمكروا به كما فعلوا بمن قبله وكان آخذاً حذره ولكن الحذر لا ينفع من القدر . قال المحلى لما امر الغوري بالخروج الى الحرب خرج جميع العسكر واودعوا جميع اموالهم عند اهل حلب بعد ان كدروا عليهم غاية التكدير وآذوهم غاية الأذى فلما خرجوا من عندهم دعا عليهم الكبير والصغير والغني والفقير لما حصل لهم من الضرر منهم

خروج عسكر السلطان الغوري من حلب الى حيلان

قال ابن اياس ثم ان السلطان انعم على الأمير عبد الرزاق وولاه على اقليم اولاد دلغادر فخرج من حلب وصحبته ملك الأمراء خاير بك في موكب حافل فخرج نائب حلب وامراؤها وعساكرها ونزلوا عن حلب بيوم وصحبتهم من المشاة خمسة آلاف ماش

ثم خرج بعدهم ملك الأمراء سيباي نائب الشام وتمراز نائب طرابلس وطراباي نائب صفد ونائب حمص ونائب غزة فخرجوا من حلب يوم السابع عشر من شهر رجب وقد اشيع ان ابن عثمان ماش من جهة وابن سوار ماش من جهة . ثم خرج السلطان من ميدان حلب يوم الثلاثا فى العشرين من رجب بعد ان صلى الظهر وصحبته امير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الأربعة وكان قد تقدمه نائب الشام ونائب حلب وجماعة من النواب فخرجوا بأطلاب حربية وطبول وزمور ونفوط حتى رجت لهم حلب فلما خرج السلطان من حلب توجه الى حيلان فبات فيها

توجه السلطان الغوري من حيلان الى مرج دابق والملحمة العظمى فيه

قال ابن اياس صبيحة يوم الاربعا فى الحادي والعشرين من رجب رحل السلطان الغوري من حيلان وتوجه الى مرج دابق فاقام به الى يوم الأحد الموافق للخامس والعشرين من رجب فلم يشعر الا وقد دهمته عساكر السلطان سليم شاه فصلى صلاة الصبح ثم ركب وتوجه الى زغزغين و(تل رفاد) قيل ان هناك مشهد نبي الله داود عليه السلام فركب السلطان وهو بتخفيفة وملوطة على

كتفه طبر وصار يرتب العسكر بنفسه وكان امير المؤمنين على الميمنة وهو بتخفيفة وملوطة وعلى كتفه طبر مثل السلطان وعلى رأسه الصنجق الخليفتي وكان حول السلطان اربعون مصحفاً في اكياس حرير اصفر على رؤس جماعة اشراف وفيها مصحف بخط الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان حول السلطان جماعة من الفقراء وهم خليفة سيدي احمد البدوي ومعه اعلام والسادة الاشراف القادرية ومعهم اعلام خضر وخليفة سيدي احمد بن الرفاعي ومعه اعلام والشيخ عفيف الدين خادم السيدة نفيسه رضى الله عنها باعلام سود وكان الصبي قاسم بك (١) بن احمد بك بن عثمان واقفاً بازاء الخليفة وعلى رأسه صنجق حرير اصفر وقيل احمر وكان الصنجق السلطانى خلف ظهر السلطان بنحو عشرين ذراعا وتحته مقدم المماليك سنبل العثمانى والسادة القضاة الاربعة والامير تمر الزردكاش احد المقدمين وكان على ميمنة العسكر الامير سيباى نائب الشام وعلى الميسرة خاير بك نائب حلب فقيل اول من برز الى القتال فى الميدان الأتابكى سودون العجمي وملك الأمراء سيباى نائب الشام والمماليك القرانصة دون المماليك الجلبان فقاتلوا قتالاً شديداً هم وجماعة من النواب فهزموا عساكر ابن عثمان وكسروهم كسرة مهولة منكرة واخذوا منهم

---

(١) قال ابن اياس قاسم بك هو من سلالة آل عثمان وهو ابن احمد بك بن بايزيد وهو ابن اخي السلطان سليم وكان عمه السلطان سليم لما قتل اخاه احمد بك فر ابنه قاسم هذا هو ولالاه ودخل الى حلب فى الخفية ثم جاء الى مصر واقام بها الى ان خرج السلطان الغورى الى جهة البلاد الشامية فأخذه صحبته ليبلغ بذلك مقاصده فلم يفد من ذلك شيء وكان عمره اذ ذاك ثلاث عشرة سنة وكان السلطان قد قام له بمصالح البرق وتكلف عنه بنحو الفى دينار حتى يظهر امره ويشاع ذكره في بلاد بني عثمان بأن فى مصر من اولاد بني عثمان ولداً ذكرا وظن السلطان ان عسكر ابن عثمان اذا سمعوا ذلك يخامرون على سليم شاه ويأتون الى هذا الصبي قاسم بك فلم يظهر لهذا الامر نتيجة ولا افاد شيئاً •

سبع صناجق واخذوا المكاحل التى على العجل ورماة البندق فهم ابن عثمان بالهرب او بطلب الأمان وقد قتل من عسكره فوق العشرة آلاف انسان وكانت النصرة لعسكر مصر اولاً لكنه قد بلغ المماليك القرانصة ان السلطان قال للمماليك الجلبان لا تقاتلوا لا تقاتلوا ابداً وخلوا المماليك القرانصة يقاتلون وحدهم فلما بلغهم ذلك ثنوا عزمهم عن القتال فبينماهم على ذلك واذا بالاتابكى سودون العجمي قتل في المعركة وقتل ملك الأمراء سيباى نائب الشام فانهزم في الميمنة من العسكر جانب كبير ثم ان خاير بك نائب حلب انهزم وهرب فكسر الميسرة واسر الامير قانصوه بن سلطان جركس وقيل قتل وقيل ان خاير بك كان مواليا على السلطان الغورى فى الباطن وهو مع ابن عثمان على السلطان وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد فكان اول من هرب قبل العسكر قاطبة واظهر الهزيمة وكان ذلك من الله تعالى خذلانا لعسكر مصر حتى نفذ القضاء والقدر وصار السلطان واقفاً تحت الصنجق في نفر قليل من المماليك فشرع ينادى ياأغوات هذا وقت المروءة هذا وقت النجدة فلم يسمع له احد قولاً وصاروا يتسحبون من حوله وهو يقول للفقراء ادعوا الله تبارك وتعالى بالنصر فهذا وقت دعائكم وصار لايجدله معينا ولاناصراً فانطلقت فى قلبه جمرة نار لا تطفأ وكان ذلك اليوم شديد الحر وانعقد بين العسكرين غبار حتى صاروا لايرى بعضهم بعضاً وكان نهار غضب من الله تعالى قد انصب على عسكر مصر وغلت ايديهم عن القتال وشخصت منهم الابصار .

ولما اضطربت الأحوال وتزايدت الاهوال خاف الامير تمر الزردكاش على الصنجق السلطانى فأنزله وطواه واخفاه ثم تقدم الى السلطان وقال له يامولانا السلطان ان عسكر ابن عثمان قد ادركنا فانج بنفسك الى حلب فلما تحقق

السلطان ذلك غلبه في الحال خلط فالج ابطل شقه وارخى حنكه فطلب ماء فأتوه بماء فى طاسة من ذهب فشرب منه قليلاً والفت فرسه على انه يهرب فمشى خطوتين وانقلب عن الفرس الى الارض فأقام نحو درجة وخرجت روحه ومات من شدة قهره وقيل فقئت مرارته وطلع من حلقه دم احمر . فلما اشيع موته زحف عسكر ابن عثمان على من كان حول السلطان فقتلوا الامير بيبرس احد المقدمين وقتلوا جماعة من الخاصكية وغلمان السلطان ممن كان حوله واما السلطان من حين مات لم يعلم له خبر ولا وقف له على اثر ولا ظهرت جثته بين القتلى فكأن الارض قد ابتلعته فى الحال وفي ذلك عبرة لمن اعتبر فداس العثمانية وطاق الغورى بما فيه من الأمتعة والأرزاق التى كانت حوله بأرجل الخيول وفقد المصحف العثماني وداسوا اعلام الفقراء وصناجق الأمراء ووقع النهب في ارزاق عسكر مصر وبرقهم وزال ملك الأشرف الغوري في لمح البصر وكأنه لم يكن فسبحان من لايزول ملكه ولايتغير فاضمحل امره وزال ملكه بعد ما انصرف في ملك مصر واعمالها والبلاد الشامية واعمالها وكانت مدة سلطنته خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وعشرين يوماً وكان الناس معه فى هذه المدة فى غاية الضنك وقد قلت في المعنى

اعجبوا للأشرف الغوري الذي * مذ تناهى ظلمه فى القاهرة
زال عنه ملكه في ساعة * خسر الدنيا اذاً والآخرة

وقد اقامت هذه الواقعة من طلوع الشمس الى مابعد الظهر وانتهي الحال الى الامر الذي قدره الله تعالى فقتل فى تلك الوقعة من عسكر السلطان ابن عثمان ومن عسكر السلطان الغورى مالا يحصى عدده فقتل من الأمراء المقدمين ثلاثة وهم الاتابكى سودون العجمى وبيبرس قريب السلطان واقباي الطويل واسروا

قانصوه ابن السلطان جركس وقتل سيباي نائب الشام وتمراز نائب طرابلس وطرباي نائب صفد واصلان نائب حمص وغير ذلك جماعة كثيرة من امراء دمشق وامراء حلب وطرابلس وقتل من امراء مصر جماعة كثيرة من امراء الطبلخانات والعشروات والخاصكية واكثر من قتل من عسكر مصر المماليك القرانصة ولم يقتل من مماليك الجلبان الا القليل فانهم لم يقاتلوا فى هذه الواقعة ولا ظهر لهم فروسية ولا جذبوا سيفاً ولاهزوا رمحاً فكأنهم خشب مسندة وقتل من امراء مصر ودمشق وحلب فوق الأربعين اميراً وقتل في ذلك اليوم القاضي ناظر الجيش عبد القادر القصروى وجماعة كثيرة من الجند وكانت ساعة يشيب منهـا الوليد ويذوب لسطوتهـا الحديد فكان مرج دابق فيه جثث مرمية وابدان بلارؤس ووجوه معفرة بالتراب قد تغيرت محاسنها وصار في ذلك المكان خيول مرمية موتى وسروج مفرقة وسيوف مسقطة بذهب وبركستونات نولاذ بذهب وخود وزرديات وبقج قماش فلم يلتفت اليها احد وكل من العسكرين قد اشتغل بما هو أهم من ذلك .

ثم ان السلطان سليما زحف بعسكره واتى الى وطاق السلطان فنزل فى خيامه وجلس في المدورة واحتوى على الطشتخاناه وما فيها من الأوانى الفاخرة وعلى الزردخاناه وما فيها من السلاح وعلى خزائن المال والتحف ونزل كل امير من امرائه فى وطاق امير من امراء الغورى واحتوى على مافيها فاحتوى على وطاق خمسة عشر اميرا مقدمي الوف خارجاً عن امراء الطبلخانات والعشراوات واحتوى العسكر على خيام العسكر المصري والشامي والحلبى وغير ذلك

ولم يقع قط لأحد من سلاطين مصر مثل هذه الكائنة ومات تحت صنجقه فى يوم واحد وانكسر على هذا الوجه ابداً ولا سمع بمثل ذلك ونهب ماله وبركه

بيد عدوه غير قانصوه الغوري وكان ذلك في الكتاب مسطوراً وكان السلطان والامراء مامنهم احد ينظر فى مصالح المسلمين بعين العدل والانصاف فردت عليهم اعمالهم ونياتهم وسلط عليهم ابن عثمان حتى جرى لهم ماجرى كما قيل في المعنى

اين الملوك الألى فى الارض قد ظلموا * والله منهم لقد اخلى اماكنهم

ما ذكره المحلى فى تاريخه في تفصيل هذه الملحمة

قال التقى الجمعان فى مرج دابق وباتوا تلك الليلة على غير حرب ولكن لم يهنأ لأحد منهم نوم خوفاً من مكر بعضهم لبعض

ولما انضح نهار يوم الاحد الموافق للثالث والعشرين من رجب (تقدم انه كان موافقاً للخامس والعشرين منه) ركبوا كالبحر الزاخر فاذا صفوف العثمانية قد بانت صفاً بعد صف خارجاً عن الوصف والأعلام الملونة من اليسار والميمنة وهم سائرون كالبحر السيال وقد رتبوا الصف من كل طرف ثم طيروا من الطرف الكبير الذى فيه السلطان السليم مدفعاً كبيراً كالبرق الخاطف والرعد القاصف تزلزلت منه تلك الصحراء وطلع دخان كالجبال الزرقاء فكان اول من من بادر العثمانية بالحرب من طائفة الجراكسة اصلان ابن بداق نائب حمص اخذ قنطاريته بيده واطلق عنان جواده وصار يطعن في الفرسان يميناً وشمالاً فلما رأى الامراء فعل اصلان بن بداق فى حملته اخذتهم الحمية فحمل الأمير سيباي نائب الشام ثم حمل امير كبير سودون العجمى ومماليكه خلفه نحو الألف ملبسين ثم حمل الامير جانبلاط ابو ترسين ثم الامير علان دوادار ثـانى ثم حمل قانصوه ابن السلطان جركس ثم حمل كرتباى الوالى وكان فارس المنايا لله دره من شجاع ثم حمل تمر الزردكاش وبخشباى امير مجلس والاميرانسباي حاجب الحجاب والامير

قانصوه كارت والامير تـاني بك الخازندار والامير تـاني بك النجمي والامير بيبرس ابن عم السلطان الغوري والامير قانصوه ابو سنه والامير الفاخر والامير خير بك المعمار والامير جانبردي نائب بيروت والامير جانبردي الغزالي وخيربك نائب حلب وكلاهما كانا رأس المتعصبين على الغوري والامير تمراز نائب طرابلس وحملوا جماعتهم حملة واحدة وصادموا الروم ومالوا في القتال والروم الآخرون لا قوهم كالأسود. قال الشيخ احمد بن زنبل المحلي ولم نر في التواريخ القديمة والحديثة وقعة مثل هذه الوقعه ولا اجتمع فيها مثل هذين العسكرين ولا اكثر عدداً قال ولم يتقاتل في هذا اليوم من الجراكسة اكثر من الفي فـارس وهم الأمراء الذين قدمنا ذكرهم واتباعهم

واما جلبان الغوري الذي هم مشتراه فلم يتحركوا من موضعهم ولم يهزوا رمحـا ولاجذبوا سيفاً وسبب ذلك ان الله تعالى لما اراد ازالة دولتهم اوقع فيهم الخلف لأمر يقضيه وحكم يمضيه وعلى ما قيل ان السلطان الغوري امر بأن اول مرة يخرج للحراب القرانصة لكونهم اعرف بالحرب من الجلبـان وكان قصده ان يقطع القرانصة ليكتفي شرهم ويصفو له الوقت وكان يحسب حسابهم خوفاً من مكرهم فامر بتقديمهم للحرب واخر جلبانه فعلموا مكره لما رأوه واقفا هو وجلبانه لم يتحرك منهم احد عن موضعه فتغيرت نياتهم عليه وقالوا له نحن نقاتل بانفسنا مع النار وانت واقف تنظر الينا كالعين الشامتة ما تأمر احداً من مماليكك يخرج للميدان فكان العسكر كله مختلفاً في بعضه مفسود النية ليس لهم رأي يرجعون اليه ولا تدبير يقفون عليه بل كل من تكلم بكلام يقول الآخر ضده فمن ذلك انخرم نظامهم. واما الأمراء الذين تقدم ذكرهم نحو الألفين هم ومن يلوذ بهم اعتمدوا على الله تعالى في حملاتهم واخلصوا في نياتهم وصدموا الروم

وضرب الروم بالمدافع والبندقيات حتى صار النهار كالليل الحالك من كثرة الدخان والغبار من حوافر الخيل لأنهم كانوا يقاتلون من قلب رجل واحد ونيات متفقة ليس لأحد منهم في قلبه غل ولا مكر ولا حسد لأحد وهذا احسن ما يكون لمن يريد النصر .

ومن اعجب ما يكون من العجب ان هؤلاء القوم الغريبين من الألفي فارس المقدم ذكرهم من الجراكسة يقاتلون قتال الموت في نحو مائة وخمسين الفاً من الروم والترك ما بين الوف مشاة ومثلهم خيالة من عسكر الروم ثم حطموا عليهم حطمة واحدة وبينما هم كذلك واذا بالسلطان سليم رمح حصانه من قلب الصف الكبير حتى وصل الى الصف الوسطانى وفى يده سيف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصاح في عسكره هكذا تعاركون قدامى مع عدوى وصاح في الباشوات فلما نظر الروم الى ذلك ردوا على الجراكسة كالبحر اذا سال بعرض الوادى فتراجع الجميع واطلقوا المدافع والبندقيات وحملوا على الجراكسة وصاحوا الله الله فكانت الكسرة على الجراكسة وطيروا الجراكسة والعربان والمشاة مثل القطر في الثري وصار النهار عليهم مثل القيامة الكبري وكان يجيء كل مدفع على نحو خمسين او ستين او مائة نفس فصارت تلك الصحراء كالمجزرة من الدماء وما زال الروم والسلطان سليم سائرين حتى جاؤا الى صف الغورى فرجع خيربك والغزالى مع من انهزم من الجراكسة حتى دخلوا وطاق الغوري ونادوا الفرار الفرار فان السلطان سليما احاط بكم وقتل الغوري والكسرة علينا وانثنى طالباً حلب فتبعه الجلبان وتشتت العسكر وظنوا ان السلطان قتل كما قال خيربك وانما فعل ذلك بغضاً ومكيدة مع الغورى والسلطان الغوري واقف مكانه وحوله بعض الجلبان القريبين منه واما الذين كانوا بعيدين عنه فانهم ظنوا انه قتل فانهزموا مع خيربك

قاصدين حلب .

فلما علم الغوري بما جرى لعسكره من التشتت صار ينادى عليهم باعلى صوته ياأغوات الشجاعة صبر ساعة فلم يلتفت اليه احد منهم وكان امر الله قدراً مقدورا وكل ذلك بغضاً منهم لسلطانهم فانه كان يريد ان يقطع القرانصة شيئاً فشيئاً ثم يستقل هو بجلبانه ويصفو له الوقت والسلطنة

ثم تقدم اليه الامير سودون العجمى امير كبير وقال له يا مولانا السلطان اين جلبانك اين خاصتك هكذا عملت بنا ولا زلت قائماً في حظ نفسك حتى اهلكت نفسك واهلكتنا معك ولكن القيامة تجمع بيننا وبينك وستقف بين يدي مولانا سبحانه وتعالى يحكم بيننا بالعدل ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ثم التفت عن يمينه فوجد الامير سيباي والامير اقباي الطويل والامير علان والامير اصلان بن بداق ومن يشبه هؤلاء من القرانصة الاعيان وهم واقفون. متجهزون فان جيشهم انكسرقهرا وما عسى ان تقاتل مائة نفس الى مائة وثمانين الف نفس ولكنهم مع قلتهم اوقفوا هذا الجيش العظيم ولم يقدر احد منهم ان يتقدم . ثم عييت هذه الطائفة القليلة من الضرب والقتل [والكثرة تغلب الشجاعة] وما زال الغورى حتى بقي وحده وخلفه حامل السنجق امير اللواء وكان رجلا كبير السن من مماليك اينال الاجرود فمن شدة ما حصل للغورى من القهر وقع على الارض مغشيا عليه

﴿ ذكر قطع رأس السلطان قانصوه الغوري ﴾

قال المحلى فلما وقع السلطان الغورى على الارض رمى حامل الصنجق الرمح واخذ القماش المطرز وكان يساوي ثلاث آلاف ذهب فقال الامير علان لأقباى

الطويل ماترى فى امر السلطان قال له قل ماعندك قال ان نحن تركناه ورحنا وخليناه يأتى الأعداء فيقتلونه ويأخذون رأسه يطوفون بها جميع بلاد الروم قال فما الرأي قال الرأي إن نقطع رأسه ونرمى بهـا فى هذ الجب والجثة بلا رأس لايعرفها احد قال نعم الرأي فامر الأمير علان عبداً من عبيده فقطع رأس السلطان الغورى ورمى بها فى جب هناك ثم ولى الامير علان الى ناحية حلب . واما الأمير اقباي الطويل فانه طلب ناحية العجم واقام بها الى ان مات واما الأمراء الذين التهوا بالقتال مع الروم فانهم فاض عيلهم بحر المنايا وزاد وابتلوا بعساكر ملأت السهل والواد واجتمع عليهم ذلك الجمع الكبير وخاضت خيولهم فى بطون القتلى فقاتلوا قتال من قطع من الدنيا امله فقصدهم الرماة بالبندق نوقع الامير سيباى والامير سودون العجمي واما الامير قانصوه ابن السلطان جركس فانه مازال يضرب بالسيف حتى خرق عسكر الروم وطلع من ذلك الجانب على حمية فلما خلص شم الهواء وردت روحه اليه بعد ان كان يئس من الحياة . والفرحسنة لرجل خرج من بين الوف ولكن اذا جاء امر الله قضى بالحق ولا راد لمـا قضاه الله فانه وقع فى نهر هناك ينبت فيه عرق السوس فالتفت على قوائم الفرس فغرق وكانت عسكر الروم تنظر اليه على بعد فلما رأوه في هذه الحالة طمعوا فيه واحاطوا به فقبضوه وعروه من الملبس وقطعوه بسيوفهم .

واما الامراء فمنهم من تشتت في البلاد ومنهم من قتل وانهزمت تلك الجموع فتمكن عسكر السلطان سليم من اوطاق الغوري واخذوا كل مافيه وكان شيئاً يفوق الوصف من الذهب والفضة والقناطير المقنطرة ومن البرق والملبوس والتحف التي جمعتها الملوك السالفة ذهبت كلها ونهبت في يوم واحد وذلك

بالنسبة لما ابقاه السلطان في قلعة حلب وما اودعته الأمراء والاجناد عند اهل حلب وهو شيء لاينحصر قليل جداً ومما نقل ان السلطان الغورى لما خرج لمحاربة السلطان سليم اخذ معه مائة قنطار ذهباً ودنانير ومائتي قنطار فضة انصافا وكان قصده ان يحمل ذلك نفقة للعسكر ونوى انه لايزال ذاهبا حتى يصل اسلامبول ويأخذها من يد السلطان سليم وسبب ذلك ان السلطان سليما ارسل له كتاباً على سبيل النصيحة وغالبه تهديد كالسم فى الدسم ومن جملة مافيه قال ان لم ترجع عما انت فيه من الظلم والعناد على المسلمين والاجئتك بعسكر من الروم واخرب مصرك عليك فكان هذا الكلام من جملة الاسباب التي دعت الغوري لخروجه لحرب السلطان سليم وارسل له في الجواب انا لا احوجك للمجئ الينا ولكن تأهب للقاء الأبطال وتنظر كيف تفعل الرجال وصدق في قوله لأنه افعم قلوب عسكره واهلك غالب الامراء من القرانصة فكرهته العساكر كلها وما خرجوا معه الا وكل منهم يتمنى ان لايرجع الى مصر وكان هذا من سوء تدبيره وكل ذلك حتى يجرى القضاء والقدر اه

نبذة من شعره

اقول قد اطلعني بعض وجهاء الشهباء على قطعة من شعر السلطان قانصوه الغوري فى عشر اوراق يظهر انها محررة في حال حياته وهي قصائد وموشحات فاخترت منها قصيدتين وموشحين فالقصيدة الأولى قوله

بالملك انعم ربنا الرحمن * وهو الكريم المنعم المنان
فله علينا الشكر حق واجب * يقضيه قلب مخلص ولسان
فالحمد لله الذى احسانه * ابدا يليه بفضله احسان
فبملك مصر وماحواه خصنا * وبنصره ثبتت لنا الاركان

قد كان موهبة بلا سعي ولا * فيه تجرد صارم وسنان
ولقد كفانا الله فى اعدائنا * فضلاً فبعد صعوبة قد هانوا
وعلى محبتنا بصدق اجمعت * امراؤنا في الملك والأعيان
والآن قام على السداد نظامنا * ولنا العساكر طاعة قد دانوا
صاروا على قلب سليم واحد * في حبنا فكأنهم بنيان
فالله يحفظهم ويجمع شملهم * ففوآدنا من حبهم ملآن
والله يجمعهم جميعاً قرة * لعيوننا فلنا هم الأخوان
فكأنهم للملك سور حافظ * وعلى مصالحه هم الأعوان
والعسكر المنصور كل مخاص * في نصحنا وجميعهم فرسان
ما منهم من فيه شك عندنا * فيقال في التعريف ذاك فلان
فكبيرهم كأب واوسطهم اخ * ولنا الاصاغر كلهم ولدان
لكن مقامات المراتب تقتضى * تمييزها فلكل طور شان
فالله ينصرهم فان الملك من * تمكينهم يزداد او يزدان
والله بالتأييد منه يمدهم * فبهم يقوم بمجدنا البرهان
ويزيدهم فى العالمين زيادة * من فضله مابعدها نقصان
والأشرف الغوري ناظمها بهم * وبحسن طاعتهم له برهان
والله يجمعنا على نور الهدى * حتى يزيد لنا به ايمان
ثم الصلاة على النبي وآله * مادام يتلى الذكر والقرآن

والثانية قوله وقد كتب فوقها ومن نظمه ادام الله ايامه

لله في ايامنا نفحات * من دهرنا تزكو بها الاوقات
فبها الا فتعرضوا وتضرعوا * فيها تجاب لكم بها الدعوات

هذي مواسمها لنا قد اقبلت * ودنا بموعدها لنا ميقات
فبفضل شعبان وليلة نصفه * يروى الصحيح من الحديث ثقات
وبفضل ليلة نصفه قد فسرت * في الذكر من تنزيله آيات
اذ قيل يفرق كل امر محكم * فيها وفيها تسقط الورقات
هي ليلة فيها على اهل الهدى * وقلوبهم قد خفت الطاعات
هي ليلة مازال محتفلاً بها * مذقام دين المصطفى السادات
هي ليلة هجروا مضاجعهم بها * مما تقام بجنحها الصلوات
هي ليلة يتوقع الداعى بها * لله ان تقضى له حاجات
ياربنا فيها تقبل دعوة * لى منك فيها تشمل الخيرات
اصلح لي الملك الذى قلدتني * وصلاحه ان تسعد الحركات
وتدر ارزاق الرعية فيه في * أمن ففيها تنزل البركات
واجمع قلوب عساكري جمعاً به * تصفو وتصلح منهم النيات
وجميع من في قلبه غش لنا * فبه تحيط من الردي هلكات
وانصر وأيد من جنودي من له * حزم وعزم صادق وثبات
واحفظ لي الأمراء وانصرهم فهم * في الملك اركان له وحماة
وانظر لهم واشملهم بعناية * وسعادة تعلو بها الدرجات
لاسيما اركان دولتنا ففي * وجه الزمان وجودهم حسنات
ولعبدك الغوري فانظر نظرة * منها يضيء بقلبه مشكاة
وبها ينال مناه منك جميعه * وبها يفيض عليه منك هبات
وعلى النبي وآله مع صحبه * ابداً سلام دائماً وصلاة
مادامت الأفلاك دائرة بها * تترادف الأوقات والساعات

﴿ وله موشح من نغم الحسيني ﴾

ربنـا أدم نعما * جدت لي بها كرما * فيضها حكى ديما * بـالغمام منهله
منك سيدي مددى * انت دائما سندى * انت آخذ بيدى * فـاستعانتي بـالله
ملكنـا وعسكره * انت لي تدبره * بـالذى تقدره * لي فاكتفى بالله
رب فاحفظ الأمرا * فيه لي مع الوزرا * والصدور والكبرا * والجنود بـالجمله
غوري عبدك الخاضع * منك في المنى طامع * كن لشملهم جامع * رب فاغفر الزله

﴿ وله موشح من نغمة المصرية علو محيَّر يهبط على عشاق العجم ﴾

جل من لنا وهبا * ملك مصر واكتسبا * حيث سبب السببا * في قديم علم الله
ملك مصر نعمته * والـوجود رحمته * لا تطـاق نقمته * حسبنا الحليم الله
شكرنا له وجبا * اذ قضى لنـا اربا * فهو خصنا وحبا * نعمة بفضل الله
ما لنا سوى كرمه * والدخول فى حرمه * بالسو آل من نعمه * حلمـه وعفو الله
غوري قد قضى وطره * فهو حامد شكره * سائل هدي البرره * انهم هـداة الله
رب زده من نعمك * بالنجاة من نقمك * والدخول فى حرمك * فهو لائذ بـالله
لا اله الا الله محمد رسول الله

﴿ وله هذا الموشح التركى من نغم المحيَّر ﴾

كنزلرم ياشينه رَحْم آيت يارحيم * سـائلي رد ايلمز هر كنز كريم
رب هب لي من لدنك رحمة * تب علـينـا انت تـواب رحيم
حق جمالن استرز جنتندر * كورنُر جنت بزه انسز جحيم
انظرونا نقتبس من نوركم * ايهـا السكان في دار النعيم
يـا الهي نجنـا ممـا نخـاف * كسمسون يولك بزه شيطان رجيم
قومبيزي نفس النده ضالين * اهدنـا ربي الصراط المستقيم

فاسقني يـا ايها السـاقي مدام * واشفني اني ارى جسمي سقيم
غور بنده كوك ولنده ذكردر * دائمـا استغفر الله العظيم
الله الله الله يـا كريم * يـا غفور يـا شكور ياحليم
قد صدر منا الخطايا والذنوب * ربنـا استغفر الله العظيم

ذكر مبيت السلطان سليم فى مرج دابق ودفنه هناك للأمير سودون العجمي

قال المحلي ثم ان السلطان سليماً بات فى مرج دابق ولما اصبح امر ان تعد القتلى من الفريقين فوجدوا الذى قتل من الجراكسة الف نفس واكثرهم من المدافع والبندقيات والذى قتل من الروم اربعة آلاف . ثم وجدوا فى القتلى رجلاً عظيماً من الجراكسة وعليه من الملابس الفاخرة ما يناسب الملوك وعليه من الهيبة والوقار مالا يوصف ووجهه يتلألأ نوراً وقد جاءه ضرب (قنبلة) اخذ فخذه فجئ ببعض من يعرف الجراكسة فوجدوه سودون العجمي الأمير الكبير فامر به السلطان سليم فغسل وصلي عليه وامر بدفنه فكان ترابه فى زاوية هناك تسمى زاوية الشيخ النور القارى .

الكلام على مرج دابق وعلى قبر سليمان بن عبد الملك

ذكرت فى الجزء الأول في صحيفة ١١٩ ماقاله ياقوت في المعجم من الكلام على دابق وهنا انكلم على حالة هذا المرج الحاضرة وعلى قبر سليمان بن عبدالملك فأقول قال ابوذر فى كنوز الذهب ومنهم (اى وممن دفن فى حلب او فى معاملاتها من الملوك) سليمان بن عبد الملك قبره بدابق وقدوقع الحريق بها حتى احترق الرجال والدواب وذلك في سنة ثمان ومائة واستخرج من قبره فى ايام السفاح فلم يوجد

منه الاصلبه واضلاعه ورأسه فأحرق وبويع سليمان المذكور بدمشق فى اليوم الذى كانت فيه وفاة الوليد وذلك يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وتوفى يوم الجمعة عاشر صفر سنة تسع وتسعين ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقرأت فى المنتظم ان سليمان كان يوماً جالساً ينظر فى المرآة الى وجهه وكان حسن الوجه فأعجبه مارآه من جماله وكان على رأسه وصيفة فقال انا الملك الشاب فرأى شفتي الجارية تتحركان فقال لها ماقلت قالت خيراً قال لتخبريني قالت قلت

انت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير ان لا بقاء للأنسان

وزاد غيره فى الشعر

انت خلو من العيوب ومما * يكره الناس غير انك فانى

ثم خرج الى المسجد فخطب فسمع اقصى من فى المسجد صوته ثم لم يزل يضعف وانصرف محموماً حمى موصولة . ورأيت فى مصباح العيان انه لما حمل الى بيته قال عليَّ بتلك الوصيفة التى كانت قائمة على رأسى فجاءت فقال اعيدى ما قلت قالت وما قلت قال الست القائلة انت نعم المتاع لو كنت تبقى فقالت والله ما طرق سمعى هذا قط فعلم ان نفسه قد نعته فمات اه

لم يزل هذا الأسم (مرج دابق) باقياً الى عصرنا هذا وفيه قرية باسم دابق فيها نحو مائة بيت وهي تبعد عن محطة (اخترين) قدر ساعة ونصف مشياً على الأقدام ويوجد قرية اخرى تدعى (دويبق) فيها نحو ٦٠ او ٧٠ بيتاً واقعة شمالى شرقي الأولى والمسافة بينهما عشر دقائق ويلاصق دابق من الجهة الشمالية تل كبير عليه قبر سليمان بن عبد الملك وعليه قبة مسورة يزوره الناس ويتبركون به وهو مشهور هناك بمزار الشيخ بركات .

ويمر بين القريتين المذكورتين ومن شرقي دويبق نهر حلب المسمى قويق وبين هاتين القريتين على طرف النهر خربة قديمة يقال لها (تليلة النحاس) بالتصغير . ويظهر من الآثار الحفرية ان هناك مصانع لعمل الآجر لأن طينة هذه الأراضي هي بيلونية ويستعمل اهل حلب هذا الطين المعروف بالبيلون في حماماتهم لأزالة القشرة التي تحصل في شعر الرأس لرطوبته ويحمل منه الى حماة وحمص ودمشق ويستعمل ثمة لهذه الغاية

وطول هذا المرج من الغرب الى الشرق نحو ثمان ساعات وعرضه نحو خمس وهو من الجهة الغربية اعرض منه في الجهة الشرقية ويحده من الشمال اراضي (كلز) ومن الجنوب اراضي جبل سمعان التابعة لحلب ومن الغرب اراضي العمق

ومرج دابق لم يبق مرجاً على وضعيته الاصلية بل اصبح اليوم معموراً بالقرى التي يزيد عددها عن خمسين قرية منها (تركمان بارح) و(ارشاف) وهما شرقي دابق ومنها (تليلاين) و(ميرع) وهما في غربيه ويحصل في الشتاء في (ميرع) بحيرة كبيرة يصير طولها نحو ساعتين وعرضها كذلك وفيها نحو ٤٠٠ بيت

وفيها (جبرين) و[النقلة] و(صوران) و[احتيملات] وهذه تقع في الشمال الغربي بين (اتليلاين) و(دويبق) وهناك عين تسمى عين البيضاء ومن القرى (شيخ ريح) و(حور النهر) و(راعل) و(كفره). وأهم مزروعات هذه القرى هي السمسم والبطيخ الأصفر والحنطة والشعير والذرة البيضاء ومعظم الخضرة التي ترد الى حلب هي من محصولات هذا المرج ويوجد فيه عرق السوس بكثرة .

منع اهل حلب للجراكسة المنهزمين من دخول حلب

قال المحلي واما ما كان من الجراكسة فانه لما وقعت عليهم الكسرة نهب بعضهم بعضاً

وصار كل انسان منهم يأخذ ما قدر عليه وكل من كان له عدو وقدر عليه قتله ولكل شيءٌ آفة من جنسه ثم ذهب غالب العسكر قاصدين الى حلب فمنعهم اهل حلب لشدة ما قاسوا منهم حين مجيئهم مع الغوري فتشتت شملهم وذهبت حميتهم وانكسرت شوكتهم بعد تلك القوة والمنعة العظيمة والبأس الشديد وكان سبب سعادة اهل حلب من هذه الوقعة فانهم كانوا اودع عندهم الجراكسة جميع اموالهم وخرجوا على جرائد الخيل فطمعت فيهم اهل حلب وصدوهم عن الدخول لأجل ذلك

[سبب آخر لمنعهم]

وقال ابن اياس واما ما كان من امر الأمراء والعسكر بعد الكسرة فانهم توجهوا الى حلب وارادوا دخولها فوثب عليهم اهالي حلب قاطبة وقتلوا جماعة من العسكر ونهبوا سلاحهم وخيولهم وبرقهم ووضعوا ايديهم على ودائعهم التي كانت بحلب وجرى عليهم من اهل حلب مالم يجر عليهم من عسكر ابن عثمان

وكان اهل حلب بينهم وبين المماليك السلطانية حظ نفسي من حين توجهوا قبل خروج السلطان من القاهرة الى حلب صحبة قاني بك امير اخور كبير فنزلوا في بيوت اهل حلب غصبا واعتدوا على بعض النساء والأولاد وحصل منهم غاية الضرر والأذية لاهل حلب فما صدق اهل حلب ان وقعت لهم هذه الكسرة فأخذوا بثارهم منهم فلما رأى الأمراء وبقية العسكر ذلك خرجوا من حلب حمية وتوجهوا الى دمشق ودخلوها وهم في الخش حال لا برك ولا قماش ولا خيول ودخل غالب العسكر الى الشام وبعضهم راكب على حمار وبعضهم راكب على جمل وبعضهم عريان وعليه عباءة او بشت ولم يقع لعسكر مصر مثل هذه الكائنة فاقام الأمراء والمباشرون والعسكر في الشام حتى تتكامل البقية ويظهر السالم من العاطب .

دخول خير بك الى حلب ثم خروجه منها مع الأمير محمد ابن السلطان الغوري

قال المحلى واما خيربك فأنه دخل حلب واخذ سيدي محمد ابن الغوري وكان ابقاه ابوه على خزانته واموا له بقلعة حلب فأخبره ان ابن شاه سوار نزل على حيلان بعشرين الف فارس وهو قاصد اخذك واخذ حلب فقال سيدى محمد فما الرأي ياامير خير بك قال الرأي ان تنادي في العسكر بالرحيل الى مصر ويجتمع اليك ماشئت من العسكر وتكون ملك مصر موضع ابيك وانا مساعد لك فى ذلك فصدقه فى ذلك ونادى في حلب بالرحيل الى مصر ومن له رغبة في المسير الى مصر فليتبعنا فخرجت الناس على وجوههم وتركوا اثقالهم واموالهم واختاروا سلامة الروح وكانت مكيدة وخرجوا من حلب كالهاربين وفعل ذلك خير بك حتى يأخذ حلب للسلطان سليم من غير حرب وكان الأمر كذلك فانه ارسل الى السلطان يخبره بما فعل وانك تسير في هذا الوقت الى حلب فانها خالية من العسكر المصري واما عسكر حلب فمن اطاعنا ابقيناه

مجئ السلطان سليم الى حلب واستقبال الأهالى له فى الميدان الأخضر

قال القطبى في تاريخ مكة بعد ذكره للواقعة المتقدمة لما اقبلت رايات السلطان سليم الى حلب خرج اهلها الى لقائه بالمصاحف والأعلام وهم يجهرون بالتسبيح والتكبير ويقرأون [ومارميت اذرميت ولكن الله رمى] وطلبوا منه الأمان والتسليم فاجابهم الى القبول لطفاً وكرما وقابلهم بالأجلال والاكرام وافرغ على كواهلهم خلع اللطف والأنعام وتصدق بانواع الصدقات على الخاص والعام

قال ابن اياس لما وصل السلطان سليم الى الميدان الذي فى حلب اقام فيه ولما كان فيه توجه اليه امير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الثلاثة وهم قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاة محي الدين الدميري المالكى وقاضي القضاة شهاب الدين الفتوحي الحنبلي واما قاضي القضاة الحنفي محمود بن الشحنة فانه هرب مع العسكر الى الشام ونهب جميع بركه وقماشه ودخل الى الشام فى انحس حال قيل لما دخل امير المؤمنين على ابن عثمان وهو بالميدان عظمه واجلسه وجلس بين يديه فاشيع انه قال له اصلكم من اين فقال له من بغداد فقال له ابن عثمان نعيدكم الى بغداد كما كنتم

دخول السلطان سليم الى حلب واستيلائه على القلعة وما فيها من الذخائر

قال ابن اياس لما جاء السلطان سليم الى حلب سلمه اهلها المدينة من غير نزاع وهرب قانصوه الأشرفى نائب القلعة وتوجه الى الشام مع العسكر وترك ابواب قلعة حلب مفتحة فلما بلغ السلطان سليما ذلك ارسل اليها شخصاً من جماعته اعرج اجرود وفى يده دبوس خشب فطلع الى قلعة حلب فلم يجد بها مانعاً يرده فختم على الحواصل التي بها واحتوى على ما فيها من مال وسلاح وتحف وغير ذلك وقد فعل ابن عثمان ذلك ليقال انه اخذ قلعة حلب بشخص اعرج وفى يده دبوس خشب وهو اضعف من فى عسكره

واشيع ان السلطان سليما من حين استولى على مدينة حلب لم يدخلها غير ثلاث مرات المرة الأولى دخلها وطلع الى القلعة بسبب عرض حواصلها فلما عرضت عليه رأى ما ادهشه من مال وسلاح وتحف وكان فيها من المال نحو مائة الف

الف دينار (هكذا) ورأى من الكنابيش الزركش والرقاب الزركش والطبر
والسروج الذهب والبلور وطبول البازات واللجم المرصعة والفصوص المثمنا
والبركستوانات الفولاذ الملون والسيوف المسقطة بالذهب والزرديات والخو
الفاخرة وغير ذلك من السلاح مالم يره قط ولا احد من ملوك الروم لأن الذي
جمعه الغوري من الأموال من وجوه الظلم والجور والتحف التي اخرجها من
ذخائر الملوك السالفة من عهد ملوك الترك الجراكسه احتوى عليه جميعه السلطان
سليم شاه بن عثمان من غير تعب ولامشقة هذا خارج عما كان للأمراء المقدمين
والأمراء الطبلخانات والعشراوات والمباشرين والعسكر قاطبة من الودائع
بحلب من مال وسلاح وقماش وبرك وغير ذلك فاحتوى ابن عثمان على ذلك
جميعه وقيل انه ملك ثلاث عشرة قلعة من بلاد السلطان واحتوى على ما فيها
من مال وسلاح وغير ذلك فكان الذي ظفر به السلطان سليم في هذه الواقعة
من الأموال والسلاح والتحف وغير ذلك لاينحصر ولا يضبط وقد قسم له
ذلك من القدم واحتوى على خيول وبغال وجمال لايحصى عددها واحتوى على
خيام وبرك ولا سيما ماكان مع السلطان وامراء العساكر كما يقال في المعنى

الا انما الاقسام تحرم ساهراً * وآخر يأتي رزقه وهو نائم

ودخل المرة الثانية فصلى صلاة الجمعة في جامع الأطروشى الذي بحلب وخطب
بأسمه ودعى له على المنابر في مدينة حلب واعمالها وزينت له مدينة حلب واوقدت
له الشموع على الدكاكين وارتفعت له الأصوات بالدعاء وهو مار عند عود
من الجامع وفرح الناس به فرحاً شديداً

قال العلامة القطبي في تاريخ مكة لما حضر السلطان سليم صلاة الجمعة في حلب
وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولآبائه واسلافه وبالغ في المدح

والتعريف وعند ما سمع الخطيب يقول في تعريفه (خادم الحرمين الشريفين) سجد لله شكراً وقال الحمد لله الذي يسر لى ان صرت خادم الحرمين الشريفين واضمر خيراً جميلاً واحساناً جليلاً لأهل الحرمين الشريفين واظهر الفرح السرور بتلقبه بخادم الحرمين المنيفين وخلع على الخطيب خلعاً متعددة وهو على المنبر واحسن اليه احساناً كثيراً بعد ذلك .

ودخل المرة الثالثة ونزل الى الحمام وانعم على المعلم بمبلغ له صورة

قال فى در الحبب فى ترجمة السلطان سليم خان رحمه الله دخل حلب في رجب سنة اثنتين وعشرين وتسلم قلعتها بالأمان من جماعته رجل اعور اعرج ثم انه طلع اليها بنفسه وجمع بأمره من تجارها مالا كثيرا سموه مال الأمان وصاروا يبذلونه بطيب نفس لخوفهم يومئذ على النفس ولم يحصل بحلب وجيشه مقيم عليها من القحط ذرة بالمرة مع كثرة جيوشه التى كانت معه التى ملأت السهل والجبل .

قال ابن اياس لما دخل السلطان سليم الى حلب نادى فيها بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء وكل من كان عنده للأمراء والعسكر شيء من خيول او سلاح او قماش يحضر ما عنده وان لم يحضر ماعنده وغمز عليه شنق من غير معاودة .

قال واستمر الخليفة والقضاة الثلاثة الشافعي والمالكى والحنبلي في الترسيم بحلب لا يخرجون منها الى ان يأذن لهم ابن عثمان

وقال المحلي اقام السلطان سليم بحلب نحو العشرين يوماً وكان مع الغوري خلفاء المشايخ مثل خليفة سيدي احمد البدوى وسيدي عبد القادر الجيلانى وسيدى ابراهيم الدسوقى وامثالهم فلما وقعت الكسرة على الغوري بقي المشايخ بحلب فلما سمعوا بأن السلطان سليما قادم الى حلب خافوا من سطوته فأخذوا في الذهاب الى نحو الشام فلما رآهم على بعد مع الرايات والأعلام قال ما هؤلاء قالوا له هؤلاء

خلفاء المشايخ كانوا جاؤا مع الغوري فلما كسر خرجوا يريدون الذهاب الى مصر فأمر بأحضارهم فلما مثلوا بين يديه امر برمي رقابهم واحداً بعد واحد ولم يرحم منهم كبيراً لكبره ولا صغيراً لصغره فقتلهم عن آخرهم فرحمهم الله اجمعين وكانوا يزيدون على الف رجل . ثم امر بالتوجه الى الشام وكان المشير عليه بذلك خاير بك

قال ابن اياس كان خاير بك مواليًا على السلطان في الباطن وكان اول من كسر عسكر السلطان وانهزم عن ميسرته وتوجه الى حماة ولما ملك ابن عثمان حلب ارسل خلفه فلما حضر خلع عليه وصار من جملة امرائه ولبس زي التراكمة العمامة المدورة والدلامة وقص ذقنه وسماه السلطان خاين بك لكونه خان سلطانه

رحيل السلطان سليم من حلب الى الشام

قال فى در الحبب فى اليوم العشرين من شعبان رحل السلطان سليم الى الشام فهرب من بقي من الجراكسة عند وصوله الى قاره فنزل بالقابون التحتانى فلاقاه علماء الشام واعيانها كما فعل الحلبيون اذ لاقوه فآمنهم وصلى بها الجمعة وتصدق بها سراً وعلنا ثم رحل منها الى الديار المصرية واستولى عليها وكان قد تسلطن بها الأمير طومان باي الدوادار الكبير وجرى بينهما حروب يطول شرحها بسطها ابن اياس وغيره ولما استولى عليها جعل فيها خاير بك نائباً عنه وبقي ان مات فيها سنة ٩٢٨

قال في در الحبب ثم ان السلطان سليما عاد من مصر الى الشام سنة ٩٢٣ وامر فيها ببناء تكية بالصالحية ثم الى حلب الا انه نزل بمرج دابق ثم سار الى تخته بالقسطنطينية وفى سنة خمس وعشرين ورد امره بسوق ستين رجلاً من تجار حلب الى طرابزون فحصل القبض عليهم في ليلة واحدة بحيث صاروا يأتون

باب الرجل فيطرقونه فيخرج وهو لا يشعر بما اريد به فيقبضون عليه ثم سيقوا اليها ثم ورد الامر بسوق من بها من الأعاجم الى القسطنطينية فسيقوا وبرز امره مرة اخرى بسوق بيوت كانوا بالقلعة الحلبية على ما كانوا عليه من المكث فيها فسيقوا اليها ايضاً الا من استثنى منهم كبيت الشيخ نور الدين محمود خطيب المقام

﴿ صفة السلطان سليم خان رحمه الله ﴾

قال ابن اياس اخبرني من رأى السلطان سليم شاه انه كان مربوع القامة واسع الصدر اقنص العنق مكرفس الاكتاف مترك (هكذا) الوجنتين واسع العينين دري اللون وافر الانف ملئ الجسد حليق اللحية ليس له غير الشوارب كبير الرأس عمامته صغيرة دون عمائم امرائه .

اول ولاة الدولة العثمانية بحلب واول قضاتها

لما استولى السلطان سليم خان رحمه الله على حلب جعل الوالي بها احمد باشا بن جعفر المشهور بقراجا باشا والقاضى كمال الدين ابن الحاج الياس الرومى الحنفي المشهور بابن الجكمكجي ذكر ذلك صاحب در الحبب في ترجمتهما

قال فى ترجمة قراجا باشا انه كان عادلا خيراً من اهل العلم ومن جملة تلامذة الجلال الدواني وهو الذى بعثه السلطان سليم الى السلطان الغوري وهو بحلب رسولاً مع بعض قضاة عسكره (هوزيرك زاده كما تقدم) وبعد عزله من كفالة حلب (يظهر ان ذلك كان بعد محاصرة جان بردى الغزالى لحلب في صفر سنة (٩٢٧) امره السلطان سليمان اول ما تسلطن بعد وفاة ابيه بسوق السفن المرساة عند ساحل البحر بالقرب من ودين من بلاد روم ايلي الى جهة بلغراد لأجل فتحها فساقها في سنة سبع وعشرين ثم شهد حصارها فقتل بها شهيد المكحلة اصابه حجرها

وقال في ترجمة كمال ابن الحاج الياس الرومي الحنفي كان اول قاض تولى قضاء حلب في الدولة العثمانية وذلك في عام اثنين وعشرين وتسعمائة وكان يعرف بابن الجكمكجي . وكان اول قاض انفرد بقضاء حلب واستقل به بعد تلك الدولة [دولة الجراكسة] التي كانت في آخرها بحلب وكذا بدمشق والقاهرة من المذاهب الأربعة قضاة اربعة وكان بها في الثمانمائة ايضاً قاض واحد على ماذكره الشيخ ابو ذر في تاريخه حيث قال نقلاً عن ابن حبيب ولي كمال الدين عمر بن العديم الحنفي في سنة عشرة وسبعمائة رفيقاً للقاضي الشافعي الأنصاري ولم يعهد لحلب سوى قاض واحد من قديم الزمان والى الآن انتهى

وكان القاضي كمال الدين (الجكمكجي) شهماً متمولا مقدماً على اجراء احكام الشرع مهيباً كثير الخدم والحشم يلبس الحسن ويهوى الوجه الحسن اهـ

(سنة ٩٢٦)

في هذه السنة في تاسع شوال كانت وفاة السلطان سليم خان رحمه الله وجلس بعده على سرير السلطنة ولده السلطان سليمان خان رحمه الله

ذكر محاصرة جان بردى الغزالى نائب الشام لحلب
ورحيله عنها

لما استولى السلطان سليم رحمه الله على دمشق جعل نائبها الأمير جان بردي الغزالى احد امراء الجراكسة قتال القرمانى ولما توفي وجلس على سرير السلطنة ولده السلطان سليمان خان وبلغ جان بردي الغزالى ذلك خرج عن الطاعة ورام ان يتسلطن بدمشق ونواحيها ولم يدر ان الدولة عنهم قد ولت وان السعادة قد ادبرت فجمع الجموع وحشد الحشود من طوائف الجنود وسار الى مدينة حلب

ليستولى عليها فحاصرها مدة ولم يقدر عليها وكان نائب حلب اذ ذاك قراجا احمد باشا فجد في دفعه واجتهد وكان غرضه ان يخرج من البلد ويقابل العدو ويقاتله الا انه خاف من اهل البلد لأنهم كانوا قريبي العهد من الجراكسة فلما رأى الغزالى انه لم يجد الى الدخول سبيلا عاد راجعاً الى دمشق فشرع في تحصين القلعة .

قال احمد بن زنبل المحلي ان جان بردي الغزالي قبل خروجه من دمشق منع الدعاء للسلطان سليمان في الخطبة وامر بالدعاء له وايضاً جعل السكة باسمه وتسلطن واطاعته العساكر واهل الشام وخطب له على منابرها وامر بالزينة فزينت له زينة لم يعهد مثلها مدة سبعة ايام ثم امر بالتبريز الى مدينة حلب ولفق عساكره من كل جنس من عرب ومن جركس ومن كرد ومن دروز ومن سفل العالم وممن لا خير فيه وخرج من دمشق في صحبة عظيمة من شرار الناس وممن لا يرتجي خيره ولما وصلت الأخبار الى نائب حلب وكان اميرا من صناجق السلطان سليم روميا لا قدرة له على تلك الجموع فما وسعه الا ان كتب بذلك الى السلطان سليمان بأن يرسل له عسكراً ترد الغزالى والا اخذت حلب من يدي وها انا محاصر الى ان يريد الله تعالى .

ولما وصل جان بردي الى حلب وجد ابوابها قد قفلت وطلع الناس على سورها فلما قرب منها رموا عليه بالمدافع والأحجار فأمر بالأقامة لأجل ان يحاصرها فمكث ثلاثة اشهر ولم يقدر على اخذها فدخل عليه الشتاء واشتد البرد فما وسعه الا الرحيل عنها ونوى انه ان جاء الصيف يرجع اليها ثم امر بالرحيل فأخذ عساكر حلب واهلها في شتمه وسبه ولعنه وهو يسمعهم ويسمع كلامهم وصياحهم وضحكهم عليه فرجع مخزياً مشتوماً مطروداً فلما وصل الى دمشق تفرقت تلك الجموع الى بلادهم وقد دخل عليهم الشتاء وقاسوا من البرد والمطر ما لا يوصف .

(سنة ٩٢٧)

قال القرمانى ولما بلغ السلطان سليمان ان جان بردي غدروخان، امر وزيره فرهاد باشا ان يسير مع جند الباب وجماعة من طائفة اليكجرية الى قتال الخارجي المذكور وعين معه امير الأمراء بروم ايلي واناطولى وقرمان اياس باشا بأن يسيروا بمن معهم من الجيوش وكان معهم ثمانية عشر من المدافع الكبار فلما سمع الغزالى بقدومهم خرج من الشام لأرض القابون مغتراً بشهامته وحسن رأيه طالباً لأخذ الانتقام من الأروام فاتفق ملاقاة العسكر بموضع يقال له المصطبة بأرض القابون وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر الخير سنة سبع وعشرين وتسعمائة فاندهك الخارجي بمن معه تحت ارجل الخيل فلم يعلم له ولجنوده اثر ولما وصل الوزير فرهاد باشا لم يجد من يقابله ويقاتله فدخل البلد ومهدها وفوض نيابة الشام الى اياس باشا المتقدم.

(سنة ٩٢٨)

(انقراض الدولة الدلغادرية من مرعش والبستان)

قدمنا في حوادث سنة ٩٢٢ ان السلطان سليمان لما استولى على مرعش بواسطة وزيره فرهاد باشا فوض امر نيابتها الى علي بيك ابن شاه سوار. قال القرمانى وفي سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ارسل السلطان سليمان فرهاد باشا الوزير امامه فلما وصل بقرب مدينة توقات ارسل الى علي بيك يدعوه اليه ليدبر معه فلما وصل اليه علي بيك مع ابنه البطل الصارم صارو ارسلان وعدة اولاد له قبض عليهم وامر بخنقهم فخنقوا ولم يبق منهم احد ودخلت بلادهم جميعها تحت تصرف الملوك العثمانيين فسبحان من لا يزول ملكه وكل شيء هالك الا وجهه .

وقد ذكرنا ان ابتداء دولتهم كان سنة ٧٤٥ وذكرنا ثمة ان اول من ظهر منهم قراجا ابن دلغادر فتكون مدة دولتهم مائة و ثلاثا و ثمانين سنة وقد ذكرهم على التتابع القرماني في تاريخه

(سنة ٩٢٩)

﴿ ضرب النقود الذهبية فى حلب ﴾

وجدت عند بيت الماركوبلى وهم من التجار الأجانب المتوطنين في حلب في خان العلبيه قطعة ذهبية اصغر من الربع المجيدى مكتوب على الطرف الواحد (سلطان سليمان بن سليم خان عز نصره ضرب في حلب سنة ٩٢٩) وعلى الطرف الثانى (ضرب صاحب العز والنصر في البر والبحر)

(سنة ٩٣٥)

ذكر تولية حلب لعيسى باشا حفيد الوزير ابراهيم باشا
وقتل قرا قاضى بالجامع الكبير

تفيد السالنامة الحلبية ان احمد قره جا باشا تولى حلب من سنة ٩٢٢ الى هذه السنة وقد قدمنا ان قرهجا باشا قتل سنة ٩٢٧ في بلغراد

وقد تتبعت كثيراً فلم اقف على من ولي حلب بعد احمد قرهجا باشا وقبل ولاية عيسى باشا الذى عين فى هذه السنة وكان سبب تعيينه قتل غوغاء الناس لقاضي حماة المشهور بقرا قاضى علي بن احمد علاء الدين الرومي وسبب ذلك كما قاله الحنبلي في در الحبب في ترجمته ان القاضى المذكور ولي كتـابة الأبل وتفتيش اوقاف حلب واملاكها والنظر على الأموال السلطانية فبالغ في جمعها وتثميرها حتى اخرج حكما سلطانيا بمنع توريث ذوى الأرحام من الشـافعية بخصوصهم وضبط التركة لبيت المال واراد ان يجعل ملح المملحة الذى صار مضبوطاً لبيت

المال اغلى من الفلفل قال لأن الناس احوج الى الملح منه ومنع من بيع حنطة كانت للخزائن الشريفة السليمانية في سنة كانت ذات قحط وهى سنة اربع وثلاثين ثم احضرته المنية الى الجامع الأموى بحلب يوم الجمعة خامس شعبان من السنة المذكورة فقامت غوغاء الناس وكثر طغامهم بعد صلاة الجمعة واخذوا فى التكبير عليه وقتلوه داخل الحجازية بالنعال والحجارة على وجه لم يعلم له قاتل معين وجروه بعد ان جردوه من ثيابه ليحرقوه فخلصه جماعة من اهل الخير ودسوه في ميضاة الى ثانى يوم ثم غسلوه وكفنوه ودفنوه ثم كان ما كان من تفتيش عيسى باشا الآتي ذكره على قاتليه على الوجه الذي سنبديه عند ترجمته

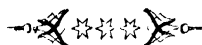
(قال ثمة) لما امر بالتفتيش بحلب على قتلة القاضي علاء الدين الرومى حضر اليها فى المحرم سنة خمس وثلاثين ونزل في الميدان الأخضر واحضر عنده سائر الأكابر من العلماء والتجار وحبس مشايخ المحلات وائمتها الا من عصمه الله تعالى ثم اطلق الائمة وقبض على ارباب الوظائف بالجامع المذكور الا من سلم لوقوع القتل فيه يوم الجمعة وشدد عليهم ووضع بعضهم فى السلاسل واخذ في الفحص عن المتهمين فمنهم من قرره ومنهم من اضطرب في جوابه ومنهم من عراه ليضربه فلم يقر ثم استخرج من السجلات بعضا آخر من ارباب التهم وجمع المتهمين عن آخرهم ثم امر بوضع جميع الحاضرين من الخواص والعوام في السلاسل فأخذ الأعوان فى ذلك فسامح في الخواص بعد ذلك الا انه لم يطلق احداً ذلك اليوم وبيتهم تلك الليلة هناك بحيث رجعت خيولهم الى دورهم وهم لايدرون ماذا يفعل بهم وفى ذلك اليوم لم يزل عسكره متسلحين واقفين بين يديه حتى ظن انه يضرب اعناق جميع الحاضرين ثم في ثانى يوم ارسل شرذمة من عسكره الى سجن حلب فاحضروا منه المتهمين بقتل قرا قاضى فاخر منهم للقتل جماعة

فوق العشرين وقتلهم في نهار واحد وسجن الباقين وبقي الاكابر من العلماء وغيرهم عنده الى عصر اليوم الثانى وهم في وجل عظيم بحيث لم يجسر احد من المتخلفين من اهل حلب على ان يأتي بخبر المرسم عليهم عنده من خير اوشر او يصل اليهم من بعيد ثم اطلق طائفة من الأكابر واخرى من المتهمين وابقى عنده العلماء ليلة ثانية ولكن مع الأكرام والاحترام في الغداء والعشاء ثم سجن بقلعة حلب فى سجنها وجامعها طائفة من العلماء وغيرهم بعد ان عين معهم طائفة من عسكره متسلحين يسوقونهم الى القلعة مابين ماش مربوط اليدين وآخر مسلسل العنق على وجه لايعلمون مآل امرهم ثم كان مآله ان ساق غالبهم الى رودس حتى اقاموا بها سنين ثم خرجوا منها بشفاعات وكفالات الا بعضا منهم ثم كانت وفاته بدمشق وهو بحسرة الوزارة التي كان يؤملها سنة خمسين . وبقية ترجمته تجدها في در الحبب

(سنة ٩٣٧)

(ذكر تولية حلب لموسى بك الخالدى ابن اسفنديار)

قال في السالنامة ولي حلب فى هذه السنة موسى بك الخالدى ابن اسفنديار قال فى در الحبب فى ترجمته هو موسى بك كافل حلب المشهور بابن اسفنديار الخالدى كأنه كان من ذرية خالد بن الوليد رضي الله عنه فيما ذكره لى وكان ترابيا يلبس الصوف ويتواضع لأهل العلم وتحاشا اصحابه عن كثير من المظالم ثم عزل عن حلب ثم حج بعد مدة فمر بها ثم غزا الكرج فقتلوه سنة تسع واربعين وتسعمائة



(سنة ٩٣٨)

(تولية حلب لخسرو باشا صاحب المدرسة الخسروية)

قال فى السالنامه ولي حلب فى هذه السنة خسرو باشا قال فى در الحبب فى ترجمته ولي كفالة حلب في الدولة العثمانية وانشأ بها حوضه الذي شكره عليه كافة اهلها لوقوعه بجوار جامع دمرداش فى محل وقع فيه الاحتياج اليه ثم ولي كفالة مصر سنة احدى واربعين عوضا عن سليمان باشا الخادم ثم صار وزيراً رابعاً بعد ان صار سليمان باشا الخادم وزيراً اعظم فوقع بينهما بالديوان العالى قيل وقال والخنكار (السلطان) يسمع من مكان عال فاحضرهما فلم يتأدبا فعزلهما معا فحصل لخسرو باشا حالة صار يقطع فيها اكامه بأسنانه تقطيعاً ومات قبل الأسبوع وكان قبل الوفاة قد امر عتيقه فروخ كيخيا ان ينشئ له بحلب جامعاً وتكية واتم عمارتها سنة احدى وخمسين وتسعمائة وبعد وفاته جدد له خاناً (١) وسوقاً يكونان وقفاً على جامعه وتكيته وادخل من ادخل فى حدود الخان مسجداً قديما كان يعرف بمسجد البهائى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اه وقال في در الحبب في ترجمة فروخ ابن عبد المنان الرومى الخسروى مولى خسرو باشا الوزير الرابع في الدولة السليمانية كان كتخداه وهو كافل حلب فلما تولى الوزارة امره بانشاء جامع وتكية بها فقام بانشائها بمشارفة معمار رومى نصراني ولكن بعد ايذاء المعمارية بالضرب وغيره وادخال عدة اوقاف فيها منها الدار التى عمرها واوقفها المحب ابو الفضل ابن الشحنة والمدرسة الأسدية الملاصقة لها ومسجد ابن عنتر الملاصق لها وكانت هذه الدار احد دور حلب العظام مشتملة كما ذكره منشئها فى تاريخه على جنينة وبحرة وسبع قاعات بل كان بها

(١) هو الخان المعروف الآن بخان قورت بك الواقع فى محلة السويقة

فرن يشتغل بها وطشتخانات واصطبلات تليق بها وآبار لخزن الغلال ودهليز يصل الى حمامه المشهور بحمام القاضي واتفق فى هذه المدرسة ان جعلت ميضاة للتكية المذكورة ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . واتفق فى محرابها عند تخريبه ان وجدوا تحته صندوقاً من الحجر طوله ازيد من ذراع وعرضه نصف ذراع وفيه تراب لونه بنفسجي لم يدروا ما هو وفي اعمدة التكية المذكورة عمودان كانا للمدرسة المقدمية الكائنة بزقاق سلار بحلب فاخذهما ومتوليها اذ ذاك محمد جلبي ابن المرعشى ولم ينتطح فيها عنزان . ثم ساق بقية ترجمة فروخ وذكر ان وفاته كانت سنة ٩٦٩ وهو مع السلطان سليم الثاني فى قتال اخيه السلطان بيازيد .

﴿ الكلام على الخان المعروف بخان قورت بك ﴾

اقول موقع هذا الخان الذى من جملة اوقاف المدرسة الخسروية فى المحلة المعروفة بسويقة علي وهو خان عظيم البناء متسع الأرجاء لم يزل بناؤه قائماً من عهد الواقف وقد كان فى يد دائرة الاوقاف تؤجره وتؤجر الحوانيت التي اخرجت من جداره الشرقى وتصرف ريعه فى مصالح المدرسة المذكورة الى السنة الماضية وهى سنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٤ م ففيها تلقت الحكومة امراً من المفوض السامي للجمهورية الأفرنسية فى سورية ولبنان وهو (ويغان) بلزوم تسليم الخان الى ورثة شكرى البليط من الطائفة المسيحية فى حلب وهذه صورته

قرار رقم ٢٢٥٦

المادة الأُولى — ان مستغلة خان قورت بك التابعة لوقف خسرو باشا الكائنة فى نفس حلب ترد الى ورثة شكرى البليط تحت الشكل المسمى اجارتين ويعطى لهم

بذلك سندات من دائرة تسجيلات الأملاك (الطابو) من طرف مأمور الدفتر الخاقاني
المادة الثانية — يرد العقار بلا مقابل وبالحالة الموجودة فيها وان هذه المعاملة لا تقيد معجلة بل مؤجلة وذلك اعتباراً من تطبيق هذا القرار . وفقاً للأحكام كل دعوى تقام من طرف ورثة شكري البليط على ادارة الأوقاف اما بطلب البدلات المدفوعة قبل هذا القرار او بطلب تضمينات وخلافه تعد غير مقبولة
المادة الثالثة — يوضع هذا القرار موضع الأجراء اعتباراً من ٥ شباط سنة ١٩٢٤
المادة الرابعة — امين السر العام والمندوب لدى المراقبة العامة ومراقب الأوقاف الأسلامية العام مكلفون بتنفيذ هذا القرار بيروت في ٢٨ كانون ثاني سنة ١٩٢٤ المفوض السامي ويغان

وهنا دائرة الأوقاف قد اضطرت بمقتضى هذا القرار ان تسلم الخان مع جميع مشتملاته اعتباراً من التاريخ المتقدم الى ابناء البليط .

ونحن نبين ملخصاً الأسباب التي دعت الى تسليم هذا الخان الى ابناء البليط فنقول في سنة ١٢٦٦ كان المتولي على وقف خسرو باشا محمد انيس الخسروى فاستأذن من المحكمة الشرعية ان يؤجر هذا الخان على طريقة الأجارتين وبين ان العقار تهدم من تأثير زلزلة سنة ١٢٣٧ وان ايراد الوقف لا يكفي للترميم اللازم فأذن له قاضي حلب (عامله الله بما يستحق) وآجر ثلاثة ارباعه بالأجارتين الى نسيبة بنت عبد المجيد والربع الباقي الى زكى بك شريف ابن الحاج شريف وذلك في شوال من هذه السنة . وفي المحرم من سنة ١٢٦٧ فرغت نسيبة حصتها لأحمد نظيف ابن سليمان وهو فرغ تلك الحصة في شوال سنة ١٢٧٣ الى ابنه احمد بك وابنته خديجة وهذان مع زكى بك صاحب الربع فرغا العقار كله في ٢٧ ايار سنة ١٢٨٧ الى شكري البليط بمبلغ معجل هو ٧٥ الفاً وببدل مؤجل سنوي هو

الف قرش يوازى البدل المعجل المدفوع سلفا وبوفاة البليط سنة ١٣٠٣ انتقل العقار لأسم ورثته وحررت سندات طابو باسمهم بحجة ان حقوق تصرف البليط هي بمقتضى الفراغة المتعاقبة التي جرت

ثم اقام علي رضا افندى الزعيم الذى صار متولياً على اوقاف خسرو باشا دعوى لدى المحكمة الشرعية على ابناء البليط مبيناً اغتصابهم لهذا العقار الوقف وعدم صحة هذه الأجارة لان البناء قائم من عهد واقفه وآثار القدم تظهر عليه لأول نظرة وليس هو عبارة عن مكان خرب تماماً ولا يعطى ادنى ايراد كما ذكر متوليه محمد انيس الخسروى وكما شهد لذلك بعض الشهود. وبعد محاكمات طويلة اصدرت المحكمة الشرعية في ١٩ شعبان سنة ١٣١٤ حكماً شرعياً ببطلان معاملة الأجارتين نظراً لمخالفتها لحقيقة الحال فى هذا البناء ولزوم اعادة الخان لدائرة الأوقاف وعندئذ تداخلت القنصلية الأفرنسية في حلب والسفارة الأفرنسية في الأستانة فحول الصدر الاعظم [في الآستانة] المسألة الى شورى الدولة واصدر الى ولاية حلب امراً بتأجيل تنفيذ الحكم بكتاب فى ١٠ ايار سنة ١٣١٤ وعلى هذه الصورة ظلت القضية متوقفة حتى سنة اعلان الدستور (١٣٢٤ - ١٩٠٨) ففيها اعيدت تلك القضية الى بساط البحث وتبودلت بشأنها المراسلات العديدة بين الصدارة العظمى ووزارة العدلية ونظارة الأوقاف والمشيخة الأسلامية فى الآستانه واخيراً قرر وجوب تنفيذ الحكم فنفذ سنة ١٣٢٨ واعيد الخان مع مااشتمل عليه الى دائرة الأوقاف وبقى في يدها الى السنة الماضية ففيها سلم الى ورثة البليط كما قدمنا

والناس هنا قد تلقوا هذا القرار وتسليم الخان الى ابناء البليط بملء الدهشة وعظيم الاستغراب لأن ذلك من وظائف المحاكم الشرعية والعدلية ورفعوا

بذلك عدة عرائض الى حاكم مدينة حلب الحالي سعادة مرعي باشا الملاح محتجين على هذه المعاملة المخالفة للشرع والقانون العثماني بل لقوانين الأمم جميعها

تشبث سعادته في هذه القضية

لما رفعت اليه تلك العرائض كتب لفخامة الجنرال ماترجمته :

اتشرف بأن اقدم لحضور فخامتكم ثمان عرائض خمسة منها وردت لي قبل ثلاثة ايام والثلاثة الأخيرة منذ يومين بتوقيع المئآت من المشايخ والوجهاء وطلاب العلوم ورؤساء المحلات ينتقدون فيها امر تسليم خان قورت بيك الى ورثة شكري البليط واني ارى ان هذا الأنتقاد هو في محله من اوجه

اولاً ان قلب هذا الخان من حالة الأجارة الواحدة الى الأجارتين كان غير صحيح لأن العقار الموقوف ذا الأجارة الواحدة لا يجوز قلبه الى اجارتين الا اذا تهدم تماماً وكان لا يوجد في الوقف المربوط به ما يساعده على تعميره وارجاعه الى حالته الأصلية مع ان بناية الخان المذكور الموجودة تحت المشاهدة تعلن بأنها قديمة ولم يطرأ عليها خراب ما

ثانياً ان متولي الوقف كان اقام دعوى على الورثة المومأ اليهم واستحصل حكماً شرعياً صودق عليه من مرجعه الأيجابي وهو مجلس التدقيقات الشرعية وبهذه الصورة قد صار هذا الحكم قضية محكمة لامسوغ لأبطالها لا شرعا ولا قانونا

ثالثاً ان هذه المسألة كانت وضعت على بساط البحث في مجلس الأوقاف الأعلى الذى انعقد في الشام سنة ١٩٢٢ م وقد تقرر في القرار رقم ٤٠ من مقررات هذا المجلس رد طلب الورثة المومأ اليهم وقد جرى التصديق على جميع هذه القرارات ومن جملتها القرار المذكور من قبل مندوب المفوض

السامي لدى مراقبة الأوقاف الأسلامية حضرة الموسيو جناردي وطبعت هذه المقررات ونشرت في كافة انحاء سورية . ثم وضعت هذه القضية في جلسة المجلس المشار اليه في ٩ حزيران سنة ١٩٢٣ فصدر قرار نمرة (٣١) يصرح بأنه لم يُر امر جديد يوجب تعديل القرار السابق ذي الرقم (٤٠) وان ما ذكر في كتاب حضرة المندوب من وجود ارادة سنية تقضي بقاء الحكم المذكور بلا تنفيذ لم يظفر بها بين الأوراق المذكورة بل ذكر في اواخر قرار الشورى العثماني المؤرخ في ٢٩ تشرين الأول سنة ١٣٢٨ ما يفهم منه عدم وجود ارادة سنية بتأخير التنفيذ فلم يبق صلاحية لمجلس الأوقاف الأعلى للبحث في المسئلة المذكورة مرة ثانية وعليه تقرر اعادتها لحضرة المندوب المشار اليه

وبناءً على ما ذكر فأني اعتقد ان القرار الصادر اخيراً بلزوم تسليم الخان المذكور للورثة الموما اليهم قد حصل من باب السهو . نعم يمكن ان يقال ان الورثة الموما اليهم والأصح ان مورثهم قد تضرر في هذه القضية حباً للعدالة التي تخلص الذمة امام الله يمكننا ان نقول في مثل هذه الحالة ان الجهل معذرة وبناءً عليه يلزم ان يحسب ما كان دفع بدلاً عن استفراغ هذا الخان وما صرف على ما جدد فيه ومقابلة ذلك ما استغلوا من آجاره مدة وجوده تحت يدهم وحساب فائض قانوني لهاتين الجهتين ويعوض على الورثة ما يظهر لدى الحساب انهم خسروه بأعتبار هذه النتيجة من غلة الوقف ويبقى الخان المذكور لواقفه كما هو الحكم الشرعي الذي لا يقبل الأعتراض فأن تحسن لدى فخامتكم ما عرض تكرموا بأجراء الأيجاب اه في ٢٧ شباط سنة ١٩٢٤

والجنرال ارسل هذه اللائحة الى الموسيو جناردي مندوب المفوض السامي لدى

مراقبة الأوقاف الأسلامية العامة فكتب لائحة طويلة الذيل ذكر فى اولها اصل القضية والمحاكمات التى حصلت فيها الى ان اكتسبت دائرة الأوقاف الدعوى في هذا الخان بصورة قطعية ثم قال

ان البيان المسرود اعلاه يثبت بصورة لا ترد ان حقوق ورثة شكري البليط قد ماتت ولم يبق في الأمكان احياؤها لأن ادارة الاوقاف وهي واضعة اليد بموجب حكم مكتسب الدرجة القطعية منفذ قطعى غير قابل للأعتراض ولا يمكنها اجابة مدعيات الورثة الذين يطلبون الغاء الحكم المذكور مع جميع نتائجه الحقوقية (اعادة تسليم الخان والعطل والضرر ودفع بدلات الآجار التى حصلتها دائرة الاوقاف الخ)

ولكن من الجهة الثانية من الممكن التسليم بحجة مجلس الشورى بدون احداث سابقة وخيمة . ان صدق نية آل البليط في هذه القضية لا يقبل الشك فهم قد صرفوا ماكانوا يملكون اعنى ٢٠ الف ليرة ذهباً لأجل ترميم العقار وتوسيعه واغلب الظن انهم لو خامرهم ادنى ريب فى صحة حقوقهم لما كانوا انفقوا مبلغاً هذا مقداره فضلاً عن ذلك كما اعترفت القرارت التى اصدرها مجلس شورى الدولة سنة ١٣٢٦ ان ورثة البليط لم يكن في استطاعتهم في ذلك الحين ومن باب اولى الآن ان يثبتوا حقوقهم ويحصلوها من البائعين او ورثتهم ومنهم من توفي ومن هو غائب ومن لا يملك شيئاً

ثم قال ومن وجهة أخرى ان التسوية المعتكر بها يقتضى فيهما طرح سؤالين مقدماً وهما

(١) هل توقيف حكم حقوقي مطابق للأحكام القانونية (٢) هل لمفوض الجمهورية الأفرنسية السامى السلطة اللازمة لأتخاذ قرار كهذا

الجواب على السؤال الاول لا مجـال فيه للشك ان مجلس الشورى العثماني وهو الهيئة العليا لتأويل القانون في تركيا قد اعترف للسلطـان بحق توقيف مفعول مكتسب الدرجة القطعية وهو حق ايده التعامل المتعارف وايدته التقاليد فضلاً عن ذلك هذا التعامل لا يناقض احكام المجلة على ما يلوح لى ثم قال

اما الجواب على السؤال الثانى فلا يقل عن الاول وضوحاً ان بلاد سورية لم تزل خاضعة للنظام الساري على بلاد العدو المحتلة وذلك الى ان يبرم الصلح. ومفوض الجمهورية الأفرنسية يستجمع فى شخصه جميع انواع سلطة الجمهورية الأفرنسية الدولة المحتلة فهو اذاً بحسب اصول الحق العام والاتفاقات الدولية يمارس سلطة الفعل القائمة مقام سلطة القانون ضمن الكيفية المحددة في المواد ٤٣ وما يليهـا من القانون الملحق بأتفاق لاهاي سنة ١٩٠٧ وهو حائز الصلاحية على الأخص لاتخاذ كل قرار هو من صلاحية السلطة الشرعية ما عدا ما منع اتخاذه بموجب القانون الآنف الذكر ولا سيما فى ما يتعلق بالأملاك العائدة للدولة يجوز اتخاذ اي قرار بشأن التصرف بها واستقلالها بشرط ان لا يأمر بأصدار احكام قطعية

فالأوقاف الملحقة بادارة الحكومة تدخل ضمن هذا الصنف من الأملاك (ماشاء الله) والمفوض السامي يجوز له ان يأمر او يأذن حسب الأحكام القانونية المرعية بأجراء اي من الاعمال التي تتعلق بأحكام التصرف

فالوسيلة المقترح اتخاذها لا ينجم عنها انها تؤدى الى بيع الرقبة حتى ولا انتقال التصرف ولكنها فقط عبارة عن احداث حق عقاري لمنفعة شخص ثالث يتضمن حق الاستئجار الدائم الذي تظل صحته مشترطاً فيها ان يدفع هذا الشخص الرسوم المحددة فى القانون   الأمضاء   جناردي

اقول هذا ما استند عليه الموسيو جناردى فى لزوم تسليم الخـان ومشتملاته الى

ابناء البليط وكل ذلك كما ترى بالبداهة امور واهية لا اعتبار لهـا فى نظر احكام الأوقاف الأسلامية والقوانين العثمانية المرعية ويستغرب منه جداً اعتباره الاوقاف الملحقة بادارة الحكومة من قبيل الأملاك العائدة للدولة وتجويز اتخاذ اي قرار بشأن التصرف بها

وهذه اللائحة اعيدت للجنرال ومنه لحاكم حلب سعادة مرعي باشا الملاح مرة ثانية فكتب رداً عليها مايأتي

انشرف ان اجيب على المذكرة الصادرة عن الموسيو جناردي الواردة مع كتاب فخامتكم المؤرخ في ١ آذار سنة ١٩٢٤ بما يأتي

١ ان تعريف الغصب نظراً للأحكام الشرعية هو ازالة اليد المحقة ووضع اليد غير المحقة بأي صورة كانت

٢ ان قلب عقار موقوف قائم البناء من الأجارة الواحدة الى الأجارتين لامسوغ له واساساً لا يوجد حكم شرعي يجوز قلب العقار الموقوف من الأجارة الواحدة الى الأجارتين انما جوز ذلك خلافاً للقياس على ضرورة عدم وجود غلة تمكن من تعمير ما خرب من العقارات الموقوفة

٣ ان الفراغ وقع باسم شكري البليط كما وان المومى اليه كان خصماً فى الدعوى التي اقيمت عليه من قبل احد ورثة فارغي هذا الخان قبل اربعين سنة تقريباً في محكمة بداية حقوق حلب واستؤنفت فى محكمة استئنافها وان المراجعات الأخيرة واقعة من قبل ورثة شكرى البليط كل ذلك ينفى قول الورثة المومى اليهم بان بطريركية الأرمن الكاتوليك هي ذات علاقة بالخان المذكور واما ذكرهم لذلك فى وقته كان ناشئاً عن الأمل بمداخلة البطريركية المشار اليها كي يتمكنوا من امتلاك الخان المذكور وبالفعل تداخلت البطريركية

المشار اليها بالأمر والتجأت الى سفارة دولة فرانسة الفخيمة في الأستانة وبهذه الواسطة كان الصدر الأعظم وقتئذ ابرق الى والى حلب بتأجيل تنفيذ الحكم الصادر بتسليم الخان المذكور الى دائرة الأوقاف في حين ان الصدر الأعظم لا يملك هذه الصلاحية ولا يمكن تأويل ذلك بسوى ان الصدر الاعظم اراد ان يكسب وقتاً لغاية لا يعلمها غيره لأنه ليس الصدر الاعظم فقط بل السلطان ذاته ليس نائلا هذا الحق من قبل الشرع الاسلامى

٤ ان وقوع الفراغ بأجازة من المتولي وبالتواطئ مع بعض اعيان حلب ليس له قيمة شرعية ولا يسوغ اجازة قلب الخان المذكور من الأجارة الواحدة الى الأجارتين

٥ ان بين تاريخ ٢٧ ايار سنة ١٢٨٧ الذي هو تاريخ تصرف شكرى البليط وبين صدور الحكم عليه ببطلان معاملة الأجارتين في شعبان سنة ١٣١٤ بقطع النظر عن تاريخ تقدم هذه الدعوى لم يمر ازيد من سبع وعشرين سنة وكما هو معلوم ان الدعاوي المتعلقة برقبة الوقف هي ستة وثلاثون سنة كما هو مصرح بذلك في المادة (١٦٦٢) من المجلة الجليلة

٦ ان الشريعة الاسلامية لم تمنح السلطان حقاً بأن يوقف تنفيذ حكم صدر واكتسب الدرجة القطعية وبناء عليه فأن ما اتى به مجلس الشورى من انه يجوز تأجيل الحكم بأمر من السلطان لم يكن الا لأجل التخلص من المراجعات لانه يعلم حق العلم لا بل علم اليقين بأنه ليس فى امكان السلطان ان يصدر مثل هذا الأمر والدليل القطعى على ذلك انه مع تداخل سفارة دولة فرانسة الفخيمة والبطريركية لم يصدر هكذا امر لانه غير ممكن ولا مسبوق فى دور من ادوار الحكومة الأسلامية

٧ واما القول بأنه لو اقام ورثة البليط دعوي على فارغي الخان المذكور فأنه يستحيل عليهم ان يستعيدوا حقوقهم نظراً لأن الفارغين منهم من هو متوف ومنهم من هو غائب فانه صحيح الآن اما في السابق اعنى قبل اربعين سنة لما اقيمت الدعوى على مورثهم كما سبق البيان آنفاً وعلم انه غير محق بحبس الخان بيده بصورة الأجارتين فانه كان من الممكن ومع ذلك فان هذا امر لا يتعلق بالوقف بصورة من الصور

٨ واما ادعائهم بأنهم صرفوا على ترميم الخان وتوسيعه مبلغ عشرين الف ليرة ذهباً فهذا مما تنفيه حالة الخان التى تحت المشاهدة ولأن مبلغ عشرين الف ليرة قبل الحرب العامة كان يكفى لأعمار خانين مثل هذا الخان بما فيه العمارة القديمة والحديثة

وفى الختام اعرض لفخامتكم بأننى لا أجد حلاً وحيداً عادلاً لهذه المسألة سوى ما كنت عرضته على فخامتكم بكتابى المؤرخ فى ٢٧ شباط سنة ١٩٢٤.اهـ

٢٦ آدار سنة ١٩٢٤ التوقيع

ثم كتب للجنرال جواباً آخر ونصه يا ذا الفخامة

انشرف بأن اعرض لفخامتكم جوابى على مرسومكم العالى تاريخ ٩ آب سنة ٩٢٤ رقم ٤٩ :١٠٠٧ كما كنت عرضت لفخامتكم بعريضتيَّ تاريخ ٢٧ شباط و ٢٦ آدار رقم ١٤٧٢٦/٣٠١ ١٥٣٤٨/٤٥٢ بخصوص خان قورت بيك ان هذه القضية قد حسمت بحكم من المحكمة الشرعية بحلب وصودق عليه من مجلس التدقيقات الشرعية للحكومة العثمانية وقد راجع ورثة شكري البليط مراجعات متعددة بطرق مختلفة فلم يمكن للباب العالى ولا لمجلس شورى الدولة ولا لوزارتى العدلية والأوقاف ولا المشيخة الأسلامية ابطال هذا الحكم ونهاية ما امكن ان ابرق

الصدر الأعظم الى والى حلب بتأجيل تنفيذ الحكم
ولكن عند اعادة المشروطية العثمانية تنفذالحكم المذكور الواجب التنفيذ وسلم الخان المذكورلدائرة الأوقاف واخيراً لما راجعت الورثة وصدر قرار فخامة المفوض السامي بهذا الخصوص عرضت ملاحظاتى فى الكتابين الآتي العرض وحيث الى الآن لم اتلق امراً على هذه الملاحظات فلا يمكنني ان اجيب ذوى العلاقة بشيئ اه في ١٤ ايلول سنة ١٩٢٤

هذا ما وصلت اليه قضية هذا الخان بسطناها بقدر الأمكان لأهميتها ولتوجه الانظار للوقوف على حقيقتها وسيرها. واعتقادنا ان دائرةالأوقاف ستهتم كذلك بشأنها وتوجه عنايتها التامة اليها ولنا واسع الامل ان دولة الأنتداب الأفرنسي تصغى لنداء الحق وتجيب اليه فتعيد هذا الخان لدائرة الاوقاف على الطريقة التى ارتآها سعادة حاكم حلب ويكون ذلك برهانا ناصعا على حبها للعدالة ومحافظتها الحق لاربابه ورغبتها الصميمية في كل مايعود على هذه البلاد بالخير والنجاح

الكلام على المدرسة الخسروية

اقول موقع هذه المدرسة في منتهى المحلة المعروفة بالسفاحية وفي شرقيها المدرسة السلطانية الواقعة تجاه باب القلعة بينهما طريق واسعة . وقبليها الزاوية المعروفة بزاوية الشيخ تراب وقد وقف عليها الواقف خسرو باشا ومصطفى باشا ابن سنان باشا اخى الواقف اوقافاً هائلة تبلغ نحو ٣٠٠ عقار يطول الشرح لو ذكرناها وذكرنا شرط وقفها ومعظم الأماكن المجاورة لها هي وقف عليها ولها اوقاف في مدينة عينتاب ودمشق ذلك غير القرى والمزارع التى هي حول حلب وقد استولت ايدي المتغلبين على هذه الاوقاف الكثيرة ومزقتها كل ممزق ولم يبق منها الآن سوى الخان المتقدم الذكر والحمام المعروفة بحمام النحاسين

وكانت تعرف قديما بحمام الست والقاسارية الكائنة امام الحمام المعروفة بحمام البيلونى وقد كان بعضها خرباً وبعضها مشرفاً على الخراب فجددها مدير الاوقاف الحالى السيد يحيي الكيالى وجعلها خاناً ذا طابقين على جانبي بابه الواسع اربع حوانيت واسعة واخرج عشرة دكاكين وخانا صغيراً من اصل الخان العظيم السالف الذكر وذلك سنة ١٣٤١

وقد شرط الواقف رحمه الله ان يكون المدرس بها حنفي المذهب واول من درس بها العلامة تاج الدين ابراهيم الصونوي ثم مفتى حلب العلامة نصوح افندي ابن يوسف الأرنؤطي المتوفى سنة ٩٨١ ثم تعاقب عليها المدرسون فكان ممن تولى التدريس بها العلامة ابو اليمن البترونى مفتى حلب والعلامة محمد بن الحسن الكواكبي وولده العلامة احمد افندى ثم ولده ابو السعود ومنهم العلامة محمد بن يوسف الأسبيرى المتوفى سنة ١١٩٤

ومن الذين تولوا الخطابة في جامعها العلامة عبد اللطيف الزوائدي المتوفى سنة ١١٣٢ وبعد وفاته تولى الخطابة بها العلامة حسن بن على الطباخ المتوفى سنة ١١٤٠ ولم اقف بعد ذلك على من تولى التدريس بها والخطابة والذى يغلب على الظن ان امرها كان جارياً على السداد الى ان حصلت الزلزلة العظمى بحلب وذلك سنة ١٢٣٧ وتخرب في الشهباء كثير من الاماكن ومعظم هذا الخراب حصل في الأبنية التى هي تجاه باب القلعة وامتد الى محلة ساحة الملح والقصيلة وساحة بزه فذهب كثير من الأبنية التي كانت موقوفة على هذه المدرسة من اسواق ودور وخانات ومن ذلك الحين اختل امر التدريس فيها واهمل امر هذا الجامع وما اشتمل عليه وصار مأوى للغرباء والفقراء وللعسكر في بعض الأحيان وصارت الحجر التي فيه تتداعى الى الخراب وبقي ذلك الى اول هذا القرن فاهتم جميل باشا

والى حلب بشأنه بعض الاهتمام ورمم قبلية الجامع وذلك في نواحي سنة ١٣٠٢

ولما استعيد الخان المتقدم الذكر وذلك بمساعي استاذنا المفضال الشيخ رضا الزعيم الدمشقي رحمه الله وصار يجتمع لديه كل عام شيئ من غلة اوقاف المدرسة اخذ في ترميم المدرسة التي عن يمين القبلية ثم جدد حجر المدرسة التي عن يسارها الا انها لم تكمل وجدد الرواق الشمالي جميعه على الهيئة التي نراها اليوم وقد كان ذلك سنة ١٣٣٠ كما هو مكتوب على حجر على القنطرة الوسطى التي هي تجاه الباب الشمالي

ولما حصلت الحرب العامة وذلك سنة الف وثلاثمائة وثلاث وثلاثين وشغل هذا المكان بالعساكر والذخائر كما شغل غيره من المساجد والمدارس والمعابد ثم شغل بعد انتهاء الحرب العامة وذلك سنة ١٣٣٧ ببعض فقراء المغاربة والجركس وصاروا يتخذون اطعمتهم داخل الحجر اسودت جدرانها من الدخان والاوساخ وتعطلت فيها القشرة الكلسية وداخل البناء بعض الوهن .

وصف القبلية والجامع والمدارس التي فيه

هي مربعة الشكل طولها نحو ١٦ مترا وعرضها كذلك وعرض جدرانها ازيد من مترين ولعله لذلك لم تؤثر فيها الزلزلة التي حصلت سنة ١٢٣٧ وخربت الأبنية التي حولها يتخلل جدرانها الأربع عشرة شبابيك واسعة جداً يسع الواحد منها فراشاً مفروشا وكلها من الرخام الأسود والأصفر وفوق كل قنطرة منها موضوع الرخام القاشاني البديع الألوان والصنعة على شكل نصف دائرة يروق الناظرين جداً والمحراب ذو قطع كثيرة من الرخام الملون الاسود والابيض والاحمر يعلوه تاج حسن الوضع والصنع وعن يمينه منبر كبير مرتفع جداً من الرخام الاسود والاصفر واحجار طرفيه ومجنبتيه ضخمة مرخمة ترخيما بديعاً على نسق واحد ينبئك

عن عظيم عناية اهل ذالك العصر في فن العمارة وقبة المنبر على شكل مخروطي وهي مبلطة من جهاتها الأربع بالقاشاني البديع

والسدة المعدة للمبلغين مبنية على عشرة عواميد رفيعة ستة من الرخام الاصفر واربعة من الرخام الاسود ومن السدة تصعد في درج من داخل الجدار فتخرج منه الى ممشى عرضه ذراع على استدارة القبلية وهو مبني على ثمان قناطر مرتفعة مبنية على تلك الجدران الضخمة وفوق هذه القناطر قبة القبلية وهى قبة واحدة يبلغ ارتفاعها نحو ٢٠ مترا كتب في دائرها اسماء الله الحسنى وزينت مع وسط سقفها بالدهانات اللطيفة وفوق قنطرة المحراب والجدارين الشرقي والغربي ثلاث نوافذ من الزجاج الملون ذا قطع صغيرة كثيرة حفظت بالطين المعروف بالجبسين وجميعه منقوش نقشا بديعاً ابقته الأيام على حالته التي عليها الا بعض اماكن منه فقد لحقها بعض التوهن وباب القبلية مبني بالأحجار الملونة وكتب على قنطرته (عمر فى دولة مولانا السلطان الأعظم والخاقان المعظم سليمان عز نصره وانشاه الوزير خسرو باشا رحمه الله سنة ٩٥٢) وهذان البيتان

حرم التقوى الذي من امه * فهو في أمن به قد حرسا
معبد فى حلب تاريخه * مسجد مشرف قد اسسا ٩٥٢

وعلى طرفي مدخل الباب تحت قنطرته العظيمة عامودان من الرخام منقوشان نقوشا بديعة ويتخلل تلك النقوش الأصباغ البديعة المتقنة لذا ابقتها الأيام المتطاولة الى الآن وعن يمين القبلية ويسارها حجرتان واسعتان لكل واحدة منهما بابان باب من داخل القبلية وباب من صحن المدرسة وقد اعدتا الآن للتدريس وبجانب الحجرة اليمنى منارة الجامع وهي عظيمة الأرتفاع مستديرة الشكل على طرز منارات الآستانة وتحت موقف المؤذنين كان نحو ذراع منه مبلطاً بالرخام القاشاني

والآن ذهب معظمه وبقي منه نحو ذراع ونصف على ضلعين من اضلاع المنارة ٠ وامام القبلية على طولها وطول هاتين الحجرتين رواق عظيم الارتفاع ايضاً فيه ست قبب تحتها ستة اعمدة ضخمة ثلاثة منها من الحجر الازرق وثلاثة من الحجر الأبيض والبناؤن يعجبون لحسن هندسة قناطر الرواق وباب القبلية وقبته وما حواليه وصحن الجامع واسع جداً وله ثلاثة ابواب واحد من الجهة الغربية وواحد من الجهة الشمالية وهذا قد كان مسدوداً والبناء الذى امامه وهو عبارة عن سوقين شمالي وغربى كانا من جملة اوقاف الجامع باعهما منذ ستين سنة بعض من لاخلاق له من التجار المتزيين بزي اهل الصلاح كان متصلاً به ولا طريق هناك فسعى في فتحه منذ عشرين سنة مفتى حلب الشيخ محمد العبيسى ومن ذلك الحين اتصل الطريق الذي يأخذ بك الى المدرسة السلطانية

وقد اتخذ هذين السوقين مع العرصة التى هي جنوبى السوق الشمالى وشرقى السوق الغربي من اشتراهما وهم بيت الماركوبلي من التجار الأيطاليين المقيمين منذ زمن بعيد خاناً كبيرا ويعرف هذا المكان وهذا الخان بالشونة

والباب الثالث هو من الجهة الشرقية تصعد اليه من صحن الجامع بدرجات

﴿ النهضة العلمية فى الشهباء واحياء هذا المعهد بالعلم ﴾

كانت الشهباء في اوائل هذا القرن مزدانة ببعض العلماء فكانوا بها نجوماً يهتدي الناس بهم ويفزعون فى مهماتهم اليهم وكان ينتقل الواحد منهم تلو الواحد الى الدار الآخرة ولا نجد له خلفا لزهد الناس فى العلوم الدينية وعدم الاقبال عليها لأسباب متعددة منها ان قضاة البلاد كانوا يعينون من الآستانة ومنها ان لغة الدواوين والتعليم كانت باللغة التركية ومنها قلة رواتب الطلاب واهل العلم

بحيث اصبحت لا تفي بالضروري من المعيشة ومنها ترك الامتحان الذي هو من اعظم الامور التي تدعو الطالب الى الأجتهاد ومنها التساهل في اعطاء وظائف الآباء للأبناء حتى صارت كأنها سلعه تباع وصار العلم كأنه تركة تورث وعندي ان هذا السبب هو اعظم الأسباب التى قضت على حياة العلم وقوضت اركانه لا في هذه البلاد بل في الكثير من البلاد الأسلامية وزاد في الطين بلة اخذ طلاب العلوم الدينية الى الخدمة العسكرية في الحرب العامة التى حصلت سنة ١٣٣٣ بعد ان كانوا معفيين منها الا من التجأ لأمامة او خطابة في بعض الجوامع او المساجد فكان ذلك الضربة القاضية على البقية الباقية

هذه الأسباب وغيرها كانت عوامل مؤثرة تنذرنا بسوء المصير ووخامة العاقبة وانها اذا دامت سنين قلائل وذهب ما بين ظهرانينا من بقية العلماء الذين اصبحوا في الشهباء الآن لا يبلغون عدالأصابع تصبح هذه البلدة العظيمة وما حولها مقفرة من العلم خاوية من اهل الفضل يتسكع اهلها في ظلمات الجهالة ويتيهون في وادي الضلالة ويستلم زمام الأمور قوم لا يكونون على شيئ من العلم فيضلون ويضلون كنت من اهمه هذا الأمر واغمه وشغل فكره ولبه فجملته حديثى في كل مجتمع وسمرى في كل ناد وكنت انتهز الفرص في مذاكرة من بيدهم زمام الامور مبيناً لهم ما سيؤل الحال اليه بعد ان كانت الشهباء مشحونة بالعلماء والفضلاء مقصودة من الآفاق للتحصيل والاستفادة. بها كانوا يلقون عصا تسيارهم. ومنها يقتطفون ازهار العلوم والفنون ثم يعودون الى بلادهم وقد حملوا منها اوقارا وامتلأت بها اوطانهم فينثرون درر علمهم وينشرون الوية فضلهم

وكنت اعرب عن رغبتى فى ان تكون المدارس الدينية على نسق المدارس الأميرية ذات صنوف مرتبة وكتب وعلوم معينة ونظام يرجعون اليه لتكون مسافة

التحصيل على الطلاب قريبة ويتمكنوا من الأستفادة التامة

وكنت لا أجد من هؤلاء سوى التسليم واستحسان المقال والمشاركة في الشكوى والأكتفاء بأظهار التأسف والتحسر مما وصلت اليه حالة العلم في هذه البلاد . الى ان قيض الله لدائرة الأوقاف الرجل الهمام السيد يحي الكيالى فأنه وفقه الله لما القيت اليه مقاليدها واستلم زمامها بادرت الى مذاكرته فى هذا الشان فألقى سمعه اليه واقبل بكليته عليه بل وجدته اشد مني شوقا واكثر تعشقا لتحقيق تلك الأماني فكان فيه الضالة المنشودة والبغية المقصودة

ولم يمض بضعة اسابيع واذا به قد ابرز هذا المشروع الجليل لحيز الفعل واعلن افتتاح المدرسة الخسروية وعين لها اساتذة وصار الطلاب يهرعون اليها من من الشهباء وما حولها وكان افتتاحها في اوائل سنة ١٣٤٠ ووضع لها نظاماً خاصاً وعين لجنة دعيت لجنة المجمع العلمي برئاسة مفتى حلب الشيخ عبد الحميد الكيالى بحثت في هذا النظام ثم صادقت عليه

وادخل في نظامها من العلوم ما عدا الآلية والدينية علم الأخلاق (وهذا العلم مع شدة الحاجة اليه لم يكن درساً يتلقى بل يكتفي الطلاب من شاء منهم بمطالعته من نفسه) وعلم التاريخ الأسلامى والأنشاء والجغرافيا وقانون الحقوق الطبيعية وقانون الأراضي واحكام الأنتقالات واحكام الأوقاف وعلم الحساب

والمدرسة فى هذه السنة وهي سنة ١٣٤٣ ذات خمسة صفوف انتظم فى سلكها نحو ثمانين طالباً والأمتحانات التى حصلت في السنتين الماضيتين دلت على نجاح تام ومستقبل زاهر ونيطت عرى الآمال بأنها ستخرج عما قريب علماء متفننين يتمكنون من خدمة دينهم واوطانهم ونشر ألوية العلم على ربوعها

قلنا آنفا ان المدرسة اثناء الحرب العامة شغلت بالعساكر ومرضاهم ثم ببعض الفقراء

الغرباء وان ذلك عطل محاسن حجرها وذهب برونقها فقبيل افتتاحها وجه مدير الأوقاف المذكور همته الى ترميمها واتمام الحجر التى فى الجهة الشرقية لأنها لم تكن كاملة حتى صارت صالحة للسكنى

وبنى في آخر الرواق الشمالى من الجهة الشرقية قصطلا يأتيه الماء من القناة وجلب الى هذا المكان الماء من ماء عين التل الذي يمر من شرقى المدرسة بأنابيب آخذاً الى محلة المغازلة وجعل بجانب هذا القصطل حجرة للأستحمام

وعن يمين الداخل الى المدرسة من الباب الغربى ست حجر كانت مطبخاً للمدرسة وقد علتها الأوساخ وعمها الدخان وتوهن على مدى الأيام بناؤها فرفعت الفواصل بين اربع منها وجعلت قاعة واسعة وجعلت الحجرتان لقعود مدير المدرسة وناظرها وفرش الجميع بالرخام الأبيض والرخام الصناعي الذي يصنع الآن فى مدينة حلب واتخذت تلك القاعة للمطالعة ووضعت فيها خزائن الكتب وكان سعادة حاكم حلب الحالى مرعي باشا الملاح في طليعة من اهدى لهذه المدرسة كتباً قيمة فقد ارسل اليها ١٢٠ كتاباً وفى عزمه ان يرسل غيرها فجزاه الله اوفى الجزاء وفى جنينة المدرسة بناية قديمة هي تربة دفن فيها ابن الواقف وزوجته وقد درست الأيام هذين القبرين وكادت هذه التربة تنقض وقد لحظتها عين العناية فرممت هذه السنة واتخذت موضعاً لألقاء الدروس لبعض الصنوف

وهذه الجنينة التي هي الآن عبارة عن ساحة قفراء غرست هذه السنة مع الساحتين اللتين عن يمين القبلية ويسارها بأنواع الأشجار وكذلك اتخذ في صحن المدرسة امام القبلية زراعتان يزرع فيهما البقول وغرس فيهما بعض الأشجار ايضاً وعما قريب يصبح هذا المكان ان شاء الله حدائق ذات بهجة تسر الناظرين

وعناية مدير الأوقاف المذكور لم تزل مصروفة الى عمران هذا المعهد واحيائه بالعلوم

والمعارف وجعله ازهر الشهباء بل ازهر البلاد السورية وفي عزمه ان يبني الأرض التي هي امام الباب الشرقي التابعة لوقف المدرسة والتي حفظت بواسطة جدران قصيرة قاعة واسعة تعد لألقاء المحاضرات العلمية وفقه الله لتحقيق آماله ولا ريب انه قد خلد له بهذا الأثر العظيم وغيره من الآثار الحميدة الذكر الحسن الجميل وسنأتي على بيانها في مواضعها ان شاء الله تعالى

(سنة ٩٤١)

ذكر تولية حلب لحسين بك

قال في السالنامة ولي حلب هذه السنة حسين بك اه قال في در الحبب هو حسين بك كافل حلب في الدولة السليمانية كان كثير القتل بغير سجل شرعي سفاكاً للدماء على صورة قبيحة من تكسير الأطراف والأحراق بالنار والمحرق حتى وغير ذلك متناولا للرشا لا نفع له على الخصوص سوى مضرة اللصوص وكان من جملة مساويه انه امر شخصاً بأن يزوج اخته ممن لا يرضاه زوجاً لها فذهب وزوجها ممن يرضاه على خلاف رضاه فاشتكى اليه ابو الخاطب فطلب الزوج الذى عقد له العقد على رغم انفه فتوارى هو وابوه خوفاً منه فحضر عمه وهو من قدماء اعيان حلب من التجار فاغلظ عليه الكلام فأجابه امر شرعى فضربه ضرباً مبرحا فلم يمض نحو عشرة ايام الا واخذه الله تعالى اخذ عزيز مقتدر ذي انتقام فى جمادى الاولى سنة تسع واربعين ودفن خارج الكلاسه . وذكر في السالنامة بعده مصطفى باشا وانه تولى حلب سنة ٩٥١ وذلك يفيد ان حسين بك بقي الى هذه السنة وقد علمت فيما سبق انه توفي سنة ٩٤٩ فما بين هاتين السنتين والٍ لم يذكر في السالنامة بل ولا في در الحبب والله اعلم

(سنة ٩٥١)

﴿ ذكر تولية حلب لمصطفى باشا ابن بيقلي باشا ﴾

قال في در الحبب هو مصطفى باشا بن بيقلي باشا الرومى كافل حلب كان باشا زبيد من بلاد اليمن ثم كافل غزة ثم ولي كفالة حلب سنة احدى وخمسين وتسعمائة فتتبع قطاع الطريق ليلاً ونهاراً بنفسه وعسكره واظهر سطوته في اللصوص وربما جاءه النذير من طائفة من ذعار الاكراد وغيرهم من مكان كذا فركب عليهم في الحال بثياب البذلة ولما وقع الحريق ليلاً في الحوانيت الكائنة تجاه جامع الأطروش والسوق الذي وراءه وقف ونادى ان لا يقرب من حوانيت الناس الا اربابها وقطع النار عنها كما هو العادة ثم نادى ان ترفع اهل حلب السقايف المعمولة من البوارى لسرعة عمل النار فيها وان يعملوا السقايف من الأخشاب والدفوف ففعلوا بل جددت في ايامه سقايف لم تكن حتى ارتفع بسوق الخشب السعر لكثرة ما عمل بحلب من السقايف الجديدة ثم حصلت مبادي قحط عظيم فدبر بأذن الله تدبيراً عظيماً حسناً دعا له الناس بواسطة الفقراء وهيأ للفقراء في كل يوم بدينار سليمانى خبزاً واشبع نفسه عن مفاسد كثيرة يسميها الناس مصالح المملكة من بلاد اليمن من الأموال العظام والتحف التى مالها ثمن واعتنى بالخروج ليلا الى خارج حلب لحسم مادة المفسدين وربما طاف ليلاً بداخلها ثم تاب عن شرب الخمر وكسر اوانيه وعزل في سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وتأسف على عزله اهل البلد لاسيما فقراؤهم وكان صنيعه لما ابتدأ الغلاء ان هدد الجلابين ومنعهم من ان يبيع احد منهم شيئاً من الغلال بالقرى والمدينة وصار كلما طلب الخبازون سعراً نقص منه فأيسوا من رفع القيمة وحصل الرخص بأذن الله

تعالى وكان له سوباشي جركسي ذكروا انه لم يكن ليشرب الخمر ولا ليفسق بالنساء وغيرهن ويطوف بحلب ماشياً كآحاد الناس رحمه الله وايانا اهـ

(سنة ٩٥٢)

ذكر تولية حلب لسنان باشا

قال في در الحبب هو سنان ابن عبد الله الخادم الرومي السليمي كان خادماً عند السلطان سليم بن عثمان وبوابا للسراي محكم الضبط فتولى نيابة نظر الحرم الشريف النبوي وغاب بالمدينة الشريفة غيبة طويلة ففقد بالباب السلطاني العالي نفعه فارسل اليه المقام الشريف السليماني بالحضور اليه فعرض اليه اني كنت من جملة خدمك وصرت الآن من جملة خدم النبي صلى الله عليه وسلم فكيف اترك ما انا فيه وعرض اليه مرة وهو بالمدينة الشريفة ان بها شيعة من السادات وغيرهم فلو قتلوا لعدم صلاحيتهم للمقام في مثل ذلك المقام فلم يقبل عرضه لعدم الاطلاع على ماهو في ضمائرهم . قدم حلب سنة اثنتين وخمسين ثم عاد الى المدينة الشريفة فتوفي بها سنة اربع وستين وتسعمائة وكان له شهامة وقوة بطش على شيخوخته وكان مع شهامته يؤذن ويقيم اذا اراد الصلاة وهو بالصحراء على ما نقله من رافقه بها اهـ

(سنة ٩٥٦)

(مرور السلطان سليمان بحلب هذه السنة وسنة ٩٦٠)

في هذه السنة مر السلطان سليمان ابن السلطان سليم العثماني من حلب قادماً من بلاد العجم كما ذكره القرماني في تاريخه . وفيها توفي بحلب جهانكير ابن السلطان سليمان وكان بحلب مع ابيه فتوفي بها ونقل تابوته الى القسطنطينية ذكر ذلك في

در الحبب في ترجمة جهانكير المذكور وفي تاريخ القرماني ان السلطان سليمان خرج ايضاً سنة ستين وتسعمائة من القسطنطينية وتوجه الى حلب فدخلها في غرة ذي الحجة

(سنة ٩٥٧)

(تولية حلب لمحمد باشا دوقه كين باني جامع العادلية)

قال في السالنامة في هذه السنة ولي حلب محمد باشا دوقه كين . قال في قاموس الاعلام هو من وزراء السلطان سليم وولده السلطان سليمان القانوني وهو الابن الأخير الى دوقه كين وخدم السلطان سليما خدمات جلى ثم صاهر السلطان سليمان ثم عين واليا على حلب ثم على مصر وعزل سنة ٩٦٢ وعاد الى الاستانة وتوفي بعد مدة قليلة .

وقال في قاموس الاعلام قبل ذلك في الكلام على دوقه كين . ان دوقه كين من بكوات (نورمانديا) استولى هذا البك على بعض جهات بلاد الأرناؤط في اشقودره بعد ان ذهب ملك الروم عن القسطنطينية بالفتح العثماني وصار له نسل هناك عدد من الأرناؤط ومن مشاهير هذه العائلة (لك) يعني (الكساندر دوقه كين) وصنع للأرناؤط نظامات وقوانين صارت مرعية عند الماليسور ومستعملة لديهم الى الآن ويعرف هذا القانون بقانون (لك دوقه كين)وصار دوقه كين علماً على تلك العائلة . ثم ان (بالسا) احد امراء قره طاغ استولى على معظم بلاد عائلة دوقه كين وبقيت تلك العائلة في ناحية دوقه كين وهي بلدة واقعة جنوبي نهردرين وفي بلدة (ميردية) ثم اسكندر بك احد مشاهير تلك البلاد ترأس على جميع الأرناؤوط القاطنين في تلك البلاد وسلم له دوقه كين

بالرياسة وصار في معيته وبعد الفتح العثماني اسلم انجاله دوقه كين وحاز البعض منهم المناصب العالية في الدولة العثمانية والبعض منهم صار له شهرة في العلوم والأدبيات العثمانية والبعض منهم انقرض اه

قال في در الحبب في ترجمة محمد باشا المذكور وهو محمد باشا بن احمد باشا بن دوقه كين الرومي ولد السلطانه كوهر ملكشاه بنت عمة السلطان سليمان بن عثمان صار باشا حلب وعمر بها سوقاً عظيماً طولاً وعرضاً ومتانة يعرف بالسوق الجديد ادخل فيه سوقا كان يعرف بسوق الزرد كاشية بعد حل عدة اوقاف منه وكذا ادخل فيه بعض مساجد وعمر خاناً بجوار دار العدل (هو الخان المعروف الآن بخان الفرايين) يفتح الى السوق المذكور ثم اخذ سوق الخراطين بعد حل عدة اوقاف منه واضاف اليه ما وراءه ليعمر كلاهما سوقا وخانا فعزل وصار باشا مصر فعمر في غيبته وجعل باب الخان تجاه الحمام حمام الست (هو خان النحاسين) ثم عزل منها فدخل حلب وهو وجل من ان يتوجه الى الباب العالي فيقتل ثمة لداع دعاه الى الوجل من حلول الاجل فوقف ما عمر واوصى بعمارة تكية وخان بتليلة عيشة (١) وكانت تلة عيشة في الدولة الجركسية ميدانا صغيرا يلعب فيه بالرمح مماليك كفال حلب في بعض التلة المذكورة ثم عمر من بعدة خانه الثالث الذى لم يعمر يومئذ مثله في السعة ما بين خانات حلب في بعض التلة المذكورة (٢)

(١) قال ابو ذر في الكلام على الدروب • درب به حماما الست وقد تعطلت احداهما ويصعد من هذا الدرب الى فندق عائشة وتقدم انها عائشة بنت صالح بن على بن عبد الله بن العباس وكانت بارعة في الجمال تزوج بها موسى الهادى وهذا المكان نزه وبه مسجدان احدهما بوسطه وقد اندثر والآخر بذيله واحكار هذا الفندق جارية الآن في وقف الجامع الكبير

(٢) هو الخان المشهور بخان العلبية • واما التكية فيغلب على الظن انها المكان الذي هو الآن خان صغير في شرقي الجامع له باب من الحادة يرشدك الى ذلك الباب المسدود الذى هو في جدار الجامع الشرقي وهذا الخان اصبح ملكاً •

ووجد في اثناء عمارته تحت الارض كنيسة قديمة وماعون من الحديد فيه شيء اسود لم يدر ما هو وكان متولي عمارة سوق الجديد وما فيه من الخانات يضع آلات العمارة من الكلس والخشب والدف وغير ذلك بالمدرسة الحدادية فدخل بعض اهل العلم الى محمد باشا بعد عام العمارة وحمله على ان يجعل لها خادما ومؤذنا واماماً ان لم يجعل لها مدرساً ويقف عليها بعض حوانيته من السوق المذكور تلافيا لما صدر من شأنها من الفساد وكانت يومئذ عديمة الوقف فوعد ولم يف بما وعد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم كانت وفاته بالروم سنة اربع رستين وتسعمائة اه

اوقاف محمد باشا بن احمد باشا بن دوقه كين

جميع الخان الكائن بالقرب من السفاحية حده قبلة الطريق السالك وشرقاً دار السعادة وشمالاً سوق العطارين وقف اليشبكية ومن الغرب السوق المعمور المعروف بأنشاء الواقف

وجميع السوق المشتمل على صفي دكاكين احدهما شرقي والآخر غربي وعدة دكاكينه ٧٥ دكاناً وحده من القبلة الطريق السالك ومن الشرق الخان المتقدم ومن الشمال سوق الأبارين والعطارين ومن الغرب حمام الدلبة وتلة عائشة التي سيسنجد ويبني عليها خان للوقف

وجميع القيسارية شمالي الخان المذكور حدها من القبلة حائط دار السعادة وباقي الحدود معروفة (هي المعروفة الآن بقاساريه الفرايين) وقد تغلب عليها

وجميع الخان الذى سيعمره الواقف على تلة عائشة المذكورة المتصلة بحمام الدلبة (سوق الحمام الآن) وحده من القبلة الطريق السالك ومن الشرق السوق المزبور ومن الشمال السوق المعروف بأنشاء الواقف ومن الغرب حمام الست (حمام النحاسين)

وجميع السوقين المشتمل احدهما على صفي دكاكين احدهما قبلي والآخر شمالي عدة دكاكينه ٤٢ دكاناً حده قبلة تلة عائشة وتمامه حمام الست ومن الشرق حمام الدلبة ومن الشمال القاسارية المعروفة بانشاء الواقف وتمامه بسوق العتيق والثاني مشتمل على صفي دكاكين عدتها ٢٠ دكاناً وحده من القبلة تلة عائشة ومن الشرق دكاكين يدخل اليهم من سوق الأبارين ومن الشمال سوق الأبارين ومن الغرب القيسارية

وجميع القيسارية التي يحدها من الشمال سوق الأبارين

وجميع الخان المعروف بأنشاء الواقف تجاه حمام الست حده القبلي بيت الكيناوى ومن الشمال سوق النحاس ومن الغرب الطريق السالك وتمامه مسجد تجاه بيت بنى الحلفا

وجميع السوق المشتمل على صفي دكاكين احدهما شرقى والآخر غربي وعدة دكاكينه ٢٦ دكاناً سوي الدكانين الواقعتين في الصف الشرقى الملاصقتين لحمام الست وحده من القبلة الطريق السالك ومن الشرق حمام الست ومن الشمال سوق الحرير العتيق ومن الغرب الخان

وجميع القيسارية الملاصقة طرفها الشمالى بحمام الست وحدها من القبلة الطريق السالك ومن الشرق تلة عائشة وهي قطعة منها ومن الشمال السوق المعمور المعروف بانشاء الواقف ومن الغرب السوق المعمور المعروف بأنشاء الواقف

وجميع المبلغ من الذهب السلطانى الخالص العيار وقدره ثلاثون الف دينار (١) شرط الواقف النظر والتصرف لنفسه والتولية ومن بعده فعلى الأرشد من اولاده الذكور فاذا انقرضوا فألى ارشد اولاده الأناث فاذا انقرضوا فألى ارشد عتقاء الواقف فاذا انقرضوا فألى رجل موصوف بالديانة والأمانة ويستغل المتولى

(١) هذا الذهب كان مرصوداً ليقرض لمن اعسر قرضاً حسناً لمدة معينة برهن وقد بطل امر ذلك

كائناً من كان ويسعى بتعميرها ونظم احوالها ويصرف منه ثانياً في مصارف الجامع الشريف الذي سيبنيه الواقف المشار اليه في الساحة الفلاوية المجاورة لتلة عيشة اجرة المتولي على الجامع والأوقاف كل يوم ٥٠ درهما فضة ويرتب للأوقاف كاتب شهير يدفع اليه كل يوم ٤ دراهم ويرتب جاب معروف بالديانة لا يميل الى الحرام ويحترز كما يرام يعطى له كل يوم خمسة دراهم

خطيب للجامع وله كل يوم ٣ دراهم ويرتب بمحفل الجامع ثلاثة حفاظ يدفع لهم درهم ولرئيسهم درهمان. امامان يؤمان على التناوب يحضران عند كل صلاة من الصلوات الخمس يدفع لهما ٤ دراهم كل يوم

٥ رجال يقيمون الأذان والتمجيد لكل واحد درهم كل يوم

رجل مجود يقرأ عشراً بعد صلوة الظهر والعصر يعطى له كل يوم درهم ومعرف يدعو بعد اختتام الأعشار يدفع له كل يوم نصف درهم.

قيم وفراش يدفع لهما درهمان . سراجي وله كل يوم درهم بواب وله درهم

وما فضل من الريع ومن بعد التعمير يكون لأولاد الواقف المذكور واولاد اولاده الذكور المستولدين من الذكور نسلا بعد نسل فاذا انقرضوا فعلى ذريته من الأناث المستولدات من الذكور * التاريخ فى سلخ ذى الحجة ختام سنة ٩٦٣

اقول ان البعض ممن تولى هذا الوقف فى القرن الماضي من ذرية الواقف لم يكن حسن الأدارة فأعطى الخان المعروف بخان النحاسين والخان المعروف بخان الفرايين وقاسارية الفرايين وبعض حوانيت من خان العلبية والقاسارية الواقعة بين حمام النحاسين وبين مدخل الجامع من الباب الغربي التى هي الآن مدرسة للراهبات الأفرنسيسكان بطريق الأجارتين التى لا تستعمل للغاية التي جعلت لها بل صارت موضعاً لتلاعب المتولين حتى صار كل وقف يؤجر

بهذه الطريقة يكون مآله الى الضياع بتاتاً كما هو مشاهد فى كثير من الأماكن التى كانت وقفاً ولما آلت التولية الى متوليه الحالى فؤاد بيك العادلى قام بأعباء هذا الوقف قياماً حسناً ورممه وضبط اموره واتخذ الرواق العلوى فى القاسارية المعروفة بقاسارية خان العلبية مخزنين كبيرين مستطيلين باب احدهما من سوق الجوخ وباب الثاني من سوق النحاسين .

وكان فى مدخل باب الجامع الغربى مصبغة واسعة وراءها اول الجنينة فاتخذهـا منذ خمس سنوات مع ما يحاذيها من الجنينة خاناً صغيراً حسناً بابه يقابل بـاب الخان المعروف بخان العبسى . والدكاكين التى على طرفي هذا الخان اخرجت قبل ذلك من هذه المصبغة ومن تلك الجنينة والحق الجميع بأوقاف الجامع

الكلام على جامع العادلية

موقعه في المحلة المعروفة بالسفاحية على التلة التي كانت معروفة بتلة عائشة وهو معدود من الجوامع العظيمة فى حلب متقن البناء وقبليته مزخرفة بأنواع الزخرفة وهي قبة واحدة واسعة عظيمة الأرتفاع وفي اطرافها الثلاث الشرقى والغربى والشمالى ثمان اواوين والقنطرة التي على باب القبلية حجارتها نـافرة مدلاة الى الخارج ذات هندسة بديعة تحتها على طرفي مدخل القبلية عمودان من الرخام منقوشان بأبدع النقوش الملونة وامام القبلية رواق عظيم ذو اعمدة ضخمة ويكتنف القبلية من الجهات الثلاث جنينة حسنة فيها انواع من الاشجار تأتيك في زمن الصيف بنسيم لطيف . وفى الجهة الشرقية من القبلية تربة فيها قبور ذرية الواقف وفى السنة الماضية وهي سنة ١٣٤٢ صرف متولى الوقف فؤاد بك العادلى من ذرية الواقف فى اصلاح هذا الجامع وتزيينه ازيد من الفي ليرة عثمانية ذهباً فدهن قبليته بأنواع الدهانات البديعة وكشط جدرانها فعادت بيضاء كأن البناء

خرج منها اليوم وكانت سقوف رواقها التي بجانب الصحن من الخشب فرفعه لقدمه وتوهنه واتخذها من الحديد. وكان في غربي الرواق حوض مكشوف متى بقي الماء فيه اياماً قلائل يظهر خبثه لحوله الى قسطل واسع مغطى ذي حنفيات للوضوء فوقها رفرف من الحديد لحفظ بذلك من اسباب التلويث ومن التجلد في ايام البرد الشديد

(سنة ٩٦٠)

﴿ تولية حلب الى بير بك بن خليل بك الرمضاني ﴾

قال في السالنامة ولي حلب هذه السنة بير بك بن خليل بك . قال القرماني في الكلام على الدولة الرمضانية ولي السلطان سليمان (بيرى بك) بن خليل بك نيابة حلب ثم الشام ثم رده الى مكان ابيه وجده بطلبة (في آدنة) ولم يزل بها الى ان مات في حدود سنة سبعين وتسعمائة وكان على جانب عظيم من الصلاح وكان كثير الخيرات والمبرات وقد بنى بمدينة آدنة جامعاً حسناً وعمارة لطيفة يفرق منها الطعام للفقراء وابناء السبيل وبنى بها حماماً وخانا وسوقاً .

(سنة ٩٦١)

تولية حلب الى قباد باشا بن خليل بك الرمضانى

قال في السالنامة ولي حلب في هذه السنة قباد باشا اخي بيربيك قال في در الحبب هو قباد باشا بن رمضان القرماني امير الأمراء بحلب في الدولة السليمانية دخلها فسلك فيها اسلوب الجراكسة اذ كان الوالى منهم يخلع فيها اول ما يدخلها خلعاً شتى على من بها من اركان الدولة واظهر بها الشهامة الزائدة ومزيد الحرمة على مماليكه وحشمه وخدمه بحيث لا يقدر احد منهم ان يدخل دار العدل بخمر ولا

ان يظهر منه شربها . وعمر بها عماير كثيرة وجعل الموضع الذي فيه غسل السلطان جهانكير ولد المقام الشريف السليماني جنينة لطيفة

وسعى في ارسال شخص عجمي الى ماوراء اصبهان لأحضار ماء السمرمر الى حلب بسبب جراد مهول كان حصل بها وحقق عوده اليها وحسن لأرباب الأموال ان يجمعوا للرسول مالاً فجمعوا له ماينوف على مائتي دينار سلطاني ودفعوا له بعضها ووعدوه بدفع باقيها اذا عاد بالمراد فذهب وعاد ومعه الماء وذلك في سنة اربع وستين وتسعمائة فخرج الى لقائه اهل حلب ودخلوا به بالتكبير والتهليل كما وقع في مثل هذا في سنة تسع وخمسين وثمانمائة فانه قد ذكر الشيخ ابو ذر(١) في تاريخه انه وصل تلك السنة الى حلب فخرج الناس الى لقائه بالذكر والدعاء واخرجوه الى القلعة وعلقوه بمأذنة جامعها غير ان هذه المرة منع دوادارها من وضعه هناك لما ان الآتي به من مقره داخلا تحت سقف اوسقيفة لئلا تذهب خاصيته وانه صار اذا دخل بلدةً ما سحبه بحبل من فوق بابها وكل سقف اوسقيفة بها الى ان وصل به الى حلب فأبرم على الحلبيين فسحبوه من فوق سور باب المقام ولم يدخلوه تحت ظل الى ان اريد سحبه من اعلى سور القلعة فوقع المنع الا بأذن سلطاني فوضع على قبة التكية الخسروية وكان الجراد قد غرز في الارض فأخذ اركان الدولة في جمعه من اطراف حلب وهو يومئذ كالذباب صغير فجمعوا منه بضبط قاضي حلب مائة الف كيل اسطنبولي على كل بيت كيلان فيما زعموا والقوه في الآبار والحفاير فلم يمض القليل من الزمان الا وكبر مابقي وزحف على بساتين حلب فحرك الماء المذكور ليجيئ السمرمر بتحريك الشيخ محمد الكواكبي(٢) ومعه

(١) تقدم ذكر ذلك في صحيفة ٥٤ ويغلب على الظن ان ذلك حديث خرافة وعلينا في مثل ذلك ان نأتي البيوت من ابوابها (٢) انه لم يحركه الا بتكليف الحاكم وامره له

مريدوه فلم يفد فزعم بعض الناس ان خاصيته انقطعت اذ لم يكن الوارد به من اهل الصلاح والشرط ان يكون منهم

وما سر الناس بقدوم هذا الماء فى السنة المذكورة الا وجاءهم بعيد هذا فيها خبر عزل قباد باشا فسروا ثانيا لما اصابهم من ظلم سوباشيه ثم اظهر واحد من حلب حكما لقاضيها بالتفتيش على سوباشيه فأرسل قاضيها الحكم والمدعي مع محضر باشي الى قباد باشا ليرسل الخصم لسماع الدعوى فاجتمع باقي الشكاة فى جماعة من الأوباش ينتظرون مايؤول اليه امر الخصم على باب دار العدل فلما دخل محضر باشي بمن معه وعرض الحكم على قباد باشا فسوف المدعي الى ثاني يوم فذهب فرده وجدع انفه واطلقه فاجتمع به قاضي حلب فلم يلتفت اليه هو انه هو الذي جدع انف المدعي على لسان محضر باشي بناء على انه لولم يجدع لهجم الحلبيون عليه وقتلوه كما قتلوا قرا قاضي فكان فى الجدع دفع الفتنة ومنع القتل به فخرج قاضي حلب من عنده واتهم محضر باشى لما نقل عنه وانه هو الذي نسب الى الحلبيين مانسب بطريق الفرية التي مافيها مرية فعرض قباد باشا انهم حضروا بباب دار العدل متسلحين ليقتلوه ويدخلوا مكانا كان سرايا الحضرة العالية اذ حل ركابها بحلب قديما وعرض قاضي حلب جزاه الله خيراً عن اهل حلب انه لم يحضر احد منهم بشيء من السلاح بل هم مظلومون وذهب المدعي بغير عرض فوصل عرض قباد باشا اولاً وشاع بحلب انه يؤخذ منها طائفة يساقون الى بغداد ووصل عرض قاضي حلب ثانياً فطلب المحضر باشي الى الباب فاحضره قاضي حلب بعد وصول فرهاد باشا عوض قباد باشا واشهد عليه جماعة ممن يقتدي بهم انه لم ير احداً متسلحاً بباب دار العدل يريد قتل قباد باشا ولكن قدح فى عرض القاضي اعني قاضي حلب لأتهامه انه عرض فيه

فبرأته الحضرة العلية ثم ورد الحكم السلطاني لفرهاد باشا بالفحص ففحص من دزدار قلعة حلب وغيره من اركان الدولة فاذا اهل حلب مظلومون في الواقعة اه تأمل

(سنة ٩٦٤)

(ذكر تولية حلب لفرهاد باشا)

قال في در الحبب دخل فرهاد باشا حلب سنة اربع وستين وتسعمائة متوليا اياها عوضاً عن قباد باشا فطاف بشوارعها يوماً من الأيام في خمسة اشخاص ليحيط بها علماً وصار يخرج احياناً من باب دار العدل وهو ماش بالخيزرانة لأطراح كان عنده وظهرت له فضائل كالتكلم بالعربية والخوض فى دقايق الصوفية واستحضار كثير مما فى كتب التواريخ وشيء من الأحاديث حتى كان يقول انا احفظ ثلاثمائة حديث الا انه أكب على صنعة الكيميا وقرب الشيخ المغربي هو الشيخ محمد بن مسلم وغيره وهو يعلم انه لايفوز منها بشيء ولهذا كان يقول انها وظيفة لأهلها من المهد الى اللحد وامر الزين الأرمازى خطيب الجامع الأعظم بحلب ان يذكر الحسن والحسين رضى الله عنهما فى الخطبة قبل الستة الباقية من العشرة فقد كان كما هو الحق لايذكر بعد الأربعة الا الستة ولا بعد الستة الا العمين الحمزة والعباس ثم السبطين الحسن والحسين واغلظ على الشيخ زين الدين في تأخير السبطين فاضطرب الناس لما احدثه وكان هو السبب في ان ألفنا الرسالة التى سميناها تأهيل من خطب في ترتيب الصحابة فى الخطب وكان لايسفك دماً وجب ويقول جهلاً منه هذه بنية الرب فكيف نخربها ولا يقطع يد السارق ويرى الجريمة نعمة منه ويدا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وفى ايامه سنة خمس وستين وتسعمائة اشيع ان الجراد خرج في بعض القرى فخرج بعض الناس بأمره لجمعه وكان الناس في قحط عظيم وصل فيه رطل الخبز الى عشرة دراهم فبينماهم كذلك اذ نادى بان الخارجين لجمعه لم يجمعوا منه شيئاً يعتد به وبأن يخرج اهل حلب فى الغد لأستقبال ماء السمرمر وكان ماؤه قد ورد مرة اولى الى حلب فى ايام قباد باشا فخرجوا الى قرية بابلي ورجعوا كأنهم جراد منتشر مع الماء فرفع الى مأذنة القلعة من غير ان يدخل تحت سقف لئلا تزول خاصيته وبات اهل حلب فى سرور زائد ثم ظهر ان الجراد قد ظهر فى بعض معاملاتها فخرج بنفسه اليه واخرج خلائق كثيرة مابين عوام يتعاطون جمعه وخواص معهم خيام يتعاطون مؤنة الجامعين له وبقي الجمع نحو اسبوع الى ان دفنوا منه بالأرض وألقوا بالآبار مالا يحصى كثرة وانتفع به الناس ثم كان باشا ببغداد وتوفى بها سنة ثمان وستين وتسعمائة اه اقول لم يذكر صاحب در الحبب من ولي حلب بعد فرهاد باشا من الأمراء مع ان وفاته كانت سنة ٩٧١ وقد ذكر تراجم غير واحد ممن كانت وفاتهم سنة سبعين بل سنة احدى وسبعين كما يراه من تتبع تاريخه

ومرتب السالنامة ذكر بعد فرهاد باشا بهرام باشا وقال انه ولي سنة ٩٨٨ وذلك يفيد ان فرهاد باشا بقي واليا الى هذه السنة وهذا سهو فقد تقدم آنفا ان فرهاد باشاعين والياً لبغداد وتوفي بها سنة ثمان وستين وتسعمائة ويغلب على الظن ان فرهاد باشا عزل عن حلب سنة ست وستين وتسعمائة او التى بعدها فيكون مرتب السالنامة قد اهمل ذكر من ولي حلب من سنة ٩٦٦ الى سنة ٩٨٨ اعنى مدة اثنتين وعشرين سنة وبعد التتبع والبحث وقفت على البعض ممن وليها خلال هذه المدة ففى خلاصة الأثر في ترجمة حسن باشا ابن محمد باشا انه ولي

في مبدأ امره كفالة حلب ودخلها ولم يلتح او لم تكمل لحيته ثم ولي بعدها كفالة الشام في سنة خمس وثمانين وتسعمائة وعزل عنها وولي ولاية اناطولى ثم ولاية ارزن الروم ثم اعيد الى الشام وبسط صاحب الخلاصة ترجمته وحوادثه فارجع اليها ان شئت وفي اوراق كنت نقلتها عن اوراق وجدتها عند بعض اهل العلم منقولة عن خط الشيخ عمر العرضى مؤرخ حلب وعالمها وقد ذكر في هذه الأوراق بعض حوادث حلب وغيرها من سنة ٩٨١ لغاية سنة ٩٨٦ قال في حوادث سنة ٩٨٢ وفى شوال ولي كفالة حلب محمد باشا ابن الخلال واظهر من العدل فوق ما كان يؤمل منه اه

(سنة ٩٨٤)

(ذكر تولية حلب لعلى ابن علوان باشا)

قال العرضى في الأوراق التي قدمنا ذكرها في حوادث هذه السنة فيها نودي بحلب للخروج الى ابن مدلج البدوى المعروف بباغى ابن ابى ريشه وخرج الباشا ومعه العساكر في مهيع عظيم في زمن البرد والشتاء وكان الباشا اذ ذاك علي بن علوان بيك ودعا عليه العسكر دعاء عظيماً حيث كان هو السبب في ان ركبهم هذه المشاق من غير ذنب جناه باغي المذكور اه

(سنة ٩٨٨)

﴿تولية حلب لبهرام باشا والكلام على جامعه﴾

في هذه السنة ولي حلب بهرام باشا وهو ابن مصطفى باشا ابن عبد المعين ولم اقف له على ترجمة ومن آثاره الجامع العظيم المشهور بالبهرامية فى محلة الجلوم في مدينة حلب طول صحنه من القبلة الى الشمال ٢٩ ذراعاً بالذراع النجاري

وعرضه من الشرق الى الغرب خمسون ذراعاً وقبليته ذات قبة واحدة عظيمة تحتها اثنا عشر ايواناً صغيراً بأربعة عشر شباكا مشرفات على جنينة . ومحراب القبلية وبابها وباب الجامع الشمالي ابدع المعمار ماشاء ان يبدع يروقك النظر اليهم لما فيهم من الزخرفة وبين القبلية وصحن الجامع رواق عظيم البنيان ذو اعمدة ضخمة وفي يمينه ايوان صغير ومنه يصعد الى منارة الجامع وهي مرتفعة جداً تعد من المنارات العظيمة التي في حلب وكانت قد سقطت فأعيدت سنة ١١١١ وسيأتيك ما كتب على بابها من الأبيات فى ترجمة ناظمها الشاعر الأديب يحيي العقاد من شعراء القرن الثاني عشر وعن يساره ايوان صغير ايضاً فيه شبا كان عظيمان مطلان على الجنينة . يحد الجامع شمالاً سوق موقوف على الجامع وغرباً زقاق يعرف بزقاق السودان وشرقاً زقاق يسمى الآن زقاق البهرامية باسم الجامع وفى القديم كان يعرف بدرب السبيعى (١)

وفى زلزلة سنة ١٢٣٧ وقعت القبة وبقيت خراباً نحو اربعين سنة لعدم وجود غلة فى الوقف ثم بيع ما كان على القبة من الرصاص وبنيت القبة بثمنه واعيدت كما كانت

وعمر الواقف في مدخل باب الجامع الشمالى سبيل ماء وفي غربيه مكتباً للأيتام يصعد اليه بدرج

وتاريخ الوقفية سنة ٩٩١ وهي من انشاء تاج الدين الكورانى ويغلب على الظن ان وفاته كانت سنة ٩٩٤ ووفاة اخيه رضوان باشا الآتى ذكره كانت سنة ٩٩٥ ودفنا في مغارة في الجنينة اعدها الواقف تربة لنفسه ولأخيه وذكر ذلك فى كتاب وقفه وقد بني فوق المغارة تربة ووضع فيها الواح محاذية للقبرين فى المغارة

(١) نسبة الى الحسن بن احمد السبيعي الحلبي الحافظ المتوفى سنة ٣٧١

وهذه التربة اشرفت على الخراب فجددها فى هذه السنة وهي سنة ١٣٤٣ المتولى على الوقف عبد الله بك العلمي وبنى في وسطها قبرين عظيمين محاذيين للقبرين اللذين في المغارة وكتب على الطرف الأيمن من قبر الواقف اسمه وسنة وفاته وعلى الطرف الآخر جدد هذه الحجرة بعد خرابها احد اولاد الواقف متولى الجامع في سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة والف

وكتب على قبر اخيه رضوان باشا (١) تحت هذه الحجرة غار مقبى بحجر منحوت ينزل اليه من الجهة الشمالية بالقرب من الشباك الشرقى (٢) بسبع درجات ثم سبع درجات أخر وفى وسطه قبرهما وهما على سمت القبرين المبنيين هنا. ووضع تحت الشباك الشرقى حجرة كتب عليها (تحت هذه الحجرة المنزل الى غرفة قبر الواقف واخيه)

وقبو هذه المغارة مبني على شكل يعرف عند البنائين بالصاجي وحينما رأوه عجبوا من حسن بنائه وكيف ان هذا البناء على هذا الشكل ابقته الأيام الى الآن ولم يزل في غاية من المتانة . وفى الجهة الشرقية من الجامع غرفة واسعة مستطيلة فيها قسطل من الماء وفي هذه السنة جلب المتولي المذكور الى القسطل ماء حاراً بأنانيب حديدية من الحانوت الكبير الذي هو امام الجامع الشمالى الموضوع فيه مطحنة حديدية للطحين وصار الناس يتوضؤن في الشتاء بماء حار وهو اول عمل من هذا القبيل في حلب وقد شكر المتولى على هذا الصنع الحسن.

سنة ٩٩٤ كان الوالي رضوان باشا اخا ابراهيم باشا كما فى السالنامة

» ٩٩٥ » » حسن باشا ثم سليمان باشا » » »

» ٩٩٦ » » حسين باشا » » »

» ٩٩٩ » » الحاج احمد باشا » » »

(سنة ١٠٠٢)

ذكر في السالنامة انه تولى حلب في هذه السنة محمد باشا وبقى الى سنة ١٠٠٥ قال فى تاريخ نعيما في ترجمة بويالى محمد باشا هو ابن بير احمد المتقاعد بعد ان حاز رتبة البكربكية ومن زمرة كتاب ديوان الوزارة ثم صار رئيس الكتاب ثم عين والياً على حلب وبعد ذلك تولى الوزارة مرتين وكان عاقلاً كاملاً بنى في الاستانة جامعاًومدرسة وخانقاه توفي فيالاستانة في رمضان سنة ١٠٠١ اه وليس في السالنامة من تسمى بمحمد قبيل هذه السنين سوى هذا . فالسهو واقع من احدهما لا محالة اما من مرتب السالنامة فى سنة ولايته او من المؤرخ مصطفى نعيما فى تاريخ وفاته والله اعلم

(سنة ١٠٠٥)

﴿ ذكر تولية حلب للأمير احمد ابن مطاف ﴾

قال في السالنامة انه تولى حلب من سنة ١٠٠٥ الى سنة ١٠٠٨ قال المحبي في خلاصة الأثر في ترجمة المذكور هو الأمير احمد بن مطاف امير الامراء بحلب ذكره ابو الوفا العرضى فى تاريخه وقال في ترجمته لم يزل يتدرج الى المناصب حتى تولى كفالة حلب وفى تلك الايام وقع الحريق في سوق العطارين وذهب للناس اموال كثيرة مع ان هذا الأمر لم يعهد فى حلب . قيل سببه ان بعضهم نسي في الشقف بعض نار وقيل ان جماعة الكافل فعلوا ذلك عمداً حتى يغرموا الناس الاموال والله اعلم بحقيقة الحال والذي قاله بعض ارباب العقول الحسنة ان هذا الأمر وقع من غفلة رجل عن النار .

وظهر في زمنه فساد كثير من قطع الطريق وأخذ أموال الناس حتى ركب ابنه درويش بك بعساكر حلب نحو الف فارس وكان امير العرب عرار خال دندن

فاقتتلوا وانهزم عسكر حلب فكان عرار يتبعهم وحده ويقتل منهم ويفر ومن تحته فرسه التي لاتسابق وعليه الدرع الذى لاتعلم فيه السهام ولا السيوف قيل ولا المكاحل (هكذا قال) واستمر يتبعهم الى قرب حلب وكان عرار في الشجاعة والفروسية لايطاق . ثم قال وهو (اي الامير احمد) باني المدرسة المعروفة به بحلب وقد شرط لمدرسها في اليوم عشر قطع فضية وفي قول عشرين عثمانياً صحيحاً واتخذ له ثلاثين جزء من كتاب الله تعالى وهو ختم كامل وبنى له مدفن وله خان (هو الخان المشهور الآن بخان الطاف) وبعض دكاكين وقفها على هذه الخيرات وكانت وفاته سنة ثمان بعد الالف ودفن بمحلة الجلوم (في مدفنه الملاصق لباب الخان المذكور) رحمه الله تعالى

واما ولده درويش بك فقد عاش بعد والده مدة طويلة وكان من اكابر اعيان المتفرقة وحصل له القبول التام عند نصوح باشا وسعى على قتل حسين نقيب الأشراف بتحسين اخيه السيد لطفي قائلاً له ان اخى يفعل كذا ويفعل كذا وسيأتى خبر قتل السيد حسين ثم لما وقعت الفتنة بينه وبين حسين باشا جانبولاد وكان يتهم درويش بك في انه هو الذى حسن لنصوح باشا كل هذه الأمور فلما ملك حسين باشا حلب وصار كافلها حبس درويش بك في القلعة وخنقه ليلاً وعلقه على باب الحبس وقال ان درويش بك هو الذي قتل نفسه تجاوز الله عن الجميع وكان قتله فى سنة اربع عشرة بعد الالف اه مافي خلاصة الأثر

(الكلام على شرط وقفه وما فيه من الآثار الخيرية)

اطلعني بعض احفاد الواقف على نفس كتاب الوقف المحفوظ لديه من عهد الواقف رحمه الله وخلاصته ان الواقف وقف عشرة آلاف دينار ذهباً تام الوزن

وجعل المتولى على هذا المبلغ ولده قوبض بيك وهو قد استبدل بها جميع الخان العامر الكائن بمحلة الجلوم الكبرى المعروف بخان الطاف ثم ذكر بقية العقارات التي اشتريت له وقال في بيان شروط الوقف على ان المتولى يستغل المبلغ المرقوم ويستربحه بالوجه الشرعى على حكم العشرة بأحد عشر ولا يعطيه لأمير ولا لأصحاب الثروة والمناصب ولا يعطيه الا بالرهن القوي واقله ان يكون قيمته ضعف ذلك المبلغ وشرط ان يصرف من غلته الحاصلة في كل سنة الوظائف التي سيأتي تفصيلها (ثم قال) واذا فضل من محصوله شيء بعد المصارف المعينة يصرف في عمارة الجسور الدائرة والقساطل المحتاجة وترصيف الأزقة المحتاجة الى ترصيفها برأي حاكم الشرع الشريف بهذه البلدة

وذكر في بيان الوظائف ان يفرز بعد وفاته من هذا المبلغ المذكور مقدار كاف ليبتني به على قبره قبة وبجانبه مكتب يعلم فيه القرآن العظيم ويقرأ على القبر كل يوم ثلاثون رجلاً من القرآن العظيم كل واحد جزء

وشرط ان المتولي يبنى بعد وفاة الواقف المشار اليه من ربح المبلغ المسطور داراً للحديث فى محل لائق بهذا البلد وعين للمحدث كل يوم ثلاثين درهما عثمانيا وللطلبة الذين هم ثلاثة نفر ستة دراهم لكل منهم عثمانيان كل يوم ولبواب المحل المذكور كل يوم عثمانيين حرر في ١٥ ذي الحجة سنة ١٠٠٤

ثم ان ما ذكره المحبى من انه بانى المدرسة المعروفة به لا صحة لذلك ولا اثر له في كتاب الوقف لكنه اوصى كما تقدم ذكره ان يبنى من ربح دراهمه التي وقفها دارا للحديث وبقي بناء هذه الدار مهملاً الى اوائل هذا القرن ففى سنة ١٣١١ اشتريت دار في محلة سويقة حاتم امام مسجد البكفالوني وجعلت دار حديث وعين لها من يحضر لقراءة الحديث لكنا لم نجد هناك طلبة قط ولم يأت شراء

هذه الدار بشيء من الفائدة. والدار ينزل اليها بدرج وهي لا تصلح لسكنى الفقراء الذين لا يبالون في امر صحتهم فضلاً عن ان تتخذ دار حديث وقد اخبرني المتولي ان في عزمه ان يستبدلها بغيرها ونعم العمل

وذكر في كتاب وقفه ثمانين كتاباً خطيا وقفها على ما يظهر على دار الحديث وهي كتب متنوعة من جملتها جلدان من لسان العرب وصل فيهما الى حرف الراء ولا اثر لهذه المكتبة الآن ولا يعلم الوقت الذي تبعثرت فيه

وشرط في كتاب وقفه اتخاذ مكتب لتعليم القرآن بجانب مدفنه ويغلب على الظن ان هذا المكتب كان ثمة ودخل مع حمام كانت هناك تسمى حمام البنات مع عدة دور في الكنيسة التي احدثت هناك منذ خمسين سنة المعروفة بكنيسة الشيباني وبعض هذه الأمكنة وقف باعها بعض من لا خلاق له والى الله تصير الأمور

وقد بنى المتولي السابق عبد القادر الغنام في المدرسة الشرفية في الجهة الشرقية منها حجرة واسعة قبوا اتخذت مكتباً وذلك بعد سنة ١٣٠٠ بقليل بأمر من الوالي جميل باشا وعين له من يعلم الأطفال القراءة والكتابة وبقي ذلك الى هذه السنة (١٣٤٣) فأخذت دائرة الأوقاف من المتولي الحالي السيد محمود الغنام هذه الحجرة لأن اصل بناء المكتب هنا كان في غير محله ولا ندري اين يبني عوضه بعد الآن.

(سنة ١٠٠٨)

(ذكر تولية حلب للحاج ابراهيم باشا)

قال في السالنامة ولي حلب سنة ١٠٠٨ الحاج ابراهيم باشا . اه قال في تاريخ نعيما من حوادث هذه السنة سنة ١٠٠٨ في ربيع الآخر قتل والي حلب ابراهيم باشا من يكيجرية الشام سبعة عشر شخصاً كانوا اتوا الى حلب وصاروا يأخذون من فقراءها وعمالها مالاً باسم الدولة مدعين انهم من محصلي الأموال الأميرية

ثم لما تبين امرهم قبض ابراهيم باشا عليهم وقتلهم فحصل لأجلهم جدال وقلاقل بين اليكجرية الموجودين هنا وبين جماعة ابراهيم باشا ادى الحال الى هدر دماء كثيرة من الطرفين اه

قال في قاموس الأعلام في ترجمته هو من وزراء السلطان محمد خان الثالث كان فى ابتداء امره من القضاة ثم صار دفترداراً في يانق ثم نقل الى رتبة ميرميران فعين والياً على حلب ثم حاز رتبة الوزارة وفي سنة ١٠٠٩ لما عصت بلدة جوروم عين المترجم لمحاربتها وصار قائد العساكر وجرت المحاربة بينه وبين جلال قره يازيجي فلسوء تدبيره انكسر وانهزم وتلف معظم العساكر التى كانت معه فعزل على اثر ذلك واحيل على التقاعد في قونية وفى زمن صدارة ياوز علي باشا احضر من قونية الى الاستانة وعين والياً على مصر وبعد ان مضى عليه عشرة اشهر قتل فى مصر قتلته الجنود المصرية وكان ذا دراية واقتدار معتدل فى اموره . لكنه غير موفق فى الحروب اه

وباسم الوالى المذكور ألف الشيخ ابراهيم بن احمد بن الملا تاريخاً تعرض فيه لمن حكم حلب من حين فتحها الصحابة الى زمن ابراهيم باشا الملقب بالحاج ابراهيم وسماه شفاء السقيم بآيات ابراهيم انظر ما كتبناه في المقدمة على هذا الكتاب

(سنة ١٠٠٩)

كان الوالى فيها علي باشا ثم بشير باشا ثم شريف باشا كما فى السالنامة

(سنة ١٠١٠)

كان الوالى فيها حسن باشا بن علي باشا زاده كما فى السالنامة

(سنة ١٠١١)

قال في السالنامة كان الوالى فيها ناصيف باشا ثم نصوح باشا اه وهذا سهو

فيها واحد قال في خلاصة الأثر في ترجمة (نصوح باشـا) وشهرته بناصف باشا وهذه عادة الأتراك في تلاعبهم بالحروف فيقولون في نصوح ناصف وتبديلاتهم ليس لها حد يحصرها ولا قاعدة تضبطها . ونصوح باشا هذا اصله من نواحي اورامه من بلاد روم ايلي خدم اولاً في حرم السلطنة الخاص ثم صار من المتفرقة وحكم ببلدة زله ثم صار امير اخور صغير في سنة سبع بعد الألف ثم ولي كفالة حلب وكان متغلباً في حكمه عسوفاً قوي النفس شديد البأس ولما وليها كان لجند الشام حينئذ الغلبة والعتو وكان في ذلك العهد يذهب في كل سنة طائفة الى حلب وينصب عليهم سردارا من كبرائهم يستخدمون بمدينة حلب وكان بعض كبار الجند قد تقووا في حلب وفتكوا وجاروا خصوصاً طواغيهم خداوردي وكنعان الكبير وحمزة الكردي وامثالهم حتى رهبهم اهلها وصاهرتهم كبراؤها واستولوا على اكثر قراها فلما رأى نصوح باشا ما فعلوه وما استولوا عليه منها ومن قراها بحيث قلت اموال السلطنة وصارت اهالي القرى كالأرقاء لهم رفع ايديهم عن قراها وجلاهم عن تلك البلاد ووقع بينه وبينهم وقعة وكان معه حسين باشا ابن جانبولاذ عند المعرة وفروا بين يديه هاربين الى حماة واخذ ما وجد من اموالهم وخيولهم وخيامهم ثم جمعوا عليه عشيرا بحماة وارادوا قتاله فأدركهم مرور علي باشا الوزير منفصلاً عن نيابة مصر ومعه خزينتها عن سنتين وقد تحفظ عليها بخمسة عشر مدفعاً وعساكر نحو الأربعة آلاف فجاؤا الى دمشق للقائه واتقائه فلما خرج علي بـاشـا من دمشق بالخزينة قاصداً جانب السلطنة لم يصل الى حماة حتى هموا بالخروج وخرج اوائلهم ثم ذهب في اثناء ذلك طاغيتهم خداوردي وفي صحبته نحو عشرين رجلاً من اعيانهم الى الأمير علي ابن الشهاب ثم الى الأمير فخر الدين بن معن (من امراء الدروز) ووقعوا

عليها فى السفر معهم لقتال ابن جانبولاذ واخذ ثارهم منه فسافر قبلهم امير بعلبك الأمير موسى ابن الحرفوش وجمعوا عشيراً كثيراً بحمص وحماة وورد امر سلطاني وعليه خط شريف بأن طائفة الجند بالشام لايخرجون الى حلب لقتال كافلها ناصف باشا وحاكم كلز حسين باشا ابن جانبولاذ لأنهم كانوا اجتمعوا وعرضوا بذلك الى ابواب الدولة وكان ذلك جواب عرضهم وكان وصوله الى دمشق يوم السبت عاشر رجب سنة اثنتى عشرة بعد الألف ومن جملة ما ذكر فى الخط المذكور انهم ان خرجوا يكونوا مغضوباً عليهم مستحقين للعقوبة والنكال من السلطان فرأى نائب الشام اذ ذاك فرهاد باشا وقاضيها المولى مصطفى بن عزمي ودفتريها حسن باشا انهم لا يرجعون الا بحيلة فرأوا ان يرسلوا الشيخ محمد بن سعد الدين لكسر هذه الفتنه الموجبة للعقوبة الى حماة ويقرأ عليهم الخط السلطانى ويرجعهم الى دمشق ليقال لو لا خاطر الشيخ محمد ما رجعنا فخرج الشيخ محمد اليهم في ثاني عشر رجب ثم عاد يوم الأحد ثاني شعبان ولم يسمعوا قوله وخرجوا بعد قراءة الحكم عليهم والكلام معهم الى الطيبة ثم توجهوا الى ناحية حلب وانضم اليهم نجر محمد الجلالي وعشيره ثم رجعوا في أواخر شعبان الى دمشق بعد ان صار بينهم وبين ناصف باشا وابن جانبولاذ مناوشة عند كلز يوماً واحداً ثم ولوا هاربين وتفرق عشيرهم وذلك بعد ان حاصروا كلز اياماً وخربوا ماحولها من قرية الباب وعزاز وغيرهما من قرى حلب وهتكوا النساء وافتضوا جملة من ابكارهن ودخلت اشقياؤهم حماماً بكلز على النسوة وفعلوا افاعيل جاهلية ثم تلاقوا مع نصوح باشا وابن جانبولاذ خارج كلز يوماً واحدا ثم انهزموا من ليلتهم وعادوا الى دمشق وفر نجر محمد الى البيوة وكانت الوقعة في اواسط شعبان ثم تتبع نصوح باشا نجر محمد الجلالي

ومعه عشيره ومنهم طائفة من جند الشام فأغار عليهم فى شوال وهو فى الربيع بالقرب من حماة وانتهبهم واخذ خيولهم وكرر الغارة عليهم فلما كان اوائل ذى الحجة مر مصطفى باشا الشهير بابن راضية متولياً نيابة الشام بغجر محمد وقد جمع عشيرا نحو ثلاثة آلاف مقاتل فقالوا له لا تمكنك من الذهاب الى دمشق حتى تنتصف لنا من ناصف باشا فسار معهم مكرها وكانوا قد تظاهروا بقطع الطريق وضربوا على اهل حمص وحماة ضرائب من المـال واعترضوا القوافل وجرموهم فخرجوا بمصطفى باشا من حماة الى ناحية حلب فلم يلبثوا الا وناصف باشا قد انقض عليهم فلم يثبتوا له ساعة وافلت عليهم المكاحل فقتل منهم جماعة كثيرون وفر الغجر ومن معه من الجند الشامي وانحاز مصطفى باشا الى ناصيف باشا ثم بعث خلف الغجر طليعة من العرب فيهم الأمير دندن ابن ابي ريشه الحيارى فسار خلفه الى تدمر وشتت شمله ثم شاع الخبر في دمشق في رابع اوخامس ذي الحجة ان ناصف باشا وصل الى دمشق للأنتقام من الجند ثم عقب يومين وصل من طرفه رسول ومعه كتاب فيه يطلب منهم نحو ثلاثين رجلا ليأخذ ما في عهدتهم من الأموال السلطـانية التى تناولوها من اموال حلب ومنهم خداوردي وآق نباق وقرا نباق وحمزة الكردى وآخرون وان لم يسلموا هذه الطائفة اليه والا اتى دمشق وقاتلهم واستأصلهم فامتنعوا واظهروا له العناد والتمرد والقوة والاشتداد ثم دخلت طـائفة منهم الى القلعة واستولوا عليها وتحصنوا ثم بعثوا منهم جماعة الى الأمير فخر الدين بن معن والأمير موسى بن الحرفوش والأمير احمد ابن الشهاب والشيخ عمر شيخ المفارجة ثم خرجوا الى القابون واجتمع العشير عليهم ثمة ولم يتأخر الى الأمير فخر الدين بن معن وبقيت خيامهم في القابون نحو عشرة ايام واخذوا فى نهب زروع الناس وبعض مواشيهم ودخل اهل الغوطة

الى دمشق ونقلوا اسبابهم وامتعتهم ونساءهم اليها وارتعبت اهل دمشق ثم شاع في ثامن ذي الحجة بدمشق ان ناصف باشا رجع الى حلب بعد ان كان وصل الى الرستن . وكان مصطفى باشا نائب دمشق قد فارقه قبل ذلك بأيام ونزل بالقابون فلم يمكنوه من دخول دمشق بل قالوا له ارجع وقاتل معنا ناصف باشا وبقوا ثمة حتى استهلت سنة ثلاث عشرة يوم الأثنين

(سنة ١٠١٣)

قال فهموا بالرحيل وافترقوا فرقتين فرقة تقول نذهب الى حلب وهم الذين كانوا في استخدام حلب والآخرون يقولون نرجع الى دمشق وقد رجع عنا ناصف باشا ونحن لا نعصى السلطنة ثم فكوا خيامهم وتوجه الحلبيون الى ارض القصير وعذرا ثم في يوم الثلاثا رحل مصطفى باشا الى دمشق ومعه ابن الشهاب وابن الحرفوش واكثر الجند وانقطع امرهم عن حلب وعن سرداريتهم فيها وليته انقطع عن دمشق ايضاً فلعمري ان بلدة تأمن غوائلهم ولا ترى مصائبهم ونوازلهم لهي امينة من جميع المصائب مدفوع عنها بلطف الله تعالى جميع النوائب فانهم مدار كل ضرر آجل وعاجل وليس لهم تالله نفع ولا تحتهم طائل .

عوداً الى تتمة ترجمة صاحب الترجمة ثم صار بعد ذلك نائب السلطنة بديار اناطولي ثم ولي محافظة بغداد ثم صار نائباً بديار بكر ثم وجه اليه الوزير الأعظم مراد باشا سرداراً لعساكر حكومة مصر فلم تمض ايام الا ومرض مراد باشا مرض موته فبعث السلطان احمد مراسيل الى صاحب الترجمة بأن يكون قائم مقام الوزير ثم توفي مراد باشا فوجهت اليه الوزارة العظمى والسردارية وجاءه الختم في جمادى الآخرة سنة عشرين والف وعقد الصلح بين السلطان وشاه العجم ثم سافر راجعاً بالعساكر الى حلب وارهب جند الشام وغيرهم

وهرعت الناس اليه الى حلب ثم سافر من حلب الى قسطنطينية فدخلها في شعبان فقابله السلطان احمد بالقبول والاقبال وزوجه ابنته ثم قتله يوم الجمعة ثاني رمضان سنة ثلاث وعشرين والف اهـ

وقد ترجمه في قاموس الاعلام ترجمة وجيزة قال فى آخرها انه كان وزيراً عاقلاً مدبراً لكنه كثير الطمع حاد المزاج وارتكب خواصه واتباعه انواع المظالم وفى سنة ١٠٢٣ غضب عليه السلطان فأعدمه وهو مدفون في اوق ميدان عند ابراهيم باشا .

(ذكر تعيين حسين باشا ابن جانبولاذ على حلب)

والوقائع بينه وبين واليها نصوح باشا

قال مصطفى نعيما في تاريخه كان على ابن جانبولاذ اول من ترأس عشيرة الأكراد الجانبولاذية في نواحى كلز ثم صارت الزعامة الى حسين بك الذي هو اكبر اعقاب جانبولاذ وقام في اول الأمر بخدمات عظيمة للدولة العثمانية في الشرق والغرب ثم لما تعين السردار سنان باشا قائداً عاماً لجهات الشرق وحضر الى حلب عزل نصوح باشا عن ولاية حلب وعين عليها حسيناً المذكور لمنافع شخصية الا ان نصوح باشا امتنع من تسليم حلب لحسين باشا المذكور بحجة أنه ليس من امراء الدولة بل هو من رؤساء العشائر وبلغ السردار المذكور انه خابر الأستانة وهو ينتظر الأوامر التى تأتيه .

فحسين باشا اعلم السردار سنان باشا بذلك فاباه الأمر بمحاربة نصوح باشا اذا اصر على الأمتناع من تسليم حلب اليه . فأخذ عندئذ حسين باشا بجمع العساكر من الأكراد والعربان التى حواليه الى ان صار معه جيش كثيف وتوجه الى حلب وحاصرها

واما نصوح باشا فأن الجواب من الأستانة تأخر عليه مدة ثلاثة اشهر وحسين باشا محاصر لحلب وتقدم ان الدولة كانت عينت سنان باشا قائداً عاماً للبلاد الشرقية ووسعت له المأذونية وفوضت اليه الأمر يفعل في البلاد ما يشاء فوافقت على ما ارتآه سنان باشا وامرت نصوحاً بالأنسحاب من حلب فأجاب الى ذلك وتوجه منها الى الآستانة وصار الوالى فيها حسيناً يتصرف فى امورها كيف شاء .

قال فى خلاصة الأثر في ترجمة حسين باشا ابن جانبولاذ الكردى المذكور انه كان فى ابتداء امره من المتفرقة ثم تولى امارة كلز منصب والده وعزله عنه اخوه الأمير حبيب وشبت العداوة بينهما ثم استمرا يتعازلان فتولى ديو سليمان كلز فاحتاج الى جمع السكبانية وكان ابتداء كثرتهم وظهور قوانينهم من عبد الحليم اليازجى احد اتباع المسطور ولما سجن صاحب الترجمة بحلب وبيعت جميع عقاراته واسبابه بابخس الأثمان لمال سلطانى كان عليه تولى كلز بعد ذلك وصمم على الأمتناع من تسليمها ان عزله احد فكان اذا عزل من جانب السلطنة سعى فى العود من غير تسليم المتولي الجديد فعلم اكابر الدولة انهم اذا صمموا على عزله شق العصا فتركوه وارتضوا بالمال فكثرت اجناده وامواله وكان له مروءة وفتوة ومحبة للعلماء والصالحين الا انه كان ظالماً لأحتياجه الى علوفات السكبانية وكان له فضيلة فى علم الفلك والزايرجا والتقويمات والرمل وصرف اكثر عمره فى ذلك.

ولما توجه محمد باشا الوزير ابن سنان باشا الوزير الاعظم سرداراً على حسين باشا امير لواء الحبشة وكان خرج عن الطاعة وشق العصا وسببه انه لما تولى امارة الحبشة اخذ منه اكابر الدولة مالاً جزيلاً استدان غالبه ثم عزلوه سريعاً فشق العصا مغاضباً لهم فتوجه صاحب الترجمة لحربه صحبة السردار فقدم الى كلز خارجى من السكبانية يقال له رستم ومعه من البغاة اجناد كثيرة وكان ضابط كلز

عزيز كتخدا من جماعة صاحب الترجمة فبعث واستنجد بعساكر حلب منهم العسكر الجديد فخرجوا لنصرته واجتمعوا اجميعاً فتقابلت الأجناد وقام بينهم سوق الحرب والطعن والضرب فانتصر عسكر رستم على عسكر حلب وكلز وقتل عزيز كتخدا وقتل من العسكر ما لا يحصى وولوا منهزمين فنهب الخارجي كلز وصادر اعيان اهل القرى .
ولما تولى نصوح باشا كفالة حلب وكان عساكر دمشق تغلبوا على حلب ونواحيها وامره السلطان احمد بأخراجهم وعجز عن ذلك فاستعان بصاحب الترجمة فبعث ابن اخيه الأمير علي بعسكر عظيم فاصبح نصوح باشا وقد اخذ القلعة ووضع متاريس تحت قلعة حلب واستعدت جماعته فكانوا نحو ستمائة فأخذت العساكر الدمشقية باب بانقوسا واستعدوا وجمعوا عساكرهم نحو الألفين وهم لا يعلمون ان صاحب الترجمة بعث عساكر فاحضر نصوح باشا اليه كنعان سردار الدمشقيين واخبره ان السلطان رفعهم من الأستخدام وامر بأخراجهم من حلب بعيالهم فامتنعوا . ثم تواردت الأخبار ان الأمير علي بن جانبولاذ وصل الى قرية حيلان بعساكر لا تحصى فخرجوا فى الظلام ولم يبق منهم احد وفى اليوم الثانى دخل الأمير علي بالعساكر المكاثفة فتبعهم نصوح باشا ومعه الأمير علي الى قرية كفرطاب فوقع بينهم محاربة فانهزم الدمشقيون بعد ما قتل منهم جم غفير فصادر نصوح باشا اقاربهم واتباعهم وفعل حسين باشا مع نصوح باشا هذا الفعل فأخذ نصوح باشا يتكلم بين الناس انه يريد قتل حسين باشا فسمع الخبر فأخذ في جمع العساكر وبعث جماعة الى السردار سنان باشا ابن جفالة الذي ارسله السلطان لقتال الشاه فبلغ ذلك نصوح باشا فاشتدت عداوته فعزم على المفاجأة بالقتال لكون كلز قريبة من حلب فخرج في عساكره مجداً حتى وصلها في يوم واحد فقابل حسين باشا بعسكره والتقت الفئتان فانكسر نصوح وقتل اكثر عسكره

ودخل حلب منهزما .

ثم في اليوم الثاني اخذ في جمع الأجناد وبذل الأموال لتكثير العدد والأعداد ظنا منه ان صبح سعده اسفر ثم جاءه رسول من السردار سنان باشا ابن جفالة يخبره بالأوامر السردارية انه قد صار حسين باشا كافل المملكة الحلبية وعزل نصوح باشا منها فلبس نصوح باشا جلد النمر وامتنع من تسليم حلب لحسين باشا وقال اذا ولوا حلب لعبد اسود اطيع ذلك الا ابن جانبولاذ فما مضى اسبوع الا وقد اقبلت عساكر حسين باشا بجموعها الى قرية حيلان فاستقبلهم نصوح باشا بالحرب ثانياً فانكسر ثانياً فنزل حسين باشا بعساكره في محلات حلب خارج السور واغلق نصوح باشا ابواب المدينة وسدها باحجار وفتح باب قنسرين وحرسه بعساكر اوقفهم هناك وقطع حسين باشا الماء عن حلب ومنع الميرة والطعام عن داخل المدينة ونصب حسين باشا متاريس على اسوار المدينة وصف عساكره على الأسوار مع المكاحل وقامت بينهم حرب البسوس واخذ حسين باشا في حفر اللغوم والأحتيال على اخذ البلدة ونصوح باشا في حفر السراديب لدفع اللغوم وعم الحلبيين البلاء من المبيت على الأسوار وحفر السراديب ومصادرة الفقراء والأغنياء كل يوم وليلة لطعام السكبانية وعلوفاتهم واغلقت الدكاكين وتعطلت الصناعات وحرقت الأخشاب للطعام والقهوة بسبب قطع حسين باشا الميرة حتى الخشب والحطب ونزل البلاء من جانب السماء على حلب فبيع مكوك الحنطة بمائة قرش ريال وجرة الشيرج بثمانية عشر قرشاً ورطل لحم الكديش بنصف قرش والتينة الواحدة بقطعة واوقية بزر البطيخ باربع قطع واعظم من في البلد يجد اكل البصل والخل من احسن الأطعمة وكان بعضهم يأخذ الشمع الشحمي ويضعه في طعام الارز والبرغل وكان العساكر لا يجدون التين بل يأخذونها وينقعونها في الماء ويقطعونها

ويطعمونهـا للخيل بدلاً عن التبن وكل فقير يغرم في اليوم قرشين والمتوسط عشرة والغني عشرين واستمر الحصار نحو اربعة اشهر واياماً ثم قدم السيد محمد المشهور بشريف قاضياً بحلب فنزل خارج المدينة واخذ يسعى في الصلح ثم عقد الصلح ولم يرض نصوح باشا الا بأيمانات السكبـانية وعهودهم فأن لهم عهوداً وثيقة فحلفهم بالسيف ان يكون آمنا على نفسه وامواله اذا تعرضه حسين باشا يقاتلونه معه ثم امر الشريف نصوح باشا ان يذهب بنفسه الى حسين باشـا ويصالحه لكون نصوح باشا كان ضرب بنت حسين باشا واخذ اموالها فذهب ومعه شاطر واحد الى منزل حسين باشا فأكرمه وسقاه شربة سكر بعد ما امتنع نصوح باشا فشرب حسين باشا من الأناء قبله فاقتدى به وشرب ولمـا ذهب كان لابساً درعاً تحت الثوب وظن الناس خروج نصوح باشا خفية ليلاً خوفاً من حسين باشا وعسـاكره فلم يكن الأمر كذلك بل خرج بعساكره وطبوله وزموره وقت الغداة فودعه حسين باشا واستولى على الديـار الحلبية وصادر الأغنياء والفقراء لأجل علوفة السكبان

(سنة ١٠١٤)

قتل حسين باشا وتغلب ابن اخيه الأمير علي على حلب

وخروجه عن السلطنة

قال في الخلاصة في ترجمة حسين باشا المذكور ثم امر سنان باشا بالتوجه اليه (الى بلاد العجم) لقتال الشاه فقدم رجلاً واخر أخرى وتثاقل عن السفر حتى حصلت الكسرة ببلاد العجم للعساكر العثمانية في وقعة مشهورة قتل فيها جماعة من الأمراء وكانت فى سادس جمادى الآخرة سنة اربع عشرة والف فلما رجع

الوزير سنان باشا ابن جفالة ادركه حسين باشا في رجعته بمدينة وان فقتله لتأخره في السنة المذكورة وكان يريد جعل ابن اخيه الأمير علياً قائماً مقامه بحلب فلما بلغه قتل عمه تملك حلب وخرج بها على السلطنة وتولدت من ذلك فتن عظيمة سنذكرها فى ترجمة الأمير علي ان شاء الله تعالى اه

قال في تاريخ نعيما لما بلغ الأمير علياً قتل عمه حسين باشا غضب لذلك غضباً شديداً وعزم على الأنتقام من الدولة وشق عصا الطاعة وجمع حوله كثيراً من الحشرات الاكراد والعربان ولما وصلت الأخبار الى الأستانة بذلك ارسلت له منشور الولاية على حلب وقُصد بذلك تسكين غضبه الا ان ذلك زاد فى عتوه وبقي مصمماً على الخروج عن الطاعة وتوجه لمحاربة الأمير يوسف بن سيفا حاكم طرابلس الشام وكسره وتحصن ابن سيفا في طرابلس ثم صالحه على مال وصاهره ليكون ظهيراً له . ثم توجه الى الشام لعداوة سابقة بينه وبين امرائها وحاربهم وحاصرهم فى القلعة وقتل من عسكرهم كثيرين ثم صالحهم على مال كثير وصادر اموالهم ثم عاد الى حلب وبعد وصوله اليها قسم الغنائم على قسمين من العساكر وظن انه بذلك استكمل قوته واشتد ساعده فجمع ايضاً عساكر وشق عصا الطاعة على الدولة ومنع وصول خزائن المال الى قسطنطينية وقسم عساكره الى قسمين خيالة ومشاة المشاة على نسق اليكيجيرية والخيالة على نسق السباهية وعدد المشاة ستة عشر الفاً يرأسهم شخص يدعى جمعة والخيالة قسمهم الى قسمين ميمنة وميسرة جملتهم ثمانية عشر الفاً يرأسهم شخص يدعى خرتاوى علم ذلك من دفاتر السجلات التى وجدت فى حلب بعد استئصالهم .

وحينما حصل هذا الأمر ارسلت الدولة السردار مراد باشا لتأديب علي باشا جانبولاط المذكور وكان امره هو الشغل الشاغل لأفكار الدولة وكان توجهه

الى الديار الحلبية في سابع ربيع الأول من السنة المذكورة وكان علي باشا جانبولاذ متحصناً في مضيق بغراص (بيلان) وقد اتخذ فيها متاريس واستحكامات ومعه من العساكر عشرون الفاً من الخيالة وعشرون الفاً من المشاة وحينما علم السردار مراد باشا بتحصن علي باشا في الأمكنة المذكورة انحرف عنها وجاء من جهة (ارسلان بلي) وفي جمادى الآخرة اجتاز المضيق المذكور ونزل الى صحراء الجمامات فلحق به ذوالفقار باشا والي مرعش بعساكر ذي الغادرية وقعدا في هذا المكان ثلاثة ايام الى ان تم مرور العساكر من ذلك المضيق واستقرت في صحراء درمه وحينما بلغ ابن جانبولاط اجتياز العساكر قام من مكانه ثاني رجب واتى نحو عساكر الدولة وحط رحاله في صحراء الروج بحيث صار بينه وبين عساكر الدولة نصف مرحلة .

ثم ارسل ابن جانبولاط ثلة من العساكر لاجل الكشف فوقع بينهم وبين عساكر الدولة مصادفة ادت الى قتل رئيس ذلك الثلة وكان يسمى (الجن) وانهزم الباقون واسر منهم طائفة وحينما مثل المأسورون بين يدي ابن جانبولاط قتلهم للحال وصباح ذلك اليوم صف السردار مراد باشا عساكره وتهيأ للقتال فأرسل علي باشا جانبولاط رسولاً بطلب الأمان فرد الرسول ولم يقبل بالصلح ثم التقى الفريقان وكان في المقدمة ذوالفقار باشا حاكم مرعش فظهر منه شجاعة عظيمة وابلى في ذلك اليوم بلاءً حسناً . وكان في الميسرة حسن باشا ترياكي ومعه عساكر الروملي فهجم عليه ابن جانبولاط ووقع بينهما حرب عظيمة وقتل في ذلك اليوم من عساكر ابن جانبولاط عشرون جمعت الرؤس ووضعت مكردسة امام القائد مراد باشا وعُين عشرون شخصاً لقطع رؤس الأشقياء الذي اسروا فامضوا ذلك اليوم في قطع الرؤس من الأسرى . وادى الامر الى انكسار ابن جانبولاط

وفراره الى جهة كلز مسقط رأسه الا انه لم يقر له بهـا قرار فتوجه منها الى حلب واخذ في مصادرة الأغنياء وايضاً لم يستقر له بها قرار فأبقى فى قلعة حلب جمعة وخرتاوي وهما من مقدمى عساكره وخرج منهزماً من حلب من باب بانقوسا وفى اثناء خروجه منها كان النساء والأطفال يولولون ويسبونه ويلقون على رأسه القاذورات ويحقرونه بأنواع كلمات التحقير ثم صار اهالى حلب يلقون القبض على اتباع ابن جانبولاط فبلغوا نحو الألف وحينما اتى مراد باشا الى حلب سلموا اليه هؤلاء الأشقياء فقطع رؤسهم .

وثانى يوم الواقعة المتقدمة بعد انهزام ابن جانبولاط اتى مراد باشا الى خيامه وقعد فيها واخذ كبار قواده يأتون اليه يهنئونه بالنصر والظفر وكان في جملتهم الدفتردار باقي باشا فهنئه بهذه الشطرة (بيك اون آلتيده قرلدي سكبان) فجاءت هذه الشطرة تاريخاً لهذه الوقعة . ويروى ان القائد مراد باشا لمـا كان يقاتل ابن جانبولاط كان مع جانبولاط فخرالدين ابن معن ومعه عساكر من بنى كلب ومن الدروز ولما انكسر ابن جانبولاط فر ابن معن الى قلعة الشقيف .

ثم ان السردار مراد باشا توجه الى حلب وفي طريقه مر على كلز وصـادر جميع املاك ابن جانبولاط والحقها فى الاموال الاميرية وفى تاسع عشر رجب دخل الى حلب وضرب خيامه فى الميدان وخرج اعيان البلد واهلها واستقبلوه احسن استقبال وهناك سلموه الألف رجل الذين قبضوا عليها كما قدمنا فأمر بقتلهم . ثم ان السكبانيين المحاصرين في القلعة طلبوا الامان وسلموه القلعة يوم الثلاثا وبعد خروجهم من القلعة قتلوا بعد ان كان اعطى لهم الأمان .

ثم سلمت ولاية حلب الى ديشلك حسين باشا وعين جشمه افندى قاضي الجيش قاضياً على حلب لما له من العلاقات القديمة .

ثم ان ابن جانبولاط توجه الى قسطنطينية والتجأ الى داود باشا احد كبار الوزراء فسعى له لدى الحضرة السلطانية بالعفو عن جرائمه فعفي عنه وانعم عليه برتبة بكلربكي وارسل الى الحدود في جهة طمشوار (في بلاد العجم) للمحافظة وبعد استقراره هناك سنة عاد بمقتضى رداءة طينته الى عادته السابقة من الظلم والجور والتعدي وهم الأهالي هناك بقتله فانهزم لجهة بلغراد والتجأ الى علي باشا قاضي زاده وهذا حبسه في القلعة المذكورة حفظاً له ممن رام قتله من اهل طمشوار ثم لما عاد مراد باشا الى الأستانة اشار على ابن قاضي زاده بقتل ابن جانبولاط فقتله .

هذا ما ذكره المؤرخ مصطفى نعيما في تاريخه وانت كما ترى قد اختصر حوادثه ووقائعه في الشام والعلامة المحبي قد بسط حوادثه ثمة ثم ذكر بعد ذلك وقائعه مع السردار مراد باشا وانكساره امامه وانهزامه الى البلاد الرومية الى ان قتل فقال هو الأمير علي بن احمد بن جانبولاذ بن قاسم الكردي القصيري قد اكثر اهل التاريخ والمجاميع ممن لحقوا واقعته من ذكره وذكر مافعله بدمشق وماجرى لحكام الشام واهلها معه من الوقائع وقد اخترت من ذلك ما اودعته في هذه الاوراق من مبدأ امره الى منتهاه واما ذكر اصله ومنزعه فجده جانبولاذ هذا كان يعرف بابن عربوا وكان امير لواء الاكراد بحلب ولي حكومة المعرة وكلز وعزاز وكان له صيت شائع وهمة علية ومبدأ الأمير علي هذا انه كان في طليعة عمره ولي حكومة العزيزي وقد تقدم في ترجمة عمه حسين باشا انه لما قتله الوزير ابن جغال لتراخيه في امر السفر الذي كان عين له خرج الأمير علي عن طاعة السلطنة وجمع جمعاً عظيماً من السكبانية حتى صار عنده منهم ما يزيد على عشرة آلاف ومنع المال المرتب عليه وقتل ونهب في تلك الاطراف ودبر على قتل نائب حلب حسين باشا وكان ولاه السلطان نيابتها ووصل الى آذنة وكان

بآذنة حاكم يعرف بجمشيد فكتب اليه ابن جانبولاذ ان يضع له ضيافة ويقتله ففعل ونما خبره الى الأقطار واستمر في حلب يظهر الشقاق الى ان ارسل الأمير يوسف بن سيفا صاحب عكار الى باب السلطنة رسالة يطلب فيها ان يكون اميراً على عساكر الشام والتزم بأزالة الأمير علي عن حلب فجاءه الأمر على ما التزم وارسل الى عسكر دمشق وامراء ضواحيها يطلبهم الى مجتمع العساكر وهو مدينة حماة فتجمعوا هناك من كل ناحية وجاء ابن جانبولاذ الى حماة وتلاقيا وتصادما فما هو الا ان كان اجتماعهم بمقدار نحر جزور فانكسر ابن سيفا واتباعه ورجع بأربعة انفار واستولى ابن جانبولاذ على مخيمه ومخيم عسكر الشام ثم انه راسل الأمير فخر الدين بن معن امير الشرق وبلاد صيدا واظهر له انه قريبه مع بعد النسبة فحضر اليه واجتمعا عند منبع العاصي وتشاورا على ان يقصدا طرابلس شام لأجل الانتقام من ابن سيفا فسار ابن سيفا فى البحر واخلى لهم طرابلس وعكار وارسل اولاده وعياله الى دمشق وجلس مملوكه يوسف فى قلعة طرابلس فتحصن بها وبعث ابن جانبولاذ الى طرابلس فضبطها واستولى على غالب اموال من وجد هناك واستخرج دفائن كثيرة لاهلها ولم يستطع ان يملك قلعتها وسار الامير على ومعه ابن معن الى ناحية البقاع العزيزى من نواحى دمشق ومرا على بعلبك وخربا ما امكن تخريبه منها واستقر فى البقاع واظهرا انهما يريدان مقاتلة عسكر الشام ولم تزل العساكر الشامية ترد الى دمشق حتى استقر في وادي دمشق الغربى ما يزيد على عشرة آلاف وتزاحف العسكران حتى استقر ابن جانبولاذ وابن معن في نواحى العراد وزحف العسكر الدمشقي الى مقابلتهما وكان ابن سيفا وصل الى دمشق واظهر التمارض ولم يرحل مع العسكر الدمشقي واستمرت الرسل مترددة بين الفريقين ليصطلحا فلم يقدر لهم

الاصطلاح وتزاحف الجيشان فتوهم ابن جانبولاذ من صدمة العسكر الشامي فشرع في تفخيذ اكابر العسكر عن الأتفاق واوقع بينهم ثم انه ارسل الى طائفة من اكابرهم فوردوا عليه في مخيمه ليلاً والبسهم الخلع وتوافقوا معه على انهم ينكسرون عند المقابلة وكان في جانب ابن جانبولاذ ابن معن وابن الشهاب امير وادي التيم ويونس بن الحرفوش فطابت نفوسهم لملاقاة الشاميين وتقابل الفريقان في يوم السبت من اواسط جمادى الآخرة سنة خمس عشرة بعد الألف ولم يقع قتال فاصل بين الفريقين ثم في صبيحة نهار الأحد وقف العسكر الشامي في المقابلة واقتتلا فما مر مقدار جلسة خطيب الا وقد انفل عسكر الشامي حتى قال ابن جانبولاذ العسكر الشامي ما قابلنا وانما قابلنا للسلام علينا فلما ولى عسكر دمشق زحف ابن جانبولاذ حتى نزل بقرية المزة وكان نزوله فى الخيام . واما ابن معن فأنه كان ضعيف الجسد في هانيك الايام وكان نزوله في جامع المزة واصبحت ابواب البلد يوم الأثنين مقفلة وقد خرج منها ابن سيفا وجماعته ليلاً بعد ان اجتمع به قاضي القضاة بالشام المولى ابراهيم بن علي الأزنيقي وحسن باشا الدفتري المقدم ذكرهما ولم يمكناه من الخروج حتى دفع اليهما مائة الف قرش ليفتدوا بها الشام من ابن جانبولاذ ثم خرج ومعه الأمير موسى ابن الحرفوش ولما بلغ الأمير ابن جانبولاذ خروجه غضب وقال اهل دمشق لو ارادوا السلامة مني ما مكنوا ابن سيفا من الخروج وهم يعرفون انني ما وردت بلادهم الا لأجله ونادى عند ذلك بالسكبانية ان يذهبوا مع الدروز جماعة ابن معن لنهب دمشق فوردت السكبانية والدروز افواجاً الى خارج دمشق وشرعوا في نهب المحلات الخارجة فلما اشتد الكرب والحرب على المحلات وتلاحم القتال خاف العقلاء في دمشق فخرج جماعة الى ابن جانبولاذ وقالوا له ان ابن سيفا

قد وضع لك عند قاضي الشام مائة الف قرش وتداركوا له خمسة وعشرين الف قرش اخرى كما وقع عليه معه الأتفاق من مال بعض الأيتـام التي كانت على طريق الأمانة في قلعة دمشق وبعد ذلك أداها ايضاً ابن سيفا كالمائة الف فلما تكلم الناس في الصلح طلب ابن جانبولاذ المال الذي وقع عليه الصلح على يد الدفتري وقال ان جاءني المال فى هذا الوقت رحلت فحملوا له مائة الف قرش وخمسة وعشرين ونادى بالرحيل عن المزة في اليوم الرابع من نزوله واستمر النهب في اطراف دمشق ثلاثة ايام متوالية وكانوا يأخذون الأموال والاولاد الذكور ولم يتعرضوا للنساء .

ولما رحل ابن جانبولاذ ارتفع النهب عن المدينة وفتحت ابواب المدينة فى اليوم الرابع فازدحم الناس على الخروج افواجاً افواجاً ودخل اليها من نهبت اسبابه من المحلات الخارجة فكانوا الا يعرفون لتغير اسبابهم ووجوههم وابتدأت العساكر الهاربة تتراجع الى دمشق ولم يبالوا بما صدر منهم من الفضيحة . ولما فارق ابن جانبولاذ دمشق سار على طريق البقاع وفارق ابن معن هناك ورحل الى ان وصل الى مقابلة حصن الاكراد واقام هناك وارسل الى ابن سيفا يطلب منه الصلح والمصاهرة فأجابه واعطاه مايقرب من ثلاث كرات من القروش وزوجه ابنته وتزوج منه اخته لأبنه امير حسين ورحل ابن جانبولاذ من هناك الى جانب حلب وجاءته الرسل من جانب السلطنة تقبح عليه ما فعل بالشام فكان تارة ينكر فعلته وتارة يحيل الأمر على عسكر الشام وشرع يسد الطرقات ويقتل من يعرف انه سائر الى طرف السلطنة لأبلاغ ما صدر منه حتى أخاف الخلق ونفذ حكمه من آدنة الى نواحى غزة وكان ابن سيفـا ممتثلاً لأمره غير تارك مداراة السلطنة واتفق معه على ان تكون حمص تحت حكم ابن سيفا .

وكانت حماة وما وراءها من الجانب الشمالي الى آدنة فى تعلق ابن جانبولاذ وانقطعت احكام السلطنة عن البلاد المذكورة نحو سنتين ووقعت الوحشة وانقطعت الطرقات الى ان ولي الوزارة العظمى مراد باشا وكان سافر فى ابتداء وزراته الى الروم واصلح مابين السلطان وسلاطين المجر فلما قدم عينه السلطان لدفع ابن جانبولاذ وبقية الخوارج مثل العبد سعيد ومحمد الطويل الخارجين فى نواحى سيواس فقدم الوزير المذكور ومعه من العساكر الرومية مايزيد على ثلاثمائة الف مابين فارس وراجل وكان كلما مر بقوم من السكبانية الخارجين يقتلهم حتى أزال السكبانية الخارجين ولم يبق سوى العبد السعيد والطويل محمد فأنهما حادا عن طريقه ولم يستطع لحاقهما ووصل الى آدنة فخلصها من يد جمشيد الخارجي ولما انفصل عن جسر المصيصة الى هذا الجانب تيقن ابن جانبولاذ انه قاصده فجمع جموعه المنفرقة فى البلاد حتى اجتمع عنده اربعون ألفا وخرج من حلب والوزير في بلاد مرعش (هو ذو الفقار باشا كما تقدم) وجزم بمقابلته وكان الوزير في اثناء ذلك يراسله بالكلمات الطيبة طمعا في اصلاح امره فلم يزدد الا عتوا ولما تلاقى الفريقان برز عسكر ابن جانبولاذ الى المقاتلة يومين ولم يظهر لأحد الفئتين غلبة على الأخرى ففى اليوم الثالث التحم القتال حتى كاد ان يكون عسكر البغاة غالباً وكان من اعاجيب الأمر ان وزيراً يقال له حسن باشا الترياقي وكان من جملة العسكر السلطاني رتب عسكر السلطان وقال قاتلوا البغاة الى وقت الظهر فاذا حكم وقت الظهر فافترقوا فرقتين فرقة منكم تذهب لجانب اليمين واخرى تذهب لجهة الشمال واجعلو عرصة القتال خالية للاعداء وحدهم وقد أخفى المدافع الكبيرة في مقابلة العدو وملأها بالبارود فلما افترق عسكر السلطان ظن حزب ابن جانبولاذ انهم كسروا فبالغوا في اتباع عسكر السلطان الى ان كادوا يخالطونهم فلما قربوا

وخلت لهم عرصة القتال اطلقوا عليهم المدافع ولحقوهم بالسيوف الى ان ازاحوهم عن خيامهم وكسروهم كسرة شنيعة وقتلوا منهم خلقا كثيرا وهرب ابن جانبولاذ الى حلب ولم يقربها الا ليلة واحدة فوضع اهله وعياله وذخائره في قلعتها وخرج منها الى ان ألجأه الهرب الى ملطية وبقي الوزير يتبع اعوان ابن جانبولاذ فأبادهم قتلاً بالسيف وجاء الى حلب بالجنود فرأى قلعتها في ايدي بعض اعوان البغاة فرام محاصرتها فتحقق من فيها ان كل محصور مأخوذ فطلبوا الامان من الوزير فأنزلهم بأمانه وكانوا نحو الف رجل وكان معهم نساء ابن جانبولاذ وكان من اكابر الجماعة اربعة من رؤس السكبانية فلما نزلوا بادروا الى تقبيل ذيل الوزير فأشار الى النساء بالكن في مكان معلوم وفرق الرجال على ارباب المناصب وطلع الى القلعة ورأى ما بها من اموال ابن جانبولاذ وتحفه الغزيرة فضبط ذلك كله لبيت المال ثم شرع يتجسس في حلب على الأشقياء واتباعهم فقتل جملة من الأتباع وهجم الشتاء ففرق العساكر في الأطراف وشتى هو في حلب

واما ابن جانبولاذ فأنه خرج من ملطية وسار الى الطويل العاصى في بلاد اناطولي واراد ان يتحد معه فأرسل اليه الطويل يقول له انت بالغت في العصيان وانا وان كنت مسمى بأسم عاص لكني ما وصلت في العصيان الى رتبتك فرحل عنه بعد ثلاثة ايام وسار الى العاصى المعروف بقرا سعيد ومعه ابن قلندر ولما وصل الى جمعية هؤلاء العصاة تلقوه وعظموه وحسنوا فعلته مع العساكر السلطانية وارادوا ان يحملوه عليهم رئيساً فشرط عليهم شروطاً ثما قبلوها فاطمأن تلك الليلة الى ان هجم الليل واخذ عمه حيدر وابن عمه محمداً وخرج ولم يزل سائراً حتى دخل بروسه مع الليل وتوجه الى حاكمها واخبره بنفسه فتحير منه ولما تحقق ذلك قال له ما سبب وقوعك فقال ضجرت من العصيان وها أنا ذاهب الى الملك

فأرسلني اليه في البحر فأرسله من طريق البحر فلما دخل دار السلطنة اعلم به السلطان فقال احضروه فلما حضر اليه قال له ماسبب عصيانك فقال له ما انا عاص وانما اجتمعت عليّ فرق الاشقياء وما خلصت منهم الا بأن ألقيتهم في فم جنودك وفررت اليك فرار المذنبين فان عفوت فانت لذلك اهل وان اخذت فحكمك الأقوى فعفا عنه واعطاه حكومة طمشوار فى داخل بلاد الروم (في بلاد المجر) ونجا بذلك ولم يزل على حكومتها الى ان عرض له امر اوجب قتاله لرعايا تلك الديار ولزم انه انحصر في بعض القلاع في بلاد الروم فعرض امره الى باب السلطنة الأحمدية فبرز الأمر بقتله وعدم اخراجه من تلك القلعة فقتل وارسل رأسه الى باب السلطنة وكان ذلك في حدود العشرين والف اه

اقول والى مراد باشا ينسب الجسر الواقع في قضاء الريحانية بالقرب من بحيرة السمك المعروفة الآن بالكوله ولعله هو الذى عمره او اصلحه فنسب اليه

(سنة ١٠١٦)

بعد ان استولى مراد باشا على حلب ولى عليها ديشنلك حسين باشا كما تقدم

(سنة ١٠١٧)

كان الوالي على حلب في هذه السنة ملك محمد باشا . ثم امير اخور يوسف باشا كما في السالنامة

(سنة ١٠١٨)

﴿ ذكر تولية حلب الى كوجك سنان باشا ﴾

قال في خلاصة الأثر فى ترجمة المذكور ما خلاصته . ان الوزير الأعظم مراد باشا لما اتى الى الديار الحلبية لمحاربة ابن جانبولاذ استدعى من مصر نائبها كوجك سنان باشا وكان بينهما مودة أكيدة فورد اليه في حلب وهو مخيم هناك

فجعله بمجرد قدومه امير الأمراء في بلاد قرمان ثم توجه مع الوزير الى توقات فولاه نيابة دمشق واعطى كفالة حلب وتوفي بعد ذلك والظاهر ان وفاته لم تتجاوز العشرين من هذا القرن بكثير .

ورأيت قطعة من ديوان لبعض شعراء الشهباء بخطه لم اعلم من هو فيها عدة قصائد مصدرة بقوله (وكتبت بها ممتدحاً حضرة سنان باشا الحاكم يومئذ بحلب وذلك في صفر من شهور سنة ١٠١٨ ذاكر لنصرته على عرب الشام

قدومك للشهباء ياواضح البشر * بدا للورى من طيه طيب النشر
واشرقت الآفاق شرقاً ومغربا * بعدلك يامن عدله كوكب يسرى
الى حلب قد جئت فاخضرت الربا * واصبح وجه الأمن مبتسم الثغر
وفرجت ضيق النفس من بعد جهدها * وقابلتها بالجبر فى موقف الكسر
واظهرت فينا سيرة العدل تبتغي * من الله اوفى الأجر فى الطي والنشر
وانت الذي اعطيت اعظم رتبة * سمت فوق فرق الفرقدين مع النسر
واصبحت ما بين الأنام مخصصاً * بتأييد رب العرش بالعز والنصر
ونلت من الرحمن فضلاً ونعمة * وان نحصها جلت عن العد والحصر
رقيت الى اوج المحامد صاعداً * الى ذروة العلياء من غاية الفخر
وحزت لأصناف الكمال بأسرها * واخلصت للرحمن فى السر والجهر
تواضعت لما زادك الله رفعةً * وخصك منه مِنةً رفعة القدر
فرأيك بالتوفيق واليمن مقرن * وحكمك سيف الحق فى النهي والامر
لك المأثرات الغر يهدي بنورها * وكشف دياجى الخطب ياواحد العصر
لقد جمعت فيك الفضائل والتقى * فكل لسان ناطق لك بالشكر
فلا رتبة الا وجاءت دليلة * اليك تجر الذيل مظهرة الفقر

وكم عسكر قد فر منك منكساً * على عقبيه بالهوان وبالخسر
الست الذي بالأمس شتت جحفلاً * من العرب الطاغين في السهل والوعر
واوردتهم من مورد الذل منهلا * فأصدرتهم كأساً من الموت والأسر
واوريت زند العزم يسطع نوره * وواريتهم طي الثرى بالقنا السمر
وارويت حد البيض من معظم الطلا * واشفيت غيظاً كنّ في داخل الصدر
وغادرتهم للطير طعماً ومغنماً * على الارض صرعى في المهامه والقفر
نهرتهم بالسيف في الحرب فانثنت * دماءهم كالنهر من عنقهم تجري
وقمت بأمر الحق تسحق فيهم * فسحقاً لأصحاب السعير اولي المكر
وشردتهم في البيد ايّ هزيمة * وشملهم المنظوم قد عاد في نثر
وايدت بالنصر العظيم عليهم * وذلك سر الله يامظهر السر
وكم وقعة فرجتها عند ضيقها * بحد سنان ضوئه كوكب دري
ودمت ترى في خير عز ورفعة * وشأن على الأيام باق مدى الدهر
بجاه خيار الرسل من نسل هاشم * وحرمة مولى العالم السيد الطهر
دواماً فما غنى على الدوح ساجع * وماغردت في الروض صادحة القمر

(سنة ١٠١٩)

في هذه السنة ولي حلب محمود باشا كما في السالنامه

(سنة ١٠٢٤)

في هذه السنة توفي العلامة الشيخ حسن البوريني الدمشقي شارح ديوان ابن الفارض وله رحلة الى حلب ذكرها المحبي في ترجمته في جملة مؤلفانه وكان مجيئه اليها سنة خمس عشرة وألف جاءها حينما كان مخيما بها الوزير الاعظم مراد باشا وبشره انه سيلي دمشق لرؤيا رآها وكان الامر كذلك كما تقدم ذكر ذلك

المحبي في ترجمة سنان باشا المذكور

(سنة ١٠٢٦)

في هذه السنة ولي حلب قره قاش محمد باشا كما في السالنامة

ذكر قتل الامير حسين بن يوسف بن سيفا في حلب

قدمنا ذكر يوسف بن سيفا وانه كان حاكم طرابلس وعكار وذكرنا وقائعه مع ابن جانبولاذ وانه في آخر الامر صاهره وان ابن جانبولاذ زوج اخته لحسين ابن الأمير يوسف بن سيفا .

قال المحبي في ترجمته ولي الامير حسين بن يوسف بن سيفا في حياة والده كفالة طرابلس الشام ثم عزل عنها ثم ولي كفالة الرها ثم تركها من غير عزل وقدم حلب وكافلها محمد باشا قره‌قاش فحضر الامير حسين لديه مسلماً عليه فأكرمه واحترمه ثم دعاه الى وليمة فجاء مع جماعة قليلة فاحتاطت به جماعة قره قاش وامرهم استاذهم بالقبض عليه فمسكوه ورفعوه الى القلعة مسجوناً ووضع في مسجد المقام يحتاط به الحرسة فبعث قره قاش الى السلطان يخبره بذلك وبلغ والده الخبر فبعث جماعته ووعد السلطان بمائة الف قرش ان عفا عنه فلم يجبه الى ذلك وبعث امراً بقتله فجاء الجلاد فقال بقلب جرئ وجنان قوي أيليق ان أكون من الباشوات ويقتلني الجلاد ثم انه اشار الى رجل معظم من اتباع قره قاش ان يقتله وقال له اصبر عليّ حتى اكتب مكتوباً الى والدي واوصيه بعض وصايا فكتب ورقة اوصاه بأولاده وعزاه في نفسه ثم صلى ركعتين واستغفر الله وقال رب اني ظلمت نفسي وعملت سوء بجهالة فتب علي انك انت التواب الرحيم ووضع شرمة نفسه في عنقه وامر ذلك الرجل بخنقه فخنقه وبكى عليه جماعة

كثيرة لحسنه وكونه شاباً وكان شجاعاً بطلاً الا انه كان يبالغ في ظلم العباد . ثم اخرجت امعاؤه ودفنت بتربة القلميين وصبرت جثته وارسلت الى والده فاستقبلها الرجال والنساء بالبكاء والصراخ والويل والثبور وصار يوم دخوله كيوم مقتل الحسين وقالت الغواني فيه المراثي يضربن وقت انشاد اشعار مقبتله بالدف بصوت حزين . حكى قره قاش انى كنت فى خدمة السلطان احمد وقد خرج الى الصيد فعرضوا عليه طيور الصيد ثم جاؤه بطير عظيم لا نظير له فتعجب منه وقال من بعث هذا قالوا عبدك حسين باشا بن سيفا امير الأمراء بطرابلس فقال السلطان آه آه آه من خيانة مماليكى الأمر لله الى هذا الحين هذا الكافر بالحياة فأسرها قره‌قاش في نفسه وصاده بطيره وكان قتله في رابع عشرى شهر ربيع الاول سنة ست وعشرين والف وعمره قريب من الثلاثين رحمه الله تعالى اه

اقول اهل قره‌قاش هذا هو الظالم المشهور الذي يضرب بظلمه المثل الى يومنا هذا فيقول الناس (هذا حكم قره قاش) يقولونها كلما رأوا مسألة حكم بها الحاكم بغير حق او اجحف فى الحكم و كلما عامل وال من الولاة او امير من الأمراء احداً من الرعية معاملة سيئة فظيعة نسأله تعالى اصلاح الراعي والرعية بمنه وكرمه

(سنه ١٠٣١)

ذكر تولية حلب لمحمد باشا

فى السالنامة ان قره قاش محمد باشا تولى حلب من سنة ١٠٢٦ الى سنة ١٠٤٠ وهذا سهو ويستبعد ان يلي وال هذه المدة وقد رأيت في خلاصة الأثر انه وليها في سنة احدى وثلاثين والف الوزير محمد باشا وقال في ترجمته انه كان

ظالماً وبعد ان عزل عن حلب ولي مدينة آدنة واساء الحكم فيها حتى حرج على البضائع كلها فلا يبيعها جلابها الا لمن عينه من جماعته ثم تباع للسوقة بعد ذلك ثم ذكر ان وفاته كانت سنة ثلاث وثلاثين والف ولم نعثر على من وليها بعد قره قاش محمد باشا الى سنة ١٠٤٠ على غير الوزير محمد باشا كما قدمنا ثم رأيت في قاموس الأعلام فى ترجمة كورجي محمد باشا انه وجهت عليه رتبة الوزارة سنة ١٠٣٧ وعين والياً على دمشق ثم ديار بكر ثم حلب ثم الشام ثم ارضروم ثم فى سنة ١٠٦١ اودع اليه ختم الصدارة وبعد سنة ١٠٤٠ الى سنة ١٠٦١ ليس فى السالنامة من تسمى بمحمد فيغلب على الظن ان ولايته لحلب كانت في سنة تسع وثلاثين والف وعزل عنها ثم ولي مرتضى نوغاي باشا

(سنة ١٠٤٠)

في هذه السنة كان الوالي فى حلب مرتضى نوغاي باشا وبقي الى سنة ١٠٤٣ كما في السالنامة

(سنة ١٠٤٢)

ذكر الطاعون في هذه السنة

في هذه السنة صار طاعون فى حلب صار الغاسلون لا يتفرغون للغسل وكذلك الحمالون والحفارون وبلغ اجرة الحمل ديناراً ويحمل الميت اهله وجيرانه ومعارفه وكان الأنسان اذا خرج من بيته لا يرى سوى الجنائز على عرض الطريق ما عدا من وضعوا للصلاة عليهم وما عدا من يجهزون وما عدا المرضى وكان يخرج من باب واحد من ابواب البلد اثناء شدته الف جنازة وأزيد وخرج في يوم واحد الف وثمانمائة جنازة اه من رسالة فى كراستين بقلم السيد عبد الله بن قاسم الفنصاوي الحلبي المتوفى اواسط القرن الثانى عشر قال في الكراسة الأولى الباب الأول فى الطاعون وفيه سبعة ابحاث ذكرها ثم قال السابع فيما وقع منه في البلاد والآفاق

وقال في الكراسة الثانية الباب الثاني في الغلاء والرسالة لا اول لها ولا آخر وهي بخطه

(الكلام على الرخام المفروش فى صحن الجامع الأموي)

قال فى كنوز الذهب واما الرخام المفروش في وسط صحنه فالأصفر منه قطع من معدن بعادين خارج حلب من شماليها وبعادين والعافية من منتزهات حلب وقد خرج الى بعادين والعافية البليغ المعرى المذكور في وقائع الفرنج فى نصر ابن صالح مع اقوام من اهل حلب فتعب فأنشد

يافرجة ما مر بي مثلها * عدمت فيها العيشة الراضيه

زرت بعادين ولكنني * عدمت فى العافية العافيه

وهذا المعدن لا يوجد الا في حلب ومنه ينقل الى سائر البلاد كدمشق والقاهرة واما الحجر الأسود فأنه قطع من الأحص من معدن هناك وهو غاية فى حسن التركيب والجودة والأشكال المختلفة والشكل الذي قدام باب الجامع الشرقي الى نحو القبلة هو صفة مدينة النحاس (هكذا قال) فأذا دخلت من باب من ابوابه لا يمكنك ان ترجع اليه فى غير الطريق الذي دخلت منه وهذا الرخام الموجود فى سنة اربع وسبعين وثمانمائة الذي تكلمنا غير الرخام القديم بل هو رابع ترخيم وضع فيه لأن رخامه القديم نقل كما تقدم والمتجدد بعده غير ما مرة نكسر من التتار وهو باق تحت هذا الرخام اه

﴿ تجديد بلاطه فى هذا العام ﴾

وفى هذه السنة جدد بلاط الجامع الأعظم رجل يقال له زين الدين بك وفي ذلك يقول بعضهم

صاحب الخيرات زين الدين بك * مذ تحقق ان الى الله المصير

انبل الخيرات في شهبائنا * جاره الرحمن من حر السعير
زين الجامع في ترخيمه * جاء في تاريخه خير كثير ١٠٤٢

وقال الشيخ ابو الوفا العرضي مؤرخاً له ايضاً بقوله

قد زان زين الدين ماجد عصره * آثار خير للقيامة باقيه
انشا لجامعنا الكبير بلاطه * لله مولاه بنفس راضيه
وبنى لنا الحوضين يجري منهما * للمسلمين عيون ماء جاريه
هذا له يوم الحساب ذخيرة * وذخائر الأعمال تبقى زاكيه
لقبولها نادى البشير مؤرخاً * صدقات زين الدين يهنا جاريه ١٠٤٢

وهذا البلاط باق الى يومنا هذا وهو من احجار ملونة رصفت ترصيفاً محكما واذا نظرت اليه من اعلا منارة الجامع اراك منظراً لطيفاً حسناً .

(سنة ١٠٤٣)

مجيئ السردار محمد باشا وقتله مرتضى نوغاي باشا

باشا وتولية حلب الى احمد باشا

قال مصطفى نعيما في جمادى الآخرة من هذه السنة وصل الى الديار الحلبية السردار محمد باشا فاستقبله بالقرب من قلعة بغراس والى حلب نوغاي باشا واستقر السردار بحلب فرأى من نوغاي باشا توانيا وتساهلاً في القبض على بعض المفسدين المستحقين للأعدام فجمع السردار اكابر الشهباء واعيانها في ديوان دار الحكومة على حسب القانون المرعي في الاستانة في امثال هذه الامور وتذاكر معهم فيما تحقق من نوغاي باشا من التقصير في وظيفته فقرروا معه ان ينهي بذلك الى الأستانة فجاءه الامر بقتل نوغاي باشا وكلف ان يكون هو

المنفذ لحكم الاعدام عليه فنفذه بالرغم عما كان من نوغاي باشا من الخدمات السابقة للدين والدولة وبالرغم عن حسن ادارته ودرايته وارسل رأسه الى الأستانة ثم عين والياً بعده على حلب احمد باشا مع الأنعام عليه برتبة الوزارة. اهـ

ذكر فتنة اليكيجرية في حلب في هذه السنة

قال مصطفى نعيما فى حوادث هذه السنة من تاريخه . يوم الاثنين فى الثاني والعشرين من شهر شعبان من هذه السنة اجتمع نحو خمسمائة انسان بتحريك بعض المفسدين من اليكيجرية وطلبوا عزل زعيمهم كوسا محمد اغا اليكيجرى وكتخداه وكاتبه بدعوى عدم قبض رواتبهم ثم جاؤا الى بيت الآغا المذكور وهجموا على بيته وصاروا يرمونه بالنشاب قائلين لا نريد الآغا المذكور فأطل عليهم غلمانه من النوافذ واجابوهم انا ايضاً لا نريدكم ثم جاؤا ايضاً الي بيت الكتخدا ونادوا بمثل ذلك فاجابهم هذا بعين جواب اولئك فتوجهوا الى بيت الوالى وافادوه انهم لا يريدون الكوسا محمد آغا ولا كاتبه فوعدهم خيراً وانه سينظر في هذا الامر فلم يرتدعوا وظلوا على تمردهم فعند ذلك ارسل الآغا من طرفه رئيس الجلاوزة (الجاويشية) وخضر آغا فصارا يلاطفانهم بالكلام فلم يجد ذلك شيئاً وكذلك الوالى ارسل رسلا من طرفه لأخماد ثائرتهم فلم يفد واصروا على طلبهم وهو عزل الكوسا محمد آغا وكتخداه وكاتبه بحجة انه قتل منهم اربعة رجال . والآغا حينما بلغه اصرارهم اضطر الى مغادرة حلب منهزماً الى الأستانة وحينما علموا بفراره طلبوا من الوالي ارجاعه وتسليمه لهم وعلا الضجيج منهم فغضب لذلك الوالى وامر بالأيقاع بهم فصار بينهم وبين جماعة الوالى مصادمات قتل فيها منهم خمسون وجرح كثيرون وفر الباقون . فعند ذلك اتى

لفيف من الاهالى الى الوالي واعتذروا اليه عما كان من هؤلاء وانه لا علم لهم ولا رضى بذلك واكدوا له قولهم بالأيمان المغلظة وصوبوا رأيه بالأيقاع بهم ثم ان الوالى اخذ يستقصى مثيري هذه الفتنة من المجروحين وكتب اسماءهم وآخر الامر اعدمهم

واما الكوسا محمد آغا وكتخداه وكاتبه فانهم وصلوا الى قسطنطينية وقابل الكوسا الحضرة السلطانية وعدد له سابق خدماته للدولة وما كان منه حينما نصب السلطان وذكر مجيئه ذلك الحين الى حلب وتهدئه لأمورها الا ان ذلك لم يجده شيأً وبرز الأمر بقتله لقتله كثيراً من الناس الأبرياء في حلب وغيرها فقتل ولقي جزاء اعماله

شيء من احوال سلطان ذلك العصر السلطان مرادخان

استوى السلطان المذكور على عرش السلطنة العثمانية سنة اثنتين وثلاثين والف وعمره يومئذ احدى عشرة سنة وسبعة اشهر وتوفي سنة تسع واربعين والف فتكون مدة سلطنته سبع عشرة سنة

قال في خلاصة الأثر في ترجمته وحكى بعض المتقربين الى السلطان مراد انه خرج ليلة من الحرم وما عليه الا ثياب المنام قال وكانت ليلة شديدة الثلج وامر بفتح باب السراي السلطانى وخرج منه فتسارع الخدمة اليه وكنت انا من جملتهم فصحبت معى فروتين من فري السلطان وتبعناه فانتهى الى البحر وطلب زورقاً وركب وركبنا وما زال الى ان اشار الى الملاح بأن ينحو الى اسكدار ثم خرج منها الى التربة المشهورة في طرفها الآخذ الى اناطولى فاستقر تحت شجرة ثمة ووقفنا معاشر الخدمة وكنا نشاهد منه غاية التضجر حتى ان بخار الحرارة ليتصعد من وجهه لشدة ما عنده من الأنزعاج ثم بعد حصة اشار اليّ وقال انظر هذين

الشبحين اللذين لاحا من بعيد ادركهما وسلهما من اين اقبلا قال فادركتهما وسألتهما فقالا مقدمنا من حلب فقلت لهما السلطان طلب ان يراكما وهو جالس هناك واشرت اليه فاسرعا الى ان وقفا قدامه وقبلا الارض ثم قال لهما ما الذي جاء بكما فقالا معنا رؤس اقوام من الطغاة قتلوا بحلب فامرهما بأخراج الرؤس فحين وقع بصره عليها انصرف عنه ما كان يجد من التلهب وطلب فرواً فوضعنا عليه ماكان معنا من فرى وغيرها وهو يشتكى البرد ثم نهض واسرع الى السراي التى بأسكدار وقال انى مذ أويت الى الفراش فى لياتى هذه اخذتنى الفكرة في امر هؤلاء المقتولين وتحصيلهم فلم املك نفسى ان نهضت من مرقدي وجرى ماجرى اه اقول ولعل هذه الرؤس هي رؤس مثيرى فتنة اليكجيرية في هذه السنة وقد تقدم ان الوالى احمد باشا تتبعهم وقبض عليهم وآخر الأمر اعدمهم اذ لم نطلع على فتنة اثناء سلطنة السلطان مراد غير الفتنة التى قدمنا ذكرها

ذكر منع السلطان مراد خان فى جميع ممالكه تعاطى شرب الدخان

قال العلامة الدحلانى في تاريخه خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام . كان اول ظهور شجرة الدخان سنة تسعمائة وتسع وتسعين وقد ارخ ذلك بعض الفضلاء بقوله

يا سائلى عن الدخان اجبنى　　　هل له في كتابنا ايماء
قلت مافرط الكتاب بشيء　　　ثم ارخت يوم تأتي السماء ٩٩٩

١٣٢　　٨١١　　٥٦

قال مصطفى نعيما فى حوادث هذه السنة سنة ١٠٤٣ وقد كان درويش باشا ونصوح باشا في زمن سلطنة السلطان احمد الذي تولى السلطنة سنة ١٠١٢ قدناهضا

فكرة تناول الدخان واستعمال القهوة وسدا هذا الباب الا ان ذلك لم يطل كثيرا وعاد الناس الى ما كانوا عليه . وفي هذه السنة حصل حريق عظيم في قسطنطينية وعلى اثره كثر اللغط والقيل والقال عن اسباب تلك المصيبة العظمى وكانت المساوي فى القهاوي قد انتشرت وعمت وطمت لخشية من وقوع فتنة يستطير شررها صدر امر السلطان مرادخان بأغلاق جميع الأماكن التي يتعاطى فيها شرب الدخان والقهوة على شرط ان لا تفتح فيما بعد مطلقاً وارسل بهذا الأمر الى جميع الممالك العثمانية فعطلت فيها القهاوي ايضاً واشرفت على الخراب مع تمادي الزمن وبقي ذلك الى زمن السلطان محمد خان ابن السلطان ابراهيم خان فعاد ارباب الفساد فى اوائل سلطنته الى ما كانوا عليه وشمل ذلك جميع الممالك العثمانية الا دار السلطنة فان اماكن القهوة بقيت مغلقة فيها

وبعد ان اغلقت اماكن القهوة في زمن السلطان مراد اصدر أوامره بمنع شرب الدخان المسمى بالتوتون والتنباك وان من يتناوله يقتل سياسة واخذ العلماء والوعاظ يعظون الناس ويردعونهم عن تعاطيه ويحذرونهم عواقب مخالفة الأوامر السلطانية الا ان البعض من الناس لم يرتدعوا بذلك وظلوا مصرين على شربه . ثم بلغ المسامع السلطانية ان الحريق العظيم الذي حصل قريباً ماكان سببه الا هؤلاء الفسقة الذين يغشون اماكن القهوة ويتناولون فيها فصدر عندئذ الامر السلطاني بتخريب اماكن القهوة وحولت تلك الأمكنة الى بيع الجلود وصنع الأحذية . واهتم السلطان مراد اشد الأهتمام في منع تعاطى الدخان وازالته من جميع ممالكه وشدد النكير على من يتناوله لكنما كان بقدر مايشدد كان الناس يتهافتون على شربه عملاً بما قيل (المرء حريص على ما منع) وقد اشتهر ان السلطان مراد قتل كثيراً من الناس الذين كانوا يتعاطون شرب الدخان ويحكى عنه انه كان

يتجول خفية في شوارع الاستانة فمن وجده وليس معه مصباح قتله في الحال وربما كان يأتي الى بعض المنازل ليلاً ونهاراً فمن وجده يتعاطى شرب الدخان قتله ووصل في الزجر عن الدخان الى درجة ان الناس لايتجاسرون على شربه لا ليلاً ولا نهاراً الا اذا خرج احدهم الى الصحراء . ومن جملة ما يحكى عنه في هذا الباب ان ابن امام محلة خواجا باشا وهو رجل شاب في مقتبل العمر تأخر ليلة في الجامع ولقرب بيته من الجامع لم يستصحب معه مصباحاً فخرج من الجامع قاصداً بيته فصادف خروجه مرور السلطان مراد من هذا المكان فقال له اما بلغك اوامري فتلعثم الامام في الكلام وقتله السلطان مراد وكان كل يوم يرى في بعض ازقة قسطنطينية عدة من القتلى واتصل بمسامع السلطان مراد ان في ادرنة قهوة لازالت مفتحة الأبواب يتعاطى فيهاالدخان فأرسل بستانجي باشا واصحبه بأوامره المتضمنة خرب القهوة وصلب صاحبها فجاء هذا الى ادرنة ونفذ الامر وقتل غير واحد من الناس الذين لم يمتثلوا الأمر السلطاني القاضي بمنع تعاطي الدخان .

والسلطان مراد ناله كلفة عظيمة ومشقة شديدة في مناهضة شاربي الدخان وما كان قصده اظهار سطوته وتأييد سلطنته بل كان قصده ردع هؤلاء الأسافل وتأديب هؤلاء الاشقياء الذين انغمسوا في مستنكر الأمور ومستقبح الأخلاق وارجاعهم الى الخطة المثلى وقطع دابر الفساد والفجور الذي انتشر بين العامة ولذلك كان اهل العقول وذوو الأخلاق الفاضلة وارباب الاطلاع يحبذون اعمال السلطان ويرون انها في محلها اه وقال العلامة المحبي في ترجمة السلطان المذكور ومن اعماله تبطيله القهوات في جميع ممالكه والمنع عن شرب التبغ بالتأكيدات البليغة وله في ذلك التحريض الذي ما وقع في عهد ملك ابداً اه

﴿ رأي العلامة الدحلاني في شرب الدخان ﴾

قال في خلاصة الكلام في الكلام على امارة الشريف مسعود امير مكة في اواسط القرن الثاني عشر . ومما كان في دولة مولانا الشريف مسعود انه منع الناس من التظاهر بشرب الدخان فرفع من القهاوي والأسواق وصار حاكمه يقبض على من يراه عنده من الأطواق فقيل انه كان يعتقد فيه التحريم وقيل ان فعله هذا لاينشأ عن تحريم ولا تحليل وانما لما تظاهر الناس بشربه في الشوارع وتعاطاه الأراذل والأسافل ولا يرفعونه اذا مر عليهم شريف او عالم او فاضل فأمر بعدم التظاهر بشربه لذلك. والعلماء في الدخان اقاويل بين تحريم وتحليل ويلزم القائلين بالتحريم تفسيق المسلمين بالتعميم حيث كانوا اما شارباً او في بيته من يشرب او مشاهداً فما خرج احد من الثلاث عن واحد فحينئذ لا يوجد في المسلمين عدل خصوصاً والعدالة شرط في شهود النكاح ويترتب على هذا ان الأنكحة على بعض المذاهب سفاح وهذا حرج عظيم وخطب جسيم مع ان القائلين بالتحريم لامستند لهم صريح من الكتاب والسنة وانما ذلك بمحض الأقيسة المجهولة المحتملة مع ان البلوى به عامة بين الأشراف والعلماء والعامة وبعض العلماء توقف عن الأفتاء فيه بتحريم او تحليل وكتب في جواب سؤال سئل فيه عنه بقول الله تعالى (ولا تقولوا لما تصف السنتكم هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون)

اقول انا وان لم نقل بحرمته نظراً لما يلزم من القول بذلك ما قاله العلامة الدحلاني لكن لم يبق شك ولاريب في ضرره الجسيم للأجسام حالاً او مآلاً واطباء العصر في كل قطر قد اجمعوا على ذلك والضرر كما قال الفقهاء يجب ان يزال ولو قديما واستعمال الشدة في منعه وازالته كما فعله السلطان مراد لاتجدى شيئاً

واری ان خير مقاوم له هو المدرسة ومنابر الجوامع والكنائس وكراسي الوعاظ وان طال الزمن بشرط ان يكون الناهي عنه والمبين لمضاره غير مبتلى به عملاً بما قيل (لا تنه عن خلق وتأتي مثله)

والحمد لله الذي عافانا وحمانا من تناوله من حين نشئتنا ولله المنة والفضل

(سنة ١٠٤٥)

قال مصطفى نعيما في هذه السنة عين والياً على حلب ابن اميركونه يوسف باشا وبقي في الولاية شهرين ثم عزل وأعيد اليها احمد باشا السابق

(سنة ١٠٤٨)

(مرور السلطان مراد من حلب قاصداً بغداد لفتحها)

قال مصطفى نعيما فى ثامن شوال يوم الأربعا سنة ١٠٤٧ خرج السلطان مراد خان من مقر سلطنته قسطنطينية قاصداً بغداد لمحاربة شاه العجم واستخلاص بغداد منه وكان وصوله الى حلب حادي عشر ربيع الأول من سنة الف وثمانية واربعين واقام فيها ستة عشر يوماً ولما كان فيها جاءت عساكر مصر وانضمت الى ما معه من الجيوش وعزل وهو في حلب قاضيها كبيري محمد افندى وولى مكانه حسن كتخدا زاده امير حلب وفى السادس والعشرين من ربيع الأول غادر حلب قاصداً حيلان ومنها الى مرج دابق وهو المكان الذي التقى فيه السلطان سليم خان بالسلطان قانصوه الغوري ملك مصر ثم توجه منه قاصداً بغداد وادى الحال الى فتح بغداد وانقاذها من شاه العجم

قال العلامة الدحلانى في تاريخه الفتوحات الأسلامية فى الكلام على فتح بغداد. فى سنة ثمان واربعين والف تجهز مولانا السلطان مراد وتوجه لفتح بغداد

ومعه مائة الف مقاتل ثم تتابعت الجنود حتى بلغت ثلاثمائة الف ولما خرج من دار السلطنة كان لابساً لبس العرب القدماء وعلى رأسه خودة من الفولاذ اللامع محاطة بشال احمر مسدولة اطرافه على اكتافه .

قال المحبي في ترجمة والده فضل الله بن محب الله سافر والدي الى حلب لما قدم اليها شيخ الاسلام المولى يحي بن زكريا في خدمة السلطان مراد في سنة ثمان واربعين وألف وألَّفَ في سفرته هذه رحلته الحلبية اه

(ضرب النقود الفضية في حلب)

ووجدت عند بيت المركوبلي قطعة فضية اصغر من ربع المجيدي مكتوباً على طرفها الواحد [مراد ابن احمد] وعلى الثانى [دام ملكه ضرب في حلب سنة ٤٨] وقدمنا في حوادث سنة ٩٢٩ ضرب النقود الذهبية فى حلب

(سنة ١٠٤٩)

فى هذه السنة توفي السلطان مراد خـان وارتقى على عرش السلطنة العثمانية اخوه السلطان ابراهيم خان ابن السلطان احمد خان

(سنة ١٠٥٠)

فى هذه السنة كان الوالى في حلب حسين باشا ابن نصوح باشا كما في السالنامة

(سنة ١٠٥٣)

في هذه السنة كان الوالى في حلب سياوس باشا ثم عزل وولي عثمان باشا جفته لري كما في السالنامة

(سنة ١٠٥٤)

تعيين ابراهيم باشا السلحدار وفتنة الأمير عساف

رئيس عربان الديار الحلبية

قال مصطفى نعيما في حوادث هذه السنة ماترجمته حينما توجه السلطان ابراهيم خان

الى ادرنة بقصد الفرجة اسند وهو هنـاك ولاية حلب الى ابراهيم باشـا السلحدار فتوجه اليها واخذ في ضبط امورها وتدبير شؤنها .

وكان في ذلك الحين رئيس العربان الأمير عساف يعيث في الارض فساداً ويتسلط هو وعربانه على القرى بالسلب والنهب وكان قمع ثائرته من الأمور المتعسرة على الدولة وعزله عن هذه الزعامة كذلك فأخذ ابراهيم باشا في تدبير حيلة يستولى بها عليه فأرسل اليه رجلاً من خواصه يدعوه الى حضور ضيافته لكن الأمير عساف لم يكن مطمئن الجانب من ابراهيم باشا خصوصاً والرسول لم يكن ممن يثق بكلامه من اعيان حلب فلم يجب الدعوة واجاب القاصد انه لتعوده على خشونة البداوة لا يرغب الدخول الى الحاضرة ويرجو لهذا ان يعفى من اجابة دعوة الباشا وحضور ضيافته وارسل خيلاً كريمة الى الباشا واعتذر بأن تقرب عربانه من ديار حلب لا يوافق المصلحة . ولما لم يفد هذا التدبير شيئاً احضر ابراهيم باشا رجلاً من اعيان حلب اسمه (دالي قورد) وذاكره في شأن الأمير عساف فقال له ان العربان لا تأتى الى الحواضر والرأي عندي ان تدعوه الى مكان يكون بعيداً عن الحـاضرة مقدار مرحلة فوافقه على ذلك وفوض اليه الأمر فتوجه هذا اليه ودعاه فأتى هو وعشائره الى مكان يبعد خمس ساعات عن حلب وقد ارسل الباشا لوازم الضيافة الى هذا المكان وكثير من اهالى حلب توجهوا زمراً زمراً بدعوة من الباشـا الى ذلك المكان لحضور ضيافة ملك الصحراء . وخرج الباشا هو ورجال حاشيته الى هذا المكان بأبهة عظيمة لكن (دالى قورد) جاء سحراً الى ابراهيم باشا قبيل توجهه وقال له ياحضرة الباشا ان كان فكرك قتل ملك الصحراء في هذه المرة فأن ذلك محال لأنى قد اعطيته اماناً وعهوداً وثيقة انك لا تتعرض له بسوء ثم ان الغفلة التى كانت في

العربان قد زالت في هذا الزمان واصبحوا الآن يعلمون من ادنى حركة واشارة ماذا يراد بهم من الخدع . والأمير عساف لا يأتي بقليل من اتباعه بل يأتي بجميع قبائله فاذا لاح منكم ادنى مكروه تقصدونه به فانه ينادي النفير وحينئذ لا ينتظر انكم تظفرون به بل الغالب ان النصر يكون بجانبه واذا عولت على الايقاع به فأن عساكرك غير مدربة وعساكر الأمير متعودة على الحرب . وايضاً فأنا اذا عاملنا هذا الرجل معاملة سيئة وغدرنا به بعد ان اعطيناه العهود والمواثيق فان جميع العربان فى هذه الاقطار الشاسعة لا تأمن لنا بعد الآن ولا تثق بعهودنا وتعتبرنا من خونة العهود وتضعف شوكة نفوذنا وسلطتنا عليهم والأمر اليك فوعده الباشا خيراً وطمن قلبه ثم خرج الباشا من الشهباء الى المكان الذي اعد للأجتماع بملك الصحراء واقامة الضيافات له وخرج معه قسم من العساكر وهي مسلحة بالبنادق فحضر عساف ملك الصحراء ومعه ازيد من ستة آلاف فارس من عشائره بالعدد التامة من الرماح والسيوف . ومن عادة العرب انهم اينما ساروا يسيرون معهم آلافاً من الدروع الداوودية محملة على الجمال مع كل مقدم من مقدميهم خشية طارق يطرق عليهم . ومن عادتهم حمل بيوت من الشعر من جملتها بيت كبير عظيم يجتمع فيه كبراؤهم ويتشاورون فيه فى مهامهم ويقضون ويمضون وهو لديهم بمنزلة الديوان فى الحواضر فهذه الدروع وهذه البيوت شعار دولتهم وعظمتهم .

وحينما اقبلت تلك الفرسان كان معظمها متدرعا بتلك الدروع ولما قرب ملك العرب عساف انتخب مئآت من قومه من شجعانهم واتى الى المكان الذى اعد لنزوله والباقون من قبائله وقفوا بعيداً عنهم

ولما وصل الى حضرة الباشا ترجل عن فرسه وسعى خطوات واتى الى الباشا

لأجل تقبيل ركابه والسلام عليه والباشا ايضاً نزل عن فرسه ومشى الى الأمام وكانت عساكر الباشا قد وضعت الرصاص في البنادق وحينما دخل عساف بين العساكر اطلق عليه اثنان منهم الرصاص من امامه واثنان منهم من خلفه فلم يصب بشيء منها لأنه كان لابساً ثلاثة من الدروع وحينئذ حصل الهيجان في العربان الذين اتوا معه واحضروا له فرساً فركبها للحال وتقدم للمكان الذي فيه ابراهيم باشا فقتل هو ومن معه مقدار عشرين من الباشوات والأغوات وكروا راجعين الى المكان الذي وقفت فيه جيوشهم ونادى الأمير فيهم واعلمهم بغدرهم وسوء نيتهم وأقبلت تلك الجيوش كالسيل المنحدر وقد علا صياحها بالزغاريت والأناشيد الحماسية على مقتضى اصطلاحاتهم وانحطت على العساكر التركية واعملت فيها السيف فقتل من قتل وجرح من جرح ومن كان منهم قوي الفرس لاذ الى الفرار ومن لم يتمكن اخذ اسيراً واخذ ما عليه من اللباس والسلاح وكانت الأسرى تقدر بأربعة آلاف . ورجع الفارون على اسوأ حال وهم حفاة عراة وبعض من العربان هجموا على المكان الذي فيه الباشا وكان في وسط العساكر واخذوا في محاربتهم وقتل كثير من الفريقين واخيراً رجعوا عنهم وعاد الباشا بمن بقي معه الى حلب .

واستولى العربان على الخيم التي احضرها الباشا ليقيم فيها الضيافات وعلى القدور والأطعمة وسائر لوازم ذلك استولوا على الجميع مع كثير من الخيول . وكذلك اخذ العربان ثياب الأهالي الذين اتوا مع الباشا للتفرج والنزهة وخيولهم وعادوا الى حلب بحالة سيئة يرثى لها وجرح البعض منهم . والمنتظر بعد الآن من الأمير عساف ان لايكون له ثقة بالعثمانيين ويشق عصا الطاعة وان يزداد العربان طغياناً على طغيانهم.

ذكر تعيين درويش محمد باشا على حلب

قال مصطفى نعيما وحينما اتصلت هذه الأخبار بمسامع الدولة عزلت ابراهيم باشا ووجهت ولاية حلب الى درويش باشا الذي كان منعزلاً عن ولايه بغداد . قال المؤلف اخبرني بهذه الواقعة والدي المرحوم محمد آغا سردار حلب واخبرني انه كان مع ابراهيم باشا في واقعته هذه مع الأمير عساف وانه قتل من حاشية ابراهيم باشا من ٢٠ الى ٣٠ شخصاً وسلبت حوائج اربعين ومن الأهلين سلب وجرح كثيرون

ثم ان الدولة رأت ان الأولى استمالة الأمير المذكور وارسلت تحارير تتلطف به ثم ان كتخدا بك بكتاش اغا تبين انه صديق للأمير عساف فبعد ان جعل كتخدا الباب فبواسطة جدنا المرحوم علي آغا الصغير وهو من اعيان حلب وعقلائها ارسل الى عساف الفرمان الذي تقرر ارساله اليه وارسلت له هدايا ذات شأن بقصد استمالته وعوده الى سابق الطاعة . وفي ذلك الحين توجه والدي مع جدي في هذه المهمة وبوصولهما الى المكان النازل فيه الأمير عساف وقومه استقبلا استقبالاً حسناً على عادة العربان بأيقاف ثلة من الفرسان لابسة الدروع الداوودية وحينما اخرجا الفرمان والخلعة قبلهما وقبلهما ثم شرع جدي يباسطه الكلام وقال له ان إطاعة الدولة العثمانية هي اقصى اماني الدول والملل ومدار افتخارهم . وبما انك من نسل ابي ريش ذلك الرجل العريق في النسب والفصاحة وهو اصل العرب والعربان فأنه لا يحتمل ان يصدر منك شيء خارج عن دائرة الآداب فما هو السبب حينئذ فيما حصل بينك وبين ابراهيم باشا من الأمور التي ادت الى مالا تحمد عقباه وما هي بواعث ذلك .

فتنهد الأمير عساف وقال آه ثم قال والله (ياعلى) لم يصدر مني ما يستوجب هذا العمل ؛ غاية الأمر أن ابراهيم باشا دعاني الى مكان كذا لأجل ان يعقد معي عهدا ويقيم لى ضيافة والله يعلم اني انيت والاخلاص ملئ قلبي وليس لى نية سوء للدولة وحينما دخلت بين عساكره قابلني اثنان منهم بالرصاص فكان حينئذ ما كان . ثم انه احضر الدروع التى كان لابسها وأراها لجدي ووالدى واراهما تأثير الرصاص فى تلك الدروع واستنار حلقات من صدرها واقسم لهما انه ظل شهرين يبصق دماً من اثر تلك الضروب . ثم قال ماهو ذنبي الذي حدا بأبراهيم باشا ان يعاملنى تلك المعاملة الفظيعة فأخذ جدي يتلطف به ويسليه وافهمه ان رجال الدولة لا رضاء لها بهذا العمل والواجب عليك من الآن وصاعدا اطاعة الدولة وضبط امور العربان ومنع تلك التعديات منهم . والدولة العثمانية عزلت ابراهيم باشا وفى ذلك دليل واضح على انها لا تقصد الك سوء الى غير ذلك من عبارات التلطف ثم قال له والدولة توصيك ان تضبط امور العربان بهمة عالية تبرهن بذلك على اخلاصك للدولة وحسن نواياك لها .

ثم ان الامير عساف ارسل للدولة عدة خيول من جياد الخيل وانعم على والدي وجدي بعشر من الحصن وستة افراس واعطاهما حوالة بألفي دينار على احد اصحابه بحلب ثم انعم عليهما بعشرة آلاف غرش ايضاً اه ما ذكره نعيما فى بيان هذه الحادثة .

(اقول) تأمل رعاك الله في هذه السياسة الخرقاء وفي تلك الطرق التى كان يسلكها هؤلاء الولاة في ادارة الملك وتأييد السلطة اما كان الاحرى بهذا الباشا ان يصغى الى ارشادات ذلك الوجيه (دالى قورد) ويعمل بما اشار به عليه ويسلك منهاج المسالمة مع هذا الرجل ويعدل عن مهيع الغدر وقصد الفتك به ويستجلبه بالطف واللين وانواع البر خصوصاً وقد اجابه الى حضور

دعوته واستماع نصيحته فى المكان الذي عينه له وفي تلبيته الدعوة دليل واضح على ندمه على ما فرط منه او من عشائره من التعدى على ما حوله من القرى واستلاب اموال اهلها ورغبته بالرجوع الى الطريقة المثلى والجادة القويمة . اما كان الأجدر بحضرة الباشا بعد ان يستقبله استقبالاً حسناً يليق بامثاله ان يقدم له المواعظ الحسنة والنصائح اللازمة ويأخذ عهوده ومواثيقه بلزوم الطاعة والأنقياد الى الجماعة وكف عشائره عن كل ما يخل بالأمن وراحة اولئك الفلاحين القاطنين في القرى التى حوله واذا لم يجد فيه ذلك الرجل وخان العهود وفصم عرى تلك المواثيق وعاد هو او عشائره الى السلب والنهب والأخلال بالأمن فلا بأس حينئذ اذا استعمل القوة وسلك مناهج الشدة واستعد له تمام الاستعداد ثم جرد السيف في وجهه وعمل بمقتضى قول ابى تمام (السيف اصدق انباء من الكتب) ولكن يغلب على الولاة المستبدين انهم لا يستعملون اللين الا بعد العجز ولا يسلكون سبيل اللطف الا بعد منتهى الضعف ولا يجودون بالوصل الا بعد ان لا ينفع الوصل بصرنا الله طريق الرشاد وهدانا سبيل السداد

ترجمة درويش محمد باشا

اما درويش محمد باشا فانه بقي والياً كما في السالنامة الى سنة الف وسبع وخمسين وقد ترجمه في قاموس الأعلام فقال هو جركسي الاصل ولما صار محمد باشا الطبانى صدراً اعظماً صار المترجم كتخداه وفى سنة ١٠٤٧ عين والياً على الشام وفي سنة ١٠٤٨ عين والياً لديار بكر وفي سنة ١٠٤٩ حاز رتبة الوزارة وعين محافظاً لبغداد وفي سنة ١٠٥٤ عين والياً لحلب وفي سنة ١٠٥٥ عين والياً للأناضول (هكذا وهو يخالف ما في السالنامة) وفى سنة ١٠٦٢ صار محافظ

البحر وفي سنة ١٠٦٣ اسند اليه منصب الصدارة بقي فيه ٢١ شهراً واخذ فى هذه المدة فى جمع الاموال وصار من كبار الأغنياء ثم عرض له مرض بقي فيه اربعة اشهر ثم توفي ودفن في حظيرة جامع على باشا العتيق بالقرب من ديكليلى طاش في قسطنطينية وظهر عنده من النقود ١١٠٠ كيس وغير ذلك من المخلفات وتوفي وله من العمر اثنان وستون سنة اه

(سنة ١٠٥٧)

تولية حلب لأحمد باشا الدباغ

في هذه السنة تولى حلب احمد باشا الدباغ وبقي الى سنة ١٠٦٠ كما في السالنامة وترجمه في قاموس الاعلام فقال كان من وزراء السلطان محمد خان الرابع آبازى الجنس عين سنة ١٠٤٨ لولاية ديار بكر ثم لولاية ارضروم وفي سنة ١٠٥٤ زوج ببنت السلطان مراد الرابع ثم بقي مدة ست سنين والياً فى حلب والشام وفى سنة ١٠٦٠ عاد الى الأستانة وعين والياً لبغداد وقبل توجهه اسند اليه منصب الصدارة وفى مدة صدارته كانت الخزينة في غاية الضيق فقطع روانب الأمراء وطرح على التجار ضرائب تلافياً لهذا الضيق فاشتد الأمر على الرعية في زمنه وتعددت الشكايات منه فبعد ثلاثة عشر شهراً عزل من منصب الصدارة وعين بدله مصطفى ابشير باشا والى حلب ونفي الى معلقرة ثم عفي عنه ثم عين والياً في بعض الولايات مدة سبع او ثمان سنين وتوفي سنة ١٠٧٣ وله من العمر ستون سنة اه

(سنة ١٠٦٠)

فى هذه السنة تولى حلب موستارلي مصطفى باشا وبقي فى ولايتها سنة واحدة كما فى السالنامة

(سنة ١٠٦١)

(تولية حلب للوزير مصطفى ابشير باشا صاحب)

الوقف المشهور

فى هذه السنة تولى حلب مصطفى باشا المشهور بأبشير باشا كما فى السالنامة .
قال المحبي هو مصطفى باشا الشهير بأبشير الوزير الأعظم احد الوزراء المشهورين بالجلالة والرأي الصائب وحسن السياسة ولي الشام في سنة ستين والف والجئ فى حكومته الى غزو بلاد الدروز فخرج من دمشق فى جمع عظيم وبلغ الأمير ملحم بن يونس المعنى خبر خروجه بقصدهم فجمع جمعاً كثيراً من الدروز وعزم على المقابلة ووقعت المحاربة بين الفريقين فى وادى قرنانا فكان عسكر الوزير فى اسفل الوادى لكونهم ركباناً وجماعة الدروز من اعلى الوادى فخلص بعد صعوبة وذهب له ولعسكره شيء كثير من الخيل والسلاح والعدد ثم عزل عن محافظة دمشق واعطى كفالة حلب وله بها الخيرات العظيمة من الجامع والخان والحوانيت وغيرهما مما جعله وقفا على الجامع وعلى صرة لأهالى مكة تحمل اليهم كل سنة وشرط توزيعها لمن يكون قاضيا بمكة ثم جاءه ختم الوزارة العظمى وهو بحلب سنة اربع وستين والف وقيل فى تاريخه [وزير الخير] ولم تطل مدته في الوزارة وقام العسكر عليه وقتلوه وكان قتله في اوائل سنة خمس وستين والف اه

(ترجمته)

قال المؤرخ الشهير احمد رفيق التركي في كتابه تصاوير رجال في ترجمة ابشير باشا ما ملخصه هو ابن اخت جركس ابازه من الجلالية دخل في صباه في سلك رجال اندرون همايون (هم رجال يتربون داخل السراي السلطانية) ووجهت اليه

رتبة امير اخور وكان والياً على بودين (في مقاطعة بسارابيا) ثم على الشام وحارب العصاة هناك وكان قبل ذلك قام بحركات ثوروية مدة خمس سنوات في جهات سيواس وكان معاوناً لحسن اغا الأبازة في افعاله وبعد ذلك تعين والياً لحلب وكان معروفاً بطول قامته وممتازاً بغباوته وكان اكثر شيء يحافظ عليه عدم الألتفات لأحد وكان عبوساً دائماً لأن دماغه لم يترب على ادارة الدولة وكان مما يمتاز به انه يقعد على ركبتيه ليظهر ادبه ووقاره مع خشونة طبيعته ويتظاهر بتصوف جاهلي فكان يشرب حليباً بدلاً عن القهوة وينظر لمن يشرب الدخان بمنزلة شارب المسكر وكان بخيلا جداً وكان يتلهى بركوب الخيل ولعب الرمح وضرب اللباد بالسيف واكثر حديثه في الصيد وبالغ في الغدر والأعتساف الى درجة نفرت الناس منه ويظهر ان اخلاق ابشير باشا هذه كانت مقبولة ومرغوبة عند اهل السراي السلطانية لذلك تزوج بعائشه سلطان وفي الآخر جلب ابشير باشا من رياسة الأشقياء الى مقام الصدارة !

﴿ الكلام على وقفه المشهور ﴾

معظم اوقافه واقعة في مكان واحد في دائرة واحدة في المحلة المعروفة بالجديدة وهناك جامعه في جملة هذه الدائرة ومن جملة شروط وقفه ان يصرف لرجل عالم ليقرأ الناس في العلوم والأحاديث في الأشهر الحرم وله في كل يوم خمسة عثامنة. وان يصرف لرجل من اهل العلم ليقرئ اطفال المسلمين بالمكتب الذي انشاه الواقف بالقرب من الجامع خمسة عثامنة وبعد ان ذكر رواتب باقي الموظفين بهذا الجامع ذكر صدقات كثيرة لأناس مخصوصين في الحرمين الشريفين ثم قال وما فضل من الوقف المرقوم بعد الترميم والتعمير واصلاح الوقف، وصرف المعين

لأربابه يقسم الباقي اثلاثا الثلث يرسل ايضاً الى مكة المشرفة والثلثان الى المدينة المنورة يفرق الى الفقراء والمساكين حرر فى ١٥ شوال سنة ١٠٦٤ .

قال فى شرط وقفه ان للمتولى في كل يوم مقابلة اجرة توليته عشرين من العثامنة ولم يذكر ان يكون نقيب اشراف حلب هو المتولي عليه

وفي المدة الأخيرة اثبتوا استنادا على التعامل اشتراط ذلك ويغلب على الظن انه لا اصل له في شرط الواقف وقد كان المتولي عليه منذ اربعين سنة ابو الهدى افندي الصيادي الخان شيخوني المولد (قرية من قرى المعرة) نزيل الآستانة الذي حصل له التقدم العظيم والقبول التام عند السلطان عبد الحميد والمتوفى فيها حوالي سنة ١٣٢٨ ووكل امر هذا الوقف الى الشيخ محمد العبيسي الحموى من حين ان اتى من بلدته حماة الى حلب وذلك سنة ١٣٠٩ وبقي فيه مده طويلة فباشر امره مباشرة حسنة ورممه وزاد في ريعه ثم وكل امره الى عبد الرزاق افندي الصيادي اخي ابى الهدى افندي ثم انتقل منه الى السيد مسعود افندي الكواكبى حينما صار نقيباً للأشراف في حلب بعد وفاة ابى الهدى افندى ولما عزل عن هذه الوظيفة وصارت النقابة لعبد الرزاق افندي المذكور وذلك منذ ثلاث سنين سلم اليه الوقف برمته وذلك بعد اخذ ورد طال امره بينه وبين دائرة الأوقاف بحلب والمراقبة العامة للأوقاف في بيروت واخيرا اجبرت دائرة الأوقاف على تسليمه فسلمته اليه وهو بيده الى هذه السنة وهي سنة ١٣٤٣ وتبلغ وارادنه ١٥٠٠ ليرة عثمانية ذهباً وحقوق اهل الحرمين الصريحة فى هذا الوقف مهاون فيها وقدكان يصلهم بعض حقوقهم واما الآن فلا يصلهم منها شيء ولله الأمر من قبل ومن بعد .

(سنة ١٠٦٤)

بعد مصطفى ابشير باشا عين لولاية حلب طيار زاده مصطفى باشا وبقي الى سنة ١٠٦٦ كما في السالنامة [سنة ١٠٦٦]

ذكر تعيين سيدي احمد باشا والوقائع بينه وبين مصطفى باشا واليها السابق

قال مصطفى نعيما في حوادث هذه السنة ما خلاصته . في هذه السنة عين سيدي احمد باشا الى قونية وهناك اظلمه وجوره لم يتحمله الأهالي وصار بينه وبينهم قتال ادى الى عزله وتعيينه الى حلب

ولما عين اليها اتى الى حلب كورد محمد وهو رجل من كبار اهالى قونية وصار يبث بين الأهالى اخبار ظلمه وفظائعه وسيء اعماله واعلم واليها قره مصطفى باشا بسوء ادارته وتعدياته ومنعه من مغادرة حلب وتسليمها الى سيدي احمد باشا متى اتى اليها وصار يقول له ان رجال الدولة يعلمون احوال هذا الرجل وانه انما عينوه الى حلب تخلصاً من شره ولو امكنتهم الفرصة لقتلوه وهم عازمون على ذلك وان اهالي قونية وقفوا امامه وقاتلوه وعرضوا امرهم للأستانة فعزل عنها وعين الى حلب الى غير ذلك من العبارات المنفرة وصار يخوف اعيان حلب من شر هذه الرجل ويوهمهم ويبين لهم مالديه من العساكر ويقص عليهم افعاله فى كوناهية وغيرها من البلاد وانه رجل لا يبالى بسفك الدماء وسلب الاموال وانه متى دخل حلب لابد وان يجري على الطريقة التى الفها وتعود عليها .

ولم يزل كورد محمد ينشر اخبار سيدي احمد باشا حتى شاع امره بين جميع طبقات الأهالي واثر ذلك فيهم فعندها قرر الاهالي هنا واليهم السابق مصطفى

باشا وقالوا له نحن لا نريد سيدي احمد باشا وعرضوا ذلك للآستانة واعلموها انه اذا ادى الأمر فانا مستعدون لمحاربته ووعدوا مصطفى باشا بما يلزم من المال في قتال هذا الرجل . واتحدوا مع واليهم المذكور على هذه الفكرة واعدوا ما يلزم من المهمات . وحصنوا القلعة بالذخائر والمؤن .

وكان احمد باشا في هذا الحين ارسل متسلماً من طرفه ليتسلم القلعة فمنعه الوالي واهالي حلب وطردوه فتوجه المتسلم الى سيدي احمد باشا واعلمه بواقعة الحال فاستشاط غضباً وبادر للحال بتوجهه الى حلب وامده حسن اغا ابـازه والي قونية بالعساكر والذخائر .

واما والي حلب مصطفى باشا فأنه قبل مجيء سيدي احمد باشا جمع من اهـالي حلب من يقدر على حمل السلاح وكذا جمع اليكيجرية والسباهية واستعد للحرب ولما وصل سيدي احمد باشا الى حلب حصل بين الفريقين قتال عظيم وكان احمد باشا جمع عساكر ومؤنـا من اطراف حلب واستعد للحرب ايضاً وقطع الماء عن اهالي حلب ومنع دخول المؤن الى البلدة وحرق البسـاتين والكروم والبيوت التى هى في ضواحى حلب واستعمل كل ما يمكنه من انواع التضييق على اهالى حلب ووقع فى النـاس كرب عظيم وفي هذه المحاربات ابلى رجل اسود من العرب هو زعيم عساكر بيره جيك بلاء حسناً وقتل من عساكر سيدى احمد باشا عدداً كثيراً واخبار شجاعة هذا الرجل وفتكه لم تزل مستفيضة يتحدث بها الناس الى اليوم .

وبعد مضي شهرين من الحصار ضاق الحال على الأهالى كثيراً ورفعوا امرهم الى الآستانة شاكين من هذه الأحوال مظهرين عجبهم من تعيين مثل هذا الظالم عليهم وطلبوا تعيين غيره بأي صورة كان . فارسلت الدولة الأوامر اليه مرتين بلزوم

رجوعه وتركه الحصار فلم يصغ لأوامر الدولة وثابر على محاصرته الى حلب . ومن جملة مضايقته انه امر عساكره بنقل التراب ووضعه امام باب الفرج فصار هؤلاء ينقلون ذلك وعلا التراب حتى سامتا لسور[١]وفي اثناء مدة الحصار كان اهالي حلب يرسلون الرسل الى مقر السلطنة يعلمون رجال الدولة بهذه الأحوال وان الحال اذا بقي على هذا المنوال فان هذا الظالم لا بد من دخوله واستيلائه على البلدة

والتجار الذين كانوا قاطنين في خان والده [هكذا ولا ادرى اي خان هو] شكوا امرهم الى مفتي حلب (٢) والى الوزير وكبار رجال الدولة راجين عزل هذا الرجل في آخر الامر جاءت الأوامر له مشددة بالعزل وعين واليًا على سيواس

ذكر عزل سيدي احمد باشا وتعيين مرتضى باشا

وعين على حلب مرتضى باشا والى بغداد وغادرها عندئذ سيدي احمد باشا وهكذا انتهت فتنته وفي هذه المحاصرة حصل لأهالي حلب ضيق عظيم ولو ان سيدي احمد باشا دخل البلده ما كان ينتظر ان يحصل لهم مثل هذا الضيق وتلك الشدة

(١) اقول هذه الأتربة بقيت مكردسة وصارت روابى متصلة مسافة عشر دقائق واشتهرت باسم التلل وقد ادركناها على تلك الحال وفي نواحي سنة ١٣١٠ ازيلت جميعها في مدة سنتين او اكثر وبني مكانها دور عظيمة وسميت تلك الدور بمحلة التلل .

(٢) هو المولى محمد بن الحسن الكواكبي مؤلف الفوائد السمية وهو شرح لمنظومته الفرائد السنية في الفقه الحنفي وقد اشار المولى المذكور في خطبة كتابه هذا الى هذه الوقائع حيث قال فمنذ انا على هذا النمط وقد امتطت جواد الشطط اذ نودي النضال النضال وتكسرت النصال على النصال . حتى كأن فؤآدي في غشاء من نبال وذلك ما اتفق في سنة ست وستين من تجمع العشائر من كل فج عميق . حتى وقعت شهباؤنا بالمضيق . وذلك بتسبب اهل الفساد ممن استوطن طارئا بهذه البلاد فذهب الطريف والتالد وحذفت الصلة والعائد .

سنة ١٠٦٧

(خروج حسن باشا ابازه زاده على الدولة وتغلبه)

(على كثير من البلاد العثمانية ومن جملتها حلب ومحاربة مرتضى باشا له ثم قتله في حلب)

اطال الفاضل مصطفى نعيما في تاريخه الكلام على احوال هذا الرجل والفتن التى كانت منه وقد اقتضبنا منها هنا خلاصتها . قال اصل حسن باشا ابازه زاده من ابناء السباهية دخل فى سلك مأموري الدولة واخذ يترقى فى المناصب الى ان صار من كبار رجال الدولة غير انه كان ميالاً بطبيعته الى الظلم والفساد وسلب الأموال من الرعية وجمعها وساعده على ذلك خلو الجوّ له اذ كان سلطان ذلك العصر وهو السلطان محمد بن ابراهيم حينما تولى السلطنة دون سن البلوغ ليس له من الأمر شيء والحل والربط منوط بالوزراء خاصة فاستبد هؤلاء بالأمر فاختلت امور الدولة واضطربت احوالها وكثر الجور والفساد من كبار الدولة في كل مكان وكان المترجم من عداد اولئك الذين اكثروا الفساد فى الأرض وزاد في الطين بلة ان السلطان عين للوزارة العظمى رجلاً شديداً فجعل ديدنه البطش في الوزراء وكبار رجال الدولة وقتل منهم غير واحد فانفض كثير من حوله واخذوا يجمعون امرهم ويوحدون كلمتهم وانضموا الى حسن باشا ابازه وكان اذ ذاك فى قونية وكان فى عداد من انضم اليه وصار من شيعته طيار زاده الوزير احمد باشا وميرزا باشا وغيرهم نحو خمسة عشر رجلاً من كبار رجال الدولة وحينما عصى سيدى احمد باشا فى حلب ساعده حسن باشا بأرسال العساكر والذخائر كما تقدم ولما تفاقم امره ارسلت له الدولة مرتضى باشا والى حلب وعينت واليا لحلب ادرنه لى سوخته محمود باشا وكانت قوة حسن باشا ابازه تزداد يوماً فيوماً واخذ يعيث فى الأرض فساداً ويغير على اطراف البلاد فقطع

السبل واخاف اهل البلاد فى نواحى قونية وبروسة وما حول تلك البلاد ولما بلغ حسن باشا ابازه مجيء السردار مرتضى باشا بمن معه من العسكر الجرار توجه حسن باشا من جهات بروسة الى انقرة وشغلها بعساكره وفي هذا الأثناء وصل الى حلب متسلم من طرف واليها ادرنه‌لى سوختة محمود باشا ومعه صورة الفتوى بقتل حسن باشا مع من التف حوله ومعه امر بالنفير العام وجمع العساكر لقتال هذا الباغى فتلقى اهل حلب الفتوى بالقبول واخرجوا من حلب متسلمها من طرف حسن باشا صهره حماميجي اوغلى ومعه مقدار الف من عساكر اللوندية وطردوهم الى خارج البلد. ثم ان حسن باشا عظم امره واستطار شرر فتنته وكثر الملتفون حوله من اهالي البلاد وخشي السلطان عواقب امره حتى انه عزم ان يخرج بنفسه لقتاله فمنعه الصدر الأعظم اذ لم يجد توجهه مناسباً للمصلحة وآخر الأمر وعد السردار مرتضى ان يكفيه امره وتوجه بعساكره الى هذه البلاد وهو فى الطريق تصادف مع حماميجي اوغلى صهر حسن باشا الذي كان متسلماً فى حلب من طرف عمه وطرد منها كما تقدم فأظهر هذا الأخلاص والطاعة وانضم الى جيش مرتضى باشا وكان فى جيش مرتضى باشا محمود باشا ادرنه‌لى الذى تعين والياً على حلب ومعه ايضاً دولار باشا فتواطأ هذان مع حماميجي اوغلي وارسل الثلاثة سراً الى حسن باشا ابازه انهم سينضمون الى جيشه عند حصول المعركة فأحس مرتضى باشا بالأمر بواسطة بعض الجواسيس وقتل الثلاثة وبعد قتلهم توجه الى اسكى شهر ومنها الى قونية وحصل فى تلك النواحى امور يطول شرحها . ثم ان الدولة امرت قدرى باشا والى الشام ومعه من الأمراء والعساكر بالألتحاق بمرتضى باشا وعينت واليا على حلب قوناقجى على باشا وآخر الامر اتخذ مرتضى باشا حلب مركزاً لحركاته العسكرية وحسن

باشا كان حضر الى عينتاب واتخذها مقراً له ولعساكره ايضاً وشرع مرتضى باشا يستميل اهل هذه البلاد من عرب وكرد وتركمان ويحرضهم على قتال الخارجي حسن باشا فاجتمع من هؤلاء كثيرون واخذوا الطرق على حسن باشا وقطعوا عليه المؤن فضاق عندئذ به الأمر فقرر على الذهاب لجهة الجزيرة وتوجه الى بيرهجك وهناك تقابل مع واليها وحصل بينهما قتال قتل فيه من جماعة حسن باشا نحو الف وشدد مرتضى باشا الأمر على حسن باشا وضايقه اشد المضايقة وقتل من جماعته كثيراً وصادف اذ ذاك وقوع الشتاء وانقطاع السبل والقحط والغلاء فلم يجد حسن باشا بداً من الأستسلام وارسل الى مرتضى باشا يطلب منه الأمان واستحصال العفو عن جرائمه بواسطته من حضرة السلطان . ثم اخذ مرتضى باشا هو وقوناجي علي باشا والي حلب في اعمال الحيلة في القبض على حسن باشا وكبار شيعته وادخل من جماعته في جيش حسن باشا فئة اخذت تفرق الكلمة بين عساكره واستمالت منهم جملة منها مفتي جيشه والبلوك باشي فأقنع هذان لحسن باشا بالتوجه الى حلب والصلح مع السردار مرتضى باشا واستحصال العفو السلطاني فتوجه حسن باشا الى حلب ومعه ثلاثون من كبار جيشه فخرج مرتضى باشا ووالى حلب قوناجي على باشا واستقبلوه استقبالا حسناً وانزلوه ومن معه في دار الحكومة وعملوا لهم ضيافة شائقة فيها وبات حسن باشا واحمد باشا الطيار وكنعان باشا في السراي بنية النوم فيها وبقية الجماعة وزعت على عدة بيوت من بيوت اعيان حلب كل شخصين او ثلاثة في بيت وكان الأتفاق مع هؤلاء الأعيان انهم متى سمعوا صوت المدفع من القلعة يقبض كل واحد على من عنده ويقتله في الحال وان من افشا هذا السر سواء كان صاحب المنزل او احداً من بيته فأن صاحب المنزل يقتل .

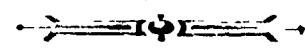
وبعد العشاء صار مرتضى باشا يباسط من بات عنده في دار الحكومه ويطعمهم من الحلوى ثم آذنهم بصلاة العشاء وكلفهم للوضوء فقاموا لتناول الوضوء وشمروا عن سواعدهم وكان قد اخفى مقدار عشرين ثلاثين رجلاً مدججين بالسلاح فاشار مرتضى باشا الى هؤلاء فظهروا وهجموا على هؤلاء الثلاثة واوسعوهم ضرباً بالخناجر الى ان قتلوا وبعد ان فرغ من امرهم ارسل الى القلعة فضرب بها المدفع الموعود به فقام كل واحد من اولئك على من كان عنده فقتلوهم ولم يفلت منهم احد وقطعت رؤوسهم وملئت تبناً وارسلت الى مقر السلطنة وفى اليوم الثانى القيت جثثهم في ساحة باب الفرج وكان عددهم ثلاثين رجلاً وكان قتلهم ليلة الرابع والعشرين من جمادى الاولى سنة تسع وستين والف وسرد المؤرخ نعيما اسماءهم واحداً واحداً ولم نجد في ذلك كبير فائدة ثم قال المؤرخ تحت عنوان (غريبة)

ومن الوقائع العجيبة انه في الليلة التى قتل فيها حسن باشا وجماعته بحلب وذلك ليلة السبت حصل في ذلك اليوم وقت العصر في الآستانه زلزلة عظيمة خرب بسببها بيوت كثيرة وسمعت تلك الزلزلة فى كثير من البلدان وحصل لأهالي البلاد منها خوف عظيم ثم قال قال ارسطو في كتابه المسمى (بأدوار واكوار) كل زمن يحصل فيه بين الناس فتن وتسفك لأجلها الدماء وتزهق الأرواح بغير حق يعقب ذلك حصول حوادث سماوية من خسوف وكسوف او وقوع زلازل ارضية وحوادث الأزمنة الغابرة ايدت ذلك حيث انه كان يعقب كل ملحمة من من الملاحم حصول امر من الأمور السماوية او بلية من البلايا الأرضية وفى ذلك دليل على عدم رضاء الخالق بهدم البنية الأنسانية . وفى فتنة حسن باشا قتل ألوف من الخلائق ذهبت دماءها هدراً فلا غرابة اذا حصل على اثر ذلك تلك الزلازل العظيمة اهـ

اقول ومن غرائب الأتفاق انه يوم الأحد الموافق للثاني والعشرين من شهر ذي الحجة سنة الف وثلاثمائة وسبعة وثلاثين حصل هنا عصر ذلك اليوم زلزلة قوية رجفت لها الأرض عدة مرات من الغرب الى الشرق بصورة مزعجة خاف منها الناس لكن لم يخرب بها شيء من البيوت والحمد لله . وكان في ذلك الأثناء حصل وقائع عظيمة بين الجيوش التركية والجيوش العربية والأنكليزية في جهة فلسطين بالقرب من درعا وسفك فيها دماء كثيرة من الطرفين وآخر الامر انكسرت الجيوش التركية وولت الأدبار وتبعتها الجيوش العربية والأنكليزية وحاولت الجيوش التركية دخول الشام والأعتصام بجبال الكسوة التي فى ضواحي الشام واتخاذها مقراً للدفاع فلم تتمكن من ذلك وسبقتها الجيوش العربية والأنكليزية ودخلت الشام ليلة الأثنين في الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة اي بعد الزلزلة التي حصلت في حلب بيوم واحد .

(سنة ١٠٧٠)

كان الوالي فيها بعد قوناقجي على باشا الخاصكي محمد باشا كما في السالنامة . قال في تاريخ راشد اتصل بمسامع الصدر الأعظم في الآستانة ان والي حلب محمد باشا صار يضرب السكة المغشوشة لنفسه فاوجب ذلك كساداً في سوق التجارة وفساداً فى معاملات الناس فعرض ذلك على الحضرة السلطانية فأمر بعزله واحضاره الى الآستانة ولما وصلها قتله في شوال من سنة الف واحدى وسبعين.



(سنة ١٠٧١) كان الوالي فيها ابو النور محمد باشا كما فى السالنامة

(سنة ١٠٧٢)

وفاة الوزير محمد باشا الكوبريلي وآثاره فى هذه البلاد

في هذه السنة توفي الوزير الأعظم محمد باشا الكوبريلي وقد ترجمه العلامة المحبي

في تاريخه بترجمة حافلة وقال انه قام بأعبـاء الوزارة اتم قيام ولمّ شعث الدولة وعظمت دولته وجبيت اليه ذخائر الدنيا وكان قبل ان يتولى الوزارة قد قامت الفتن على ساق وانتصب الخلاف وارتفع الوفاق وتقوت ضعاف الدولة واظهروا العتوَّ والصولة فكانوا فى آرائهم ناظرين الى ورائهم ولمـا ولي المترجم الوزارة اخمد بحسن تدبيره ثائرة الفتن واكثر من محو اصحاب الكلمة وفرق شملهم وخرج في أثناء وزارته على الدولة حسن باشا محافظ حلب وتبعه ابن الطيار كافل الشام والوزير كنعان وانضاف اليهم من العسكر جمع عظيم وكان خروجهم خوفاً من صاحب الترجمة وحسداً له فصرف وجه همته الى الأنتقام منهم فقتلوا على يد مرتضى باشا ثم قال وبعد ان تمهدت البلاد وتوطدت احوال الملك وأمنت الغوائل واطمأنت الناس تفرغ الوزير صاحب الترجمة لأجراء الخيرات فعمر الخان المعروف به في طريق قسطنطينية بين اسكى شهر وارتيق والخـان والعمارات الكثيرة فى ادلب وفي بلاد الروم ايلى مما صار تعلقاً عظيماً وجواراً جسيما ثم وقف على جهات وقد وقفت على صورة الوقفية بأنشـاء المولى انسى وذكرت ديباجتها في ترجمته

﴿ وصف ادلب ﴾

﴿ للفاضل برهان الدين افندى العياشي مفتيها الآن ﴾

قال في رسالة ارسلها الينا « ادلب » هي قصبة قديمة اسلامية بها جامع عمرى ولم اقف لها على ترجمة فيما وصل الى من كتب التاريخ ولا عرفت بانيها ولا اطلعت لأحد من المتقدمين على ذكرها سوى ما ذكره السيد مرتضى الزبيدي فى شرحه للقاموس بقوله . وفاته ذكر ادلب وهما قريتان كبرى وصغرى من اعمال حلب . اه

وكلامنا الآن على ادلب الصغرى لأن الكبرى الآن خراب يباب وهي الآن من اعمال حلب وموقعها بالجانب الجنوبي الغربي من حلب والمسافة بينهما اثنتى عشرة ساعة والطريق بينهما سهل وبناؤها في بسيط مرتفع من الارض وعمارتها من الحجر الصلد الخالص البياض وازقتها واسعة ومفروشة بالبلاط وهي كثيرة المساجد وصلاة الجمعة تقام بها في ثلاثة عشر جامعاً واهلها مسلمون يقلدون الأمام الشافعي في عباداتهم وفيها ما يقارب مائة بيت من طائفة نصارى الروم الأرتودكس وعاداتهم فى الغالب تشابه عادات المسلمين حتى ان نساءهم يستترن كتستر النساء المسلمات وبين الفريقين الفة ومودة ولسان اهلها عربي وفيهم سجية الكرم وحب الغريب واكرام الضيوف وبها مصانع وصهاريج لجمع ماء المطر ومنه يشرب اهلها لفقد الماء الجاري بها ويوجد في بعض بيوت الأغنياء آبار ماؤها ملح يستعملونه فى حوائجهم الضرورية وفي البلدة بئر ماء معين واقع في جانبها الغربي الشمالي متصلة في التلة الغربية من البلدة تستقى حماماتهم من مائها ويوجد في شمالي البلدة على بعد عشرين دقيقة فى خرائب ادلب الكبرى عدة آبار ماء معين عذب يشرب منها ابناء السبيل وربما يستقي منها اهل البلد عند قلة ماء المطر . واغزرها ماء بئر يسمى (البريات) قلما ينزح ماؤها مهما توافدت عليه الوراد . ويوجد ايضاً بجانبها الغربي على بعد مسافة ساعة عيون ماء معين يجري على وجه الارض تسمى (مرتين) من اعذب مياه الدنيا واطيبها وهو يسقي ثلاثة بساتين متنوعة الأشجار مختلفة البقول . (١)

اما موقع البلدة فلطيف الغاية لأحتباك شجر الزيتون واحاطته بالبلدة من

---

(١) اقول جلبت عيون مرتين الى ادلب هذه السنة وهي سنة ١٣٤٣ بمساعي المفتي المذكور وقائم مقامها وطنينا توفيق بك الحياني وسنذكر ذلك في الكلام على اعمال دائرة النافعة

اطرافها الأربعة احاطة الهالة بالقمر على مسافة اكثر من ساعتين من الجهات الاربع ويتخلل اشجارز يتونها انواع من الشجر النفيس كالتين المتنوع الاشكال والعنب المختلف الألوان وكذلك المشمش واللوز والجوز وكثير من الاشجار ذات الثمار اللذيذة . واما الهواء بها فمعتدل للغاية والحر بها قليل الدوام سريع الزوال وارضها جيدة وتربتها قابلة الأنبات وترابها احمر قان وقد كان مرتبها قبل ثلاثمائة سنة شيئاً زهيداً يدفع بجهة الخراج الموظف لجانب الدولة العثمانيه . وحينما اجتاز بها المرحوم محمد باشا الكوبريلي شاهد من اهلها حفاوة واكراماً فابتاع بها قطع اراض معدودة ولما عهد اليه بمسند صدارة الدولة العثمانية امر بأنشاء عدة عقارات في ادلب ادخلها في جملة وقفه . ثم استحصل فرماناً عاليا من السلطنة العثمانية بأقتطاع وارادتها بجهة التمليك الملوكي وجعلها جفتلكا مستقلا خاصاً بدولته مفروز القلم عن غيره مقطوع القدم من تسلطات احد من المأمورين واستثناها من جميع التكاليف الأميرية بما استحصله من الأمتيازات العالية حتى يروى ان احد الجناة في غير بلاد اذا دخلها فقد امن على نفسه من ان تصل اليه يد احد وكان يرسل لأجل ادارة شؤنها متسلما من خواص لائذيه ويعامل حسبما يتلقاه من اوامر سيده موليه اهلها بالعدل والاحسان فهرعت اليها بالجهرة اهل القرى المجاورة وقصدها الكثير من اطراف البلاد وتديرها طوائف من الناس ثم اختصها بطبخ الصابون دون سائر بلاد حلب فانشئت بها ثلاثة وثلاثون مصبنة كلها تطبخ الصابون بحيث يصل منه الى بغداد والروم ايلي وغيرها من البلاد الشاسعة وبذلك اصبحت مصراً بين الامصار ومعدودة في مصاف المدن الكبار وبقيت على هذا المنوال ما ينيف عن نصف قرن ثم تبدلت الأحوال بتبدل الأزمان سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

﴿ وصف ادلب ايضاً ﴾

لصديقنا الشيخ كامل الكيالي (١)

قال عرفت هذه البلدة قديماً وحديثاً بحسن المناخ وطيب الهواء وجودة التربة والتمرة واعتدال الطقس في الفصول الأربعة. تسامت بموقعها الطبيعي لانبساطها على مرتفع من الارض يساوي قمة الجبل الغربي المتصل بالجبل الجنوبي المعروف بجبل ريحا ويقال له في القديم جبل السماق واشتهر في الأيام الأخيرة بجبل الزاوية ويبتعد عنها بمقدار بضع كيلومتر وبهذا المقدار يبتعد عنها من شمالها الجبل الأحمر ويقال له الاعلى وجبل الشيخ بركات ومن شرقيها جنوباً الى الشمال سهولها الواسعة الخصبة المتصلة بسهول حلب تقطع القفول مسافة هاته السهول باثني عشرة ساعة وهي عبارة عن اربعين كيلومتر تقديراً

يزيد هواء هذه البلدة طيباً وصفاءً احتفاف نطاقها باشجار الزيتون المباركة المستديرة بها استدارة السوار بالمعصم بحيث يسير الراكب في ظلالها من اي جهة قصدها مسير ساعتين على سير الخيل يتخللها كروم العنب والتين المقسم به المضروب به المثل ومناظر هاتيك الكروم زاهية زاهرة وقلما يوجد منها عارياً عن شجر الزيتون ومن ارتقى على نشز عال ونظر الى هذه البلدة واحتفافها بالزيتون من كافة الاطراف سيما حينما تترنح اغصانه بتمويج الهواء يتخيل له ان هناك بحراً مضطرباً قامت في وسطه جزيرة شائقة شاهقة. كما عرفت هذه البلدة بطيب الهواء عرف اهلها بطيب الأخلاق وحسن المعاشرة واقراء الضيف ومؤاثرة الغرباء على الأقرباء وبالذكاء والسخاء المطربين وفيها يقول رحال كبير من

(١) نشرها في اربعة اعداد في جريدة البريد السوري الحلبية من عدد ١٦١ فصاعداً بتاريخ ٢٣ صفر سنة ١٣٤١ و ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٢٣ بعنوان لمحة من تاريخ ادلب

فضلاء دمشق الشام بعد كلام جميل في وصفها يطول شرحه

ان قيل ان الشام عين بلادنا * صدقوا ولكن ادلب انسانها

فاقت على عدن الجنان كرومها * وعلى الكرام لقد سمت سكانها

كانت قبل الفتح الأسلامي الى أواخر القرن العاشر ذات محلتين احداهما كبرى شمالية والثانية صغرى جنوبية واليها اشار السيد مرتضى الزبيدى في كتابه تاج العروس فيما استدركه على القاموس حيث قال (ومما فات المصنف ذكر ادلب الكبرى والصغرى من اعمال حلب) ونسب اليها استاذه السيد شعيب الكيالى فى مادة (كيل) . ثم انضمت الكبرى الى الصغرى وصارتا كتلة واحدة على على ما سيأتى بيانه قريباً . والوثائق المحفوظة بمكاتب اهلها ان اصلها (ادليب) بياء بعد اللام وربما رسمها بعضهم بالذال المعجمة ثم طرأ هاما طرأ كيانهامن التحريف والتصحيف فقالوا (ادلب) وغاية ما هنالك انها لفظة غير عربية وقدم تاريخها المجهول يدل على انها (كلدانية) ويؤيده النقش الكلدانى من الصور والتماثيل النافرة الظاهرة فى صفحات بعض الأحجار الضخمة من آثارها القديمة المشابهة لأشكال الرسوم المشاهدة في احجار باب مسجد قاقان فى عقبة حلب تلك الرسوم التى استدل بها بعض مؤرخيها على كلدانيتها وسبق تاريخ وجودها على وجود الخليل عليه السلام :

طرأت على ادلب طوارئ مهمة في ادوار مختلفة فحدثت فيها حوادث هائلة ونشبت حولها معارك مدهشة سيما فى القرون الوسطى زمن التنازع بين ملوك الطوائف فى هذه الاقطار . ومن نظر في تواريخ مقامات الشهداء الشاهدة بخطها الكوفي والعربي على احجار اضرحتها الضخمة البارزة فضلاً عن المتردمة التى تبرز آنا فآنا للباحثين يتحقق عظم ما دار حولها من العظائم والوقائع رغماً عن

عدم وجود تاريخ يجمع بين دفتيه تفاصيلها ويفصح عن درجة اهميتها ونكتفي عن كتابة تاريخ لها يثبت قدمها وتقدمها وما كان للملوك من شدة الأعتناء بها . وجود بعض الآثار الملوكية بها للآن فأن شاهد الحس اثبت من شاهد النقل . اخص بالذكر من تلك الآثار المهمة القديمة جامعها العمري المعمور للآن ولا ادري اهو خطابي النسبة ام اموي والذى يتبادر الى الحقيقة الثاني اذا تذكرنا اموي حلب وهي من اياالتها . ومنها الملجأ العظيم الذي كان انشاه الملك السعيد بن الملك الظاهر بيبرس المعروف الآن بخان الشحاذين ذلك البناء الفخم الذى وقف له الأوقاف الكثيرة ليأوى اليه عابروا السبيل وعجزة العفاة ولكن مع الأسف قد عفي رسم اوقافه ولم يبق الاهيكل بنائه ينتفع بالألتجاء اليه غرباء الشحاذين فى فصل الشتاء وقد كان قبل ستين سنة تسبق تاريخ اليوم تهدم معظمه فقام بعمارته ومرمته اهل الخير وتم على ما هو عليه الآن وكانت اليد العامله فى اعمـاره للمرحومين السيد اسماعيل الكيالي والشيخ نجيب الحميدانى وقد اخرجا من بابه حانوتين لتعود غلتهما على ما يلزمه من المرمة استبقاء لعينه فجزى الله المحسنين خير الجزاء . ومنها . ومنها . مما سيأتى بيانه

[ما سبب تسميتها ادلب الصابون]

عرفت هذه البلدة من القديم بعمل الصابون لعظم وارداتها من ثمر الزيتون المغروس اكثر ارضها بشجرته المباركة فكان بها تحت الأرض من المعامل لعصر الزيت ما ينيف على مائتي معمل تزاول عصره من اوائل فصل الشتاء الى منتصف الصيف وذلك بسبب ان آلة العصر كانت في تلك العصور انما هي (القضيب والفليجة) المتخذتان من الخشب على شكلهما البسيط وما زالا مستعملين الى ان ظهرت منذ اربعين سنة الآلات الحديدية فجموع المعامل الآن بها منها خمسون

معملاً أكثر ابنيتها قائم على وجه الارض . وكان يوجد بها لطبخ الصابون ستة وثلاثون مصبنة منها ذات القدرين وذات الأربعة وعلى كثرة هذه المصابن كانت نيرانها دائمة الأضطرام تحت قدور الطبخ عامة ايام السنة حتى شكلت على التمادي من مرجوع القلي الذي هو احد المواد المستعملة في طبخ الزيت صابونًا هاتين الرمادتين القائمتين على طرفي البلدة احداهما في الغربي الشمالي والثانية في الجنوبي الشرقي وكل منهما على رغم تقادم العهد وما جرفه السيل واذرته الرياح كالطود العظيم ويوجد ايضاً في جهتها الشمالية على حافة الجادة الغربية الموصلة الى معرة مصرين رمادة ثالثة دونهما في الحجم وكفى بهذه الآثار العظيمة دليلاً على عظم ما كانت تخرجه هذه المعامل من الزيت والصابون لم لا وقد كان محظوراً طبيخه على سائر البلاد السورية بمقتضى الأمر السلطاني القاضي بحصر عمله في معاملها على ما يأتي تفصيله . ولكن مع الأسف لم يبق من تلك المصابن سوى اثنتين احداهما في البازار المتوسط معطلة بيد العياشية والثانية في محلة الكيالية بيد بني المعلم لكنها غير مستديمة العمل وهناك ثالثة صغيرة يستعملها في فصل الشتاء اصحابها من بني البعاج

بقدر ما كانت هذه البلدة في الأدوار السابقة راقية في صنعة الصابون كانت تجارتها راقية وذلك حينما كان مرفأ ثغر اللاذقية عامرا ولم يكن من ثمة لثغر الأسكندرونة من ذكر فكان كل ما يلقيه البحر الى الداخل من البلاد العربية حتى العراق على مرفئها وما يرد اليه من واردات تلك الجهات اخذاً واعطاء ومبادلة انما يصدر على الغالب بواسطة تجار ادلب وقوافلها وعملاتها لتوسط مركزها بين المدينتين اللاذقية والشهباء فكانت آنئذ واسطة العقد بينهما ومركز الدائرة لماالتفت حولها من البلاد . ولما رأى الصدر الأعظم للدولة العثمانية في

اوائل القرن الحادى عشر اهمية مركزها الجغرافى والتجارى وجه اليهـا نظر الأعتناء فزاد في عمارتها عمارات كثيرة ورتب اسواقها على نسق اسواق المدينة في حلب فجعل لكل حرفة وبضاعة سوقا خاصا وانضمت اليهـا بمدة وجيزة محلتها الكبرى ادلب الشمالية وكانت المسافة بينهما مقدار الف متر فصارتا كتلةً واحدة وعندئذ توسع نطاقها واتسع سورها وكان له بابان فصار له خمسة اما اليوم فلم يبق للسور من اثر الا ما كان من بعض احجار فى الباب الغربي الجنوبى غائصة فى الأرض وهو الذي يدخل منه الى بازار الدواب وكذا الحجر السفلى من الباب الغربى الشمالي الذي يدخل منه الى محلة الشهيد وفخذ الباب الجنوبى الواقع غربى تربة الأمام الكاملي وبعض رسوم جادة لبوابـات تلك الابواب ومن عمارات الصدر المشار اليه الباقية للآن الخان المعروف بخـان الرز الكائن امام الجامع المنسوب اليه وسوق البازركان المتصل به. ثم انه بعد ان اتم نظامها على ما سلف اصدر امراً سلطانياً جاء في بعض مواده اعفـاء اهل هذه البلدة وكل من يأوى بالسكنى اليها من كافة التكاليف السلطانية حتى من الأعشار المشروعة مدة عشرين سنة على ان تعود تلك الاعشار خاصة بعد المدة المضروبة الى مصالح الحرمين المحترمين المكي والمدني وان من لجأ اليها على سبيل الأقامة والاستقامة امين في سربه من كل غائلة لا يسئل من طرف الحكومة عما فعل ولو كان جانياً جناية القتل . ومعلوم ما كان اذ ذاك من استعظـام تلك الجريمة بعكس اليوم (فما اكثر الجرحى وما ارخص القتلى) وان من ينسب الى الخرقة العلمية سواء كان من اهلها او من سواها يكون على غاية من العناية والرعاية الى غير ذلك من الامتيازات التى من اهمها حصر عمل الصابون في معاملها وحظره على سائر البلاد السورية واحظاره الحكومة فى كافة الجهات من المخالفة بشديد المعاقبة

فمن ثمة اشتهرت بادلب الصابون وصارت كعبة القصد سيما وقد وطد امر الحكومة بها على دعائم العدل المفرط وخصص لها قوانين خاصة بها امتازت بها على كافة ما جاورها من البلدان على ان نواصيه كانت ملتزمة متوالية بشأنها وشئون سكانها على الأخص منها اهل العلم والصلاح والذمة آناً فآناً تترى من قبله الى ولاة حلب ومنها الى متسلميها من حكام الأدارة والسياسة وما زالت هذه عنايته بها مدة حياته الامر الذي حمل اهالى القرى التي حولها الى تحويل الوجهة بالهجرة اليها والسكنى بها وكانت نحواً من ثلاثين قرية وها هي بحالها الان مزارع ومغارس لأهلها اليوم وكذا رغب الأنحياز اليها كثير من اهـالى البلاد الدانية منها كالجسر وحارم وانطاكية والمعرة وريحا وسرمين ومعرة مصرين والقاصية عنها كاللاذقية والأدهمية ودمشق وحمص وحماة وحلب . تلقب الى اليوم بقايا تلك العائلات فيها باسماء محلاتها الأصلية فلا نعرف الا بالنسبة اليها .

فما تقدم عظم شأنها وراجت بضائعها ونمت زراعتها وكثرت صنائعها واتسع نطاقها وطاب الاستقرار بها حيث اصبحت مأمناً لكل خـائف ومأمولاً لكل آمل تختال سكنها تيهاً بتلك الأمتيازات الملوكية في بحبوحة من العيش متدرجة يوماً فيوماً على درجات الارتقاء الى ذروة السعادة والنجاح دون خلود الى راحة الخمود والجمود كما هي عليه اليوم ولا ادري الى ماذا يكون مصيرها اذا لم تستيقظ من سباتها وتسعى سعيها في استرجاع ماضيها الزاهر ورقيها الباهر .

ما سبب شهرتها بالأزهر الاصفر

بقدر ما كانت تجارة هذه البلدة راقية وشؤنها العمرانية زاهية نامية كانت من الوجهة العلمية ارقى درجة واسرع حركة وابعد صيتاً واعظم شهرة فقد انجبت فيما سلف من اهل العلم والعرفان ائمة عظـاماً شاع ذكرهم وعبق عطرهم شهدت بفضلهم

اعلام الامصار وسارت سيرتهم كالشمس في رابعة النهار . اخص بالذكر منهم تنويهاً بشأنهم لا استقصاء لعددهم الأمـام الكبير الشيخ احمد الكاملي وولده المفتي الشيخ ياسين والاستاذ الجليل السيد الشيخ اسماعيل الكيـالي واولاده الخمسة واشهرهم السيد شعيب من اشياخ السيد مرتضي الزبيدي شارح الأحياء والقاموس كما ذكره في مادة (كيل) فيما استدركه من الكلمات على القاموس المحيط وترجمه المرادي الدمشقي في تاريخه سلك الدرر . والعلامة الكبير الشيخ عمر الفيومي والشيخ صالح الحميداني الكبير احد تلامذة السيد شعيب المشار اليه والمحشي لكتابه الوامق . والشيخ علي الجوهري والشيخ عبد الرحمن الجوهري الكبير . والشيخ شومان الشهيد الذي نوّه بشأنه الشيخ ابو السعود الكواكبي الحلبي في احدى مجموعـاته والشيخ السلموني والشيخ يوسف الحمداني والعلامة الأسقاطي الازهري والشيخ احمد المرتيني الكبير واضرابه الأجلاء كالشيخ خليل امين الفتوى الذي ينسب اليه الجامع المعروف بجامع الشيخ خليل لطول مجاورته فيه وكالعلامة الفرضي الكبير الشيخ محمد محي الدين الكيالي والشيخ الكاملي الصغير حفيد الكاملي الكبير صاحب القابوس مختصر القاموس ومنهم امام عصره السيد محمد حافظ افندي الكيالي الكبير والاستـاذ المعروف بالغزالي الثـاني والاستاذ الشيخ عمر افندي المرتيني الشافعي الصغير واخيه الشيخ صالح واولادهما والشيخ عبد القادر النوري الكيالي واولاده اصحاب التصانيف العديدة والشيخ محمد الجوهري الكبير والشيخ صلاح الجوهري وغيرهم مما يطول شرحهم وهؤلاء الأعلام بقية خيرهم خير خلف لخير سلف ادركنا منهم جملةً منها افاضل لا تزال في قيد الحياة نفع الله بهم وبأمثالهم البلاد والعباد ولكل من ذكرناه من اولئك الجهابذ آثار حميدة ومآثر مفيدة تستوعب لو بسطنا الكلام عليها مجلداً ضخماً عدا

من تقدمهم من الطبقات فيها قبل الألف الهجرية وبعزمي ان ساعدني القدر انشاء تاريخ يجمع ما يسعدني الحظ من العثور على بعض تراجمهم مرتبا فيه اسمائهم الكريمة على الحروف الأبجدية قاصدا بذلك خدمة العلم والعلماء واستلفاتا لأنظار ناشئة اليوم الى ما عساهم ان ينظروا في سيرة اسلافهم فتهزهم حمية الأنتماء اليهم الى الأقتداء بهم والسلوك فى مسالكهم اذا كانت بهذا السلف الصالح وما ظهر وبهر من علومهم وشهد لهم الأقران في منطوقهم ومفهومهم تسمى هذه البلدة على ما اشتهر بالأزهر الأصفر

ويقال ان اول من وصفها بهذا الوصف الزاهر امام عصره الحجة العمدة الثبت الثقة العالم المفرد الشيخ حسين التونسي ثم المصري الأزهري وذلك حينما قدم ادلب خلال تجواله فى البلاد السورية سنة اربعين بعد المائتين والألف واقام بها مدة غير قليلة فكانت تجتمع عليه علماؤها وقتئذ وتجري بينهم المذاكرات والمباحثات النظرية ويطارحهم المسائل العويصة والمشاكل الدقيقة ويساجلهم فى ضروب من الأبحاث النقلية والعقلية فيجد منهم ما لم يجده فى علماء البلاد ممن ناظرهم وحاورهم فاجاز فيها واستجاز ولما كانت تجتمع عليه العلماء من غيرها ويرى منهم التقصير في المناظرة يقول لهم اذهبوا الى ادلب فان هناك الأزهر الاصفر ووفروا كلفة المشقة بالذهاب الى مصر وقد صدر مثل هذه الجملة عن جملة من اهل الفضل منهم العلامة الشهير الشيخ عبد الغني افندي الرافعي اثناء وجوده بها قاضيا سنة ثلاث وتسعين بعد المائتين والألف وله كما للأستاذ التونسي المقدم محاورات ومناظرات لو تدونت لشكلت حجم كتاب ضخم سنأتي على بعض ما وصلنا منها في تاريخنا المنوي ان شاء الله انشاؤه

اجمال احوالها

وبالجملة فان تطورات هذه البلدة في الأدوار السالفة عجيبة جدا فتارة قرية وتارة قصبة وتارة قضاء كبيراً وطوراً منحطة سنة الله في ملكه . اما حالتها اليوم ففي دور التوقف عدا حالتها التجارية فانها هاوية الى اسفل دركات الانحطاط لتوقف حالة التجارة في اللاذقية منذ اهمل مرفأها الذي كان عامراً قبل خمسين سنة على حين لم يكن لمرفأ الأسكندرونة من ذكر وقد اشرنا الى هذه النقطة آنفاً وهناك اسباب أخر . منها رفع انحصار عمل الصابون فى ادلب واباحته لبقيه البلاد السورية وقد كان كما علمت محصوراً بها محظوراً على غيرها ومنها مرور السكة الحديدية بين دمشق والشهباء فى الأراضي الخالية من الأملاك المدورة البعيدة عنها دون مرورها بها مع اتصال خط (الشوسه) من ثغر الاسكندرونة الى حلب بحيث اصبحت كالثغر الوحيد للداخل كما كانت اللاذقية فى السابق وكان العقد بينها وبين الشهباء وضواحيها مركز ادلب الى غير ذلك مما يطول بيانه واما حالتها من الوجهة العلمية فبهذه النسبة منحطة جدا سيما في الايام الأخيرة عندما اضطرمت نيران الحرب العامة وانت على الرطب واليابس ومزقت وثائق الأمتيازات التي منها امتياز اهل العلم وطلابه باستثنائهم من الخدمة العسكرية فان الطلبة في الغاء تلك الامتيازات تفرقت في مواقع الحروب ايدي سبا ومعاهدها العلمية لفقد مجاوريها تعطلت واكثرها اليوم متداع الى الخراب بعد ان كانت بآهلها آنسةً عامرة تضاهى معاهد العلم في معظم البلاد الراقية واما حالتها من الوجهة العمرانية فهي منذ خمسين سنة حتى اليوم مركز قضاء كبير يليق ان يكون لواءً من جهات متعددة . اهمها احتواء هذا القضاء على نواحيه الثلاث . ريحا . سرمين . معرة مصرين . ويتبعها ما ينيف عن مائتي قرية ومزرعة

وقد استدارت بمواقعها الطبيعية حول مركز هذه البلدة كاستدارة اشجار الزيتون بها وعلى هذا الشكل قد التف حول هذا القضاء الأقضية المجاورة كالمعرة والجسر وحارم وسمعان واراضي كل من هذه الأقضية متاخم لأراضي هذا القضاء . وبين كل منهـا وبينه غاية التلازم والتلاحم والتداخل في الاخذ والعطاء واكثر المعاملات السائرة .

ولو امعنت حكومتنا اليوم في هذه النقطة المهمة لما وسعها الا تشكيل هذا القضاء لواءً بالاستحقاق ولا يخفى على العارفين ما ينجم عن ذلك من الرقي والنجاح فيما يعود على الدولة والملة بالفائدة المادية والأدبية على انه بلغنى ان الحكومة كانت عزمت على ذلك بيد انها تأخرت عن التشكيل ريثما تساعدها الظروف ويتسنى لها ابراز هذه الفكرة الى حيز العمل والأجراء

واما حالتها من وجهة الأمور الخيرية ومسائل الأوقاف فهي كحالتها من الوجهة العلمية والتجارية منحطة جدا وعلى كثرة معابدها ومساجدها ورباطاتها كانت اوقافها كثيرة العدد وافرة الغلة وعلى هذه الكثرة قد اخنى عليها الدهر وتداولتها ايدي المتنفذة باسم التولية تارة وباسم التحكير اخرى حتى ان كثيرا منها اولا عناية مجاوريها من اهل المساعي الخيرية يجمعون من جيوبهم غلة ينفقونها في مرمتها لذهبت كذهاب اوقافها بالعين والأثر .

مما اسلفناه لك ايها القارئ الكريم في هذه المقدمة عن تاريخ هذه البلدة [وكلها حقائق ناصعة ثابتة بالبيان والعيان] تعلم درجة اهميتها واهمية مركزها وشؤنها في اطوارها وادوارها وما كان لها من الماضي الزاهر والتاريخ العجيب بحيث لو كان مدونا لكان تاريخا مجيداً لكنها مع كمال الأسف لم يكن لها حظ من يراع المؤرخين ممن تقدم او تأخر حتى ولا من اهلها على كثرة كتابها ونبغائها قديماً

وحديثاً وحتى هذه الساعة بل ان اكثر حوادثها وما يتعلق بشؤنها التاريخية يرويها منهم الخلف عن السلف اخذا من الأفواه وحفظا فى الصدور كما كان عليه رواة الأحاديث عند ارادة تدوينها في الصدر الأول . ومن العجيب ان اكثر المؤرخين قد ارخوا لكثير من قراها ولواحقها المحاذية لها على غاية القرب منها كبكفلون ودانيث وترنبة وسرمين وضربوا صفحاً عن ذكرها الا ما كان على طريق الأستدراك كما فعل الزبيدي فى شرح القاموس وقد سبقت اشارتنا اليه او الأستطراد بذكر البعض من مشاهيرها كالمرادي في ترجمته للأستاذين السيد شعيب وابن عمه السيد عبد الجواد الكيالي الحلبي وكالمحبي فى ترجمة الصدر محمد باشا الكوبريلي وربما تعرض لها بعض التعرض على ما اظن صاحب در الحبب في تاريخ حلب (١) واخيراً صاحب الذيل لمعجم البلدان بعبارة وجيزة جداً وسنوالي ان شاء الله المقال على ما تحتويه البلدة من الآثار القديمة والحديثة وعلى ما ينشأ ويتفرع عنها وعن ملحقاتها من المحصولات والمستغلات وعن احولها الأدارية ودوائرها الرسمية بفصول ضافية نلتزم بها اعطاء كل ذى حق حقه مستوفي بالكيل الأوفى وكل آت آت (٢)

---

(١) اقول تعرض لها في آخر صفحة من تاريخه حيث قال فى ترجمه ابي يزيد بن احمد المعري الكفررومي ثم الادابي ادلب الصغرى مريد سيدي علوان الحموي ويظهر ان وفاته في اواسط القرن العاشر ولم اجد لها ذكراً في كتاب قبل هذا التاريخ ويظهر انها كانت قرية صغيرة لذا لم يتعرض لذكرها صاحب المعجم ولا ابن الشحنة فى نزهة النواظر وانما الأهمية في ذلك الحين لجارتيها معرة مصرين وسرمين حيث كان في كل واحدة منهما وال وقاض كما سيأتيك فى حوادث سنة ١٠٩٧ وهذه كانت تابعة لواحدة من هاتين والفضل في تقدمها وعمرانها يرجع الى محمد باشا الكوبريلي كما تقدم ذكره .

(٢) اقول اخترمته المنية قبل بلوغه هذه الأمنية وكانت وفاته في ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٤٢ رحمه الله

(سنة ١٠٧٧)

ذكر تولية حلب لحسين باشا

بعد محمد باشا ابي النور ولي حلب حسين باشا في هذه السنة وبقي في الولاية الى سنه ١٠٨٠ كما فى السالنامة

قال المحبى فى ترجمة حسين باشا الوزير المعروف بصاري حسين اي الاصفر وكان من مشاهير الوزراء له الصولة الباهرة والهيبة العظيمة وكان فيه تلطف بالرعايا وانتقام من ذوي الكبر والمناصب ولي حلب مدة ثم نقل منها الى نيابة الشام في سنة احدى وثمانين والف ثم ساق المحبي آثاره فى دمشق واحواله فيها فراجعه ان شئت

(سنة ١٠٨٠)

كان الوالي فيها ابراهيم باشا ثم عزل في هذه السنة وولي سلحدار حسين باشا كما فى السالنامة . وفي هذه السنة حصل طاعون بحلب خرج فيه من باب المقام فى يوم واحد الف جنازة اه (١)

سنة ١٠٨٢ كان الوالي فيها قبلان مصطفى باشا

سنة ١٠٨٥ كان الوالي فيها ابراهيم باشا

سنة ١٠٨٩ كان الوالى فيها حسين باشا

سنة ١٠٨٩ كان الوالي فيها قره محمد باشا وعمر فيها الخان العظيم المسمى بخان الوزير فى محلة السويقة كما في السالنامة قال الشيخ بكرى الكاتب في مجموعته وفي اثناء ولاية قره محمد باشا حرروا بيوت الأشراف واليكيجارية

(سنة ١٠٩٢)

في هذه السنة حصل غلاء بيع رطل الخبز في حلب بثلثي قرش (اه من رسالة الفنصاوي)

---

(١) كما فى رسالة الطاعون والغلاء لعبد الله بن قاسم الفنصاوي بخطه .

(سنة ١٠٩٣)

كان الوالي فيها محمود باشا . قال في تاريخ راشد نقل من ولاية ديار بكر اليها ثم استدعي في هذه السنة الى الآستانة فاسند اليه منصب الصدارة

ثم كان الوالي فيها ايضاً بكر باشا كما في السالنامة . وفي قاموس الاعلام انه وليها في هذه السنة مصطفى باشا مصاحب . وقال في ترجمة المذكور انه كان اولاً من اخصاء الحضرة السلطانية ثم وجهت اليه رتبة الوزارة ثم نال شرف مصاهرة الحضرة السلطانية في سنة ١٠٨٦ وفي سنة ١٠٩٣ عين والياً الى حلب ثم صار قبه نشين وفي سنة ١٠٩٥ صار مسند قبوادان بعد مصطفى باشا السلحدار وفي سنة ١٠٩٨ توفي هناك وهو في هذه الوظيفة اه

(سنة ١٠٩٤)

مقتطفات من مفكرات (شوفاديه دارفيو) عن حلب

في سنة ١٦٨٣ م الموافقة لهذه السنة كان معتمد (قنصل) الدولة الأفرنسية في حلب الموسيو(شوفاديه دارفيو) وهو ممن تقلب في هذه الوظيفة في عدة بلاد من بلاد الدولة العثمانية من جملتها حلب وكان يكتب عن كل بلدة حل فيها مايشاهده من عمرانها واحوال الحكومة فيها واخلاق اهلها وعاداتهم فجمع من ذلك ستة مجلدات سماها مفكرات [شوفاديه دارفيو] وهي باللغة الأفرنسية وقد طبعت في باريس في مطبعة [شارل جان باتيست دليسين لوفيس] وفي الجزء السادس من اواسطه الى آخره كتب عن حلب وحالتها وقتئذ فاقتطفنا منه مايهم الوقوف عليه من عمرانها وطرز الحكومة فيها وعادات اهلها واخلاقهم في ذلك العصر واهملنا منه ما هو معروف اوما لا طائل تحته

قال في وصفها ووصف قلعتها

ان حلب هي اجمل البلاد العثمانية بعد قسطنطينية والقاهرة بلا خلاف وهي واقعة في عرض ٣٦ ونصف من المنطقة الجنوبية وفي طول ٦٥ من خط الاستواء وهي مبنية على سبع روابٍ الأربعة العظام منها هي ضمن السور واعظمهن هي الرابية الواقعة في وسط البلدة وهي القلعة وهي محاطة بالأحجار العظيمة ويحيط بها خندق عميق مملوء الى نصفه بماء المطر ولطول بقاء هذا الماء وكثرة مايلقى فيه من الأقذار ومن جثث القتلى تجد الروائح المنتنة تفوح منه كثيراً وفوق باب القلعة قصر عظيم يقال انه مبني من زمن الرومانيين الذين كانوا في هذه البلاد وهو واسع جداً والولاة الذين يعينون الى حلب والمتسلمون اتخذوه دار سكناهم وهذا القصر لارتفاع جدرانه مشرف على معظم البلد وهو ذو اهمية عظمى عند الأهالي وهو من انشاء الأفرنج غير الصليبيين (اي من زمن الرومانيين) يحكى ان هذا القصر انشأه احد ملوك الأفرنج بدون ان يكلفه سوى قيمة حجر كبير من نوادر الأحجار الكبيرة الثمينة ونظراً لكبر هذه الحجر وندورة امثالها لم يجد في زمنه من يقدر على شرائها ودفع ثمنها فأهداها لابنته وهذه الملكة قبضت قيمتها بعض مراكب محملة بالذهب والفضة وبنت بها هذا القصر (١) وهذا القصر مع قدمه يوجد بعض ابنية في البلدة هي اقدم منه ومع ذلك لا يشاهد في كل هذه المدينة بناية ذات شأن من الآثار القديمة .

وهذه المدينة كانت تسمى في العصور القديمة بيرا [Berea] والدليل على ذلك وجود هذا الاسم في كتب السريانيين الكنائسية ومهما تكن حلب قديمة فهي اليوم من اعظم مدن التجارة ما بين آسيا وآفريقا وآوروبا ويوجد فيها عالم من جميع اجناس

(١) لاصحة لذلك اصلاً وسيأتيك ذكر من بناه في الكلام على القلعة

الأمم القديمة والفينيقيون هم اول من جعل لها مركزاً عظيماً في التجارة . والفرنساويون ايضاً اسسوا فيها من زمن قديم محلات تجارية اغنت فيهم عدداً غير قليل وفي وقتنا هذا الأنكليزيون اسسوا فيها محلات تجارية مهمة . والعجم ترسل اليها ادوية وحريراً واقمشة ثمينة . ولمحصولات الهند رواج عظيم في حلب يجلب منها اليها كميات كبيرة . بيد ان بخل وشراهة الأتراك عطلت تلك التجارة الكبيرة بواسطة الضرائب الثقيلة التي تتقاضاها على البضائع . واجتهد الأتراك كثيراً في نقل البضائع التي كانت ترد الى حلب الى ازمير لتحصل ازمير على المركز الذي لحلب .

كلامه عن نهرها وبساتينها واشجارها واثمارها

وحلب تسقى من نهر صغير يسمى بقويق او (سيقا) او (سيكمه) وفي الأزمنة الغابرة كان يسمى (بيلوس) ومنبعه يبعد عن حلب ثلاثة ايام بالقرب من عينتاب من الشمال الشرقي ومن هناك يجري الى ان يمر من غرب المدينة وهو ينقسم الى قسمين . وعن بعد ميلين لا ينظر في حلب الى غير بساتينها لكن زراعتها مخالفة لطريقة زراعتنا وللكيفية التي تقتطف بها الأثمار من شجرنا . وشجرها غير مرتب مثل شجر بلادنا بل مختلط بعضه في بعض مع اعوجاج ومع ذلك فانها تعطي الفائدة المطلوبة . وجدير بهذه البساتين ان تسمى غابات واسعة ويوجد فيها اشجار خوخ بديعة جداً وكذلك اشجار برتقان وهي مغطاة بالزهور والثمر وكذلك اشجار ليمون (في زمننا هذا لا وجود للبرتقان والليمون في بساتين حلب ولا يوجد الا في بعض الدور) واشجار آجاص وعناب وتفاح ودراقنة ولوز ومشمش وتين من كل نوع وفستق وهنا تكلم عن الفستق بما لا طائل تحته ثم قال ويوجد في هذه البساتين كثير من البطيخ الأخضر والأصفر

والخضرة فيها كثيرة لا تقدر وبلدة مثل هذه البلدة يقتضي ان يكون فيها من الخضرة بهذا المقدار لتقوم بكفاية الأهالي بحيث ان الطاعون الذي حصل فيها سنة ١٦٦٩ مات فيه مائة الف نسمة وبقي يفتك بالأهالي ثمانية ايام (تقدم الأشارة اليه في حوادث سنة ١٠٨٠)

كلامه على هوائها

هواء المدينة وما حولها من البلاد حسن لطيف جداً لكن الغريب اذا دخلها وكان مبتلى بمرض من الأمراض فان مرضه يظهر فيها وربما ساقه الى الموت وهذا امر صعب جداً على من يممها من الفرنساويين والأنكليزيين والشعوب الشمالية من الامم التي تتعاطى شرب الخمر وتلقى بنفسها في حمأة الفسق والفجور

كلامه على دَوْرها ودُورها وابوابها وشوارعها
واسواقها وجوامعها وكنائسها

يمكن للانسان بالمشي المعتاد ان يدور حول المدينة في مدة ثلاث ساعات واسواقها وشوارعها كثيرة على حالتها السابقة (كأنه يشير الى ضيقها) ولحلب عشرة ابواب (عدَّدها) ثم قال ومفاتيح ابواب المدينة يحفظها زعيم الأنكشارية وعنده ٣٥٠ جندياً لمحافظة تلك الأبواب والأنكشارية معفوون من لبس طربوش التكليف (اي العسكرية الرسمية) مثل الآستانة وهم غير مجبورين على الذهاب الى الحرب وهؤلاء بمثابة المستحفظ لايساقون الى الحرب الا عند الاضطرار . وبنايات حلب طبقة واحدة والتخوت الموضوعة في البيوت تغطى بسجاد وبسط كانت نسجت في معامل في نفس البلد وصناعها كانوا كثيرا مايقلدون بعملهم احسن مصنوعات العجم .

وفي كل دار من دور الأهلين لا يسكنها الا عائلة واحدة ومتى بلغ الولد سبعاً من العمر يحظرون عليه الدخول الى مساكن النساء . واحسن البنايات فى المدينة هي ابنية الجوامع وعددها كثير والمنارات والقبب مصفحة بالرصاص وهي تستجلب نظر الناظرين لحسنها واجمل هذه الجوامع الجامع المعروف بالبهرامية سمي بأسم بانيه بهرام باشا حاكم حلب ثم جامع العادلية . وحسن الأبنيه ليس في جوامع حلب بل خاناتها واسواقها حسنة البناء ايضاً وفى خاناتها حجر واسعة يستأجرها التجار الغرباء للسكنى ولتعاطي التجارة وبعض هذه الاسواق مغطاة بالرصاص (لاوجود لذلك الآن) وفى هذه الأسواق تجد كل ماتتطلبه نفسك من لوازم الزينة والحاجات الضرورية من اللؤلؤ الى حصيرة القش

والأرمن لهم في حلب كنيستان السريانيون منهم والمارونيون لكل طائفة كنيسة والنسطوريون لا كنيسة لهم لقلة عددهم وهم لذلك يختلطون بغيرهم

﴿ الكلام على محلات حلب ﴾

المدينة منقسمة الى ٧٢ اثنين وسبعين محلة ولكل محلة امام غير الأمام الذي في الجوامع والى هذا الامام المرجع في جميع امور محلته وهو الذي يجبى الضرائب المقررة على سكانها ويدفعها الى الحاكم الكبير (الوالي) وهو منتخب من طرف اهل محلته مع مأمورين تابعين له يكونان تحت يده الاول هو من المشايخ وهو الذي يقبض الأموال والثاني حارس ويطلب من هذا محافظة المحلة ليلاً منعاً للسرقات والنهب وهؤلاء الثلاثة ليس لهم راتب معين غايته انهم معفوون من الضرائب وهذان المأموران وان لم يكونا معينين من طرف الأمام لكن للأمام الحق ان يرفض استخدامها الا اذا اثبت هذا ارتكاباً لهذا الامام

من الاثنين وسبعين محلة التى تنقسم المدينة اليها يوجد ٢٢ محلة داخل السور و ٥٠ محلة خارجه ثم ساق اسماءها وعدد ابواب كل محلة ثم قال

مجموع الدور	١٣٣٦٠	مدارس علمية	٨
الجوامع	٢٧٢	مارستانات	٣
القصور والسرايات	٣٥	سجن	١
الخانات	٦٨	مسلخ	٨
القهاوي	١٨٧	دباغه	١
الحمامات	٦٤	مصابن	٤
الكنبين (هكذا)	٤٠	مصابغ	٦
افران	٣٦	كنائس نصارى	٤
مدارات	٣٧	» يهود	١
مولوي خانه	٢		١٤١٣٧

(اقول) وبعض هذه المحلات قد انقسم الآن الى محلتين وبعض الأسماء قد تغير لكن ذلك قليل وسنذكر فى آخر الكتاب عدد المحلات الآن مع بيـان اسمائها ان شاء الله تعالى

(ثم قال)وجميع هذه الأبواب ما عدا الجوامع وقليلاً من المحلات تدفع(ويركو) الى الحاكم في كل سنه شيئاً معلوماً عن كل دار والمحصل الذى يقبض هذه الضرائب المرتبة من اظلم الناس والمحصلون لا يكتفون بتحصيل هذه الضرائب المرتبة بل يأخذون زيادات كثيرة وهذا التعدي والظلم المتمادي جميعه على علم من الحاكم وهو يغض عنه لأن له حصة في هذه اللصوصية . وعدا عن ذلك كان الحكام الذين يتعينون مجدداً يأخذون ضريبة خصوصية غير معينة وزيادتها

وقلتها ترجع الى رأي هؤلاء الحكام اللذين لا يبالون بما يرتكبونه من ظلم الرعية واخذهم اموال الناس بغير حق وهم بعدان يتناولوا من الرعية مـا يشبعون به بطونهم الواسعة يتركون للناس حريتهم الدينية ولا يبالون بما يتدينون به

عدد نفوس الشهباء في ذلك العصر

ثم من الأمور الصعبة ان يعرف عدد سكان هذه البلدة على الضبط والتحقيق انما الأقرب الى الصحيح ان عددهم يبلغ من ٢٨٥ مأتين وخمسة وثمانين الفاً الى ٢٩٠ مأتين وتسعين الفاً وذلك عموم السكان على اختلاف الملل والنحل ذكورهم واناثهم . والنصارى وحدهم يقدرون من ٣٠ ثلاثين الفاً الى ٣٥ خمسة وثلاثين واليهود يبلغون ٢٠٠٠ الفي شخص .

والنصارى يدفعون عن كل رأس ستة قروش تؤخذ ممن بلغ سن الشباب ويأخذ نصف قرش عن كل رأس وقد يؤخذ من المراهقين ضريبة بدعوى انهم بالغون

وصفه لأخلاق اهل حلب

وقد امتاز اهالي حلب على جميع البلاد العثمانية بحسن المعـاملة والمجاملة واللطف وتلك الأخلاق سجية فيهم لا كلفة فيها سواء كانوا عرباً اواتراكاً وتمنعهم تلك الأخلاق من ايقاع الضرر بغيرهم ولكنهم اذا انساقوا الى الأضرار مشوا واضروا وهم يودون الغرباء وخصوصاً الأفرنج فانهم يودونهم اكثر من سواهم . ومعاملتهم في التجارة حسنة وهم مستقيمون فيها. وهم اهل غيرة دينية يحافظون على الشريعة الأسلامية اشد المحافظة (وهنا وصف اليهود بذميم الصفات ثم قال) وجل ما يحترف به اليهود هو الصرافة والدلالة ومن رام تعاطي هذه الصنعة (الصرافة) لا بدله من ان يلتجأ اليهم والا فلا يروج امره ويوجد منهم اغنياء يتعاطون الربا وهم ماهرون فيه .

وكل سكان هذه البلدة ما عدا الاشراف والمثرين يتعاطون التجارة والحرف وهم منقسمون الى ٧٢ اثنين وسبعين صناعة ولكل صناعة رئيس . وعند ما تطرح الضرائب القاسية على قسم من هؤلاء الأقسام فتقسيمها على الأهالي وتحصيلها منوط برئيس هذه الصناعة . وهذا ايضاً لا ينسى نفسه من الفوائد الذاتية ويقاسمه بهذا القرص الحلو الباشا والقاضي وغيرهما ممن يحميه ويدافع عنه اذا حصلت شكاية ما عليه

كلامه على الوالي والمتسلم والقاضي وغيرهم من ولاة الأمور

يمشي امام الوالي رجلان يحملان علمين والعلم ذو شعب ثلاث واحدة بيضاء وواحدة معلقة ببيضة من نحاس مموهة بالذهب. وحكومة حلب تدفع سنويا ثمانين الف قرش للوالي منها ٣٠ الى ٣٥ الفاً يصرفها الوالي في حاشيته التي تبلغ من ٥٠٠ الى ٦٠٠ شخص والباقي يأخذه لنفقته الخاصة لكن ما يبقى لا يكفيه لنفقاته لأن من هذا المبلغ يرسل هدايا ذات شأن للباب العالي حفظاً لمقامه ومركزه عند كبار رجال الدولة فى دار السلطنة خصوصاً اذا كان ممن يلاحظ مستقبله فهو يحرص كل الحرص على جمع المال ولذا تجد الباشا يستعمل مهارته في استحصال مائتي الف زيادة عما خصص له وذلك من طريق التعدى والرشوة. ومقاطعة الوالي ١٢٠٠ قرية منها ٣٠٠ قرية خراب و ٩٠٠ قرية عامرة ويوجد ايضاً قرى أخر هي لوجهاء البلدة .

والذين هم تحت تصرفه لا يخلون ايضاً من الفخفخة وهو لا يسحب فلساً من خزائنه لأجل ان يدفعه الى الضباط الذين هم غير مستخدمين لديه

ومعاشات الضباط محددة تعين لهم من الآستانة لكنهم لا يأخذون بقدر ما يعين لهم بل يأخذون بقدر مايريدون ولذلك لا يلزمهم اعطاء درس بهذا الخصوص

فكلهم حاذقون ماهرون فى صناعة السلب والنهب وهم يصرفون جهدهم اياماً ليشتروا لهم مركزاً يكون من احسن المراكز (واحسنُها ابعدُها) وهناك يؤمنون ثروتهم . ومن النادر ان يبقى هؤلاء المستخدمون فى وظائفهم اكثر من سنة ولا يتأتى لهم ذلك الا اذا كان لديهم قوة مدافعة تجاه ولاة الأمور فى الآستانة.

(المتسلم) هو قائم مقام الباشا عند غيابه لكن راتبه اقل من راتب الباشا

القاضي ونوابه

هو فى الدرجة الثالثة ويلزم ان يكون عالماً بالشرائع وقوانين الملك وعوائده التي لا تختلف في كل محل وهو حاكم اهلى وجزائى [اي يحكم في المسائل الحقوقية والجزائية] وحكمه ينفذ في الحال في المسائل الأهلية واحكامه مطلقة في الأحكام الجنائية وان جرت الى الممات من تعذير او ضرب اوحبس او قتل وتعيين ذلك مفوض اليه وعند ما يحكم يقبض الجلادون على المجرم ويربطونه وينفذون ما حكم به عليه الا اذا تداخل الباشا قبل حبسه واما بعد دخول المجرم السجن فلا مرد من تنفيذ الحكم وهذا نادر جداً ولا يحظى بالشفاعة الا من كان كثير الأصدقاء وكان كبير المنزلة من علم او جاه

وقد يقوم القاضي مقام الباشا عند غيابه وراتبه ٥٠٠ خمسمائة (سيأتي في الكلام على العملة ان كل ١٤٤ بواحد من ٢٤ فتكون الخمسمائة ثلاثة قروش ونصف في كل يوم) وهو يسكن داخل المحكمة وفيها يفصل المخاصمات ومن يربح الدعوى يدفع ما لحقها من المصاريف وهذا هو العدل اذ يكفى المدعى عليه انه خسر الدعوى فلا يزاد عليه دفع المصاريف وهذه المصاريف لا تبلغ عادة عشر المبلغ المتحاكم عليه وهذا وارد كبير .

ويوجد مع القاضي اربعة اشخاص مفرقون في اربعة اطراف المدينة ولكل واحد

محكمة صغيرة خصوصية وهم تابعون للقاضي هؤلاء ينظرون في الدعاوى الجزئية وهم مجبورون ان يعلموه كل يوم عن كل دعوى رفعت اليهم ورأوها ويسجلوا تلك الدعوى في دفتر القيد الكبير . والقاضي يرسل من طرفه نوابا الى جميع محلات العادلية لأجل ان يعلموهم اصول المرافعة وبهذه الصورة يتجلى العدل بأجلى مظاهره اذا كان القاضي يهتم بذلك حق الأهتمام ويراقب سير الدعاوي لكن شد ما يخطئون لكثرة ما يجرى من شهادات الزور .

المفتي

هو مرجع الشريعة وهو بعد القاضي في الدرجة وله طرز مخصوص في لباسه ومراكبه ويتعمم بعمامة كبيرة جداً تعلوه الحشمة والوقار وهو مستشار القاضي فى الأمور الأهلية والجزائية .

نقيب الأشراف

لنقيب الأشراف طربوش اخضر وعمامة خضراء في شكل مخصوص يعرف بها . والأشراف يتعممون بعمامة خضراء والأتراك يباح لهم ان يلبسوا ثياباً خضراً ولا يتعمم بالعمامة الخضراء غير الأشراف ولهم حرمة زائدة عند الأهالي وخصوصاً عند ما تطابق اخلاقهم اصلهم وشهادتهم في الأمور العدلية هي الحكم القاطع .

آغة اليكجيرية

هو في الدرجة الخامسة ويسمى سرداراً ايضاً ويقبض راتبه من السيد الكبير [الوالي] لكن هذا الراتب تدفعه المدينة لأن السيد لا يخرج من خزائنه شيئاً لأجل ان يدفعه الى ضباطه والآغا هو الحاكم المطلق فى عسكره وغير الآغا لا حاكمية له وآغة اليكيجرية العام هو الذي يعين اغوات اليكيجرية الى هذه الوظيفة والآغا يضع ضريبة على كل البضائع والحبوب والثمار والحشيش وعلى كل شيء يباع في المدينة

آغة الخيالة

هو في الدرجة السادسة ويأخذ راتبه من الآغا العمومي الذي هو في دار السلطنة

☆ الدفتردار ☆

هو الذي يحصل ضرائب السيد الكبير (الباشا) وهو ايضاً يسمى بالباشا ومن مدة قريبة اضيف الى وظيفته وظائف أخر مثل استحصال ضرائب تؤخذ من النصارى واليهود وعليه حفظ واردات كمرك البضائع ومن جميع هذه الواردات التي يجمعها يقدم الى بيت مال السيد الكبير ٨٠٠ كيس او ٤٠٠ الف قرش. وعند ورود قوافل كثيرة او مراكب بحرية تحصل له ارباح طائلة ولهذا السبب تجده يهتم بمحافظة التجار وخصوصاً الأفرنج ولكن في سني القحط يخسر كثيراً وعندئذ لا يحصل له ادنى مساعدة ولا يسامح بشيء من المرتب عليه ويبيعون في ذلك اثاث بيته وخيوله وخدامه واذا لم يف ذلك بما عليه يحبس ويوضع تحت العذاب الى ان يسدد المال الباقي عليه . وهو يقدم هدايا جزيلة الى الباب العالي ويرشي الوالي بقصد بقائه في منصبه .

☆ الشاه بندر ☆

هو القاضي في المسائل المتنازع فيها بين التجار في امور تجارتهم ويتعين لهذه الوظيفة من الوزير الأعظم . والتجار التابعون الى السيد الكبير يرغبون ان تكون مسائلهم عند الشاه بندر لا عند القاضي

☆ الصوباشي ☆

هو آخر الكل من الضباط الكبار وهو مثل قاضي التجار ويوجد تحت يده ضباط أخر وتعيينه يكون من طرف الوالي. وراتبه ١٢٠٠ قرش ويأخذ عشرة في المائة من واردات المظالم التي تقع ويأخذ ايضاً شيئاً معيناً من المظالم الجزائية التي لا تجاوز

مائة قرش وله الحق ان يراها والتي تجاوز المائة قرش يدعها الباشا لكن هو يأخذ العشر

العاشر

هو الموظف على الكمارك وهذا له الحق ان يفتش جميع البضائع التي ترد الى هذه البلدة وبما انه ضامن لهذه الواردات فله تأثير خاص على الأسعار ولمعتمدي الدول الحق ان يمنعوه اذا رأوا منه اجحافاً بتسعير البضائع ويردوه عن غدره للأهالي وهذا شيء صعب

العملة في حلب

تضرب السكة بقلعة حلب بأمر والي حلب وكان يضرب ثلاثة انواع نوعان من فضة ونوع من نحاس

النوع الاول هو (١) واحد من (٢٤) اربعة وعشرين القرش

النوع الثاني هو سدس الاول يعني واحداً من ١٤٤ مائة واربعة واربعين

النوع الثالث هو نصف سدس النوع الثاني يعني واحداً من الف وسبعمائة وثمانية وعشرين وذلك يحصل من ضرب (١٢) اثني عشر (في ١٤٤) مائة واربع واربعين وهذه العملة هي الدارجة واما بين التجار فيستعملون الدراهم المضروبة بالقاهرة او العملة الأجنبية (المجر. واوستريا. وهولاندا. وفينيسيا. التي يسميها العرب البندقية) او القطع الكبار من الدراهم المضروبة في دار السلطنة العثمانية

قوة البلد

قوة البلد مركبة من عدد سكانها الكثيرين الذين يمكن تشكيل جيش كثيف منهم لكنه غير منظم ولا حاجه للتكلم على ابواب البلد لانها اصبحت خراباً في عدة اماكن حتى ان القلعة التي هي في وسط البلد مشرفة على الأنهدام وهي لا تثبت امام الحصار ازيد من اربع وعشرين ساعة ويوجد فيها ١٤٠٠ شخص حينما

يتخذها الحاكم سكناً له من هؤلاء ٣٥٠ من اليكيجرية المدربين ويوجد على اطراف السور مقدار اربعين مدفعاً بعيارات مختلفة لكنها قليلة الجدوي عند اللزوم ويقال انه كان فيها اكثر من ذلك لكنما السلطان مراد اخذ منها حينما توجه لحصار بغداد الذي حصل سنة ١٦٣٠ ولم يرسل بدلها

مستهلكات حلب من الحبوب والخضر وغير ذلك

من المستحيل معرفة مايستهلك فيها من الخواريف والمعز والدجاج والطيور . ويستهلك فيها وفى نواحيها من الحنطة كل يوم مائة مكوك تقريباً والمكوك قنطاران ونصف والقنطار مائة رطل والرطل خمس اقات وثلاثة ارباع الاقة [هو الرطل المسمى الآن بالخنكاري المستعمل الآن فى اورفة] ويصرف فيها كل يوم خمسون مكوكاً من الشعير تقريباً ما دام الباشا موجوداً ومن ٣٠ الى ٣٥ عند غيابه

ويصرف من الخضرة ستون مكوكاً في اليوم محسوباً فيها ما تأكله البقر والجمال ويصرف فيها كمية عظيمة من الأثمار المختلفة الأجناس ويمكن ان نقول ان مايصرف في حلب من الأثمار يعادل ما يصرف في ثلاث مدن كحلب في اوروبا . والأتراك يتهافتون كثيراً على اكل هذه الاثمار ولذا ترى الأمراض متفشية فيهم . والارز والقهوة يجلبان الى حلب من القاهرة ويصرف منها كمية كبيرة لا يمكن تقديرها ثم من حين ماتعود الترك على استعمال السكر فى القهوة وفى اشربتهم اصبح ما يصرف من السكر مبلغاً كبيراً لا يمكن تقديره ويأتيهم السكر من اوربا بكثرة ويباع بثمن رخيص في جميع بلدان الشرق

الاثمار فى حلب

ويوجد بحلب بكثرة الأثمار الآتية : دراقنة الصيفية والشتوية . مشمش . خوخ

سبعة انواع . تفاح ستة انواع . آجاص خمسة انواع . جبس بطيخ مائي اربعة انواع بطيخ عدي ثلاثة انواع . برتقان ، ليمون ، من كل الأنواع . تمر ثلاثة انواع زعرور ، لوز ، جوز ، عناب ، زيتون نوعان . تين ستة انواع . وغير ذلك من انواع الأثمار التي يعجز تعدادها . وكل هذه الأثمار لذيذة الطعم واني لم اقل عنها تسبب الأمراض الا لعلمي بأن الأكثار منها يوجب المرض والخير العنب هو الذى يجلب من قيس وهى قرية تبعد عن حلب عشرة اميـال وهو حلو مثل العسل كثير الماء وحبته سمينة ممتلئة .

ومن سنين قلائل ابتدئ في زرع التتن في هذه البلاد

الأمراض فى حلب

الأمراض الأكثر انتشارا في حلب هي . الاسهال . الحمى اليومية وهي التى تبقى يوماً واحداً الحمى الحارة الجنون الريح المسبب البرد النزلات على العين . ضعف المفاصل . ويوجد مرض من انواع الحمى يأتى غالباً للصغار دفعة واحدة بشدة عظيمة مع الم عظيم في الرأس ولكن لا يلزم لشفاءها سوى حجامتها .

والهواء هنا لا يكون سبباً للأمراض بل هو نقي صاف بل تأتى الأمراض من كثرة تناول الأثمار ومع هذا فان الوفيات قليلة الا في اوقات الطاعون . والاهالى هنا رغماً عن كثرة غشيانهم للنساء فأن غالبهم يصل الى سن الشيخوخة

الزراعة في هذه البلاد

الزراعة هنا تقريباً مثل اوروبا ولكنها اهون منها لا يحرثون الارض سوى مرة واحدة ثم يزرعون بها ثم يزحفونها (اى يغطون البذر بالتراب ويسميه الفلاحون بالطبان فى عصرنا) ووقت خروج الزرع لا يهتمون برفع ما خبث من النبات الخارج بين الزرع ووقت الحصاد لا ينفضون الحزم لكن لهم طاحون

من دف عليه صفحات حديد (يظهر انه ما يسمى الآن بالجرجر)وهم يربطون البقر او غيرها من الحيوانات على الدولاب وتدار وبدوران هذا الدولاب تتكسر الحزم ويخرج الحب وبعد ذلك يذرّونه في الهواء وبهذه الصورة ينفصل الحب عن التبن .وكل الاراضي تزرع سنة وتترك سنة .وغرس العنب واستثماره فى هذه البلاد هو اسهل من اوروبا وهو لا يكسح ابداً ولهذا السبب لا تبقى الكروم هنا كثيراً وغرس الأشجار المثمرة ليس احسن حالاً من غرس العنب

كلامه على خانطومان

هذا المكان يبعد عن حلب ثلاثة اميال (من جهة القبلة) ويوجد فيه اربعون محافظاً يقودهم آغا والقصد من وجود هؤلاء المحافظين رد غارات العربان ومنعهم من نهب حبوب القرى — وخانطومان هي بجانب النهر وهذا النهر يصب فى سهول تبعد عن حلب ثلاثة اميال وبذلك يصير الهواء غير نقي وهؤلاء المحافظون تؤمن معيشتهم من اهل القرى المجاورة ومن البلدة . وكان في هذا المكان بعض مدافع جميلة اخذت لحصار بغداد وبقي منها خمسة او ستة لا تصلح الا لأخراج الصوت ثم تكلم على خان العسل قال وهو يبعد ميلين عن حلب في الطريق الآخذة الى طرابلس وكان كبيراً ومحصناً تأوي اليه القوافل وهو الآن كاد يخرب تماماً وبقرب هذا الخان عين صغيرة تخرج من ذيل رابية صغيرة وماؤها عذب.[ثم قال] هذه هي ملاحظاتي الخصوصية التي كتبتها عن حلب اثناء اقامتي فيها

(سنة ١٠٩٥)

ذكر ولاية قره حسين زاده مصطفى باشا

قال فى السالنامة في هذه السنة ولي حلب قره حسين زاده مصطفى باشا قال فى

قاموس الأعلام كان فى ابتداء امره في زمرة البكداشية وفى سنة ١٠٩٠ صار يكيجرى اغاسى وفي سنة ١٠٩٢ انعم عليه برتبة الوزارة وفي سنة ١٠٩٤ بعد عوده من السفر من بلاد النمسا اضيف اليه رتبة السردارية وعين والياً الى حلب ثم لفراره من ميدان الحرب وكان ذلك سبباً لكسرة الجيش نفى سنة ١٠٩٦ الى قنيثره وفي سنة ١٠٩٨ صار يكيجري اغاسى ثانياً ثم صار مدة قليلة محافظاً لموقع سد البحر وفى سنة ١٠٩٩ اسند اليه منصب الصدارة فوضع على الرعية ضرائب كثيرة ثقيلة لخلو الخزينة من الأموال على اثر الحروب المتعاقبة فانزعجت الرعية من تلك الضرائب الثقيلة وكان ايضاً لقلة عقله وسوء تدبيره وعكوفه على ملذات نفسه ودع الاشغال الى قوم ليسوا اهلاً لأدارة شؤون الأمة فتفاقم الأمر فعزل ونفى الى معلقرة سنة ١١٠١ وتوفي هناك وله من العمر سبع وستون سنة اه

(سنة ١٠٩٦)

كان الوالي فيها ابراهيم باشا كما في السالنامه

سنة ١٠٩٧

(احتراق محلة بانقوسا)

قال الكاتب فى مجموعته في هذه السنة احترقت بانقوسا من باب الحديد الى ورشة الفعول على الصفين اه

(وجود القضاة في سرمين ومعرة مصرين)

قال المحبي فى ترجمة عمه صنع الله بن محب الله انه تولى قضاء معرة مصرين وتوجه اليها وضبطها ورجع الى الروم [قسطنطينية] وانا مقيم بها ثم اعطى قضاء معرة مصرين ثانياً وسافر اليها فصحبته في الطريق الى ان وصلنا الى انطاكية

ثم افترقنا ثم سافر الى الروم وولي قضاء سرمين ووصل اليها فتوفي بها وهو قاض وكانت وفاته في سنة سبع وتسعين والف عن ستين سنة اهـ

(اقول) يستفاد من هذه الترجمة ان معرة مصرين وسرمين كانتا بلدتين عامرتين يتولاهما القضاة ولعلهما اخذتا فى التدنى من ذلك الحين من حين ما ابتدأت ادلب تتقدم فى العمران حينما عمر فيها محمد باشا الكوبريلي عماراته كما قدمنا فى حوادث سنة ١٠٧٢ وهما في عصرنا الحاضر بلدتان صغيرتان جداً لا شأن لهما بمثابة قرية ولا يتولاهما القضاة لكن معرة مصرين اكثر عمرانا في الجملة

(سنة ١٠٩٨)

ذكر تولية حلب الى سياوش باشا

فى هذه السنة ولي حلب سياوش باشا كما فى السالنامة. قال فى قاموس الاعلام هو آبازى الاصل ومن عتقاء احمد باشا كوبريلى وكان في ابتداء امره في معية الباشا المذكور برتبة باوك آغاسى وفى سنة ١٠٩٥ صار رئيساً للزردخانه ثم عين والياً لدياربكر ثم الى حلب . ولما فر الصدر سليمان باشا من ميدان الحرب انتخب المترجم باتفاق امراء الجيش مكانه بصورة وكيل ثم جاءه وهو فى نيش فرمان الأصالة وبعد عوده الى استانبول اتى الاشقياء الى داره فنهبوا ما فيها ثم قتلوه وكان ذا حظ عظيم من العقل والتدبير وأصالة الرأي

وفى هذه السنة حصل غلاء بيع رطل الخبز بنصف قرش اهـ من رسالة الفنصاوي

سنة ١١٠١ كان الوالى خليل باشا
« ١١٠٦ « « جعفر باشا
« ١١٠٧ « « طورسون محمد باشا
« ١١٠٧ « « جعفر باشا مرة ثانية
« ١١٠٨ « « عثمان باشا

قــال الفنصاوى فى هذه السنة حصل غلاء بيع رطل الخبز بثلث قرش ونصفه تراب بيلون . وفيها كان الوالى عثمان باشا وهو غير ذاك كما فى السالنامة

سنة ١١٠٩ كان الوالي سلحدار حسن باشا

» ١١١٠ » » حسن باشا

» ١١١١ » » على باشا

. ١١١٢ » » يوسف باشا

هؤلاء هم الولاة في هذه السنين كما في السالنامة ولم نقف على شيء من اخبارهم او تراجمهم لنذكرها

(سنة ١١١٤)

وجود الطباعة فى حلب

قال في مجلة الشرق [١] سبق لنا في مقالتنا عن ابن الأفرنجية الشاعر الحلبي (المشرق ٢ » ٤٤٢) ان النهضة الأدبية التي عمت اليوم بلاد الشام كان بدؤها في مدينة حلب منذ اوائل القرن الثامن عشر وقد احرزت لها الشهباء فى ذلك العصر مجداً آخر وهي انها سبقت كل البلاد الشرقية بفن الطباعة العربية وكانت بعض مطبوعات لغتنا الشريفة نشرت قبلها بالآستانة العلية لكنها كانت بحرف عبراني (المشرق ٣ » ١٧٣) ثم طُبعت المزامير في قزحيا سنة ١٦١٠ بالحرف السرياني المعروف بالكرشوني (المشرق ٣ » ٢٤٥) اما الحروف العربية فكان ظهورها لأول مرة فى حلب في العشر الأول من القرن الثامن عشر . واصل هذه المطبعة مجهول الى اليوم فلا يعلم من امرها شيء ولعل حروفها حفرت وسبكت في مدينة حلب نفسها . وهي حروف خشنة

(١) جلد ٣ صحيفة ٣٥٥ سنة ١٩٠٠

والطبع عليها غير متقن وان كان جليا نضراً . وقد زعم العلامه [شتوررر] في كتابه المطبوعات العربية ان حروف مطبعة حلب هي حروف مدينة بكرش عاصمة الفلاخ جلبها الى حلب اثناسيوس الرابع البطريرك الانطاكي وقد خطّأ المستشرق الشهير دى ساسى رأى شتوررر لما وجد من الاختلاف بين حروف كتب بكرش وحلب وما لا ينكر ان اثناسيوس المذكور بعد ان ولاه مدة حزب من الروم الكرسى الانطاكي [سنة ١٦٨٦] فى حياة كيرلُّس الخامس رضي بأسقفية حلب على شرط ان يذكر اسمه في الصلوات العمومية كبطريرك ويوقع بعد اسمه « البطريرك الأنطاكي سابقاً » ولما توفي كيرلُّس الخامس سنة ١٧٢٠ عاد الى البطريركية فساس امورها الى سنة وفـاته ١٧٢٤ وكان اثناسيوس رحل سنة ١٦٩٨ الى بلاد الفلاخ ودخل على اميرهـا حنا قسطنطين برنكوفان ونال منه ان يسعى بطبع الكتب الطقسية باليونانية والعربية . فأجاب الأمير الى ملتمسه وعين له كاهنا كرجيا يدعى انثيموس ليحفر له حروفاً عربية ففعل وطبع في بكرش باليونانية والعربية كتاب الليتورجيات الثلاث سنة ١٧٠١ ثم كتاب القنداق ووزعها مجانـا على كهنة الروم ثم عاد اثناسيوس الى حلب واهتم بطبع كتب اخرى طقسية في هذه المدينة ولانعلم كيف توصل الى سكب الحروف ولعله استصحب معه الكاهن انثيموس المذكور فحفر له حروفاً جديدة اوكان هو اتقن هذا الفن فعلمه قوماً من الحلبيين وما لا مشاحة فيه ان اثناسيوس ادرك غايته فنشر بالطبع في حلب بعض الكتب الدينية ونثبت هنـا قائمة مانعرف منها حسب تاريخها وهذه المطبوعات اضحت اليوم عزيزة الوجود وفي خزانة كتبنا الشرقية اربعة منها

(١) كتاب المزامير طبع سنة ١٧٠٦ وهو ترجمة عبدالله بن الفضل الأنطاكي الكاتب الشهير وهذا الكتـاب جدد طبعه في حلب سنة ١٧٠٩ و ١٧٢٥

و١٧٣٥ وعنه اخذت الطبعات التالية (٢) كتاب الأنجيل الشريف طبع بقطع كبير في السنة عينها ١٧٠٦ وعدد صفحاته ٢٨٣ وهو مزين بصور الأربعة الأنجيليين ونظن ان هذه الترجمة هي ايضاً لأبن الفضل الانطاكي نقلت عن الاصل اليوناني (٣) كتاب الدر المنتخب من معاملات القديس يوحنا فم الذهب نقله عن اليونانية البطريرك اثناسيوس وطبعه سنة ١٧٠٧ وفى مكتبنا نسختان من الطبعة الحلبية (٤) كتاب النبوات طبع سنة ١٧٠٨ بقطع كبير عدد صفحاته ١٢٨ (٥) فصول من الانجيل المقدس لكل اعياد السنة طبع سنة ١٧٠٨ (٦) عظات اثناسيوس البطريرك طبع سنة ١٧١١ (٧) البركلستيكون او بالأحرى براكليتكوس اى المعزّي طبع فى حلب سنة ١٧١١ (٨) كتاب صخرة الشك وهو كتاب ينفى بعض العقائد التي تعلمها الكنيسة الرومانية طبع في حلب سنة ١٧٢١ هذا ماحصلنا عليه بخصوص مطبعة حلب القديمة ولا نعلم كيف انتهت هذه المطبعة وكيف بطلت آلاتها وتضعضعت حروفها اه

وفي آداب اللغة العربيه لجرجي زيدان [ج ٤ ص ٥٥] ان اسبق مدائن سوريا للطباعة هي حلب فقد ظهرت الطباعة فيها بأوائل القرن الثامن عشر وطبع اول كتاب في العقد الاول من القرن المذكور . وقد كتب الينا جورج بك الخياط المحامي فى حلب ان عنده نسخة من كتاب طقسي كنسي مطبوع في حلب باليونانية والعربية سنة ١٧٠٢ ثم طبع الانجيل فيها سنة ١٧٠٦ قال وقد صنع امهات هذه الطبعة العربية واليونانية الشماس عبد الله زاخر الحلبي وكان صائغا ماهراً يحب الأدب والعلم اه

(سنة ١١١٥)

ذكر ولاية جورليلى على باشا

قال فى قاموس الأعلام ولد المترجم في جورلى (بلدة من اعمال ادرنة في قضاء

تكفور طاغي) واحضره الى الاستانة قره بيرام اغا وادخل الى السراي السلطانية وفي زمن السلطان مصطفى خان الثانى صار سلحدار الحضرة السلطانية وفي سنة ١١١٥ في حادثة ادرنة انعم عليه برتبة الوزارة وفي زمن السلطان احمد خان الثالث عاد الى الاستانة ثم بقي في ادرنة بصفة قائممقام عليها وبعد ان قام ثمة ببعض الأمور المهمة عين فى هذه السنة والياً على حلب وفي سنة ١١١٦ عين والياً على طرابلس الغرب ثم احضر فى هذه السنة الى الآستانة وفي سنة ١١١٨ عين لمنصب الصدارة وزوج ببنت السلطان مصطفى خان وبقي في هذا المنصب اربع سنوات وزيادة يدبر امور السلطنة احسن تدبير وفي سنة ١١٢٢ عزل بوشاية بعض الواشين ونفاق بعض المنافقين وارسل الى جزيرة مدللى وهناك اعدم وسنه لم يجاوز الأربعين وكان رجلاً عاقلاً مدبراً عادلاً كثير الميل الى عمل الخير والأحسان وجدد وهو بحلب تربة سيدنا زكريا عليه السلام التي هي داخل الجامع الكبير . (١)

[١] وله في دار السعادة عدة آثار منها جامع فى بارمق قبو ودار للحديث ومكتبة وجامع آخر فى الساحل عند الترسخانة وحمام وغير ذلك من الآثار الجليلة واحضر رأسه الى الاستانة ودفن فى صحن جامعه الذي هو فى بارمق قبو اهـ

سنة ١١١٥ كان الوالي جركس محمد باشا

« ١١١٦ « « حاجى قيران حسن باشا

« ١١١٦ « « سلحدار ابازه سليمان باشا

في هذه السنة شرع ببناء قلعة بالقرب من بيلان في المكان المعروف بقبة اغاج

---

(١) هذا سهو فأن تجديد التربة كان في سنة ١١٢٠ في زمن عبدي باشا كما سيأتيك نقله عن قاضى حلب عبد الرحمن افندى ولما سيأتيك في ترجمة على ابن اسد الله مفتي حلب المتوفى سنة ١١٣٠ وكما هو منقوش على باب التربة لكن صدر ذلك بأمره ايام صدارته

وذلك حفظاً لهذه النواحى من قطاع الطريق اه تاريخ راشد

سنة ١١١٧ كان الوالى فيها ابراهيم باشا

(سنة ١١١٩)

في هذه السنة ولي حلب عبدى باشا كما في السالنامة

(سنة ١١٢٠)

تجديد تربة سيدنا يحيي عليه السلام فى الجامع الكبير بحلب

قال قاضى حلب عبد الرحمن بن مصطفى الكبيرى الذي تولى القضاء فيها هذه السنة فى آخر رسالة له ذكر فيها نبذة من تاريخ حلب اغلبها مما يتعلق بالجامع الكبير . وفى زماننا هذا وهو زمان السلطان احمد خان بن السلطان محمد خان امر الوزير الاعظم (الصدر) على باشا فى زمان حكومة الفقير بتوسيع المرقد المقدس فشرعنا في تنفيذ امره فى اليوم الرابع من شعبان سنة عشرين ومائة والف وهدم الحائط الشرقي (اي شرقى المنبر) وهو محل المقام ووراء الصندوق الذي هو ستر جلاله من قديم الأيام اذ ظهر هذا الجرن بين الحـائط المرئي والحائط القديم وهو من الرخام الأبيض فلما اخذنا في حمله فاح منه رائحة طيبة ازكى من المسك فحملناه بالتسليم ووضعناه في خزانة واحضر اكثر من ثلاثين شخصاً من حفاظ القرآن الكريم وصاروا يقرأون عنده ويهللون ولازموا المكان ليلاً ونهاراً الى ان تم ذلك المقام ولما كان يوم الجمعة قبل العصر حادى عشر ذلك الشهر من السنة المرقومة اجتمعنا مع الوالي وقتئذ وهو الدستور المكرم حضرة عبدي باشا والعلماء والاعيان ورفعنا الجرن المبارك مع الوزير والعلماء والصلحاء ووضعناه في جرن اكبر منه موضوع فوق بناء مؤسس مرتفع عن الأرض ووضعنا فوقه من الرخام والتراب الذي كان معه من الأزمنة الماضية وغطيناه

بالرخام والتراب والقراء يقرأون القرآن ويطلبون الرحمة والرضوان والحمد لله على ما انعم من هذه النعم الجليلة والبركة الجميلة التى لم تتيسر الا لآحاد من الناس اه بأختصار قليل. وسيأتيك ذكر ذلك فى ترجمة علي ابن اسد الله المتوفى سنة ١١٣٠ وقد حققنا في الجزء الثانى فى صحيفة ٣٩٦ ان المدفون هنا هو رأس سيدنا يحي عليه السلام لا سيدنا زكريا عليه السلام كما هو مستفيض ومشهور بين الناس

تولية حلب الى تبردار محمد باشا

في هذه السنة ولي حلب تبردار محمد باشا. ويظهر ان ولايته كانت فى اواخرها لما تقدم آنفا

(سنة ١١٢٢)

ذكر تولية ابراهيم باشا للمرة الثانية

قال فى السالنامة في هذه السنة كان الوالى ابراهيم باشا للمرة الثانية قال في القاموس هو مورهلي الأصل ولد في قرية طوبيوليجه ثم صار كتخدا عند الصدر الأعظم جورلبلي علي باشا ولما عزل الصدر المذكور صار من محافظى البحرية وبقي فيها ثلاث سنوات ثم عزل عنها وصار والياً في مصر سنة ١١٢١ ومنها نقل الى ولاية حلب ثم القدس وصار فى بعض السنين اميراً على الحاج وفى سنة ١١٢٩ اعيد لمنصب محافظية البحر وبعد سنة من تعيينه توجه الى قندية [بلدة في جزيرة كريد] فتوفي هناك اه

سنة ١١٢٥ كان الوالي طوبال يوسف باشا

» ١١٢٥ » » جركس محمد باشا للمرة الثانية

» ١١٢٧ » » مقتول زاده على باشا

» ١١٢٨ » » عبد الرحمن باشا الحلبي

سنة ١١٢٨ كان الوالى مصطفى باشا
« ١١٣٠ « « عثمان باشا
« ١١٣١ « « موره لى علي باشا

سنة ١١٣١

﴿ذكر تولية حلب لرجب باشا﴾

كان الوالي فى حلب فى هذه السنة رجب باشا كما فى السالنامة . بعد البحث الكثير لم اقف له على ترجمة لكن ذكر راشد في تاريخه التركى وكذا اسماعيل عاصم فى ذيله على هذا التاريخ شيئاً من احواله قالا انه كان والياً في دياربكر وسيواس ولما حصلت الحرب بين الدولة العثمانية والنمسا وكان قائد الجيوش العثمانية الصدر الأعظم خليل باشا ارسل رجب باشا المذكور ومعه ثلاثون الفا من العساكر ليكون مع الصدر المذكور ويظهر من كلامهما انه كان رجل ادارة لا رجل قيادة لأنه لم تظهر منه الشجاعة المطلوبة وتأخر في موضع كان عليه ان يقدم فيه وكان من المحبوبين عند السلطان احمد خان ومن المقربين لديه وكانت وفاته يوم الثلاثا في اوائل شهر ربيع الأول سنة ١١٣٩ في بلدة ايروان [عاصمة حكومة الأرمن الآن بالقرب من القارص] وبعد وفاته عين ولده احمد بك حاكما على البلدة المذكورة .

ومن آثاره في حلب تجديد السبيل الذي عن يمين باب خان الصابون وقد كتب فوق السبيل على جدار الخان (١) جدد هذا السبيل المبارك صاحب الخيرات (٢) الوزير الأكرم الحاج رجب باشا سنة ١١٣٢ . وقد طالت مدة ولايته بحلب وابتنى واقتنى فيها دوراً عظيمة في محلة باحسيتا وله ذرية تعرف الى يومنا هذا ببيت رجب باشا ولم تزل دورهم في هذه المحلة .

سنة ١١٣٢

ذكر بناء مجرى قناة حلب واصلاح طريقها واخذ ٢٥٠٠

قرش من وصية الشيخ اسعد بن ناصر التي اوصى ان يبنى ببعضها سبيل لتصرف في اصلاح الطريق المذكورة بعد ان استحصل فتوى بجواز ذلك لان النفع اعم وقد حرر بذلك حجة شرعية في هذه السنة ظفرت بها عند احمد امير ونصها

حضر بمجلس الشرع الشريف لدى مولانا وسيدنا [الخ الالقاب التي تذكر للقضاة وكان القاضي وقتئذ مصطفى افندي] عثمان اغا ابن الحاج عبد الرحمن بيك الشهبندر وفلان وفلان [٢٦] شخصا وقرروا بمحضر من صاحب هذا الكتاب الحاج حسين ابن الحاج امير قائلين في تقريرهم بأن المتوفى الشيخ اسعد ابن الحاج ناصر في حال حياته قد اوصى الى الحاج حسين المذكور ان يأخذ من ماله الفين وخمسمائة غرش ويبنى ببعضها سبيلا يجري الماء اليه من قناة حلب والحال ان الماء يجري من قناة حلب الى قساطل وسبلانات بمدينة حلب للشرب وغيره ولا فائدة لبناء سبيل آخر مع وجود ما ذكر . وان القناة المذكورة تهدمت من اصل مجراها واشرفت على التلف وانقطاع الماء عن حلب واضطر الحال الى عمارتها واصلاح مجراها لتستمر تلك المنافع العامة وليس للقناة مال تبني به وانا الآن نطلب من الحاج حسين المذكور ان يأخذ المبلغ المزبور من تركة الشيخ اسعد المرقوم ويصرفه في بناء مجرى القناة واصلاح طريقها بناءً محكماً ليبقى زماناً طويلاً ويكون النفع اعم والثواب اوفى واتم للموصي الشيخ اسعد المرقوم بسبب ذلك ابرزوا من ايديهم فتوى شريفة سؤالها

صورة الفتوى

في زيد اوصى الى عمرو ان يأخذ من ثلث ماله دراهم كذا ويبني بمقدار كذا منها سبيلا في مدينة حلب في محلة كذا ويجري الماء اليه من قناة حلب ليشرب منه المارّون عليه من الناس ويشتري بالباقي عقاراً يوقفه على مصالح ذلك السبيل وكان الماء يجرى من قناة الى قساطل وسبلانات في تلك المحلة للشرب وغيره ولا فائدة في بناء سبيل آخر في تلك المحلة مع وجود ما ذكر . وكانت القناة المذكورة تهدمت من اصل مجراها واشرفت على التلف والانقطاع واضطر الحال الى عمارتها واصلاح مجراها لتستمر تلك المنافع العامة ولم يكن لها ما تبني به من المال فرأى القاضي ايده الله تعالى وسدد آراءه ان يصرف هذا الموصى به كله في بناء مجرى القناة واصلاح طريقها بناءً محكماً ليبقى احقاباً من السنين ويكون النفع اعم والثواب اوفر واتم للموصى بسبب ذلك فأمر الوصي بذلك فأنفقه الوصي في ذلك وتوفر الماء في القساطل والسبلانات والسقايات توفراً ظاهراً مستمرا فهل يضمن الوصي المال والحالة هذه او لا (الجواب)

لا يضمن لأنه مخالفة الى خير وقد نقل الأمام الصدر الشهيد حسام الدين الخاصي في الفتاوى الكبرى عن النوازل ما نصه وان اوصى بأن يتصدق في عشرة ايام فلا بأس بأن يتصدق في يوم لأن ذلك لا يتفاوت الا الى خير هذا ووجه الخيرية أن التعجيل في الأنفاق خير من التأخير واما الخيرية فيما نحن فيه فغنية عن البيان وظاهرة للعيان وفي السراجية اوصى لفقراء بلدة معينة فالأفضل ان لا يعطي لغيرهم ولو اعطى جاز وفي الخاصي معزياً الى النوازل ايضاً هذا قول الأمام ابي يوسف رحمه الله تعالى وبه يفتى وقد بينه في العيون بأن الوصية جعل الموصى به لله سبحانه وتعالى وكل الفقراء فيه سواء انتهى والله اعلم كتبه ابو السعود الحقير المفتي بمدينة حلب غفر له (هو الكواكبي)

وطالعها الحاكم المشار اليه ادام الله تعالى نعمه عليه ورأى ان فى صرف هذا المبلغ فى بناء مجرى القناة واصلاح طريقها نفعاً عاماً للخاص والعام واكثر ثواباً للموصى المزبور فأمر المولى المومى اليه الحاج حسين المذكور بأن يصرف المبلغ المرسوم فى بناء مجرى القناة وتجديدها واصلاح طريقها ليجرى الماء الى القساطل والسبلانات بحلب وينتفع به عامة الناس امراً شرعياً .

ثم ان الألفين والخمسمائة القروش المذكورة صرفت بمعرفة الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الأنام بالرأي الصائب مؤسس بنيان الدولة والأقبال مشيد اركان السعادة والأجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك المتعال الوزير المحترم حضرة الحاج رجب باشا يسر الله له من الخير مايشا والي ولاية حلب حالاً ادام الله تعالى اجلاله وختم بالصالحات اعماله ومعرفة الأكابر والاعيان والمعتمدين على القناة وغيرهم من اهل البلد في تعمير مجرى القناة وترميمها وتلبيس بعض اماكنها في قيمة احجار وكلس وقنب وقصرمل واجرة معلمين وفعلة ولم يبق فى يد الحاج حسين المذكور من المبلغ المسطور شيء اصلا وكتب ما هو الواقع وحرر بالطلب فى اليوم الغرة من رجب لسنة اثنتين وثلاثين ومائة والف اه

وعلى هامش الحجة خط ابى السعود افندي الكواكبي المفتي بحلب وقتئذ والسيد عمر نقيب الاشراف والعلامة المحدث الشيخ يوسف الحسيني

(سنة ١١٣٣)

في هذه السنة حررت استحقاقات الجوامع والقساطل والحمامات والمحلات من قناة حلب واثبت ذلك في سجل المحكمة الشرعية وعندى منها نسخة خطية قديمة مستخرجة من السجل وهي تبلغ عشر صحائف من هذا الكتاب ولم اثبتها لطولها

ولأن عمل الناس على خلاف هذا التقسيم ويظهر ان تحريرها على اثر اصلاح طريق القناة

سنة ١١٣٦ كان الوالى فيها كورد ابراهيم باشا كما فى السالنامه

سنة ١١٣٧

﴿ ذكر تولية حلب لحكيم باشا زاده على باشا ﴾

له فى قاموس الأعلام ترجمة حافلة قال في اولها هو على باشا ابن رئيس الاطباء نوح افندي ولد سنة ١١٠٠ في استانبول وفي زمن السلطان احمد خان الثالث ادخل في زمرة بوابى الدركاه ثم تولى عدة وظائف ثم عهد اليه بولاية حلب سنة ١١٣٧ وفى فتح اذربيجان وتبريز ظهر من المشار اليه خدمات جلى فانعم عليه سنة ١١٣٨ برتبة الوزارة وولي ولاية اناطولي ثم ساق تقلباته في المناصب وخدماته الجليلة للدولة العثمانية الى ان قال وفي سنة ١١٥٥ اسند اليه منصب الصدارة وبقي فيها مدة سنة ونصف ثم تغير عليه قلب الحضرة السلطانية فعزل سنة ١١٥٦ ونفي الى مدللى مدة ثم عين والياً لقندية وفي سنة ١١٥٨ عين والياً لحلب المرة الثانية وفى هذه السنة جاءت الأخبار بأن نادر شاه ملك العجم عزم على مهاجمة القارص فعين المترجم قائداً للعساكر التى وجهت الى تلك الجهات وبعد انعقاد الصلح مع نادر شاه توجه الى التنكيل بعصاة اللوندات ثم ساق ما تقلب فيه من المناصب الى ان قال وفي سنة ١١٦٩ عين والياً الى مصر وفي سنة ١١٧٠ عين والياً الى اناطولي وفي هذه السنة توفي فى كوتاهية وبعد مدة نقلت جثته الى استانبول ودفن في الجامع الذى عمره فى اثناء صدارته الأولى وكان عاقلا عالماً مدبراً شجاعاً ذا رأى متين سخياً حازماً شديداً توفي وله من العمر سبعون سنة

(سنة ١١٣٨)

قال في السالنامة في هذه السنة كان الوالى محمد باشا السلحدار اه اقول لعل ذلك

سهو فأن ولاية محمد باشا السلحدار الأولى كانت سنة ١١٤٣ كما سيأتي في ترجمته

﴿ ذكر تولية حلب لعارفي احمد باشا ﴾

قال في السالنامة في هذه السنة كان الوالى عارفي احمد باشا اه قال في قاموس الأعلام هو استانبولي الاصل ومعدود من جملة ادباءها ومشاهير الخطاطين فيها بعد ان احرز رتبة الخوجكان عين كاتباً ثم رئيساً للكتاب في قلم الصدارة وفي سنة ١١٣٠ حاز رتبة الوزارة وعين لصنجق تكه ثم الى نيكبولى ثم الى حلب وفي سنة ١١٣٦ كان قائد عسكر روانه وفي سنة ١١٤٤ عين والياً على وان ثم اعيد على اثر ذلك الى صنجق تكه وتوفي بها وكان ماهراً في التحرير في الأقلام الستة.

سنة ١١٤١ كان الوالى فيها داماد على باشا

» ١١٤٢ » » كوجك مصطفى باشا

» ١١٤٣ » » ابراهيم باشا

﴿ ذكر تولية حلب لمحمد باشا السلحدار ﴾

قال في السالنامة كان الوالي في هذه السنة محمد باشا . قال في قاموس الأعلام هو استانبولي الاصل دخل السراى الهمايونية وصار فيها اولاً جاويشاً للكلار ثم كتخدا ثم رقي دفعة واحدة الى وظيفة السلحدار للحضرة السلطانية وفي سنة ١١٤٠ زوجه السلطان ببنته عائشة وحاز شرف مصاهرة العائلة الملوكية فرقي لاجل ذلك الى رتبة الوزارة ثم ولي ارضروم ولما استشهد الداماد ابراهيم باشا اودع ختم الصدارة الى عهدة المذكور وفي ذلك الأثناء تولى السلطان محمود خان الاول [كان توليته سنة ١١٤٣ في ربيع الاول] فابقي المترجم في منصبه وبعد مائة يوم عزل وعين والياً الى حلب ثم لبغداد ثم أعيد الى حلب وفي سنة

١١٥٠ توفي بها وفي رواية توفي في ارضروم وكان مع نحافة جسمه قادراً على ادارة الأمور حسن التدبير اه ولم يذكر في السالنامة انه تولى حلب مرة ثانية والمتبادر من كلام القاموس انه اعيد اليها سنة ١١٥٠ او سنة ١١٤٩ اى بعد بولاد احمد باشا الآتي ذكره وتوفي سنة ١١٥٠

[سنة ١١٤٧]

كان الوالي فيها بولاد احمد باشا كما في السالنامة

سنة ١١٤٩

﴿ ذكر تجديد مجرى نهر الساجور بعد انقطاعه ﴾

وفي بعض المسودات التي عندي ما ملخصه ان ارغون الكاملي لما ساق النهر الى حلب سنة ٧٣١ وقف عليه اوقافاً كثيرة ولم يزل النهر المذكور جارياً الى حلب الى ان حدثت زلزلة عظيمة في سنة ١٠٠٤ فهدمت جسراً له بالقرب من حلب وتعدى بعض القابضين على الماء وتهاون بأمره اهل حلب بالمجيء ولم يزل مقطوعاً الى سنة ١١٤٩ فاعتنى بشأنه احد اكابر حلب يقال له نعسان آغا فقدم على سوقه واوصله الى حلب كما كان سابقاً بعد أن اوقف عليه اوقافاً اضافها الى اوقاف ارغون المذكور .

وقال في مجموعة عند احمد افندي القدسي بعد أن ذكر ماقدمناه في حوادث سنة ٧٣١ ثم تغلت عليه (على نهر الساجور) ايدى الغاصبين فانقطع عن حلب الى سنة ١١٤٩ فجدده احد اكابر حلب يقال له نعسان اغا وانشد في ذلك خطيب اموي حلب الشيخ علي الدباغ فقال

لما اتى حلبَ الساجور قلت له ٭ كيف اهتديت وما ساقتك اعوان

فقال كانوا نياماً عن مساعدتي * حتى تيقظ طرف وهو نعسان

وانشد ايضاً

حلب فاقت البلاد بماء وهوا * ء واهلها قد زدن قدرا
يقظوهم لأبحر الجود حتى * ان نعسانهم لقد ساق نهرا

سنة ١١٥٠

تولية حلب لعثمان باشا الدوركي باني المدرسة العثمانية

في هذه السنة ولي حلب عثمان باشا الدوركي كما في السالنامة . قال المرادي في تاريخه هو عثمان باشا الوزير بن عبد الرحمن (١) ابن عثمان الدوركي الأصل الحلبي المولد والمنشأ انتقلت بوالده الأحوال الى ان صار في الباب العالي رئيس الجاويشية وهي رتبة قعساء لا ينالها الا من هو مجرب في معرفة قوانين الدول ومنها انعمت عليه الدولة بمنصب حلب برتبة روملي ورحل من اسلامبول الى

(١) رأيت في بعض المجاميع ما نصه قد انتقل عبد الرحمن باشا بن عثمان اغا الدوركي الى رحمة الله في شهر شوال سنة ١١٢٧ في قسطنطينية وانتقل والده عثمان اغا سنة ١١٠٧ ونظم الأديب عبد الله الزيباري ابياتاً ارخ فيها موته وقد نقلت عن خطه قال

تبارك الله باري كل انسان * سبحانه كل يوم هو في شان
مقلب الدهر حي في .... * باق وكل امرئ من خلقه فاني
فاستبصروا يا اولى الأبصار واعتبروا * فيمن مضى من اخلاء واقران
ان المنون التي مدت مخالبها * كم شتتت شمل احباب واخدان
حتى لقد غادرت عثمان مندرجا * من بين اقرانه في طي اكفان
مستودعاً بحضيض الرمس تكنفه * عواطف البر من الطاف منان
جازاه رب البرايا من تفضله * خير المكافات من عفو وغفران
واكرم الله مثواه واسكنه * في جنة الخلد في روح وريحان
بشرى له حسنت في الله نيته * وهل جزى محسن الا بأحسان
فلا تخف ايها الراجي على سرف * في رحمة الله ارخ موت عثمان ١١٠٧

مقر حكومته حلب في الطريق ناداه داعي المنون فأجاب فامتحن صاحب الترجمة ثم ترقت احواله الى ان صار محصل الأموال الميرية بحلب وكانت له دربة في الأمور بجمع الأموال وبنى وشيد ورأس وساعده الوقت وبنى داره الكائنة بمحلته داخل باب النصر على شفير الخندق وهي احد الدور العظام في الأرتفاع والأحكام وبشرقيها كان سور الأربعين قديما وهذا كان احد ابواب مدينة حلب ومحله عند مسجد الأربعين المعروف الآن بزاوية القرقلار يسكنها مشايخ الطريقة النوربخشية وشرقي دار المترجم العين المعروفة بالعوينة يقصدها المرضى يوم السبت قبل طلوع الشمس يغتسلون بها ولها ذكر فى الخواصات التي بحلب (١)

ثم ان المترجم شرع فى عمارة جامعه المعمور لصيق داره اوائل سنة احدى واربعين ومائة فاشترى الدور التي كانت فى محل الجامع من اهلها بالأثمان المضاعفة وكان يقترض من التجار اهل الخير والصلاح المعروفين بحل المال ويصرفه فى عمارة الجامع ويوفيهم من ثمن حنطة كانت عنده الى ان فرغ بناء الجامع وتم على اكمل الوجوه ولما انتهى حفر اساس الجامع وحررت القبلة بتحرير العلامة الشيخ جابر الحورانى الأصل والعلامة الشيخ على الميقاتي باموى حلب نزل صاحب الترجمة بنفسه الى الأساس واستدعى ببطين فوضعه ووضع عليه حجراً ووضع بينهما صرة صغيرة لايدرى ماهي وصعد وشرعوا في البناء بالأحجار الهرقيلة الهائلة وابطل العمل شتاء الى ان كمل سنة ثلاث واربعين ومائة والف ووضع فيه منبرا من الرخام الأصفر الفائق وفى صحنه حوضاً من الرخام الأصفر طوله اربعة عشر ذراعاً في مثلها وفي شماله مصبطة مرخمة بالرخام الأصفر بقدر الحوض وبنى فيه احدى واربعين حجرة

(١) لااثر الآن لهذه العين واصبحت اثرا بعد عين وهنالك قسطل ماؤه من قناة حلب معروف بقسطل العوينة بذيل تربة الجبيل

منها ثلاثون للمجاورين والباقي لأرباب الشعائر وعين له خطيبا شكرى محمد افندى البلفكونى وهو اول خطيب خطب به لأنه كان مرغوباً عند الأتراك التمطيط فى الخطبة على عادة خطباء اسلامبول وعين له مدرساً تاتارافندي العينتابي فاستقام اربعة اشهر ثم استعفي فنصب مكانه العلامة محمود افندي الأنطاكي وعين السيد محمد الكبيسى محدثاً وعين عبد الكريم افندي الشراباتي واعظاً عقب صلاة الجمعة وعين السيد عبد الغني الصباغ امام الجهرية والعلامة الشيخ جابر امـام السرية وعين له اربعة مؤذنين وعين شعالين وفراشين وقارئاً يقرأ النعت وكناسين ولكل من ابوابه الثلاثة بواباً واسكن الثلاثين حجرة ثلاثين رجلاً من اهل البلدة او من غيرها وشرط عليهم البيتوتة فى الجامع وملازمة الصلوات الخمس وقراءة جزء من القرآن العظيم بعد صلاة الصبح وفي اثناء عمارة الجامع صار متسلماً بحلب وجاءته رتبة روملي ثم انعمت عليه الدولة برتبة الوزارة ومنصب طرابلس ثم عزل عنها وولي سيواس ثم دمشق وحج منها اميراً للحاج ثم ولي حلب فدخلها سنة خمسين ومائة والف وشرع فى عمارة المطبخ المسمى بالعمارة على باب جامعه الشرقى ثم ولي آدنة ثم بروسة وعين لمحافظة بغداد ثم ولي ايالة صيدا ثم ولي جدة ومشيخة الحرم المكى فاقام بمكة المشرفة الى ان توفي فى ذي القعدة سنة ستين ومائة والف ودفن هناك رحمه الله تعالى اهـ

وفي مجموعة منقولة عن تاريخ ابن ميرو . قال اشترى عدة دور بالأثمان الزائدة وهدمها وادخل منها جانباً بالداره وبنى المطبخ وبجانبه فرناً لخبز الخبز ومكاناً لوضع الذخيرة ومكاناً للطباخ والبواب جميع هذه الأماكن مبنية بالأحجار داخلاً وخارجاً ما بها من الخشب الا اغلاق الأبواب والشبابيك وبنى به حوضاً هائلاً من الرخام الأصفر ينزل اليه بدرج من الحجر ورصص قباب الجامع واسطحته واسطحة المطبخ بألواح الرصاص المحكم .

﴿ الكلام على اوقاف المدرسة العثمانية ﴾

للواقف رحمه الله عدة وقفيات على هذه المدرسة اولاهن كانت سنة ١١٤٢ حيث وقف فيها ٢٧ عقارا واخراهن كانت سنة ١١٥٢ وكان كلما اشترى جملة من العقارات وقفها الى ان بلغت نحو المائة واعظم هذه العقارات شأنا البساتين التي هي خارج باب الفرج من شمالي البستان المعروف ببستان (كل آب) الى محطة الشام فبغداد وما بين ذلك من البساتين التى تقدر قيمتها اليوم بنحو مليون ليرة عثمانية ذهبا وقد اخذ قطعة منها فجلعت القسم الشمالى من محطة الشام ودفعت شركة الخط قيمتها لمتولي الوقف الآن الوجيه امين اغا اليكن خمسة اوستة آلاف ليرة عثمانية فعمر بهذا المبلغ وبما كان مجتمعا لديه من غلة الوقف عشرين داراً في البساتين المذكورة بالقرب من الجسر الكبير هناك وداراً فى محلة الجميلية بالقرب من المدرسة السلطانية وألحق ذلك الى العقارات الموقوفة على مصالح المدرسة وذلك سنة ١٣١٧ . وهذه البساتين واقعة اليوم في اعظم بقعة فى حلب واصبح المتر المكعب هناك بليرتين وثلاثة ولو اعتنى بأمر هذه البساتين وتلك الأراضى الواسعة هناك تمام الأعتناء لدرت خيرات كثيرة وزادت فى ريع هذا الوقف زيادة تستحق الذكر

﴿ شرط الواقف فى الوقفية الاولى ﴾

خطيب صالح له فى كل يوم ٣٠ عثمانيا فضيا . امام للصلوات الجهرية في كل يوم ٢٤ عثمانيا فضيا . امام ثان للصلوات السرية فى كل يوم ١٦ عثمانيا فضيا مدرس جامع بين المعقول والمنقول قادر على افادة الفروع والاصول يفيد الطلبة في المدرسة المذكورة كل يوم خلا الجمعة والثلاثا له كل يوم ٤٠ عثمانيا محدث عالم يفيد الحديث ولوازمه يقرأ كل يوم اثنين وخميس في كل يوم ٢٠

عثمانيا . واعظ يعظ بعد صلاة الجمعة في كل يوم ١٦ عثمانيا للمكتب. معلم تقي مأمون في كل يوم ٢٤ عثمانيا . يعطى ثلاثون حجرة الى ثلاثين طالباً من اهالي هذه البلدة او غيرها متزوجاً او عزباً على ان لايكون فيهم رجل يحلق لحيته ولا تعطى حجرة بشفاعة وشرط ان يواظبوا في حجراتهم ليلاً ونهارا مع الصلوات الخمس فى الجماعة والمتزوج يذهب ليلة الجمعة وليلة الثلاثا وعلى الطالب قراءة جزء من القرآن مع رفقائه وعين للرجال الثلاثين فى كل يوم ٢٤٠ عثمانيا لكل شخص ثمانية عثمانيات فضية على ان يقراء كل يوم جزء من القرآن . معلم القرآن يقرأ في كل جمعة سورة الكهف قبل صلاة الجمعة . حافظ حسن الصوت يقرأ قبل صلاة الجمعة حزباً من القرآن وبعد الصلاة عشراً من القرآن . له ٤ مؤذنين لهم لكل واحد في كل يوم ١٦ عثمانياً . له ٣ بوابون . معين للمدرس والمحدث له ١٠ عثمانيات . له كناسان في كل يوم ١٠ عثمانيات للواحد . له شعالان في كل يوم ١٠ عثمانيات للواحد . له قيم للسبيل مع القيام بكنسه وتنظيفه في كل يوم ١٢ عثمانياً حافظ للكتب المدرس والمحدث يأخذ الكتب ويفتح بـاب الحجرة فى كل يوم اثنين وخميس يدخل الطالب ويطالع مالا يريده من تلك الكتب ويكتب منها مايريد لا يخرج كتاباً منها الى خارج الجامع ومنع اخراج شيء من الكتب وترم الكتب وتصلح في نفس المكتبة وظيفة الحافظ فى كل يوم ٢٠ عثمانيا .

بستانى لبستان الجامع المذكور له فى كل يوم ١٠ عثمانيات . القنوى له فى كل يوم ١٠ عثمانيات . مشرف على المرتزقة وارباب الشعائر المرقومين ويعرف الآن بنقطه‌جى بحيث اذا ترك احدهم وظيفته من غير عذر تحصى عليه وله في كل يوم ٨ عثمانيات . جابي للوقف له في كل يوم ٢٠ عثمانيا . ناظر له في كل يوم ٤٠ عثمانيا

ومن وظائفه ان من اخل من ارباب الشعائر والوظائف فعلى المتولي اخراجه من وظيفته .

وتعيين ارباب هذه الجهات بأسرها مفوض الى رأى المتولي لا يداخله في ذلك احد غيره بوجه من الوجوه وشرط الواقف التولية لنفسه ثم لزوجته ثم لولده منها وهو محمد طاهر بك وبعده فللأسن الأرشد ممن يحدث لحضرة الواقف من الأولاد الذكور والأناث ثم للأسن فالأرشد من اولاد اولاده . واذا انقرض نسله فللأرشد من ذرية اخته زازية خانم ثم للأسن الأرشد من عتقاء اولاد عتقاء الواقف ثم للأسن الأرشد من عتقاء شقيقته زازية خانم . والمتولى فى كل يوم ٣٠٠ فضي بمقابلة خدمته واذا لم يبق احد منهم تكون التولية لقاضى حلب ويكون معلومه ٦٠ عثمانيا وشرط اولاً ان يعطي المرتب على الأحكار من عقارات الوقف وشرط العزل والنصب لنفسه ثم لمن يكون متولياً يختار ممن يكون اهلاً له . وشرط ان لا يداخل وقفه المذكور احد الحكام وولاة امور الأنام بشيء من عزل ذي جهة او نصبه اومحاسبة متولي الوقف او غير ذلك بوجه من الوجوه حرر ذلك سنة ١١٤٢

شروطه فى الوقفية الثانية

وشرط في الوقفية الثانية قارئاً يقرأ كل يوم قبل صلاة الظهر سورة الزمر وغيرها من السور التى بعدها ويعطى له ٨ عثمانيات . وفي الرابعة ان يعطي من ريعه ١٠ عثمانيات لمن يكون مدرساً بالمدرسة المذكورة ليعظ الناس باللسان التركى في كل يوم اثنين وخميس . وكان عين فى الوقفية الأولى للمتولى ٣٠٠ عثماني فضي هي غرشان ونصف غرش على حساب كل ١٢٠ عثمانيا بغرش واحد من المعاملة الجديدة فزاد فى الوقفية الثانية فى معلوم التولية فى كل يوم ٩٠٠ عثمانى فبلغ معلومها بهذه الزيادة كل يوم ١٢٠٠ عثماني كل ١٢٠ عثمانياً بغرش واحد

وشرط ١٠ عثمانيات بحساب كل مائة وعشرين بغرش واحد للمدرس لقراءة التفسير الشريف داخل السراي وذكر في الوقفية الحادية عشرة انه بجوار السراي بنى مكانا يعرف بالعمارة مشتملا على مطبخ وفرن و بيت معد للمونة وبيت معد لسكنى الطباخ وحجرة معدة لسكنى البواب وقسطل يجري اليه الماء من قناة حلب. ومغارة لوضع الحطب وشرطان يطبخ في مطبخها في كل يوم شوربة من نصف شنبل حلبي من القمح برطلين حلبيين من اللحم طبخا جيدا ماعدا ليالي الجمع وليالي شهر رمضان فأنه يطبخ فيها ١٠ ارطال حلبية ارزا برطلين حلبيين من اللحم الضأن ويطبخ فيها رطلان ونصف من الأرز وخمسة ارطال من العسل البلدي يعرف بالزردا ويصب للأرز والزردا من السمن في كل يوم رطلان ونصف ويخبز ١٠ ارطال حلبية الرغيف وزن خمسين درهما وعين خمسة دراهم من الزعفران الخالص للزردا وللشوربة ١٠ دراهم كمونا وللأرز والخبز كل يوم رطلاً من الملح وللشوربة رطلاً من الحمص وفي السنة قنطاراً من البصل وعين للمطبخ كل يوم ٥٠ رطلاً من الحطب وللفرن كل يوم نصف قنطار من القش ولمطبخ العمارة قنديل ويدفع لذلك قدر الحاجة من الزيت والقطن والقش ووقف قدراً من النحاس وزنه ثلاثون رطلاً لطبخ الشوربة وقدراً وزنه ٢٥ رطلاً لطبخ الأرز وقدراً وزنه ١٥ لطبخ الزردا وثلاثة مغارف وزنها اربعة ارطال وكفكيراً ثلاث قطع ومقلاة من النحاس ولقناً كبيراً وزنه ١٣ رطلاً وسطلين وزن كل واحد رطلان ونصف ومصفاة وزنها سبعة ارطال ومائة وخمسين طاسة وزن الواحدة سبع اواق

وعين طباخاً وتلميذين مساعدين للطبخ وللعمارة كيلاريا يحفظ لوازم المطبخ وتلميذاً يساعده وللعمارة بواباً امينا وفرانـا ومجاناً ومعلوم الطباخ ٣٢ عثمانياً ولكل تلميذ ١٦ وللكيلارى ٣٠ وللتلميذ ١٥ وللفران ٢٠ وللعجان ٢٠ وللبواب ١٦

وللقنوى ٤ عثمانيات كل يوم. يوزع في كل يوم طاسة ورغيفان للمدرس وناظر الوقف والخطيب والمحدث والأمام والواعظين وخازن الكتب والجابى والكاتب ومدرس السراى وخدام العمارة ولسائر مرتزقة الجامع من سبيل دار ومعلم اطفال وبواب وخادم وفراش وكناس ومؤذن وقارئ عشر وحواميم وسائر طلبة العلم المجاورين وفي ايام الجمعة وايام شهر رمضان يعطي لكل واحد طاسة من الأرز والزردا ورغيفان من الخبز وهذا الطعام غير الراتب المعين

وشرط فى الوقفية الأخيرة المحررة سنة ١١٥٢ على المتولي اذا اجتمع عنده مبلغ صالح لشراء شيء من العقار يشتريه ويضمه الى الوقف المذكور ولم يشترط لذريته اوعتقائه اوابناء عتقائه شيئاً من فاضل غلة هذا الوقف وليس فيه سوى ان للمتولي في كل يوم ١٢٠٠ عثماني كما تقدم

الكلام على هذه المدرسة

هذه المدرسة اعظم مدارس الشهباء شأنا واوسعها بناء وقبليتها قبة واحدة شاهقة مبنية على جدران عريضة جداً امامها صفتان كبيرتان عليهما اربعة عواميد ضخمة وعلى طرفيها ايوانان كبيران بجانب الأيمن منهما منارة مدورة الشكل عظيمة الأرتفاع على نسق منارات الآستانة وقبليها بستان مغروس بشجر الكباد وصحن المدرسة واسع جداً في وسطه حوض كبير يجرى الماء فيه في غالب الاوقات ووراء هذا الحوض مصطبة على طول الحوض يحيط بهذا الصحن الواسع ثلاثة اروقة فيها ٣٤ عاموداً من الحجر الأصفر ووراء الأروقة اربعون حجرة وفي الجهة الشرقية حوش صغيرة تشتمل على عدة حجر وخارج المدرسة في الجهة القبلية منها مكتب وسبيل وجميع القبب والأسطحة مغطاة بالرصاص وقد صب الرصاص بين الجدران ايضاً كل ذلك ليزداد البناء متانة وصبراً على الأيام وعن

يمين الأيوان الغربي دهليز فى صدره قاعة للتدريس لها شبابيك مطلة على البستان وفي شرقيه حجرة واسعة اتخذت مكتبة ووضع فيها كتب قيمة من المخطوطات ومنذ اربعين سنة اهداها المرحوم تقي الدين باشا المدرس والى بغداد ومكة كتبا مخطوطة ومطبوعة غير ان الأيدي قدلعبت بهذه المكتبة وسرق منها معظم نفائسها ولم يبق منها الاالقليل وذلك لأهمال متولى الوقف وقيم المكتبة امرها وقد شرط ان تكون مفتحة الأبواب يومين في الأسبوع كما تقدم ولا تفتح الآن الا بعد الالحاح في طلب الفتح ومن اسباب ضياع الكتب فيها اعارتها للمجاورين ثم عدم السؤال عنها او التفتيش عليها فكان ذلك سبب تبعثرها وآخر ما سمعت عن هذه المكتبة انه كان فيها نسخة نفيسه الخط جداً من تفسير القاضي البيضاوي كأنها كتبت بقلم واحد وهي مذهبة استعارها بعض بسطاء الطلبة من بضع سنين فوضعها فى شباك حجرته فمر من مر فرآها هناك والشباك مفتوح فسرقها . وانى لا ارى وجها لأخراج الكتب من المكتبة لأجل الحضور فيها ومثل البيضاوى يباع المطبوع منه بقيمة زهيدة لا يعجز الطالب مهما كان فقيرا عن قيمته وبالجملة لا اثر للأنتظام فى هذه المكتبة وحالتها تتفطر لها قلوب محبي المطالعة والأطلاع ولا ادري يسمح الزمان بتعويض ما فقد منها وتنظيم شؤنها وجعلها صالحة للأستفادة فى كل وقت شأن الامم الراقية فى مكاتبهم . ومما لا ريب فيه ان هذه المدرسة لا نظير لها فى البلاد السورية وكثير من البلاد الأسلامية فى ضخامة بنائها وسعة ارجائها وغزارة وقفها ومع هذا فأنها لم تخرج لنا منذ مائة عام الى الآن من العلماء ما يبلغ عد الأصابع وهي ككثير من المدارس العلمية التي فى حلب اصبحت منذ مدة طويلة ملجأ للكسالى ومأوى للعجزة وذلك لأهمال متوليها امورها وعدم تقديرهم العلم حق قدره ومنذ سنتين

اهتم بأمرها السيد يحيى الكيالي مدير الأوقاف الحالي واخرج منها من كان مقيدا فيها وطالت مدته ومن لا يرتجى الخير في بقائه وقيد فيها طلبة من جديد وكلف المتولي ان يعطى لكل مجاور ليرة عثمانية ذهباً في كل شهر بعد ان كان ٤٦ قرشاً وزيد في سنة ١٣٣٦ الى ٩٥ قرشاً لارتفاع اسعار الليرة العثمانية من ١٢٧ قرشاً الى ٢٥٠ وكلف مدرسيها المعينين فيها ان تكون قراءتهم للدروس في اوقات معينة وكتب كذلك على مقتضى البرنامج الموضوع للمدرسة الخسروية واصبحت تابعة للامتحانات السنوية وبذلك انتظم امر التدريس فيها بعض الانتظام ولعله بعد ذلك تزداد انتظاما فتخرج لنا رجالاً عالمين عاملين فتنتفع بهم العباد والبلاد .

ومنذ عهد قريب راجع المجاورون فيها المحكمة الشرعية طالبين قيمة ما هو مقدر لهم من الأطعمة على مقتضى شرط الواقف المتقدم وبعد اخذ ورد حكم لهم ان يتقاضوا في كل شهر ٤٠٠ قرش على اعتبار الليرة العثمانية الذهبية ٢٧٥ قرشاً الذى هو سعرها الحالي غير ان المتولي لم يعطهم اكثر من ليرة واحدة والحال باق على هذا الى الآن ولا ندري ما يكون الحال في المستقبل

ولو أتيح لهذه المدرسة متول عامل يقدر العلم حق قدره ويوجه العناية الى استثمار اراضيها الواسعة لدرت خيراً كثيراً وغزرت مواردها وعاد ذلك بالفائدة الكبرى على هذا المعهد العلمي العظيم ورجعت اليه حياته الاولى ومجده السابق والله الموفق

(سنة ١١٥٣)

ذكر تولية حلب للوزير يعقوب باشا

قال العلامة المرادي في تاريخه قدم حلب مرتين مرة حين انفصاله من صيدا ماراً الى ادرنة ومرة قدمها والياً سنة ثلاث وخمسين ومائة والف. سار في مبدأ

أمره سيرة حسنة بحلب ثم جاز لما أمر بالجردة من حلب لأستقبال الحجيج ولم يعد منها لحلب بل توجه الى دار السلطنة فأنه كان دعي للمصاهرة وكان رحمه الله لا بأس به له شفقة ومحبة للفقراء وفي ايامه وصل سفير طهماس قولى المدعو بنادرشاه من مملكته ايران لحلب مجتازاً لدار السلطنة واحتفلت له الدولة العلية اظهاراً لأبهة السلطنة ومعه تسعة من الفيلة على ظهورهم التخوت وهم امام السفير كل هنيهة يقفون لسلامه ويأمرهم الفيال فيطأطئون خرطومهم حين السلام وكان وصولهم لحلب ثامن شوال سنة ثلاث وخمسين والف وكان يوماً مشهوداً حضرت اهل القرى كلها لمشاهدة الفيلة واسم هذا السفير حجى خان كان من اهل العناد والطغيان وكان قدم سفير آخر من طهماس المذكور واجتاز بحلب عاشر شوال سنة خمس واربعين والف لجمع الأسارى والقصة مشهورة الا انه لم يكن بهذه الأبهة وخرجت اليه نساء الأعاجم اللاتي كن اخذن اسارى واستولدن فمنهم من ابى وهو الأقل والباقون تبعوا السفير لأرتكاب القبائح علنا . وتوفي بعد ذلك بقليل رحمه الله اه

(سنة ١١٥٦)

كان الوالي فيها حسين باشا ووقع في ايامه طاعون ذكر ذلك الشيخ بكري الكاتب في مجموعته وهذا لم يذكره مرتب السالنامه

(سنة ١١٥٧)

كان الوالى فيها حاجي احمد باشا للمرة الاولى على ما فى السالنامة ويظهر انه سهو وولايته الاولى انما كانت سنة ١١٥٨ بعد حكيم اوغلي علي باشا قال بكري الكاتب في مجموعته ما نصه (سنة ١١٥٨ كان والي حلب احمد باشا وقتلت الانجكارية وطلع البهلوان على القلعة وزينت المدينة) اه

(سنة ١١٥٨)

كان الوالي فيها حكيم باشا زاده علي باشا للمرة الثانية وولايته الأولى كانت سنة ١١٣٧ وتقدمت ترجمته ثمة . ثم عزل وولي بعده حاجي احمد باشا وولي هذا سنة ١١٦٥ وستأتيك ترجمته هناك

سنة ١١٦٠ كان الوالي فيها حسين باشا

« ١١٦٢ « « عثمان باشا زاده اسماعيل باشا

(سنة ١١٦٣)

(تولية حلب لسعد الدين باشا العظم)

في هذه السنة ولي حلب سعد الدين باشا العظم . قال ابن ميرو في تاريخه هو سعد الدين بن اسمعيل الوزير ابن الوزير من آل العظم مولده بمعرةالنعمان بعد الثلاثين ومائة والف وربي فى مهد الأقبال وترعرع في حجر الوزارة الى ان صار متسلما عن اخيه اسعد الوزير المتقدم بحماة فأحسنت له الدولة العليه برتبة روملى من قريحنهم لأشاعة اراجيف كاذبة عن وفاة اخيه اسعد بطريق الحجاز (يظهران فى العبارة نقصاً بعض كلمات) ثم لما وصلت البشاير بوصول الحجيج لدمشق آيبين واميرهم المذكور فى الأحياء عينت الدولة العلية المترجم منصب حوران فاستعفى عن ذلك لأنه لم يتول هذه الأيـالة فى الدولة العثمانية احد استقلالا لقلة دخلهـا ووفرة خرجها فولوه طرابلس جرداوياً لأخيه اسعد الوزير المتقدم فاستقام جرداوياً فيهـا وفي صيدا وحلب اثني عشرة سنة فلمـا عزل اخوه من دمشق ولي المترجم مرعشاً ثم صيدا ثم جدة فرحل اليهـا مع الركب الشامى سنة ١١٧٣ ثم عزل عنها وقدم دمشق اوائل سنة ١١٧٤ مع

الركب الشامي فولوه مرعشاً فاستعفى فولي قونية فارتحل اليها ودخلها ثم ولي ايالة الرقة فرحل اليها ودخلها في ربيع الاول سنة ١١٧٥ وكان بها الطاعون وتزايد الطاعون على الناس وحكى الجارف اوعمواس وتوفي مطعونا ليلة الاحد حادي عشرى ذى العقدة سنة خمس وسبعين ومائة والف ودفن بجامعها الاعظم بمقبرة هناك . وكان المترجم ولي حلب سنة ١١٦٣ وحصل بينه وبين اهلها وحشة فرحل منها جرداوياً فلما عاد لدمشق عزل عنها وولي صيدا ثم اجتاز بحلب سنة ١١٧٠ لمرعش وسنة ١١٧٤ الى اورفة وكان شهما ذا عفوان وحلاوة رحمه الله وتجاوز عنه واعقب ابنه نصوح بك ابن سنتين وصار وزيراً بمنصب ديار بكر فى سنة ١١٩٩ بعد وفاة عمه محمد باشا وابن عمه عبد الله باشا واعطوه الوزارة ومنصب اورفة .

سنة ١١٦٥ كان الوالي فيها سيد احمد باشا

« « « « « « » عبد الرحمن باشا

(سنة ١١٦٥)

(ذكر تولية حلب لحاجي احمد باشا)

في السالنامه انه تولي حلب للمرة الثالثة والذي يتبادر من ترجمته الآتية ان ولايته الأولى كانت سنة ١١٥٨ وهذه ولايته للمرة الثانية ولم يتولاها ثلاث مرات كما ظنه مرتب السالنامة . قال في قاموس الأعلام كان المترجم من وزراء السلطان محمود خان الاول ولد سنة ١١١٣ في بلدة قوجة من سواحل البحر الأسود وكان من اخصاء حاجي بكر باشا وصار كتخداه حينما كان والياً في جدة ثم عاد الى الآستانة وصار كتخدا الحضرة السلطانية ولما وقعت المحاربة بين الدولة

العثمانية وروسية عين المترجم على ايصال الذخائر للجيوش ثم نزع ذلك من يده لعدم قيامه بهذا الأمر كما يجب ولما صار محمد باشا اليكن صدراً اعظماً صار المترجم كتخداه وذلك سنة ١١٥٠ ولما صار الصدر المذكور قائداً عاماً على الجيوش التي وجهت لقمع ثورة بعض الأشقياء الخارجين في ولاية ايدين توجه المترجم معه ثم عين والياً على آيدين ثم رفع الى منصب الصدارة سنة ١١٥٣ وبعد أن أقام اثنين وعشرين شهراً بلغ المسامع السلطانية ان المترجم أَلِفَ تناول الرشوة فعزل ونفي الى رودس وفي سنة ١١٥٦ اعيد الى الوزارة ثم عين والياً لصيدا ثم الى الأناضول ثم صار قائد العسكر في حرب ايران ووفق ثم صار والياً في حلب (اي سنة ١١٥٨ كما قدمنا) ودياربكر وبغداد وفي سنة ١١٦١ صار والياً في مصر بقي سنتين ثم صار والياً في ايج ايل وفي قندية ثم اعيد الى حلب وتوفي فيها سنة ١١٦٦ اهـ

(سنة ١١٦٦)

كان الوالي فيها عبد الله باشا الفراري وهذه ولايته للمرة الأولى

(سنة ١١٦٨)

﴿ تولية حلب للوزير راغب باشا صاحب السفينة المشهورة به ﴾

في هذه السنة ولي حلب محمد راغب باشا قال في قاموس الأعلام ولد سنة ١١١٠ في الآستانة ووالده كان من كتبة الدفترخانه فيها فداوم ثمة مع والده في ابتداء امره وبالنظر لما اكتسبه من المعلومات وللاستعداد الفطرى الذى فيه عين سنة ١١٣٥ لتحرير الأماكن التي ضبطت من دولة ايران مرافقا لعارفي

احمدباشا والي وان واعبد الرحمن باشا الكوبريلي ولعلي باشا والي تبريز وفي سنة ١١٤١ عاد الى دار الخلافة وفي سنة ١١٤٢ ارسل لبغداد وكيلا للرئاسة وفي هذه السنة صار دفتردار الولاية وفى سنة ١١٤٦ بعد محاصرة بغداد عاد الى الآستانة فعين فى دائرة المالية وفى سنة ١١٤٨ عين والي بغداد احمد باشا سرعسكراً لولاية ارضروم فعين المترجم مرافقا له ووكيلاً لرئاسة الكتاب وفى هذه السنة عاد الى الآستانة وفي سنة ١١٤٩ عين محاسباً للخزينة وارسل مع الجيش الذي ارسل الى ايساقجي وعقب ذلك استدعي الى الآستانة للمذاكرة مع سفراء دولة ايران وعين مكتوبجيا للصدارة وفى خلال هذه المدة قام بعدة امور سياسية هامة وفى سنة ١١٥٣ صار رئيس الكتاب وبعد ان بقي في هذا المنصب ثلاث سنين عين والياً لمصر وانعم عليه برتبة الوزارة وبقي فيها خمس سنين وفي سنة ١١٦١ عين محصلاً لآيدين وفي سنة ١١٦٤ عين والياً للرقة (١) وفي سنة ١١٦٨ عين والياً لحلب وفى سنة ١١٧٠ صار امير الحاج ووالي الشام وقبل وصوله اليها استدعي الى الآستانة وولي منصب الصدارة العظمى وبقي فيه ست سنوات وثلاثة اشهر ونصف على عهد سلطنة السلطان عثمان الثالث وعهد السلطان مصطفى الثالث وقام بأمور هذا المنصب قياماً حسناً وامضيت هذه المدة خالية من الحروب . وتزوج بصالحه سلطان اخت السلطان مصطفى فحاز شرف المصاهرة بالعائلة السلطانية وفى سنة ١١٧٦ فى رمضان توفي الى رحمة الله ودفن فى محلة قوسقة فى جوار مكتبته التي انشأها هناك

وكان وزيراً عالماً عاقلاً عادلاً يعرف الألسنة الثلاثة (التركية والعربية والفارسية) وكان شاعراً ومنشئاً في هذه الألسنة وله من المؤلفات سفينة العلوم

(١) يستفاد منه ان الرقة فى هذا الحين كانت واسعة العمران ذات شأن عظيم

(١) اودع فيها انواعاً من العلوم والفنون وقد طبع في اوربا وفي زمن صدارته كانت حضرته مجمعاً للعلماء والأدباء وكان حسن المعاشرة يميل للممازحة وله مع شعراء عصره مطارحات ومساجلات مدونة وبالأخص مع الشاعرة الشهيرة فطنت خانم (صاحبة الديوان) وجمع شعره فى ديوان وجمع فى مكتبته نوادر الكتب وجعل فى بنايتها مكتبا وسبيلا وله في نواحى حلب والأناضول آثار حسنة من بناء الجسور وغيرها وقد تضمن شعره ضروباً من الأمثال والحكم ومن نظمه فى التركية

(١) كمالكدن خبر ويركميسه سندن احتشام آلماز
(٢) مظفر وقت فرصتده عدودن انتقام آلماز
(٣) كوريكندن كيمسه لر عالمده مهجور اولمسون
(٤) بولمسون يارب تعين ناسزالردن بري

اه ما في قاموس الأعلام وقال في هامش الجزء الناني من المرادي كان نقش خاتم محمد راغب باشا هذا البيت

بمحمد يرجو الأمان محمد * مما يخاف وفي نوالك راغب .

وله ترجمة على ظهر كنابه سفينة العلوم المطبوع في مصر ومما قاله هناك توجد مؤلفاته في مكتبته بالقسطنطينية تعرف باسمه وفيها مدرسة للعلوم ومطبخ للفقراء وله تربة جميلة تعرف باسمه بقرب المدرسة تستحق النظر اليها ومشاهدتها وكان من احسن رجال زمانه وله البراعة الكاملة فى حسن التدبير وسياسة الأحكام وكان

(١) مطبوع فى مصر في مطبعة بولاق سنة ١٢٨٢ (١) اخبرنا عن كمالك فلااحد يغبطك عليه (٢) الظافر لا ينتقم من عدوه وقت الفرصة (٣) ارجو ان لا يكون احد محروماً مما رأيته (٤) يارب لا تسد منصبا لمن لا يستحقه

في انعقاد شروط الصلح في بلغار الذى تم سنة ١٧٣٩ م ثم بعد ذلك ارسل والياً على مصر ثم على آيدين ثم على حلب وفي جميع مناصبه اظهر كل حكمة وعدالة في السياسة بين الرعايا على مشرب الدولة العليه وقد اتضح حسن تدبيره في قتل المماليك في مصر عندما ارسل من طرف الدولة وخلص تلك العباد من تسلط اولئك العصاة الذين كانوا ابقوا شوكتهم يزعجون الباب العالى فأنعم عليه بعطايا جزيلة لأنه اراح منهم الدولة والأهالي . ولما جلس السلطان مصطفى على كرسى السلطنة العثمانية ابقى الصدر المشار اليه فسلمه الأحكام وزوجه اخته واخذ يجتهد في تقوية العساكر والمتجر والزراعة ونشر العلوم وزاد في عمارة السفن الحربية وعوض الخسارات وكثر الأموال في الخزينة وكان يميل الى الحرب ويشوق السلطان الى ذلك ليأخذ لقب الغازي لكن عاجله الموت فتأسفت عليه رجال الدولة رحمه الله رحمة واسعة

(سنة ١١٧٠)

كان الوالي فيها جتهلي زاده عبدي باشا كما في السالنامة والذي يظهر انه عبدالله باشا الفراري وهذه ولايته للمرة الثانية وتولى ثالثاً سنة ١١٧٣ وتأتي ترجمته ثمة ثم تولى بعده فى هذه السنة على باشا كما في السالنامة ويظهر ان مدته لم تطل سوى اشهر قلائل .

تولية حلب لأسعد باشا المعظم

في هذه السنة ولي حلب اسعد باشا المعظم قال ابن ميرو في تاريخه هو اسعد الوزير الشهير بن اسماعيل الوزير الشهير بأبن العظم مولده بمعرة النعمان سنة سبع عشرة ومائة والف صار متسلما لوالده بالمعرة وحماة وامتحن مع والده وافرج عنه حين

افرج عن والده وامر بالذهاب مع والده الى خانية فاستعفي لعلة كانت به عن الذهاب فعفى عنه وبقي عندعمه سليمان الوزير بأطرابلس ثم انعمت الدولة لعمه المذكورله بمالكانة حماة وتوابعهامناصفة وذهب اليها وسار بها سيرة حسنة وعمر بها خانات وحمامات وبساتين ودور ليس لذلك كله فى البلاد الشامية نظير ثم انعمت له الدولة بطوخين برتبة روملي وصار جرداويًا لامير الحاج على باشا الوزير ابن عبدي باشا الوزيرسنة ثلاث وخمسين ومائة والف ثم بعد عوده ولي صيدا فضاق بها ذرعًا لأمور يطول شرحها فاستعفي وطلب حماة منصبا بعد ان كانت مالكانة له ولعمه كما تقدم فرفعته من المالكانة ووجهت له منصبا ودخلها سنة اربع وخمسين ومائة والف وبذل الأموال الى ان جعلها مالكانة له بعناية الوزير الكبير بكر باشا والي جدة سابقًا وفي سنة ست وخمسين تولي دمشق وامرة الحاج لموت عمه سليمان الوزيروحج بالحجيج اربع عشرة حجة وعزل عن دمشق وامرة الحاج بالوزير حسين باشا مكى زاده وولوه حلب فدخلها اوائل جمادى الآخرة سنة سبعين ومائة والف وبعد سنة ايام من دخوله اليها عزل وولي مصر فاستعفى فقرربحلب الى اوائل سنة احدى وسبعين ومائة والف ففي محرمها عزل وولى سيواس فرحل اليها وهو يقدم رجلاً ويؤخر اخرى فدخلها فى اواخر ربيع الاول ثم في ثامن رجب من السنة المذكورة وصل الامر العالى عن يد محمد اغا الاورفلى رئيس البوابين بالباب العالي بالقبض على صاحب الترجمة ونفيه الى جزيرة كريد ونسبوا ما وقع بالحجيج له واخرج من سيواس لنحو الجزيرة المذكورة فقتل بمدينة انقرة ليلة خامس شعبان من السنة المذكورة بداخل حمام . كان ملازماً للصلاة بالجماعة وكثرة الطواف وزيارة روضة سيد الانام حين تردده الى الحرمين رحمه الله تعالى وسامحه واعقب بنتا زوجت من ابن عمها محمد باشا الوزير المترجم آنفا

تولية حلب للوزير عبد الجليل زاده حسين باشا

قال العلامة المرادى حسين باشا ابن اسماعيل باشا الجليلي وحيد دهره وفريد عصره عدلا وكرماً ورياسة وتقدما تعاطى كؤس الفضل شابا وكهلا وشيخاً ورسخ قدمه فى المحاسن رسوخاً . كان في العزم والثبات والحزم في مكان لا ينال ترجمه عثمان الدفترى فى كتابه الروض فقال صاحب الآثار المعمورة والمحامد المبرورة الذي قلد اعناق الأنام بقلائد نعمه واورق اغصان الآمال بسحب سيبه وكرمه روح جسد هذا الزمان. انسان عين كل انسان تميمة قامة الدهر نتيجة وزراء العصر ذو المحامد المنوعة والمكارم المرصعه سحاب المجد والسماحة مالك ازمة العلو والرجاحة حسيني الأخلاق طاهر العنصر والأعراق . وترجمه جامع هذه الكراسة في كتابه مراتع الأحداق فقال ماضى بيض الصوارم فاضح الغمائم صيب البنان طلق الجنان حاوى الفخر درة العصر حياة العلا وضاح الجلا زناد الفضل المورى عطايا فلك العز المضيء بالسجايا الى ان قال ظهر ظهور الشمس في الآفاق فأصبح فى الوزراء بمنزلة الأحداق فبهر فضله واشتهر عدله وانبسطت لوجوده بسط الأفراح وانطوت بطالعه السعيد منشورات الأتراح واعتدل مزاج الزمان بعد انحرافه وامتنع المجد لعدله ومعرفته من انصرافه وانتعش جسم العلم بعد ان انتعش وانمحى ما كان من الجور على صحيفة الزمان قد انتقش وسرت حميا عطاياه بمشاش العديم فأصبحت اياديه رياش الدهر البهيم فأقام سوق الفضل بعد ما كسد واصلح من العلا ما اندرس وفسد وكانت وزارته سنة ست واربعين والف ثم في سنة سبعين ومائة والف ولي حلب

(يظهر ان هذا اصح مما ذكره في السالنامه ان ولايته كانت سنة احدى وسبعين)

ثم عاد الى مسقط رأسه بلدة الموصل وتوفي بها سنة احدى وسبعين بعد المائة والألف ودفن بالجامع الذي انشأه ولده محمد امين باشا ومولده كان بالموصل سنة سبع ومائة والف ورثته الشعراء بمراثي عديدة يطول ذكرها وله مع الوزير احمد باشا والي بغداد وقائع عدة اه قال بكري الكاتب في مجموعته وفي ايامه وقع غلاء عظيم عم جميع النواحي

سنة ١١٧١

كان الوالى فيها محسن زاده محمد باشا كما فى السالنامة

سنة ١١٧٢

ذكر تولية حلب لمحمد باشا الجتجي

قال المرادي فى ترجمته اجتاز بحلب قبل الوزارة وبعدها سنة سبعين لما ولي منصب طرابلس ثم ولي حلب سنة اثنين وسبعين ومائة والف فنزل بالميدان الأخضر أواخر المحرم من السنة المذكورة ثم ارتحل لجهة عينتاب وكلز ثم عاد ونزل داخل البلدة وكان الغلاء قد عم حتى بيع المكوك الحابى من الحنطة بمائة وستين قرشاً وكثرت الموتى من الجوع فعزل من حلب وولي دمشق وحج سنتين وعزل من دمشق بسبب عزل شريف مكة الشريف مساعد بن سعيد وتولية الشريف جعفر بن سعيد مكانه فلما قفل الحجيج من مكة عاد الشريف مساعد وازاح اخاه عن الشرافة ووليها وعرض للدولة العلية بذلك فكان اقوى سبب في عزله وولي ديار بكر فنهض اليها وهو متوعك المزاج الى ان توفي بها في جمادى سنة اربع وسبعين ومائة والف .

قال فى السالنامة وتولى بعده في هذه السنة مصطفى باشا

سنة ١١٧٣

(تولية حلب لعبد الله باشا الفراري للمرة الثانية)

قدمنا انه تولاها سنة ١١٦٦ للمرة الاولى وهذه ولايته الثالثة

قال المرادي في ترجمته هو عبد الله بن حسن باشا الشهير بالفراري ومعناها الهارب الحنفي الشريف كان في دولة المرحوم السلطان محمود ابن السلطان مصطفى خان الثاني امير اخور ثم ولي جزيرة قبرص بالوزارة ثم ولي آيدين ومنها دعي للختام (هكذا) فدخل استامبول مختفياً الى دار السلطنة ودخل للعرض وفوض له المرحوم السلطان محمود الوكالة المطلقة اذ ذاك ثم عزل منها وولي مصر القاهرة سنة ١١٦٤ فوصل اليها في رمضان ثم عزل عنها وولي حلب ودخلها سنة (لم يذكر وقد قدمنا ان ولايته الأولى كانت سنة ١١٦٦) ثم ولي اورفة ثم عاد الى حلب سنة (لم يذكر ايضاً وولايته الثانية كانت سنة ١١٧٠) ثم ولي ديار بكر وكان بها الغلاء وعم تلك الديار بل سرى في جميع البلاد حتى بيع الشنبل من البر الحلبي بأحد عشر قرشاً واما نواحي ديار بكر واورفة وماردين فانهم اكلوا الميتة بل اكل بعض الناس بعضهم وثبت ذلك لدي الحكام واشتد عليه وعلى اتباعه الخطب واستولى عليهم المرض ففرج الله عنه وعنهم بالعزل منها . وولي حلب ثالثاً ودخلها مسروراً في رجب سنة ثلاث وسبعين ومائة والف وكان رحمه الله سخياً حسن المعاشرة ذا معرفة واطلاع على كلام القوم واستقام بحلب الى ان توفي يوم السبت في الساعة الرابعة من النهار سنة اربع وسبعين ومائة والف ذاكراً كلمة الشهادة جاهراً بها ودفن بتكية الشيخ ابى بكر رحمه الله اه . قال ابن ميرو وكان يستحضر غالب عبارة الأنسان الكامل

للجيلي وكل من ذاكره لا يشك انه ممن عانى خدمة الطريق مدة عمره لقوة حافظته وتوفي عن سن عالية ممتعاً بحواسه ذاكراً كلمة الشهادة يجهر بها الى ان فارق الدنيا وكانت وفاته بدار العدل

سنة ١١٧٤

كان الوالى فيها بكر باشا كما فى السالنامة

سنة ١١٧٥

كان الوالي فيها مصطفى باشا . قال في قاموس الاعلام انتظم صاحب الترجمة في سلك (سلحشوان) ولذكائه عين بعد مدة وجيزة قبوجي باشى وفى سنة ١١٥٩ صار امير اخور اول وفى سنة ١١٦٣ صار امير اخور ثاني وفى سنة ١١٦٥ في زمن السلطان محمود الاول رقي لمنصب الصدارة وبقي فيها سنتين ونصفه . وفىسنة ١١٦٨ لما توفي السلطان عثمان خان الثالث ابقي فيمنصب الصدارة ثم عزل بعد شهرين ونفي الى مدللى وفي سنة ١١٦٩ صاروالياً فى مورة ثم احضر الى الآستانة واعيد الى منصب الصدارة بقي فيها نحو تسعة اشهر ثم عزل سنة ١١٧٠ ونفي الى رودس وفى سنة ١١٧١ عين لمصر وفى سنة ١١٧٣ عين لجدة وفى سنة ١١٧٥ عين والياً على حلب وفى سنة ١١٧٧ فى زمن السلطان مصطفى اعيد لمنصب الصدارة ثم عزل سنة ١١٧٨ ونفي الى مدللى وهناك اعدم لأمور جرت منه وعمر جامعاً في محلة ابى ايوب الانصاري وتكية للنقشبندية واحضررأسه ودفن هناك وكان شاعراً اورد له في القاموس بيتين من الشعر التركي

(سنة ١١٧٧)

ذكر ولاية محمد باشا العظم الدمشقي

في هذه السنة ولي حلب الوزير محمد باشا العظم الدمشقي قال المرادي في سلك

الدرر هو محمد باشا ابن مصطفى بن فارس ابن ابراهيم وجده لأمه الوزير الشهير اسمعيل باشا الدمشقي الشهير بأبن العظم الوزير الكبير صاحب الرأي السديد والحزم والتدبير كريم الشيم والأصول ومن جمع من انواع المزايا وشرائف السجايا وبدائع الكمالات ما لا تحيط به العقول

ذا وزير لم يأل فى النصح جهدا ظل يسعى بكل امر حميد
ومتى عدّ آل عثمان جمعا يا لعمري فذاك بيت القصيد

كان من رؤساء الوزراء عفة وكمالا وعدلاً ودينا وسخاء ومرؤة وشجاعة وفراسة وتدبيرا وكان واسع الرأي مهابا بحيث يتفق انه يفصل الخصومة بين الشخصين بمجرد وقوفهما بين يديه ونظره لهما ينقاد المبطل للحق وهذه المزية قد استأثر بها وكان يحب العلماء والصلحاء والفقراء ويميل اليهم الميل الكلي ويكرمهم الأكرام التام باليد واللسان ذا شهامة وافرة وشجاعة متكاثرة وحرمة واحتشام وكمال مشهور في الأنام طاهراً من كل ما يشين مشغول الأوقات اما بفصل الخصومات بين المسلمين او بتلاوة كتاب الله المبين او بالصلاة على سيد المرسلين او اصطناع يد او اسداء معروف الى احد من المساكين لم تسمع عنه زلة ولم تعهد له صبوة ولم يوقف له على كبوة ولا هفوة ميمون الحركات والسكنات مسعوداً فى سائر الأطوار والحالات بحيث انه لم يتفق له توجه الى شيء الا ويتمه الله له على مراده ولم يتعاص عليه احدالا ويكون هلاكه على يديه ولد بدمشق سنة ثلاث واربعين ومائة والف وبها نشأ وقرأ وحصل وبرع وتنبل ثم ذهب الى حلب سنة ثلاث وستين ومائة والف مع خاله الوزير الشهير سعد الدين باشا لما وليها ودخل معه طرابلس مرات ثم استقام بدمشق وعكف على تحصيل الكمالات الى ان بلغ مصطفى خان وفاة الوزير سعد الدين باشا فنظر الى

المترجم بانظار اللطف وانعم عليه برتبة امير الأمراء بروم ايلى مع عقارات خاله اسعد باشا الشهير فترقى بذلك اوج السعادة وبعد برهة من الزمان انعم عليه برتبة الوزارة فأتت اليه منقادة مع الأنعام بمنصب صيدا وذلك سنة ست وسبعين ومائة والف فنهض من دمشق اليها وسار السيرة الحسنة بين اهليها ثم انفصل عنها وولي حلب فدخلها رابع عشري شعبان سنة سبع وسبعين ومائة والف وكانت حلب مجدبة ولم يصبها المطر فحصل بيمن قدومه كثرة امطار ورخاء اسعار ونمو زروع وعامل اهلها بالشفقة والاكرام ورفع عنهم من البدع ما كان ثلما في الأسلام فاثلج بذلك الصدور واحيا معالم السرور منها ازالة منكر كان قد حدث بها سنة احدى وسبعين ومائة والف وذلك انه جرت العادة في بعض محلاتها ان تفتح حانات القهوة ليلاً وتجتمع بها الأوباش الى ان زاد البلاء وفجرت النساء مع ما ينضم الى ذلك من شرب الخمور وفعل المنكرات وانواع الفساد فحانت التفاتة من صاحب الترجمة في بعض الليالي من السطح الى ذلك فقصده مختفياً وازاله وفى ثانى يوم امر بازالة هذا المنكر ونبه على ان لا تفتح الحانات ليلا ابداً فطوى بسبب ذلك بساط الفجور وانجلى من ظلمة المعاصى الديجور ومن جملة مارفعه من المظالم بحلب حين توليه لها بدعة الدومان عن حرفة الجزارين التي اوغرت صدور المسلمين وكان حدوثه بها سنة احدى وستين بعد المائة والألف والدومان اسم لمال يجتمع من ظلامات متنوعة يستدان من بعض الناس باضعاف مضاعفة من الربا ويصرفه متغلبوا هذه الحرفة فى مقاصدهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة. وطريقتهم فى وفائه ان يباع اللحم بأوفي الأثمان للناس من فقراء او اغنياء وتؤخذ الجلود والأكارع والرؤس والكبد والطحال بابخس ثمن من من فقراء الجزارين جبرا وقهرا كل ذلك يصدر من اشقياء الجزارين ومتغلبيهم

الى ان هجر اكل اللحم الأغنياء فضلا عن الفقراء واعضل الداء . واتفق انه في سنة ست وسبعين كان قاضيا بحلب المولى احمد افندى الكريدي فسعى في رفع هذه البدعة فلم تساعده الأقدار فباشر بنفسه محاسبة اهل هذه الحرفة الخبيثة ورفعها وكتب عليهم صكوكا ووثائق وسجلها فى قلعة حلب فلما عزل عاد كل شيء لما كان عليه فلما كان اواخر محرم سنة ثمان وسبعين قبض صاحب الترجمة على رئيسهم كاورحجي وقتله وابطل تلك البدعة السيئة وصار لاهل حلب بذلك كمال الرفق والاحسان وامتدحه ادباؤها بالقصائد البديعة فمن ذلك ماقاله الشهاب احمد الوراق

اعرف البان ام نفح الورود * اطيب المسك ام انفاس عود
اروض مر سجساج عليه * فنم بسره غب الورود
ام الأزهار ايقظها نسيم * فضاعت بالشذا بعد الرقود

ومنها

ومن وفّي المعالي مهر مثل * له دانت على رغم الحسود
ومن يذكو اريج الخيم منه * زكا فعلا ووفي بالعهود
ومن يبغ المكارم لا يبالي * بما يوليه من كرم وجود
ومن هانت عليه النفس نالت * يداه ما يروم من الوجود
ومن يطع الاله ينل مراماً * ويحرز ما يسر من المجيد
ومن يرد اكتساب الحمد تنأى * مطامعه عن الأمل البعيد
ومن يول الجميل لكل عاف * ينل حمداً مع المدح المزيد

ومنها

واذهب بدعة الدومان تسمى * بخسر مؤلم كبد المريد
فكم ذبح الفقير بغير جرم * بسكين المظالم والحقود

ومنها في الختام . ودم في ذروة المجد المعلى * كبدر التم في شرف الصعود

اقول وهي طويلة اوردها المرادى بتمامها وقد اقتصرنا منها على هذا المقدار (قال)

ثم ان المترجم عزل من حلب فى منتصف شوال سنة ثمان وسبعين وولي ايالة الرها المعروفة بأورفة فاستقام بحلب الى ان ورد منشوره في ذى القعدة فنهض اليها ولم تطل اقامته بها فعزل عنها وولي ايالة آدنة فنهض منها واجتاز بحلب ودخلها في المحرم سنة تسع وسبعين ونزل بتكية الشيخ ابي بكر وتوجه الى آدنة فقبل وصوله اليها ولي ايالة صيدا فكر راجعاً الى صيدا ودخلها في صفر من السنة المرقومة ثم عزل عنها واعطي قونية ثم ولي الشام وامارة الحج الشريف بعد الوزير عثمان باشا فدخلها في شهر رجب سنة خمس وثمانين ومائة والف وصار لأهلها به كمال الفرح والسرور وسلك سبل العدل وتردى برداء الأنصاف ثم عزل عنها في ربيع الأول سنة ست وثمانين واعطي قونية ثم اعيد الى ولاية دمشق وامارة الحاج في سنة سبع وثمانين واقبل على اهلها بكمال الاكرام ووفور الأعتناء التام وكانت ايامه بها مواسم افراح واستمر واليها الى حين وفاته وراج في ايامه سوق الشعر فمدحه الشعراء بالقصائد الطنانة واهلك الله على يده جملة من الخوارج منهم على بن عمر الظاهر الزبداني قتله في رمضان سنة تسع وثمانين وصالح العدوان من بغاة المشايخ ومرعي المقداني الشيعي وغيرهم من البغاة وقطاع الطريق وراقت دمشق وما والاها في ايامه وصفا لأهلها العيش ونامت الفتن وسلم الناس من الأحن وبنى بدمشق آثاراً حسنة صار بها ارتفاق للمسلمين منها السوق الذى بناه بقرب داره تجاه القلعة الدمشقية عند المدرسة الأحمدية وبنى فيه سبيلا لطيفاً محكما واجرى فيه المساء من نهر القنوات وعمل للضريح اليحيوي كسوة من الديباج المقصب عظيمة وكذلك امر ان يصنع لضريح الأستاذ الأكبر محي الدين بن العربي قدس الله سره تابوتا من النحاس الأصفر ويوضع على قبره وعمر غالب ضرائح الأنبياء والأولياء والصحابة بدمشق وما والاها من البلاد وبنى في طريق

الحاج الشريف قلعة لبئر الزمرد واصطنع فيه آثاراً جميلة وعمرت في ايامه دار خزينة السراي بدمشق سنة ست وتسعين وبنى الجهة القبلية فى السراي المرقومة جميعها وبنى محكمة الباب

وكان رحمه الله تعالى له مبرات كلية وصدقات جلية وخفية خصوصاً لمن ادركهم الفقر من ذوى البيوت واهل العلم بدمشق فكان يتفقد احوالهم ويبرهم ويكرم نزلهم وله عطايا جزيلة كل سنة للعلماء واهل الصلاح والدين واغاثة كلية للضعفاء والمساكين طاهر الذيل واللسان واليد من كل ما يشين ومدح من ادباء دمشق بالقصائد العديدة التي لو دونت لبلغت مجلدات وكان يجيزهم على ذلك الجوائز السنية وكانت اوقاته مصروفة فى انواع القربات من تلاوة قرآن واشتغال بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم او رفع ظلامة عن مظلوم او تنفيس كربة عن مكروب وبالجملة فهو احسن من ادركناه من ولاة دمشق واكملهم رأياً وتدبيرا ولم يزل على احسن حال واكمل سيرة حتى توفي بدمشق وهو وال عليها ثالث عشر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين ومائة والف وحمل بجمع عظيم لم يتخلف عنه احد من اهل دمشق من الرجال والنساء ودفن بتربة الباب الصغير شمالي ضريح سيدنا بلال الحبشي رحمه الله تعالى اه بأختصار قليل

(سنة ١١٧٨)

(ذكر تولية حلب لمحمد باشا الوزير)

قال الفاضل عبد الله ميرو في تاريخه لحلب. محمد باشا الوزير دخل حلب برتبة روملي امير الأمراء منفصلاً على كلز سنة ثمان وسبعين ومائة والف وامرته الدولة العلية بنظام بيلان وباياس فنهض من حلب الى انطاكية وكان قتل بانطاكية قره ابراهيم آغا

غيلة قتله جماعة من اهل انطاكية لأمور يطول شرحها ففتش صاحب الترجمة على القاتلين فظفر بالبعض ورتب جزاءهم ونهض منها الى باياس وكان اهلها قد شقوا عصا الطاعة فحاصرهم ورئيسهم موسى بن ابراهيم ويّس فبعد محاصرتهم ظفر بهم وعاد لحلب مظفراً فانعمت عليه الدولة العليه المرتبة العالية الوزارة وكانت هي حاجته وامنيته فاستقام بحلب الى ان عزل في ست من شوال سنة ثمانين ومائة والف بالوزير علي باشا ابن كور احمد باشا الوزير ونهض صاحب الترجمة من حلب غرة ذي القعدة الى مقر حكومته الرها وكان صاحب الترجمة قبل ان يتولى كلنز اميرالأمراء بالرها وهي اول مناصبه .

وكان في ايامه بحلب الغلاء المفرط الى ان بيع المكوك الحلبي من الحنطة بمائتي قرش وحصل للناس الكرب العظيم . وفي زمنه صلبت المرأة الفاحشة فاطمة الشهيرة بعنزة قاش لأمور يطول شرحها. وفي زمنه نفي جناب السيد محمد افندي نقيب الطالبيين بحلب الشهير بجابي افندي ابن المولى السيد احمد افندي طه زاده الى بروسة بشكاية احد اهالي حلب وخرج المذكور من حلب ثاني عشر شعبان سنة ثمانين ومائة والف كما هو مشروح في ترجمته (لم ارها فيه) وصاحب الترجمة كان في حجر عبد الله باشا امير عشير اكراد الخانة من اعمال شهر زور ثم انتقل الى احمد باشا الوزير والى بغداد وبعد حصار بغداد خرج فاراً مع اغوات المشار اليه لما بلغهم عود طهماس الى محاصرة بغداد مرة ثانية وكان بها الوزير احمد باشا الشهير بابن الجمال الرهاوي فاستخلصه لنفسه وبقي في خدمته الى ان توفي المشار اليه بمرج دابق وكان صاحب الترجمة ديونداره واحسن عشرته مع الناس فرجع بعد مدة الى الرها وصاهر بني الجمال وصار كتخداي الجاويشية بها ثم في زمن الوزير الصدر الشهير راغب محمد باشا استدعى صاحب الترجمة الى

ابواب السلطنة فأنعم بسلحشورية خاص واستقام في الخدمة برهة وعاد الى الرها واستقام الى ان صار طاعون سنة خمس وسبعين ومائة والف توفي مطعوناً واليها الوزير سعد الدين باشا عظمزاده ووليها الوزير مصطفى باشا شاهسوار زاده وبعد وصوله اليها بأيام قلائل توفي الوزير ايضاً مطعوناً فلما بلغ الدولة العلية ذلك احسنوا المترجم برتبة امير الأمراء ومنصب اورفة (ومنها لحلب) ومنها عين الى ملاطية وبعد رجوعه في عام احدى وثمانين اعطوه منصب مصر ذهب براً ورجع براً ثم اعطي منصب الرقة ثالثا وعين للسفر سائق العسكر وبعد وصوله للأوردى جعلوه سرعسكر قلاص وذلك سنة ١١٨٤ ويظهر انه توفي هناك في هذه السنة ولا عقب له . سنه ١١٨٠

(ذكر تولية حلب لعلي باشا الكور)

قال المرادي في ترجمته هو علي باشا الوزير ابن كور احمد باشا الوزير دخل والياً تاسع عشر ذي القعدة سنة ثمانين ومائة والف وفي الرابع عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة احسنت له الدولة بمنصب القارص ونهض من حلب رابع المحرم سنة احدى وثمانين ومائة والف وكان متحجبا عن الناس وفي زمنه طرد من كتابتي القسمة العسكرية والبلدية من محكمة حلب احمد وولده احمد ايضاً البكفلوني بموجب امر عال سعى بأصداره بعض اهل الخير المقيمين بدار الخلافة جزاهم الله خيراً وتوفي الوزير المترجم في بندر في سنة ثلاث وثمانين ومائة والف وكان ذا حشمة ووقار وسكينة محباً للعلماء ومكرماً لهم رحمه الله تعالى رحمة واسعة اه

(سنة ١١٨١)

كان الوالي فيها محمد امين باشا الاورفلي

(سنة ١١٨٢)

كان الوالي فيها رجب باشا قال الطرابلسي (١) في سابع ذي القعدة من هذه السنة تقاتلت الانكجارية مع الدالاتية وقتلوا باقي آغا الدالاتي وقطعوه اربا في بانقوسا

(سنة ١١٨٣)

كان الوالي فيها احمد باشا زاده محمد باشا . ثم محمد باشا. ثم عبدى باشا للمرة الاولى الثلاثة في هذه السنة كما في السالنامة قال الشيخ بكرى الكاتب في مجموعته في السنة وقع مطر في رمضان في تموز عظيم مات بسببه خمسون نفساً ووقع مكتب لليهود في محلة بحسيتا مات تحته عشرة اولاد وحاخام وامرأة وابنها . قال الطرابلسي في ٢٤ من صفر قامت الأشراف على التفنكجية ورفعوهم بأمر الأعيان بعد ماصار القتل بين الفريقين اه

(سنة ١١٨٤)

قال الطرابلسي في ١٥ جمادى الاولى من هذه السنة نزلوا الصنجق من القلعة الى بيت الطرابلسي وكان يوماً عظيما وفيه قامت الأشراف وقوموا معهم اهالي البلد في مجيء محمد باشا ابن العظم وما ادخلوه الى حلب وفي جمادى الثانية جاءت الأخبار بان عبد الرحمن باشا والي بيلان صار له منصب حلب فقامت الاشراف وجميع اهالي البلد معهم واعطوا جوابا في عدم دخوله الى حلب وكلهم مسلحون ليلاً ونهاراً ودخل بعد الصلح مع اهالي البلد في ١٦ جمادى الثاني من هذه السنة وفي ١٨ رجب ليلة الاربعا قامت الأشراف على الباشا في السرايا وحاصروه وصار بينهم الضرب بالرصاص وصار القتل من الطرفين

(١) ظفرنا بمجموع عند بعض الوجهاء بخط محمد افندي الطرابلسي فيه حوادث من سنة ١١٨٢ الى ١٢٠١ وعبارته قريبة من العامية فنقلنا منه ماله تعلق بتاريخ الشهباء

(سنة ١١٨٥)

قال الطرابلسى في ٢٧ ربيع الاول جاء الى حلب حضرة حسين باشا الداماد معيناً والياً عليها . وفيها نفي حسين باشا ابن العمادي الى قلعة البيرة وبعد ايام ارسل فقتله وارسل رأسه الى الدولة

(سنة ١١٨٦)

كان الوالى فيها حاجي عثمان باشا كما في السالنامة

(سنة ١١٨٨)

كان الوالى فيها محمد باشا كما فى السالنامة

(سنة ١١٨٩)

﴿ ذكر ولاية الحاج على باشا چه‌طلجلي ﴾

قال الطرابلسى في مجموعته وفى غرة جمادى الثاني سنة ١١٨٩ دخل الى حلب الحاج علي باشا جه‌طلجلي والياً عليها دخلها من باب المقام وبعد مدة اظهر الجور والتعدى وصار يظهر المظالم والبدع ففر غالب البازركان ووجوه الناس ومن له شهرة وفى رمضان رفع الاعيان الى السجن وضيق عليهم واخذ منهم مائة الف غرش وقتل السيد خليل ابن النواني باش جاويش النقيب وضاقت الناس ذرعاً الى ان اخرج اغوات البلد والأوجاقلية فى معية كتخداه كوسا كاهيه لقتال التركمان وصار يخرب القرى ويسلب اموالها في الطريق الى ان وصل لجسر الشغر وحاصرها وارسل يطلب مددا من الباشا فأخرج دلالاً ينادى في حلب بخروج باقى الأنكجارية لأمداد كاخيته وهو اذ ذاك محاصر الجسر فأبوا وامتنعوا عن الرواح

وفى ١٧ شوال من هذه السنة رفع على باشا كتخداه نقيب زاده السيد مصطفى الطرابلسي وارسله بالعساكر لخارج البلد الى قتال التركمان وصار ابو بكر آغا امين الجبول كتخدا حلب

وفي ليلة السبت ويومه سلخ شوال قامت اهالي البلدة بأجمعها على والي حلب علي باشا الجطلجلي وحاصروه في سراي حلب حصاراً عظيما وضايقوه وبطل الأذان ستة ايام وفى اليوم الثانى من ذى العقده ضرب دزدار قلعة حلب الحاج طه الزنانيري على المسلمين الموحدين من القلعة رصاصاً خزنويا وفي اليوم السادس من الشهر المذكور اخرجوا الباشا مع جماعته من باب الفرج وشبكوا التفنك على رأسه مثل الجملون من دار العدل الى باب الفرج والنساء خلفه بالزغاريط والاولاد بالشتم الشنيع وصار نهاراً مهولاً .

وفي اليوم التاسع فتح من ابواب البلد باب انطاكية وباب النصر والمدينة جميعها فتحت مع ابواب الخانات ونزل هو في تكية الشيخ ابي بكر ومكث يومين وليلة ثم سافر الى خان طومان بجميع عساكره وكتخداه ومكث في الخان سبعة عشر يوماً ورحل في يوم الخميس الى قصبة سرمين وبعده بيومين رحل كتخداه الى سرمين واخذ معه المدافع واستقامت البلدة محاصرة كما كانت اولاً

وفي ٢٧ من ذى القعدة وردالأمر العالي بتسلمية حلب الى كوجك علي اغا زاده الحاج محمد اغا الى حين تشريف احمد باشا عزت والى القرص

وفي اليوم الخامس عشر من ذي الحجة فتحوا باب الفرج بأمر القاضي والأعيان

وفي شوال من هذه السنة صار المطر في هذه البلدة ليلاً مع نهار كأفواه القرب من غير فاصل خمسة واربعين يوماً ودام الى العاشر من ذي الحجة صار الزود فى نهر قويق كل يوم اكثر من يوم الى اليوم الثالث عشر زاد النهر حتى قلب

من فوق جسر باب الجنان من بين الدار بزينات ومن جسر باب الفرج دخل الماء من شبابيك قصر بستان الشاهبندر مقدار ذراع او اكثر ومن عند الجفيلات قلب الماء ودخل من شبابيك ايوان بستان الأريحاوي مقدار ذراع او اكثر ودخل الماء في حارة المشارقة والوراقة الى البيوت وهدم غالبها واما الوراقة فلم يبق منها بيت وفي هذه المدة صار في جميع البلد وقوع بيوت وجدران وستائر وكل ذلك لم يحصل منه ضرر والحمد لله ولم يقتل سوى شخص واحد قصاب من اهالي محلة البياضة من بيت علامو .

(سنة ١١٩٠)

اسناد متسلمية حلب الى ابي بكر اغا امين الجبول

قال الطراباس وفي ٢ محرم الحرم سنة ١١٩٠ جاءت متسلمية حلب من قبل غازي احمد عزت باشا الى ابي بكر اغا امين الجبول وضبط احكامها

وفي ١٥ منه جاء السيد حسين اغا صاري كوله اوغلي سردار حلب سابقاً من كلز ودخل الى بيته بعد المغرب فجاء اليكيجارية وهجموا على بيته بالسلاح وضربوه وضربوا جماعته واصابه ضربان وخربوا بيته واحرقوه واستقام جريحا ثلاثة ايام وفي الثامن عشر منه توفي الى رحمة الله وفي ذلك اليوم بعد العصر رفع المتسلم اثنين الى القلعة الواحد حموا التت والثاني ابن العجمية وفي ٢٤ من صفر طلع متسلم حلب امين الجبول وصحبته اغوات وعساكرها والالايات لقتال اشقياء اللاوند ويوم الجمعة وقع الحرب بين الطائفتين وانكسر المتسلم بعساكره واسروا متسلم حلب وقدور اغا حمصه وابن عبد السلام دالي باش وقتل من عسكر حلب اكثر من مائة واحد وصار القتال بين الفريقين في خربة معراته بين

خانطومان والراموسة وبعد ذلك فكوا المأسورين بمائتي كيس وعشرين كيساً دراهم وعشرة من الخيل وعشرة فروات وعشرة قبابيط جوخ وخمسين جزمة وثلاثة قناطير ونصف قهوة حباً واطلقوهم بعد ثلاثة ايام وصار في هذه الوقعة شيء فظيع

ذكر قدوم احمد عزت باشا في هذه السنة

قال الطرابلسي وفي ربيع الاول دخل غازي احمد عزت باشا الى حلب وضبط احكامها. وقد تقدم ذكر تعيينه والياً عليها وتوكيل امين الجبول من قبله لحين وصوله وفي ١٨ من شهر ربيع الاول جاء الخبر ان اشقياء اللاوند القبسيين جاؤا الى قرى حلب مقدار ١٨٠٠ خيال فخرج احمد عزت باشا من البلد الى تكية الشيخ ابي بكر وصحبته جميع الاعيان وارسل منادياً يأمر اليكجارية والأشراف والسباهية والرعايا ان يخرجوا معه لقتال اللئام وارسل الى جميع النواحي مرسوماً يستدعيهم للقتال وفي اليوم الثاني ارسل خكارلي زاده الى الراموسة وعين معه العسكر بتمامه وسيره الى الراموسة وبقي الباشا في التكية ومعه المدافع وبات العسكر ليلة واحدةً في الراموسة وفي اليوم الثاني رجعوا الى حلب وامرهم الباشا ان يأتوا الى الشيخ ابي بكر لأجل ان ينزل صحبة العسكر بالألاى الى السراي .

(سنة ١١٩١)

قال الطرابلسي وفي ١٩ رجب دخل الحاج ابراهيم باشا من عتقاء اولاد العظم الى حلب والياً وتعاطى الاحكام وعين احمد عزت باشا على المدينة المنورة

(سنة ١١٩٢)

قال الطرابلسي ما ملخصه في صفر من هذه السنة قام الناس على القاضي من قلة

الخبز فاخذوه معهم الى السرايا واهانوه وصاروا يشتمونه ووضعوه في الجاويش خانه وارادوا قتله فخلصه السيد عبد اللطيف الألاجاتي وادخله الى الحاج ابراهيم باشا ولكن بعد جهد ثم ان الباشا وعد الناس الى ثلاثة ايام فانكفوا وبعد مرورها اخرجوا مقداراً من الخبز الى السوق لأجل تسكين الخواطر وبقي القاضي عند الباشا الى غرة ربيع الاول . فتوجه من حلب الى اسلامبول . وفي هذا الاثناء قدم الناس عرضاً يطلبون فيه نقل الحنطة من البيرة الى حلب بالسعر الواقع معونة للفقراء وفي ١٤ ربيع الثاني من هذه السنه وصل الى حلب امام زاده السيد محمد صادق افندي قاضي حلب وكان وقوراً مهاباً وفي ١٧ منه جاء الأذن السلطاني بنقل حنطة البيرة وصار الناس يتوجهون اليها لشراء الحنطة وصاروا يشترون الحنطة من هناك في سعر ثمانين والسعر وقتئذ في حلب ١٨٠ مائة وثمانون فأحضرو مقدار مائتي مكوك وارتخت الاسعار وصار يباع رطل الخبز بعشرين ثم اخذ في في التنازل الى ان وصل الى ستة ووقف عندها . وكان القاضي المذكور يدور بنفسه في الأسواق وينظر في امور الخبز وصار يرسل الى المحكمة اناسا يعاقبهم بضرب العصي واناسا يرفعهم الى القلعة وفي ذلك الأثناء قامت الناس على احمد الخباز في السقطية وجاؤا به الى القاضي فأمر برفعه الى القلعة فذهب به الناس الى الباشا فحال وصوله الى السرايا امر الباشا بقتله ففي الحال قطعوا رأسه

وفي ١٠ جمادى الثاني تقاتل اليكيجارية مع الأشراف وقتلوا اخا شيخ الدقاقين السيد احمد وجرح اثنان اوثلاثة من الأشراف وانهزم عدة اشخاص من اليكجارية فانحازوا الى محمد الخرفان امير لواء الموالي بحلب فأرسل اعيان البلد واكابرهم في طلبهم فما سلمهم وابقاهم عنده

وفي ١٢ منه عزل الحاج ابراهيم باشا وتسلم ابن الشيخبندر .

(سنة ١١٩٣)

(ذكر تولية احمد عزت باشا مرة ثانية)

قال الطرابلسي وفي اوائل سنة ثلاث وتسعين وجه منصب حلب الى الغازي احمد عزت باشا وبعد حضوره توجه الى نواحى انطاكية واستقام بها عدة ايام ورحل منها الى جبل الأقرع وفى اواسط شعبان ورد الأمر العالي بضبط امواله لطرف الميرى ونفيه الى مدينة القدس الشريف وعينوا لذلك جبان اوغلى قبجى باشي فأتى به من الطريق الى ان اوصله الى تكية الشيخ ابى بكر وضبط جميع امواله واثقاله وخيله وعراه بحيث لم يبق معه شيئاً واخذه وتوجه به الى القدس الشريف ورفع عنه اطواخه

اقول لا ذكر لهذا الوالى في السالنامة قال في قاموس الأعلام هو كوتاهي الاصل ومن نسل كرميان بك لازم في الباب العالى وصار كتخدا الصدارة العظمى ثم نفي ثم صار امين دار الضرب والترسخانة ثم اعيد الى الكتخدائية وبعد قتل محمد باشا قائد السر عسكر في بكروش عين المترجم في موضعه فابرز غاية الشجاعة والمهارة ثم على التعاقب عين والياً في ودين وارضروم وحلب ثم صار محافظ المدينة المنورة وفي سنة ١١٩١ وقع منه تقصير في بعض وظائفه فعزل وعين متصرفاً للقدس وفي سنة ١١٩٣ عزل من ولاية حلب وصودرت امواله ثم اعيد لمتصرفية القدس وفي سنة ١١٩٥ عين محافظاً لخوتين فتوفي هناك اه وذكر جودت باشا فى تاريخه في حوادث سنة ١١٩٥ انه بوشاية بعض الواشين عزل من حلب ونفي الى القدس وصودرت امواله ولما توجه الى القدس خرج عليه قطاع الطريق وسلبوا منه ما كان باقياً معه من امواله ولم يبق معه شيء اصلاً وكانت عائلته قد

بقيت في حلب بعد توجهه مدة سنة ووصلت الى غاية من الفقر بحيث صار بعض اهل الخير يتصدقون عليها ثم بعد ذلك اعيد المترجم الى رتبة الوزارة وعين الى سنجق كوستنديل من بلاد بلغاريا الآن اه

(ذكر تولية حلب لعبدي باشا)

قال الطرابلسي ومن حين عزله وجه منصب حلب الى الوزير عبدي باشا سر عسكر اناطولي وفوض له تفتيش عينتاب وكلز واعزاز وعينوا في معيته خزينه دار شاهين علي باشا فجاء عينتاب قبل عبدي باشا فحاصرها اياماً ثم دخلها سلما واستقام بها الى ان وصل عبدي باشا في سلخ ذي القعدة واحضر بمعيته عمر باشا ابن رشوان وارسل منشوراً الى انطاكية ومثله الى حلب يستدعي جميع اغوات البلدتين اليكيجارية فيهما داخلاً وخارجاً حسب المنشور فبادر الجميع واسرعوا في التوجه لطرفه في اوائل ذي الحجة وكان سبقتهم انكجارية انطاكية واعيانها صحبة سردارها فتح الله اغا ابن قرجا ابراهيم وكان وصول اعيان حلب قبل العيد وتأخر عنهم في الرواح باكير اغا الجبولي حيث انه كان متسلماً من قبله والسيد احمد افندي الدوركلي فأن هذين توجها في اواسط ذي الحجة وفي اثناء ذلك وردت امانة الكمشخانة للمرقوم فاستأذن من الباشا ورجع الى حلب وتأهب للسير لناحية الكمشخانة حسب مأموريته

ثم ان الباشا انزل اعيان البلد في قنافات وذلك بعد ماوقع في عينتاب من قتل نفوس وسلب اموال وهتك اعراض بصورة فوق الحد ولما شاهد ذلك شاهين علي باشا لم تطاوعه نفسه بالبقاء بعد ان رأى ما رأى من المظالم الشنيعة فتوجه الى حلب فلم يحصل له بها اقبال ولم يخرج احد لملاقاته حسب امر عبدي باشا

وسار لمنصبه يائساً وكانت توجهت محصلية حلب الى الحاج مصطفى آغا شيخبندر زاده فاستأذن من الباشا فلم يأذن له بالتوجه لحلب وامره ان يوكل على المحصلية ابنه قدور اغا فأرسل له الاوراق ووكله فى الضبط وكان ذلك فى غرة محرم سنة ١١٩٤

(سنة ١١٩٤)

وفى اثناء ذلك ظهرت دعوى على الحاج طه الزنانيرى دزدار قلعة حلب وابنه يٰس اغا فطلبهما الباشا وحبسهما ووقع السقف عليهما فماتا في آن واحد وبعد ان ضبط عبد القادر اغا (سماه آنفا قدور اغا للعادة المتعارفة) وكالة عن ابيه بشهرين مرض ابوه مسموماً وتوفي فى الأوردى في سلخ صفر سنة ١١٩٤ فقرر الباشا امر المحصيلة استقلالا على قدور اغا

وفي اوائل ربيع الاول رحل الباشا بعساكر كالرمـال الى بلدة كلز وكان قد انذرهم قبل ركوبه وارسل لهم متسلماً فردوه وظهر منهم امور خارجة عن العادة ثم في اثناء ركوبه ارسل لهم ثانيا القبوجي باشي المعين فى معيته وامرهم ان يخرجوا اهل العرض والرعايا لطرف الباشا وتبقى الاشقياء فأجابوه بلسان واحد ليس فى بلدتنا اهل عرض اصلاً بل كلنا اشقياء ولما اخبر الباشا بذلك زحف على كلز بعسكره وحاصرها واخذ تربة شرحبيل ووالى المدافع ناحية البلد وصار يغض النظر عمن انهزم ودخل البلد عنوة وفتحها قهرا ووقع القتال والنهب في كلز وهتكت اعراض وازيحت بكارات بنات وذبح اطفال ولم يسلم من شائبة سوى دار مقتول دلى خليل باشا ومن التجأ اليها وبعد ذلك قرر في كلز كورد محمد اغا متسلما بها ثم رحل عنها وتوجه لناحية قصبة اعزاز بعساكره واثقاله ونزل بها مقدار اربعة اشهر وفي اثناء المدة الأولى عزل ابوبكر اغا متسلم حلب وطلبه اليه وولى مكانه متسلما محمد اغا خنكارلى زاده فتثاقل ابو بكر آغا فى الرواح

ثم توجه نحوه فلما وصل اليه سجنه واظهر ان فى ذمته اموالاً يطلبها فصار ابو بكر يبيع امواله واثقاله الى ان باع جميع ما تملكه يده ولم يبق شيئاً فعل ذلك وهو مسجون لم يتخلص والطلب لم يزل باقيا عليه فصار اقاربه واصحابه ومن يلوذ به يعاونونه ثم استدانوا فوق الجميع الى ان رضي الباشا ! !

واستمر محبوساً نيفاً وسبعين يوما ثم ارسله نفيا الى قلعة ارواد من اعمال طرابلس الشام وعين معه بيارق دالاتية فقاموا به من الأوردي وتوجهوا لناحية اللاذقية ففي ذهابهم كلما مروا على قرية من قرى حلب وضعوا له الأغلال وعذبوه وهددوه بالقتل واهالي القرى تترجى فيه وتبذل لأشقياء الدالاتية دراهم ليكفوا عنه واستمروا على ذلك الى ان وصلوا الى قلعة ارواد بعد ان رأى الموت عيانا مرات عديدة وهو يستغيث فلا يغاث وكل ماوقع من عبدي باشا كان بتقريب من لا يخاف الله تعالى وبتشويق بعض اتباعه ككاتب ديوانه واحد اعيان حلب وغيرهم . وفى اليوم الرابع والعشرين من رجب توجه كاتب الديوان وابن جبان الى دار احمد افندي الحكارلي وابنه اذ ذاك كان متسلما فطلبوه من الحرم بعد ما احاطوا بداره بالتفكجية المسلحين بالسلاح الكامل ولم يشعر احد ذلك الوقت فخرج اليهم وتلقاهم احسن ملتقي وجلس لموأنستهم فلم يشعر الا وقد احاط به الجند من كل جانب وقبضوا عليه وذبحوه وجزوا رأسه ورجعوا به الى السرايا وفى الحال اركبوا ابنه محمد اغا المتسلم واركبوا ايضاً كواكبي زاده السيد احمد افندى وعينوا معهما بيارق فاخذوهما والرأس وخرجوا بهم من باب قنسرين الى اوردي عبدى لناحية اعزاز فحبسوهما في جادر وركزوا الرأس حذاء ابنه وفى اليوم الثاني نفي كواكبي زاده الى قلعة البيرة وعين معه بيارق فصاروا يفعلون فيها مثال الجبوط (هكذا) واضعاف ذلك وبعدذلك ارسل الرأس للدولة العلية

وحرر في تعريفه بأن الذى يأخذ البغاة من طرفه ويعصى بالمال الأميرى هذا جزاؤه . ووجه نقـابة حلب الى لطوف بيك عادلي زاده والمتسلمية لكوجك علي اغا زاده محمد سعيداغاوبعد ذلك رحل الباشابالأوردى لطرف حلب ونزل هو فى تكية الشيخ ابي بكر في غرة شعبان المعظم واستمر في تعيين مباشرين على اهل البلد والقرى وصار يسلب اموال الناس والقتل مستمر وفي سجونه اكابر ومشايخ واشراف خلا الرعايا واهل الذمة شيء كثير واماعساكره في البلدةفشيء زائد واما ارتكابهم فعل القبايح مثل لعب القمار والزنا واللواطة فشيء لا يوصف واما شربهم الخمور متجاهرين فى الأزقة والشوارع فهو شرب الماء نعوذ بالله تعالى وفى آخر يوم من رمضان اتت اوراق النقابة الى لطوف بك العادلي ولبس خلعتها ثالث يوم العيد وفي اليوم الثاني من العيد توفي اسبير افندى المفتى ودفن فى الجبيل وفيه قتل الباشا ثلاثة انفار شلحوا يهودياً في بـاب النصر الواحد تحت القلعة والثاني في القصيلة والثالث عند سبيل شرم ومسك من اتباعه تفكجي لغلام وسخمه في الدكان فمسكوه في حمام القاضي ورفعوه الى القلعة على اعين الناس وبعد ايام انزلوه من غير تكدير

وفى ٣ شوال من سنة ١١٩٤ اخذ من كل حارة بغلا واكديشاوقتل التفكجي الذي فعل الفاحشة مع غلام لأجل تسكيت الناس على البغال واتى جماعة الباشا الى محلة باب النصر وصاروا ينظرون الدور المناسبة للقناقات وكلما رأوا داراً مناسبة اخرجوا منها النساء واخذوا مفاتيحها

واشتروا للباشا بقرة صفراء وبقرة سوداء حتى يشرب لبنهما وصاروا كلما سمعوا في بقرة عند شخص يأخذونها . وخربوا جهات باب الله (بابلا) لانه كان مقيما فى تكية الشيخ ابى بكر ثم رحل الى الراموسة وضربها وخرب بستانها

وفي ٢٦ شوال ارسل بن قره ملا مصطفى اغا متسلما على كلز وفيه نهب ابن عمه قرية عنجاره وحور وغيرها بأذن الباشا

وفي ٢٩ منه بلغ سوء فعل اتباعه ان كسروا غراريف بساتين حلب ودواليبها واخشاب بيوتها وطياراتها من حدود قرية باب الله (بابلا) الى قرب بستان الدباغة وحرقوها وحرقوا اخشاب قرى البلد بأجمعهاوسلبوا متاع حرمها ونهبوا اغنامها وسائر مواشيها وتركوها قاعاً صفصفا الا ما قل وحماه الله من كيدهم من القرى الغربية البعيدة عن ممر طريقهم وقطع جريمة ابن العيد بأربعين كيسا بعد سلب امواله وارسل الباشا الى محصل حلب وسأله ايش قدر تكلف فرش السرايا عليك قال له مائة كيس فقال له بدي ثمن الفرش عليّ دراهم لله وله مرادي ارسلها فأخذها منه وفي ختـام سنة ١١٩٤ رحل عثمان باشا وتوجه ناحية كلز ونزل في بيوتهـا ثم طرح عبدي باشا ضرائب على الأهالي داخلاً وخارجاً من جمال وبقر وغنم ومعز وملح وفستق وبن وشب وتنباك وقطن وحرير وحنطة وشعير وغير ذلك

(سنة ١١٩٥)

قال الطرابلسي فيها في محرم الحرام طرح عبدى باشا على النصارى الف غنمة بستة عشر كيساً وطرح تسعمائةٍ على اليهود بمثل ذلك .

وفي آخر يوم منه دخل عثمان باشا البلد ونزل عساكره في جميع البيوت حتى الأكابر مثل دار عمر افندي وجلبي افندى وطرابلسى زاده وكواكبي زاده وبيت الزعيم وامثالهم مع ما يلزمهم ثم طرح على القصابين سبعمائة اذن غنمة فأغلقوا الدكاكين وانهزموا .

﴿ ذكر ذهاب عبدى باشا من حلب ﴾

وفي عاشر صفر رحل عبدى باشا من حلب وصحبته ٣٦ يدكا مسومة واربعون

فى الجنازير ولله الحمد على خلاص الفقراء .

وفي الحادي عشر منه نبه عثمان باشا على الأسواق ان تفتح وان يعود الناس الى بيعهم وشرائهم وان كل من اشترى منه العسكرشي ولم يعطه المشتري الثمن اونقصه منه شيء اوتعدى عليه احد ولم يخبر به الباشا يشنقه على دكانه وكل دكان لا يفتحها صاحبها ينهبها ويشنق صاحبها ونبه على اهالي القرى ان تخرج الى قراها وتتعاطى زراعتها وان ما مضى لا يعاد (لكن بعد خراب البصرة) وفي اليوم الثاني ارسل منادياً ينادي بأن من وجد فى البلد من اتباع عبدي باشا لا يلومن الانفسه ونبه ان لا يحمل احد السلاح وكل من وجد من اهالي المحلات خارجاً عن الطريق المستقيم فعلى جيرانه ان يخبروا عنه ليقتله ومن يشهد جيرانه بحسن حاله فلا سبيل لأحد عليه وصار يقتل كل من اخبر عن سوء حاله فقتل عدة اشخاص.

وفي ١٨ منه طلب عثمان باشا من اهل القلعة دراهم مثل عبدي باشا وفي ١٩ ربيع الأول نزل عثمان باشا عند عبدي باشا وحبس السردار عثمان بيك العادلي واتى طاطار (ساع) الى عبدي باشا من طرف الدولة فقتله ونهب عبدى باشا وهو فى عندان ثلاث قرى . وفي ٢٥ منه رحل من عندان الى ما فوق عينتاب

وفي ٥ ربيع الثاني دخل قاضي حلب وبعد ثلاثة ايام اتى الباشا اليه فشرط عليه القاضي ان لا يرفع احداً الى القلعة الا بمراسلة الشرع ولا يقتل احداً الا بالوجه الشرعي . وفى هذا الأثناء ارسل عبدي باشا يطرح على الناس بقراً وجمالاً مع يزيد اوغلي فلما سمع القاضي احضر يزيد اوغلي وقال له افنديك يرينا فرمان ان منصب حلب عليه حتى نطرح له ذلك واغلظ له الكلام وقال له الحق بباشتك وهذا شيء لا يصير في ايامى ولا يتم ثم ان القاضي اطلق المحابيس الذين هم في القلعة

حيث لم يكن لهم شيء من الجريمة

وفي اليوم الثاني دخلت امرأة على القاضي ومعها شيء مغطا فظنوه هدية منها فكشفوا الغطاء فاذا بعظام غنم وآذان وقالت للقاضي لو كنت في بلاد الأفرنج ما فعلوا معي ذلك فلما سمع القاضي بذلك احضر العلماء وعقد مجلساً عاماً وارسل اخبر للباشا فرد الجواب ان الذى مضى لا يعاد ولا يباع شيء الا بالسعر الواقع

(عزل عثمان باشا وتولية الحاج يوسف باشا ابن العظم)

قال الطرابلسى وفى ٧ جمادى الأولى عزل عثمان باشا وصار المنصب للحاج يوسف باشا ابن العظم وفي ١٠ منه رجع عبدى باشا الى نواحى حلب ونزل في خانطومان وارسل طلب ذخيرة من البلد فما اعطاه القاضي فقال نعمان اغا بن الشيخبندر نخاف من سطوته فقال له القاضي انت اعطها وحدك فنهب الباشا مواشي الخان وغيره ورحل في اليوم الثاني وعرضوا المتسلمية على الأعيان فما قبلها احد خوفاً من عبدى باشا لئلا يؤتى احد من قبله

وفي ٢٤ منه رحل عثمان باشا واخذ من كل محلة بغلاً واطلق خيله على الزرع وقتل ثلاثا من النساء في باب الله (بابلاّ)

وفي ١٥ جمادى الثاني دخل يوسف باشا ابن العظم الى حلب ومعه اولاد رستم وخدم فى بابه ابن العبد ويزيد اوغلي وجرم اولاد رستم ثلثمائة كيس وصار يأخذ مماليك وجواري من اصحابها مجاناً قهرا

وفي غرة شعبان صار يحضر البازركان وغيرهم ويكرمهم ويقول لهم انا وزير اقشعوا خاطرى ولا يعلم بها احد حتى لا يمشيها غيرى وارسل طلب من كل قرية حصانا

وفي ٢٥ رمضان رحل يوسف باشا وصار متسلما قدور اغا

وفي ١٦ ذي الحجة صارت النقابة على السيد مصطفى افندي جابري زاده

(سنة ١١٩٦)

قال الطرابلسي في ٢٢ صفر ضرب ابن عمو قفل الشام بقرب خانطومان فطلع حسين اغا متسلم حلب لقتاله فتصادفوا عند الجب قرب اراضي كفرحمرة فتقاتلوا وفي هذا الأثناء اتى كرد محمد باشا والي كلز لمعونة المتسلم فأصابه ضرب وقع قتيلا وقطعه الاكراد وانكسر وقتل ابن اخت المتسلم وجرح من الدالاتية ناس كثير غير المقتولين وكان يوماً فظيعا

وفي ٢٠ ربيع الاول اتى ابراهيم باشا حوالي ادلب وطلب ذخيرة فما اعطوه جواباً فأرسل اخذ من حلب مدافع وجبخانة وغير مهمات واخذ الأنكشارية وفي كل ليلة يضرب المدافع فضج اهالي ادلب من هذا الحال خصوصاً النساء والأولاد فتوسط الأعيان والقاضي ودخل الأنكجارية لأدلب ومشوا في الصلح بين الباشا واهالي ادلب فصالحوهم على ٨٠ كيساً

وفي ١٥ شوال انعزل ابراهيم باشا وصار حسين اغا متسلما

ذكر تولية حلب لعلي باشا

قال الطرابلسي وفي ١٦ ذوالقعدة دخل علي باشا قرا والياً على حلب وقال جودت باشا في حوادث هذه السنة كان الوالي في حلب خزينة دار علي باشا . وهذا مما اغفله مرتب السالنامة

(سنة ١١٩٧)

في الرابع من جمادى الثاني يوم الأثنين دخل مصطفى باشا والي قونية الى حلب معيناً والياً عليها

سنة ١١٩٨

في ربيع الأول منها عزل مصطفى باشا وتوجه من حلب

وفيها صار برد عظيم فى ديركوش لم ير مثله واتلف جميع المزروعات الى ان عادت الأرض كأنها لم تزرع

وصـار روفائيل بيجوتو قنصلاً جديداً عن النامسا وذلك من البدع الجديدة التي احدثتها الدولة

ذكر تولية حلب لعبدى باشا

فيها في شعبان وصل الى حلب عبدي باشا وفي اول الأمر اخذ في العدل وانصاف الظالم من المظلوم وبعد مدة قليلة اخذ في الظلم والجور والتعدي بشكل لم يسبق له مثيل الا سميه الأول وبقي يأخذ موضم القرش اربعة

ودار على المحلات ونقض جميع الدعاوي والأمور الماضية واحضر الخبازين والصواصنة وقال لهم انتم قتلتم صوصانياً ودهوره الخبازون وجرمهم الفا ومائتي قرش فصار الخبز لذلك بخمسة وعثماني الى ان صار بستة مصاري ولم يلتفت الى ذلك وصار يجرم المحلات على قدر ما تصل اليه اوامره وصارت حبوسه ملآى بالناس وصادر النحاسين والفرايين

وفى غرة ذي القعده دخل عبد الله باشا بن العظم الى الميدان (مفتشاً على عبدى باشا) وفي ٣ منه اتى لعبدي باشا تقرير المنصب عليه وعمل طيفور بك فرحاً عظيما ليلاً مع نهار وفي الساعة الرابعة اتوا وختموا اماكنه وقالوا له عليك حساب وانت مطلوب للدولة

ويوم الخميس (فى اواخر ذى القعدة) سدوا بوابة الطيـارة ولم يزل ضرب الرصاص والناس ليلاً مع نهار تحت السلاح ونزلوا تفنكاً من القلعة وخربوا حمص خان والتفتيش واقع على العوانية والغمازين خصوصاً على من كان تفكجيا

في السراى واظهروا الخط الشريف الوارد في ابطال البدع ورفع المظالم وسجلوه فى المحكمة وكتبوا اربع عرائض في جميع مافعله عبدي باشا واعوانه من المبتدا الى المنتهى وارسلوها صحبة خمسة اشخاص عالم وسيد وانكشارى وتابع قاضى حلب وواحد من اهل البلد الى الدولة العليه وفي ١٥ ذى الحجة رحل عبد الله باشا لمنصبه

(سنة ١١٩٩)

في ربيع الاول عزل عبدى باشا بعد ان تحقق ما اتاه من المظالم وعين الى اورفة وقد تأيدت عرائض حلب بعرائض من عنتاب وانطاكية

وفى ٢٠ ربيع الأول صار القائمقام على باشا قرا متسلماً في حلب

تولية حلب لمصطفي باشا

في ٢٢ رجب صار منصب حلب لمصطفى باشا وفي ٧ شعبان ارسل المتسلمية لمن تختارونه (هكذا ولعل المقصود انه ارسل لأعيان حلب ان يعينوا متسلماً من يختارونه) فما احد رضى بها الا ابن السياف وصار عنده كنج احمد اغا حمصه تفكجي باشى وفي سلخ ذي الحجة اتى الى جابى افندي محصلية حلب والمتسلمية الى سعيد آغا

(سنة ١٢٠٠)

فى خامس صفر دخل مصطفى باشا الذى تقدم ذكر تعيينه الى حلب وفى ١٧ من شوال طلب على اغا وكنج احمد اغا حمصه اليه فما راحوا فذهب جابى افندى الى الباشا واخذا معه كنج احمد اغا بكفالته له فلما دخلا على الباشا نظر الى احمد اغا وطلب منه حساب المتسلمين فأجابه انا لست بمتسلم انا نفر من الانفار فطلب عند ذلك من جابي افندى خمسة من الأختيارية فأتى له بعشرة خمسة من المطلوبين وخمسة من غيرهم فسأل عن اسمائهم فقالوا فلان وفلان فنظر الى الورقة

التي بيده ثم قال لجلبي افندى ليس هؤلاء من المطلوبين فقال له الافندي المطلوبون من الأوجاق فطردهم ثم طلب منه علي اغا فأخذ له امانا واتى به الى الباشا مع جملة من الاعيان فلما وصلوا الى تكية الشيخ ابي بكر نظر الباشا من القصر يرى كأن البلد قد خرجت عليه لأن الأوجاقية لما سمعو برواح علي اغا الى الباشا خرج من البلد مقدار الفين من السكمانية بالسلاح الكامل الى ظاهر البلد ليروا ما الخبر فلما رأى ذلك الباشا امر اتباعه ان لا يتعرض لأحد بسوء وقال للحاضرين انا وانتم شيء واحد وخلع على السردار وعلى علي اغا وكنج احمد اغا وطيب خواطر الجميع وامرهم بالنزول

(وظيفة محصلى الأموال واستنزافهم اموال الأمة)

قال جودت باشا فى الجزء الثالث من تاريخه فى حوادث سنة الف ومائتين ماترجمته: ان وظيفة المحصل فى حلب من اهم المناصب وهي مطمح انظار مأمورى الدولة ومنذ اربعين سنة كان هؤلاء المأمورون يتعاطون كل وسيلة ويبذلون كل مرتخص وغال فى سبيل الحصول على هذه الوظيفة لأنها كانت تعود عليهم بمال جزيل وثروة طائلة ينالون بسببها بعد رجوعهم الى الآستانة رتبة الوزارة ورتبة ميرميران ومن هؤلاء الرجال احمد باشا فأنه بهذه الطريقة اخذ العلم والطوخ وحاز شهرة عظيمة . وهذه الوظيفة ظلت مدة تباع وتشترى بيع من يزيد وكثير من هؤلاء الرجال الذين تولوا هذه الوظيفة في حلب بالنظر لاعتسافهم وجورهم صاروا ممقوتين عند عقلاء رجال الآستانة ولا ينظرون اليهم نظر اجلال واحترام لكثرة ارتكابهم حتى ادى الحال الى ان بعض المغسلين صاروا يتعهدون هذه الوظيفة ويحصلون هذه الأموال لكنهم كانوا يؤدون بعضها الى الدولة ويزدردون الباقي يصرفونه

فى شهوات انفسهم. حتى آل الامر الى ان الدولة صارت ترسل من طرفها مفتشين على هؤلاء المحصلين وربما حضر الصدر الاعظم بنفسه للتفتيش

ومن غريب الأمر أن هؤلاء المفتشين الذين كانوا يرسلون للتفتيش حينما يأتون ويرون هذه الأموال يداخلهم الجشع والطمع ويأخذون الى جيوبهم ما تيسر لهم من هذه الأموال على حد قول من قال (كالمستجير من الرمضاء بالنار) !!!!

ثم قال ذكر المؤرخ واصف افندى فى تاريخه انه قبل خمس وعشرين سنة صادف وهو بحلب رجلاً اسمه قبوجى باشا سليم آغا كان قد اتى للتفتيش وكان وهو فى الاستانة عليه دين كثير ونسج على منوال غيره من المفتشين وتأهل بحلب واقام بها وصار له عدة اولاد فقال واصف افندى فسألته عن مدة اقامته بحلب واسباب ذلك فقال لى هنا عشر سنين وانى يئست من مناصب الدولة فحضرت الى هنا وانا الآن اتناول راتباً يومياً اربعين قرشاً اصرف بعضها وادخر الباقي الى ان حصل لى مال كثير وانا الآن اتجر بما حصلت عليه من هذه الأموال

ثم قال جودت باشا هذه هي حال مباشرى الوظائف فى حلب الكثير منهم بعد أن يستنزف اموال الأمة فى حلب يصرفها في الفسق والفجور والشهوات النفسية ويؤدي الحال بهؤلاء الى الأفلاس فمنهم من يموت قهراً ومنهم من يغادر الشهباء الى غيرها من البلاد وبهذه الصورة ولهذه الأسباب كانت اموال الدولة تتبعثر وتذهب ضياعاً . وتلافياً لهذا الخلل ولبعض ما فات افتكر الدفتردار حسن افندى فى الاستانة ان يجعل وظيفة التحصيل على حدة ووظيفة الكمرك على حدة وصار يعطي وظيفة الكمرك على طريق الضمان واموال الولايات ترسل رأساً الى دار السلطنة وبهذه الصورة اصلح بعض الخلل فى مالية الدولة وفى وظيفة تحصيل الأموال اهـ

(سنة ١٢٠١)

﴿ عزل مصطفى باشا وتولية حلب لمير عبدالله باشا ﴾

في الثاني من المحرم انعزل مصطفى باشا وفى ٢٠ منه رحل من حلب

قال الطرابلسي وفى ١٥ صفر عزل السيد علي باش جاويش ففي اليوم الثاني ولى هارباً تحت الليل هو وجاويشان فثاني يوم صار التفتيش عليهم لأمور كان اوقعها في وقوفه عند جابي افندى ثم قتلوا قاتل القنوى في قصطل الحرامى ورفعوا ابن الكلرجي جابي جابي افندى والشيخ علي السرمينى وكل من له دعوى تحرك على اتباع الأفندي وختموا على دائرة جابي افندى (لعلها الدار التي في السراى المتخذة دائرة للعدلية) داخلا وخارجاً وثاني يوم من وفاة الأفندي توجه اخوه علي افندي وابنه عباس افندي الى ناحية الدولة ثم ختم القاضي بيت طيفون والحاج طه بن عمر افندي وحامد افندي وغيرهم من المتعلقين . وصار عبد الله افندى الجابرى مفتياً في حلب

وفي ١٥ جمادى الأولى وجدنا خاروفاً برأسين واربعة ايدي واربعة ارجل وألية واحدة واتى يوسف باشا واستقام في الشيخ ابي بكر اربعة اشهر الى غرة جمادى الثانى ففيها رحل وطلب قبل رحيله من البلد ثمانين كيساً و ١٤٠ دابة وسبعة مدافع وذخائر فردوا له الجواب ما عندنا شيء ان كان مرادك المجيء تفضل انت و ١٥٠ عسكرياً لاغير والا فابق مكانك

(قتال اهالي حلب مع عثمان باشا)

ودخل عثمان باشا الى انطاكية ونزل جميع عساكره على الحريم وفعل افعالاً قبيحة في انطاكية لم تفعلها الخوارج حتى قتل ابن الكاتب وفض بكارة بنته واخذها

معه الى ارمناز وقتل شيخها وصادرها واتى الى ادلب وصادرها وخرب جميع القرى التي مر عليها وما حول ذلك الى ان وصل الى خانطومان فرعى مزروعاتها ومزروعات ما حولها الى ان وصل الى الراموسة فكمل خرابها ونزل بقرب الشيخ سعيد وارسل عساكره ونهب بساتين البلد وسلبوا ثياب من رأوه فى طريقهم وانعقد القتال بينه وبين اهالي البلد وصار النقص فى عساكره من القتال ومن الطاعون والقتل اكثر ولكن كانوا يخفون القتلى والمجروح من اهل البلد ابو بزبور وقطعوا رأس واحد واستقام القتال عدة ايام الى ان عجز عن الظفر ورحل الى قرية عندان ولا زال يسلب اموال الناس ويأكل مزروعاتهم ثم رحلوا الى جفتلك حسن باشا وشلحوا اتباعه وكانوا سبعة من اهالي كلز في طريقهم وانقطع الطريق واخذ فى طريقه معز حلب ذبح منهم مقدار مائة رأس ولما بعد عن حلب رأوا في الشيخ سعيد مقدار سبعين قتيلا من اتباعه وفي خانطومان مقدار ثلاثين وذلك ماعدا الذين وقعوا في الطريق من عند خانطومان الى الشيخ سعيد (١) ثم رحل من جفتلك حسن باشا الى البيره

الطاعون العظيم فى حلب

وفي ١٧ رجب من هذه السنة (١٢٠١) فشا الطاعون في حلب ووضعت امرأة ولداً مطعوناً فى صدره وكان يموت فيه كل يوم ١٠٠ واكثر وفي يوم واحد طلع من كلز ١٨٦ انساناً

وفى ١٧ شعبان احصوا الموتى من حلب فبلغ ٣٤٢٠٠ من حلب واحصوا بعد

(١) قال الكاتب في مجموعته جاء عثمان باشا وحاصر حلب من جهة خانطومان خمسة عشر يوماً وما قدر يدخل حلب اه اقول لم اقف على اسباب تلك المحاصرة ولعل ذلك لقيام الفتن بين السيدة واليكيجارية كما يستفاد من الحوادث الآتية

ذلك الذى مات فى اربعة ايام فبلغ ١٤٠٠ شخص والعياذ بالله تعالى اهـ ملخصاً عن مجموعة ابن الطرابلسي

قال الكاتب في مجموعته في هذه السنة حصل غلاء وطاعون وقلة مطر ونشف النهر في ايام الربيع وبقي مقطوعاً الى ايام الأربعينية وصار الغلاء في جميع المأكولات حتى اكل الناس حب القطن وحب الخرنوب وعجو المشمش المر بعد ان يحلوه واستمر الى الربيع والطاعون وقع من اول رجب الى آخر رمضان ثم انقطع واستمر الغلاء الى ان صار البيدر وشنبل الحنطة بخمسة وعشرين قرشاً والخبز وصل الى القرش بعد ان كان بثلاث عشرة بارة واللحم بقرش ونصف (اى الرطل)

(سنة ١٢٠٤)

(تولية حلب لكوسا مصطفى باشا)

في هذه السنة كان الوالي كوسا مصطفى باشا كما في السالنامة

(سنة ١٢٠٥)

قال الكاتب فى مجموعته في ذي القعدة من هذه السنة حصروا كوسا باشا في السراي اربعة ايام وبعدها اخرجوه من باب الفرج

ذكر فتنة بطال آغا زاده نوري محمد اغا في عينتاب

قال جودت باشا في الجزء الخامس من تاريخه كان بطال آغا زاده نورى محمد اغا من وجهاء اهالي عينتاب انعم عليه سنة ١١٩٦ برتبة ميرميران واعطي مقاطعة عينتاب يتصرف فيها تصرف المالكين وبعد ان تمكن فيها ابتدأت المنازعة بينه وبين اليكيجرية فلم يطق اهالي عينتاب تلك المنازعات فاستدعوا متصرف كلز وآل طبال زاده محمد على باشا فأتى الى عينتاب ومعه كثير من الاتراك وحينما

قدمها انهزم نورى محمد اغا واستولى محمد علي باشا على عينتاب لكنه اخذ في ظلم الرعية اكثر مما كان يظلمهم نوري محمد اغا وهناك ذكر جودت باشا المثل السائر وهو (رحم الله النباش الأول) فاتفق اهالى عينتاب وقتلوا طبان زاده محمد على باشا وتخلصوا من شره وحينما بلغ ذلك نوري محمد آغا عاد الى نواحى عينتاب ومعه كثير من الأشقياء وقطع طريق حلب واخذ في النهب والسلب. وحينما بلغ حكومة الاستانة هذه الأخبار ارسلت عساكر كثيرة مع عبد الله بك كتخدا بقصد استئصال شأفته وصادف في هذا الأثناء قدوم عبدي باشا معزولا من ولاية مصر ومر على نواحى عينتاب فلاذ نوري محمد اغا بعبدي باشا نادماً على ما كان منه فأمنه هذا بشرط ان يذهب معه الى ديار بكر فتوجه معه اليها وصادف وفاة عبدي باشا في ديار بكر فانتهز هذا الفرصة وعاد الى العيث فى نواحى عينتاب على ما كان عليه واتفق مع السادة الاشراف وصار يحارب اليكيجرية وينهب اموالهم ويخرب بيوتهم . وبعد ان حصل منه ما حصل تيقن ان الدولة العثمانية لا تتحمل منه تلك الفعال فاخذ يرمم قلعة عينتاب بقصد الحصول على رضاء الدولة عنه الا ان الدولة عينت لقمع فتنته كوسا مصطفى باشا والي حلب ولكن كان قبل ذلك حصل فيها فتنة ادت الى هجوم اهالي حلب عليه وعلى عسكره وحصل بينهما مناوشة قتل فيها كثير من الطرفين وادت الى انهزامه الى خارج حلب فوافاه الأمر وهو فى الصحراء بالتوجه الى عينتاب فتوجه اليها وحاصرها خمسة اشهر ثم لما نفذت الذخائر من قلعتها اضطر نورى محمد آغا الى التسليم ثم اعدم وكان ذلك سنة ١٢٠٦ وسكنت تلك العاصفة (ثم قال جودت باشا ما ترجمته) ان هؤلاء الخونة كانوا يتقربون الى كبراء رجال الدوله بسافل الأمور فكانوا يعينونهم الى بعض المقاطعات ويعينونهم على الفساد في الأرض

والتسلط على عباد الله الى ان يؤدى الأمر الى عصيان الرعية وقيامها في وجه الحكومة والتبعة في كل ذلك على كبراء الدولة اه قال الكاتب في مجموعته فى حوادث سنة ١٢٠٦ فيها احضر رأس ابن بطال من عينتاب مع جملة رؤس عدتهم خمسة وعشرون رأساً ارسلهم كوسا باشا فى نصف ربيع الثاني ثم ارسلت الى اسلامبول

[تعيين ترنج زاده سليمان باشا والياً على حلب]

قال جودت باشا في الجزء الخامس في حوادث سنة ١٢٠٥ انه تعين والياً على حلب ترنج زاده سليمان باشا اه وهذا لم يذكر في السالنامة

(سنة ١٢٠٨)

(قيام الفتن بين السادة الاشراف وبين اليكيجرية)

قال جودت في الجزء السادس من تاريخه في حوادث سنة ١٢٠٨ ما ترجمته انه قبل عدة سنين كانت الفتن متواصلة بين السادة الاشراف وبين الذين سموا انفسهم اليكيجرية الا انه بعد ذلك تزايد الأمر فى هذه السنة واستولى اليكيجرية على منافع البلاد واكثروا من ايذاء السادة الأشراف ومن العيث فى البلاد بصورة ازالت نفوذ الولاة من البلاد وحالوا دون اقامة الأحكام فيها . وبعد ان وضعت الحرب الروسية اوزارها وتفرغت الدولة لأصلاح الخلل فى داخل بلادها عينت سليمان فيضي باشا المذكور والياً على حلب وأخذ هذا في اصلاح البلدة وتنظيم شؤونها وازالة ما كان فيها من اسباب الاختلاف والفساد بين هاتين الفئتين وتأميناً لهذه الاضطرابات وعدم حدوثها في المستقبل اخذ سليمان باشا من كبراء البلدة ضمانات وعهوداً . الا انه بالرغم عن هذه التشبثات فأن الأشقياء فى حلب نقضوا تلك العهود وهجموا على محمد افندي الغوري احد وجهاء

حلب واخذا فى ضربه وشتمه بلا سبب ولا موجب الى ان قتل وعـادوا الى ماكانو عليه من العيث في نواحى الشهباء

واما سليمان باشا فأنه لعجزه عن ارجاع الأمن الى نصابه خرج الى بعض بساتين حلب وقعد فيها وارسل يعلم الدولة بذلك فنسكياً لهذه الأحوال ارسلت الدولة وفداً الى الشهباء ولما وصل جمع بين سليمان باشا وبين اليكيجرية واصلح ذات بينهما وهدأ الحال ووصلت الأخبار الى الآستانة بسكون الحال فى اواسط سنة ١٢٠٨

﴿ زيادة بيان فى هذه الفتن وحادثة جامع الأطروش ﴾

قال الكاتب في مجموعته فى هذه السنة قامت الفتن بين اليكيجارية والأشراف وبقيت عشرين يوماً ثم انكسرت الأشراف وحصرهم اليكيجارية في جامع الأطروش وفعلوا افعالاً فظيعة اه

حدثني بعض اهل محلة الطنبغا نقلا عن بعض اشياخها انه بينما كان بضعة من الأشراف مارين امام جامع الاطروش واذ باليكيجارية قد انقضوا عليهم وكانوا كثيري العدد فلم يجد الأشراف بداً من الهرب فالتجأوا الى الجامع واغلقوا بابه ووضعوا وراءه احجاراً فحاول اليكيجارية فتحه فلم يتمكنوا فأحضروا قطراناً ودهنوا الباب واعطوه النار فأحترق ولم يزل اثر الحريق في اطراف الباب باقياً الى يومنا هذا فدخلوا عليهم فأنهزم اولئك الى المنارة فضايقوهم فألقوا بأنفسهم الى سطح الجامع ومنه الى سطح بيوت الخلاء فلحقوهم هنـاك وقبضوا عليهم فأستغاثوا بهم فلم يغاثوا بل بالوا بأفواههم وذبحوهم ولهذه الحـادثة الفظيعة نظمت عدة قصائد للشيخ وفا الرفاعى وغيره وقدانشدنى عبد القادر الطرابيشى من اهل الباب ابياتا في هذه الحادثة نسبها الى فاضل بك الأستانبولى وهو الآن ممن جاوز الثمانين وهي

يا مصطفى ان القلوب منغصه * لبنيك فى الشهباء حلت منقصه
في جامع يدعى الطروش لقد غدت * بدمائهم تلك الأمـاكن مقنصه
ادرك لجسم الدين سـاء مزاجه * ولقد كوى الأشراف ابن الحمصه
اقبل وقل للحُرْبُلي الحرب لي * واذق الى ذاك الوجاق المخمصه
في النازعات فاجعلن ياسينهم * وجميعهم ليست اليه مخصصه
فدمـاء اعداء الآله ثمينة * ودمـاء اولاد الرسول مرخصه
ولأنت اولى بالجميع وهذه * شكواهم رفعت اليك ملخصه

(ذكر قيام الفتن بين هاتين الفئتين في عينتاب ايضا)

قال جودت باشا ان الأهالي من قديم الزمان في نواحى حلب وعينتاب منقسمين الى قسمين سادة (اواميرية) ويكيجرية وهاتان الفئتان بينهما غاية الخلاف دائماً وهما فى فتن لاتنقطع وكان لليكيجرية اشارات خاصة وهي النواشين وكان علامة السادة العمائم الخضر . والسادة او الأميرية هم عبارة عن اعيان البلاد ومن التف حولهم وذلك من قبل فتح السلطان سليم لهذه البلاد واهالي مرعش ايضاً كانوا منقسمين الى فئتين فئة البيازيدية وفئة ذي الغادرية وهؤلاء من نسل ملوك تلك البلاد قبل الفتح السليمي وكان النزاع بين هاتين الطائفتين مستمراً ايضاً وفي اثناء هذه العشرة سنوات ازداد طغيان فرقة السادة وقتلوا من اليكيجرية عدة مئآت فأمر متصرف مرعش ذو القدر زاده عمر باشا بالتوجه الى عينتاب واصلاح شؤونها فتوجه الى عينتاب الا ان بعض الأشقياء من العشائر خرجوا عليه وقتلوه فى اثناء الطريق رمياً بالرصاص فعينت الدولة حسن باشا متصرفاً على مرعش عوضاً عن عمر باشا فتوجه اليها اه

(سنة ١٢١٠)

[تعيين عظم زاده عبدالله باشا والياً على حلب]

قال جودت باشا فى حوادث هذه السنة فيها تعين عظم زاده عبد الله باشا والياً على حلب . وفي السالنامة انه عين سنة ١٢٠٧ ويغلب على الظن ان الأصح ما قاله جودت باشا (سنة ١٢١٤)

كان الوالي فيها حاجي ابراهيم باشا كما فى السالنامة وهو ابراهيم باشا المشهور بقطر اغاسى جد آل القطر آغاسية الآن

وفي سنة ١٢١٢ استولى الفرنسيس على مصر فشرعت الدولة العثمانية تجهز العساكر والجيوش من البلاد وترسلها الى مصر بقصد محاربة الفرنسيس واخراجه من مصر . قال الشيخ بكري الكاتب في غرة جمادى الاولى من سنة ١٢١٤ سافر من حلب الى مصر احمد اغا حمصة ومعه سبعة آلاف خيال من الأنجكارية وسحبوا امامهم بيرقاً كبيراً . وفي الثالث من شوال حبس احمد اغا الحمصة بعد رجوعه مكسوراً وسلب ماله وقبض على بعض جماعة من الانجكارية واخذ منهم اموال

(سنة ١٢١٥)

قال الشيخ بكري الكاتب فيها خرج ابراهيم باشا قطراغاسى الى الديار المصرية .

وفيها اتى خط شريف فى سفر الأشراف الى مصر وكان نقيبهم يومئذ محمد افندى القدسي وسافر معه اربعة آلاف من الاشراف وطلع السنجق نهار السبت لثلاث مضت من ربيع الثاني وفي هذه السفرة صار الفتوح (اي استرداد مصر) .

قال جودت باشا فى تاريخه في ترجمة محمد افندى القدسي لما اتى الفرنسيس الى الديار المصرية وجهزت الدولة العثمانية الجيوش الى مصر لأجل استردادها

جمع المترجم مقدار خمسة او ستة آلاف من اهالى حلب وتوجه الى مصر مع القائد ضيا باشا وشكر على خدمته هذه ووعد بأن يعطى قضاء مصر بعد استردادها وانهى له من ذلك الحين من طرف القائد المذكور بتوجيه مولوية مصر عليه الخ ما سيأتي فى ترجمته ان شاء الله تعالى في وفيات هذه السنة في القسم الثانى

سنة ١٢١٦

فيها عاد قدسى افندي من مصر ودخل حلب هو والاشراف وصارت زينة يوم دخولهم واتت البشائر باسترداد مصر ثم قدم الوزير الأعظم ومعه ابراهيم باشا قطرآغاسى

سنة ١٢١٧

قال الكاتب فيها احضر الوزير الاعظم (ضيا باشا) الوجوه والأشراف والسردار عبد الرحمن آغا تل ارفادي واولاد الجزماتى وخطباء الجوامع وابراهيم باشا قطراغاسى ورفع الأغوات ونفى ٣٦ شخصاً من الأنجكارية وعمل على الأشراف نذراً (ضريبة) مقدار ثلاثمائة كيس وعلى الأنجكارية مثل ذلك على انه لا يدخلهم الى البلد مدة وكتب على الفريقين حججاً اه يظهر أن ذلك لفتن كانت قائمة بين الفريقين ادت الى نفي ٣٦ من الأنجكارية ومصادرة الفريقين . ثم قال ثم صدر امر من الصدر الأعظم في نفي ٤٣ شخصاً من اغوات الانجكارية ومن يلوذ بهم وسلم الفرمان الى ابراهيم باشا ثم استولى الوزير على القلعة ووضع فيها من عنده عسكراً من الارنؤوط ثم سافر الصدر الى استانبول ومعه قدسي افندي

سنة ١٢١٨ كان الوالي فيها ابراهيم باشا

« ١٢٢٠ « « « علاء الدين باشا

« ١٢٢٢ « « « يوسف ضيا باشا

« ١٢٢٤ « « « سرور باشا

سنة ١٢٢٦ كان الوالي فيها محمد راغب باشا كما في السالنامة

وفي هذه السنة مات احمد اغا حمصة وهو من زعماء الانجكارية

(سنة ١٢٢٧)

﴿ ذكر تولية حلب لجبار زاده جلال الدين باشا ﴾

قال الشيخ بكري الكاتب فى مجموعته في سادس رجب من سنة ١٢٢٧ جاء ابن جبان الى حلب ونزل فى الشيخ ابي بكر الوفائى ودعا الأنجكارية بحيلة زينة وقتل اغوات الأنجكارية ومن جملتهم ابراهيم آغا الحربلي وياسين آغا ابن تل قراحية اه

قال جودت باشا في الجزء العاشر من تاريخه فى حوادث سنة ١٢٢٨ ولظهور الفتن في حلب عزل عن ولايتها راغب باشا وعين جبار زاده جلال الدين باشا . وحينما كان واليا عليها وكان قد اعطي صلاحية واسعة احتال على قبض ثمانية عشر من رؤساء الاشرار في حلب واعدمهم وبهذه الصورة سكنت الفتن هنا مدة اه

(اقول) الدائر على ألسنة الناس الى يومنا هذا عن ابن جبار بالنون والمتواتر عنه انه كان رجلاً جباراً كأسمه ملأ الشهباء جوراً وظلماً منه ومن اتباعه وحواشيه واخذ في مصادرة الناس ومتى سمع بغني كلفه دفع ما يأمره به من الاكياس (والكيس خمسمائة قرش) فأن لم يدفع او تأخر عن الدفع اخذه اعوانه الى القلعة وضربوا عنقه والقوا برأسه وجثته الى الخندق وكان كلما قتل شخصاً ضرب مدفعاً فاذا سمع في تلك الليلة صوت ثلاث مدافع علم ان المقتول ثلاثة وكان الناس يتحدثون فى اليوم الثانى ان فلانا (ضربوا طوبه) يعنون انه قتل واضطر

الناس في ذلك العصر الى عدم التظاهر بالغنى والله أكبر على من تظاهر بشيئ مما انعم الله به عليه . نعم قد أحسن صنعاً في قتل من قتله من الأنكجارية نظراً لما نقل الينا بالتواتر ايضاً من انهم فى ذلك العصر اكثروا من الفساد فى الشهباء وخارجها وكان النساء اذا اردن الخروج الى الحمام يخرجن مجتمعات مقدار عشرة فما كثر ومن خرجت منفردة تكون قد عرضت عرضها للهتك واذا خرج منهن ثلاث او اربع فهن على خطر . الا انه قتل هؤلاء لا لقطع دابر الفساد واراحة العباد من اذاهم وشرهم وبسط بساط العدل والأمن فى ربوع هذه البلاد بل ليخلفهم هو واتباعه في سيء اعمالهم ويحذو حذوهم في شرورهم وتعدياتهم ويزيد عليهم فكانت حالة الشهباء معه ومع اتباعه بالنسبة الى حالة الانكجارية كالمستجير من الرمضاء بالنار والخلاصة ان ولايته وولاية خورشيد باشا الآتي ذكره والناسج على منواله كانتا اشد الولايات على الشهباء وزمنهما اشأم الأزمنة وكثيراً ما كنا نسمع من افواه الطاعنين فى السن يقولون لنا انكم الآن في مهد سيدنا عيسى بالنسبة الى ما كان في زمن ابن جبان وخورشيد باشا

وتتابع تلك الفتن بين الأنكجارية والسادة وظلم هؤلاء الولاة عطل دولاب التجارة واوقف سير الصناعة وتقدم الزراعة فنضبت لذلك منابع الثروة واستولى الفقر والفاقة على البلاد وانت بعد ذلك الزلزلة التي كانت سنة ١٢٣٧ وتابع ذلك الفتن التى حصلت في زمن احتلال ابراهيم باشا المصرى لهذه البلاد فأثرت تلك العوامل تأثيراً كبيراً في الثروة والعمران وتفرق كثير من الناس في البلاد وتخربت اماكن كثيرة داخل الشهباء وخارجها . ولأستيلاء الفقر ونضوب منابع الثروة ومهاجرة الكثيرين قلت النفوس وكنت تجد معظم الحوانيت في في الاسواق مغلقة ويقدر الخبيرون ان نفوس حلب بعد جلاء ابراهيم باشا عن

هذه البلاد تقدر بخمسة وسبعين الى ثمانين الفاً وقد علمت في حوادث سنة ١٠٩٤ ان شوفاديه دارفيوا قدرها بـ ٢٨٠ الفاً فلله الأمر من قبل ومن بعد

زيادة بيان في مظالم ابن جبان

كتب الينا طاهر اغا المكانسي ابن محمد اغا نقلا عن والده الذي شاهد احوال ابن جبان وقتل ابراهيم اغــا الحربلي واغوات الانجكارية فآثرنا اثباتها لما فيها من التفاصيل ومنها يتجلى لنا ماكان عليه ابن جبان من الظلم والجور وماكان عليه الحال فى ذلك الزمن قال لمــا استقرت اقدام ابن جبان هنا عين اثنين من طرفه يتجسسان على الناس فصارا يقدمان له فى كل يوم ورقة تتضمن اسم من ينبغي مصادرته ويقولان ان هذا يستحق جرمين ومقدار الجرم اربعون كيساً فكان ابن جبان يرسل من طرفه اثنين حاملين للبلطه (نوع من السلاح) فيأتيان بمن امرا باحضاره فيزج فى الحبس فى القلعة ويوضع فى رقبته زنجير له شوك ثم يطالب بما قرر عليه وهو جرم او جرمان او اكثر فاذا احضر ذلك اطلق سبيله ومن لم يعط الجرم فى خلال ثلاثة ايام يخنق ليلاً ويرمى تجاه باب القلعة وكلما خنقوا واحداً اطلقوا مدفعاً فكان يعلم عدد المخنوقين فى هذه الليلة من عدد المدافع وكانوا لايمكنون اهالي المخنوق من نقل جثته بل يضعون عسكرا يحافظون تلك الجثث الملقاة فى الخندق وربما اتى بعض اهالي المخنوقين ليلاً وحبا على ركبتيه الى ان يصل الى قريبه فيحمله او يحمل عضواً منه اذا كانت اوصاله مقطعة ويصعد به خفية ويذهب فيدفنه وكان الوالي اذا اراد النزول الى السوق امر فزينت له الأسواق نهارا فينزل ومعه البلطجية والعساكر عن يمينه وشماله فيدور في الاسواق ومتى ادار الوالي نظره الى رجل فان البلطجية يأتون فيضربون رقبة صاحب ذلك الحانوت يفعل ذلك بثلاثة او اربعة اشخاص ثم يعود .

ولما تكرر منه هذا العمل الفظيع سأله وجوه البلد عن سبب قتل هؤلاء وما ذنبهم فكان يقول لا ذنب لهم غير اني اقصد ارهاب الناس .

وشاع في بعض الأيام خبر عزله فقبض اعوانه على واحد واتهموه انه القائل فانكر ذلك وحلف لهم فلم يصدقوه فعزا ذلك الى شخص آخر وقال اني سمعتها منه فتركوه حينئذ وقبضوا على الثاني فانكر كذلك وحلف لهم فلم يصدقوه فعزا ذلك الى شخص آخر فاطلقوه وقبضوا على ذلك الشخص وهكذا الى ان قبضوا على شخص يقال له الحاج بدور الخيمي فأنكر ولم يعز ذلك لأحد فأتى به الى سوق الزرب (الضرب) وكان هناك شجرة دلبة قديمة ونصبوا له خشبات الصلب وصاروا يستنطقونه وهو يحلف لهم الأيمان المغلظة انه لم يقل ذلك ولا علم له بمن قال فلم يجده ذلك نفعاً وصلبوه تحت الشجرة المذكورة بمحضر من الناس.

(تفصيل مقتل ابراهيم اغا حربلي)

وكان ابراهيم اغا الحربلي من التجار بحلب ذوي الثروة الطائلة فبلغ ابن جبان امواله ونقوده فألقى القبض عليه وحبسه عنده (في الشيخ ابي بكر) وامر بتعذيبه ليلاً ونهارا وكان اعوانه يحمون الآنية من النحاس ويجردون ابراهيم اغا من ثيابه ويضعونه فوق الآنية حتى يسيل الدهن من إليتيه فكان يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجار وهم يقولون له قر لنا عن الذهب الذى عندك وكان من شدة العذاب يقول لهم ان في دارى الفلانية في المحل الفلانى فيه كذا من الجهاديات والغازيات فيتوجهون ويدخلون الى الدار بغير استئذان ويأتون بما فيها من النقود ولم يزالوا على ذلك مدة سبعة ايام وفي آخر الأمر اقرلهم ان فى داره التى فى محلة قارلق في الصهريج كذا وكذا من الذهب وكان مبلغاً عظيما فذهبوا واتوا به ولما تيقنوا انه لم يبق عنده شيء قطعوا رأسه بجانب حوض الشيخ ابي بكر

وكان عمره حين قتل خمساً وسبعين سنة وذلك سنة الف ومائتين وثمانية وعشرين

(سنة ١٢٣٠)

ذكر الطواعين التي حصلت في حلب من سنة ١٠٩٧ الى هذه السنة

قال ابن الفنصاوي في رسالته التي نوهنا عنها في حوادث سنة ١٠٤٢ و ١٠٨٠ ما نصه بالحرف وصار سنة الف وسبع وتسعين طاعون الا انه الطف منه وكان اشد من الطواعين التي صارت بعده ثم صار بعده طاعون سنة ١١٠٣ الف ومائة وثلاثة ثم امتد الى بغداد فأباد اهلهـا وتلك النواحي حتى حكى بعض اقاربنا انه رأى ميتة في كفنها وكفنها مكتوب فيه هذه بنت فلان وهي مربوطة على ظهر حمار من امكنه ان يواري هذه الحرمة في التراب لنيل الثواب وان فلاناً كان ذا مال عظيم ولم يكن احد يواريها التراب وذلك لانه لم يوجد من يتولى مثل هذه المصالح بل ولا غيرها وبقيت الأزقة والأسواق مملوءة بالموتى والمار لا يقدر على المرور من روايح الجيف والذى تصل اليه ويوجد له من يحمله يرمي في الشط فكان الرجل على ما نقل يمشي خطوات ثم يرجف ويقع فيموت في الحال . حتى حكى ان بيتاً من البيوت دخله لص فمات في دهليزه في الحال ثم دخله آخر فمات في الحال الى ثمانية انفار فدخل الناسع فرأى اصحاب الدار كلهم موتى منتنين وهو يعرفهم من قبل ورأى اللصوص كلهم موتى في الدهليز وكان يعرفهم وفي حال دخول كل منهم كان مراقباً له لكونه من جيران ذلك البيت . ثم صار طاعون سنة ١١٠٩ الف ومائة وتسعة صار مخصوصاً في بعض بيوت الناس بحلب ثم صار طاعون سنة ١١١٧ الف ومائة وسبعة عشر ظهر في شباط

وانقطع بالكلية في اواخر تموز ثم ظهر في السنة التى بعدها سنة ١١١٨ الف ومائة وثمانية عشر في اوائل ايار وانقطع في الكلية في اواخر آب وكان طاعوناً على خلاف العادة المعروفة من الطواعين الماضية في هذه البلاد على ما نقله المسنون المعمرون لكن كان طاعوناً لطيفا ينزل الجامع الكبير كل يوم عشر جنائز او اقل اواكثر ولا يصل الى عشرين اذا بلغ غاية الكثرة فى اشتداده وايام كثرته وكان امتداده لطيفا اذ لو مات فيه من مات في مدة ايامه المعهودة لأوقع وهماً فى البلد فكان الخوف منه من امتداده فقط . ثم صار طاعون سنة ١١٣١ الف ومائة واحدى وثلاثين وكان في الكثرة والشدة مثل الطاعون الذي وقع سنة الف ومائة وثلاثين ثم صار طاعون خاص ببعض الأشخاص وبعض البيوت بحلب سنة ١١٤٠ الف ومائة واربعين . ثم وقع طاعون سنة ١١٤٥ الف ومائة وخمسة واربعين وهو قريب من طاعون سنة الف ومـاية واحدى وثلاثين وغالب من مات فيه فتيان من قبل الثلاثين الى اولاد صغار الاكثر فيهم فوق العشرة دون العشرين . ثم وقع الطاعون المشهور بعد الغلاء المشهور سنة الف ومائة وسبعين بحلب فعلى ما اخبر المسنون انه في ذلك الغلاء قدم الى حلب اكثر من عشرين الف غريب كلهم فقراء وصاروا يحمدون الدم على النار ويأكلونه من الجدب العظيم الذي وقع فى بلادهم ثم اعقبه الوباء المشهور العظيم وفي سنة ١٢٠١ احدى ومائتين والف وقع بحلب ايضاً الغلاء المشهور واعقبه الوباء المشهور وبلغ في الكثرة على ما قيل كل يوم نحو الف جنازة (انظر حوادث هذه السنة) وخلت منه غالب البلد .

واما الطواعين التى شاهدها صاحب هذه الاوراق العبد الفقير عبدالله ابن السيد قاسم الفنصاوى . فأن اول طاعون شاهدته بحلب سنة ١٢١٧ الف ومائتين وسبعة

عشر لطيف ينزل فيه الى الجامع الكبير ايام زيادته نحو عشرين جنازة او اقل ثم وقع ايضاً سنة ١٢٢٢ الف ومائتين واثنين وعشرين مثله او الطف منه . ثم وقع سنة ١٢٢٨ الف ومائتين وثمانية وعشرين لطيف للغاية ثم اشتد سنة التاسعة والعشرين شدة تقرب مما وقع سنة الواحد لكن اقل

ومات فيه من علماء حلب وفضلائها جماعة اجلاء فمن اجلهم شيخنا وحيد الدهر وفريد العصر في الحفظ والأتقان الشيخ هاشم الكلاسي . ومن اجلهم المحقق المدقق الفقيه المحدث الشيخ عاصم البانقوسي والشيخان الكاملان الفاضلان الجامعان بين الحفظ والأتقان والروايات والعلم فقها وحديثاً فروعاً واصولاً ونحواً وادباً الشيخ عبد الله والشيخ طه اولاد الشيخ محمد العقاد المشهور وشيخنا العالم الفاضل والنحرير الجهبذ الكامل الشيخ محمد الضرير الشهير بالنوري . والشيخ احمد الواعظ الخطيب بجامع الكبير الشهير بالأشرفي وغيرهم من افاضل حلب . ثم عاودها في سنة الثلاثين بعد المائتين والألف وصار ثلاث سنين متواليات ومات في هذه السنة من العلماء الشيخ طاهر البانقوسي اخو الشيخ عاصم المذكور رحم الله الجميع .

(سنة ١٢٣١)

كان الوالي فيها سيد احمد باشا كما في السالنامة

(سنة ١٢٣٣)

ذكر ولاية خورشيد باشا

تقدم ان جبار زاده جلال الدين باشا احتال على قبض ثمانية عشر من رؤساء الأنجكارية في حلب واعدمهم وبهذه الصورة سكنت الفتن هنا مدة. قال جودت باشا الا انه لم تمض مدة الا وعادت الفتن الى الظهور وعاد الاشرار الى ما كانوا

عليه وانضم اليهم بعض الفارين من وجه الدولة فرؤي ان من الواجب تأديبهم واستئصال شأفة الفساد الا ان السبب الذى دعا هؤلاءالأشرار الى اثارة الفتن والقيام فى وجه الحكومة كان هو سوء ادارة من كان في دائرة خورشيد باشا وسيء احوالهم . وبقدر ما كان خورشيد باشا صالحًا عابداً كان مأمورو معيته اراذل اسافل . ورئيس دائرته سليمان بك كان غريباً في احواله واطواره بحيث كانت الخمرة لا ترتفع من رأسه ليلاً ونهاراً وكان منهمكاً تمام الانهماك فى شهواته السافلة وكانت حالته فى السكر تصل به الى حد الجنون وكان فى بعض الليالي يؤدي به الحال الى اشهار السلاح على من حضره. وصادف انه تكدر من سائسه نهاراً فدخل الأصطبل ليلاً ففر من كان هناك من السواس فأخذ في تقطيع حزامات الخيل وصار يضرب فيها فخرجت الخيول ليلاً وصارت تتجول في الأزقة وحصل للأهلين من الرعب مالا مزيد عليه ولم يعلموا السبب الى اليوم التانى وكان جميع من كان مع خورشيد باشا على هذا المنوال الا انه كان لا يظن بأتباعه الا خيراً نظراً لصلاحه حتى انه ما كان ليظن ان معتمده على هذا الصورة ولا كان يظن ان امامه ايضا كان على شاكلة هؤلاء وسائراً سيرتهم.

فكانت احوال رجال حكومة خورشيد باشا تؤثر على احساسات اهالي حلب وتجعل حب الأنتقام ينمو في قلوبهم شيئاً فشيئاً ولما طفح الكيل وبلغ السيل الزبي توجه عصبة منهم الى بيت سليمان بك المذكور واعدموه فى منزله وهجموا ايضاً على دور بقية امراء خورشيد باشا ودار امامه ايضاً واخذوا كل ما وجدوه من آلات الفسق والفجور وساقوا امامهم هؤلاء الامراء وشهروهم فى الأزقة وامامهم ذلك الامام الى ان وصلوا بهم الى المحكمة وقالوا للقاضى ياقاضى حسبك ان تعلم الاستانة بهذا فقط .

ثم ان ذلك الأمام استعمل انواع المخادعات والحيل واقنع خورشيد باشا ان هؤلاء قصدهم اثارة الفتن والعصيان على الدولة فانقلب الامر وانعكست القضية على هؤلاء بحيث دعت الحال ان يتوجه لفيف من وجوه الشهباء وعلماءها الى خورشيد باشا وهو مقيم في الشيخ ابي بكر وصاروا يتلطفون بخاطره ويلتمسون رضاه.

ثم ان خورشيد باشا قطع المؤن والماء عن البلدة وضيق عليها اشد التضييق وبعث العساكر في انحائها وارسل فاستحضر متسلميها وارسل الى ديار بكر لاستحضار العساكر التى ارسلت بمعية سلحدار باشا وارسل الى سلانيك لاستحضار الفي جندى عن طريق اللاذقية وكتب بما قام به من التدابير الى مقر السلطنة. فوصلت تحاريره في ١٨ محرم وكان في ذلك الاثناء حدثت فتن في ديار بكر فكان ذلك سبباً لاضطراب احوال الحكومة فى الاستانة.

ان خو رشيد باشا بالرغم على كونه صالحاً متديناً صافي السريرة نظيف اللسان وبالرغم عن سوء احوال حاشيته فكان الواجب على اهالي حلب ان يرفعوا أمرهم رأساً للدولة لا أن يثيروا الفتن ليؤدى الحال الى اعتبارهم عصاة في نظر الدولة لتسعى في تأديبهم ولكونهم كانوا مستحقين للتأديب (هكذ رأيه ومصلحة دولته تدعوه ان يقول ذلك) اعطي الامر الى متصرف قيسارية ابى بكر باشا بجمع مقدار من العساكر والتوجه الى حلب وكذلك اعطي الامر الى جبار زاده جلال الدين باشا والي آدنة بأرسال عساكر مع قائد الى ديار بكر عوضاً عن العساكر التي استدعيت من دياربكر الى حلب ووعد جبار زاده المذكور لوالي حلب بتقديم كل ما يلزم له من انواع المساعدة فى سبيل تأديب هؤلاء العصاة حتى انه وعده بالمجيء بنفسه اذا اقتضى الحال

ثم ان العساكر التى كانت حضرت من طريق الاسكندرونة وكانت موجهة الى

بغداد ومعها آلات الحرب والمدافع امرت بالبقاء في حلب والالتحاق بمن هنالك من العساكر .

وارسل من هؤلاء شرذمة لنأديب حمود الابراهيم رئيس عشيرة الحديديين لمعاونته العصاة من اهالي حلب ثم حضر الى حلب متسلموا الأطراف مع ما لديهم من العساكر ووصل اليها عساكر سلانيك وعساكر الارناؤوط التى كانت موجهة الى دياربكر وكانت هذه العساكر تأتي الى حلب زمرة بعد زمرة ثم حضر اليها جبار زاده جلال الدين باشا والى آدنة ولطف الله باشا والى الرقة وحضر معهم عساكر ايضاً فصار في حلب قوة عظيمة من العساكر .

ثم حصل وقعة في محلة قسطل الحرامي بين العساكر والعصاة من الأهالى فانكسر العصاة لكنهم لم يخلدوا الى السكينة فاتفق الولاة الثلاثة على الدخول جبرا الى داخل البلدة بما معهم من العساكر فرتب هؤلاء كيفية الهجوم على نفس البلدة فهجموا عليها في ربيع الآخر (اى في سنة ١٢٣٥) وصاروا يطلقون المدافع على اسوار البلدة وقت السحر فخربوا جانباً من السور فدخل منه عساكر الارناؤوط (وكانت مدة الحصار مائة واحدى عشر يوماً) وصار القتال داخل البلدة فى الشوارع والاسواق وكان القتال سجالاً بينهم الى ان أدى الحال الى فرار العصاة من الأهالى ثم دخل الولاة مع ما معهم من العساكر واحتلوا البلدة ثم انهم اعدموا سبعة من كبار العصاة وارسلوا برؤسهم الى الاستانة مع تحريرات فوقع عليها الوزراء الثلاثة وهذه التحارير وصلت الى الباب العالي فى جمادى الاولى فسر الباب العالي لذلك كثيراً وانعم على الولاة الثلاث بخلع من فرو السمور وانعم على خورشيد باشا بخنجر مرصع بثمين الاحجار .

ثم لما كان يدور على الألسنة فى دوائر الاستانة ان اسباب هذا الاختلال فى حلب

واسباب هذه الفتن انما كان لسوء ادارة حاشية خورشيد باشا تقرر ارسال معتمد للتحقيق عن الاسباب التى دعت اهالي حلب الى القيام في وجه الحكومة والعصيان على الدولة فأرسل لهذه المهمة مصطفى نظيف افندي الكاملى وكان ارساله بسعي نقيب الأشراف فى الاستانة عبد الوهاب افندى . الا انه لم يرق في عين خورشيد باشا ارسال مصطفى افندى لأن خورشيد باشا لما كان رئيس العسكر في جهة صوفية كان مصطفى نظيف افندي من رجال معيته بوظيفة امين المنزل ولم يكن ممتنا منه . وكان نقيب الأشراف عبد الوهاب نافذ الكلمة في دوائر الاستانة وكان في نيته ان يعين مصطفى نظيف افندى والياً على حلب بعد ان يعزل عنها خورشيد باشا واسر اليه ذلك واوصاه ان يذهب الى حلب بدبدبة وخفخخة عظيمة فتوجه اليها كما اشار اليه النقيب وزيادة وخورشيد باشا لكونه كان قبل ذلك في منصب الصدارة ومنصب القيادة الأولى وله يد عليا فى دوائر الدولة واطلاع على شؤونها وتطوراتها فقبل وصول مصطفى نظيف افندي الى حلب علم بخفايا ما ينوي له . وبعد ضبط حلب بيومين على الصورة التى تقدمت وصل الى حلب مصطفى نظيف افندي ونزل في مكان قريب من مكان الشيخ ابى بكر . فأوقفه خورشيد باشا فى هذا المكان وبعد ايام طلبه اليه وبعد ان أعلمه انه مطلع على خفايا نواياه اكرمه واحسن اليه وأباح له ان يقوم بالمهمة التى اتى لأجلها .

وبعد ان اخذ المفتش في التحقيق والتدقيق عن اسباب هذه الفتن رفع تقريراً مسهباً بين فيه ان اغراض خورشيد باشا الخفية هي التى كانت السبب لأثارة هذه الفتن وذلك العصيان وايضاً فأن خورشيد باشا قرب اليه من لا يستحق التقريب وابعد من لا يستحق التبعيد واعدم من الأهلين من لا يستحق الأعدام

وكل ذلك نشأ عن مأموري معية خورشيد باشا بما اعتاده من الظلم للأهلين وتناول الرشوة التى لاتطاق منهم في سبيل اغراضهم الفاسدة . ورفع تقارير أخر . الا ان تلك التقارير التى قدمها الى دوائر الاستانة لما كان بعضها يناقض بعضاً تناقضاً بيناً والمساعي التي بذلها خورشيد باشا القيت في زوايا الأهمال وتخلص خورشيد باشا مما كتب فى حقه وفاز بسياسته ودهائه

ومن الغريب انه بعد انتهاء هذه الفتنة واتخاذ التدابير الشديدة اتى مأمور الى صالح قوجه آغا احد المتسلمين لديه واخبره أن البارحة تنازع رجل فقير درويش من دراويش المولوية مع عسكري لأجل عباءة فأخذ الدرويش المسكين وحبس ليلاً وخنق

وصبيحة هذا اليوم حضرت زوجة الدرويش ومعها اولاده الأربع الى بـاب خورشيد باشا ورفعت له عريضة بينت فيها الحال وذكرت انه ليس لديها ما تنعشى به هي واولادها تلك الليلة وان زوجها لم يترك سوى اربعة قروش واستمطرت رحمة الباشا بهؤلاء الأولاد فتأسف الباشا جداً لهذه الحادثة واحسن الى المرأة واولادها بنصف كيس فتعجب صالح آغا من هذا الخبر واستغربه جداً وقـال لذلك الرجل الذي اخبره بالحكاية انه ضرب هذا اليوم ثلاثة مدافع اعلاماً باعدام ثلاثة رجال في هذه الليلة وهذا اليوم لم تزد اجساد القتلى الذين وجدوا فى ميدان القلعة على ثلاثه رجال وانى سأجرى التحقيقات واعلم حضرة الباشا عن الرجل الذى يقتضى ان يعدم واعدم مكانه هذا الدرويش واين فر ذلك الرجل الذي اعطي الأمر باعدامه (قصده انه تبين انه اعدم اربعة والحال لم يطلق سوى ثلاث مدافع فلم كان ذلك) وايضاً اعدم اربعة اشخاص بدون ذنب وترك عوضاً عنهم اربعة مستحقين للأعدام ولم يتركوا الا

لما بذلوه من الرشوة . اخبر بذلك من وقف على حقائق الأمور . وتبين ان قطار آغاسي مصطفى بك له يد في هذه الأعمال الفظيعة فاضطر صالح آغا توجه الى السكوت وهذه الاخبار مندرجة في تاريخ شاني زاده والعهدة على الراوي. ثم قال جودت باشا في ذلك الزمن كان يوجد كثير من اعيان وجوه البلاد على هذه الصفات وليست مختصة في الولايات ومحصورة فيها بل كان يوجد كثير من هؤلاء الرجال في نفس العاصمة ولم يكن للرجل قيمة ولا للدم حرمة وكان يذبح الأنسان كما تذبح الدجاجة الصغيرة (ثم قال) والحاصل انه في ذلك الزمان سواء كان في الآستانة او في الولايات كان يوجد كثير من الرجال قلوبهم قاسية كالحجر الاسود وكان سوء الأدارة في جميع اطراف المملكة بصورة لايمكن التعبير عنها وكان لايوجد طريقة لأزالة هذه الامور الا بتجديد نظامات الدولة وادخال الاصلاح في دوائرها وكان اول من حاز قصب السبق في ذلك محمد علي باشا والي مصر اه

زيادة بيان في ثورة اهل حلب على واليهم خورشيد باشا

قال المراش في مختصر تاريخ حلب. لما افضى الامر الى السلطان محمود العثماني وذلك في سنة ١٢٢٣ شرع في وضع نظام جديد للمملكة مغاير للنظام الذي جرى عليه سلفاؤه ونوى ان ينفي من جنده جماعة المتطوعة المعروفين بالانجكارية لأن استمرارهم في الجيش ينافي النظام الجديد وكان قد صح عنده انهم سيتغلبون عليه كما تغلبوا على سلفائه حتى لم يبقوا لهم من الخلافة سوى الخطبة والسكة واضمر ان ينكبهم نكبة الرشيد للبرامكة وولى على البلاد التي كان فيها فئة منهم ولاة من اهل ثقته وفوض اليهم انجاز ماشرع فيه وعقد على ولاية حلب لرجل من اوليائه يقال له احمد خورشيد باشا وقد تقدم ان حلب كانت على انحطاطها لم تزل من اهم مدن المملكة العثمانية تجارة

وكثرة اهل وكان المسلمون من اهلها حزبين احداهما يعرف بحزب السيدة وهم الأقل عدداً والأعظم شأنا وذلك كان فيهم اكثر الخاصة والاعيان وذوي الوجاهة والمنظورين والآخر يعرف بحزب الأنجكارية وكان فيه الانجكارية انفسهم ومن كان ضلعه معهم من العامة

وكانت نفوس هذه الفئة لم تطب لقبول النظام الجديد لما كان يلزم عنه من نزع امتيازات الأنجكارية وانكسار شوكتهم فلما صارت الولاية لخورشيد باشا المتقدم ذكره واشعروا بما كان السلطان يضمره من قطع دابر الأنجكارية على يده ناصبوه العداوة فثقل الوطأة عليهم وعلى كل من كان قائما بنصرتهم او متصفا بشعارهم من اهل المدينة واقبل يعريهم شيئاً فشيئاً عن كل ما كان لهم من امتيازات قديمة كانوا قد حصلوا عليها وتفردوا بها من حيث هم جند السلطان وحماة آل عثمان فساواهم بغيرهم من الناس فى الضرائب وكانوا قبل ذلك معفيين منها وجعل ينكس اعلامهم ويحملهم من عنفه مالم يألفوه ويتحكم فيهم بهواه حتى لم يبق لهم سبيل الى الشك فى انهم قد اصبحوا على اثر النظام الجديد رعية بعد ان كانوا رعاة وصاروا مرؤسين بعد ان كانوا رؤساء فنقموا عليه ذلك فيما نقموا وعقدوا عزمهم آخر الامر على الثورة به وخلع ربقته من اعناقهم . وكان مما نقموا عليه ايضاً ضربه عليهم ضريبة جديدة سماها خراج الدار واعتزاله اياهم وذلك انه رأى من الحزم وتسهيلاً لأنجاز ما كان شارعاً فيه ان يهجر دار الولاية التى فى المدينة وان يقيم فى قصر حصين مبني على هضبة في شمـالى المدينة يعرف بقصر الشيخ ابي بكر ويستنيب عن نفسه في دار الولاية رجلاً يعرف بالمتسلم وكان هذا المتسلم فظاً غليظا فلم يرتضوه ورغبوا الى الوالي بادئ بدء ان يعزله ويولي غيره وان يعفيهم من تلك الضريبة فابى .

وكان قد مضى عليهم نحو من سبع سنين وهم فى هذه الحالة التى لم يألفوها غير انه كان يتعذر عليهم اجتماع كلمتهم على امر ما وذلك لأن اوجاقهم (١) كان قد الغي وانفرط عقدهم من الجيش على اثر النظام الجديد فلم يبق لهم رئيس نافذ الكلمة يجمع امرهم واصبحوا فوضى وكان الوالي اوجس من عداوتهم ما حمله على اعتزالهم كما ذكرنا وعلى مداومة التيقظ والسهر عليهم فلم يتسن لهم ان يتواطأوا على امر ذي بال انجازاً لما كانوا ينوونه . ثم عن للوالى ان يبارح المدينة بضعة ايام لمناظرة ما كان قد شرع فيه مراراً ولم ينجز قط اعنى جر ماء الساجور الى حلب (٢)فرأوا ان غيابة هذا من سوانح الفرص التى لا ينبغى اهمالها فانتهزوها واجتمع زعماؤهم وتواطأوا على الثورة وشق عصا الجماعة .

ولما كان مساء يوم الجمعة الثاني والعشرين من تشرين الاول سنة تسع عشرة وثمانمائة للميلاد (توافق اواخر سنة ١٢٣٤) خرج مناد من قبلهم وجال في شوارع المدينة بنشد ولداً عمره سبع سنين قد فقده اهله في الساعة السابعة من الليل وكان هذا النداء امارة تؤذن لاصحابهم بما صمموا عليه من الثورة وكان فى الولد الذي عمره سبع سنين اشارة الى انه قد سلبت حريتهم وعروا من امتيازاتهم منذ سبع سنين والساعة السابعة ايماز الى اصحابهم ان يبتدؤا الثورة في تلك الساعة من الليل وكان اول من سمع هذا النداء اهل المحلة المعروفة بقارلق فحملوا سلاحهم وكبسوا

(١) اصل الاوجاق او جاغ حرفته العامة وهو لفظ تركي معناه لغة موقد اي موقد النار واصطلاحا بيت رئيس القوم يجتمعون اليه فيه ثم توسع فيه حتى صار يطلق على الزعيم نفسه ومنه اوجاق الانجكارية اي زعيمهم وقد يراد به نسق اوطائفة من الجند تكون مؤلفة منهم وقد الغي ذلك كله بالنظام الجديد اه منه

(٢) تقدم انه نجز سنة ٧٣١ في ايام سيف الدين ارغون لكن لعدم الأعتناء بأمره سدت مجاريه الى يومنا هذا

منازل الجند السلطاني التي كانت في محلتهم وقتلوا نفراً ممن وجدوه فيها . ثم انضم اليهم اهل باقي المحال التي خارج السور واقبلوا يكبسون ماكان فيها من منازل العسكر ويقتلون من يلقونه فيها الى الصباح ولم يسلم من جند الوالي الذين كانوا في تلك المنازل او في ابواب السور سوى من فاز بنفسه هرباً فلحق بقصر الشيخ ابي بكر اولجأ الى القلعة

وكان في المدينة من قبل الوالي موظفان آخران غير المتسلم احدهما يعرف بالجوخدار والآخر بالأربا اميني فلما علما بالثورة هربا وحث الجوخدار ابنه على الهرب ايضاً اذ كان قد علم انه ليس له بالثائرين طاقة فأبى ان يبرح مكانه فحصره الثائرون ونقبوا عليه داره ففر من السطح الى دار جاره واختفى في مغارة هناك الا ان بعض الناس ابصر به وهو يتساق حاجزاً بين سطحين فدل عليه طائفة من الثائرين فأخرجوه من المغارة وقتلوه ومثلوا به والقوا جثته من احدى الكوى الى البرية

ثم صارت طائفة منهم الى الزقاق المعروف بالطويل وكان فيه منزل لجند الوالي فحصروهم فيه وضيقوا عليهم فأضرم الجند النار في ارجائه فاحترق واحترق معه ماكان يلاصقه من دور الناس فاشتغل الثائرون بأطفاء النار ففاز الجند بأنفسهم هرباً

وقد تقدم ان المتسلم كان مقيماً بدار الولاية وهي في المدينة داخل السور وكان آخرون من اصحاب الوالي وعماله مقيمين بقناقات اي دور داخل السور ايضاً فكان كاتب السر مقيماً بالقناق المعروف بدار بني الجزماتي في محلة العريان وكان المحصل مقيما بدار عمر طه زاده بالقرب من جامع البهرامية في محلة الجلوم فلما علم قاضي المدينة بالثورة اتى دار الولاية وشاور المتسلم في الأمر وقر رأيهما على الخروج من المدينة فخرجا منها اساعتهما وصحبهما ايضاً نفر من الأعيان

المنتمين الى حزب السيّده وفيهم اولاد ابراهيم باشا قطراغاسي وغيرهم ولجأوا جميعا الى قصر الوالي فلما رآهم الوالي وافدين عليه لائذين بقصره وعلم بما تم على جنده اخذته سورة الغضب وامر بتسديد المدافع على محال الثائرين ورماها بكرات الحديد التي يقال لها قنابر في اصطلاح العامة

وفي صباح يوم الأحد الرابع والعشرين من تشرين الأول اتى بعض المنظورين من حزب الأنكجارية الى دار كاتب السر واشاروا عليه ان يخرج هو ايضاً من المدينة وضمنوا له انه لا يتعرض له احد حتى يحصل في مأمنه فأبى الا القتال (١) فهجم الثائرون داره وحصروه فيها ثم نقبوها عليه وقتلوه وقتلوا اثنين وعشرين رجلاً من الجند كانوا معه ثم اتوا دار الولاية وكان فيها اخو المتسلم وقد انضوى اليه صاحب الشرطة ونفر من الشرطة والجلاوزة وخدام الأصطبل والمطبخ وذلك نحو من اربعمائة نفس فحصرهم الثائرون في دار الولاية واحرقوا آخر الأمر ما كان يحاذيها ويلاصقها من الأسواق [٢] وضيقوا عليهم وقطعوا عنهم الميرة مدة اربعة ايام حتى اضر بهم الجوع وخارت قواهم وضعفوا عن الدفاع فنقبوا عليهم وقتلوا منهم نفراً وفر باقوهم الى برج القلعة ولجأ صاحب الشرطة وابنه واخوا المتسلم الى القلعة نفسها وكان ذلك يوم الخميس الثامن والعشرين من تشرين الأول

وكان المحصل قد خرج من منزله وابقى فيه مقدم الأرناؤوط في مائة وسبعة وعشرين رجلاً منهم فحصرهم الثائرون ونصبوا حول المنزل متاريس واقبلوا يرمونهم من ورائها ولم ينالوا منهم ارباً الا بعد مشقة وذلك ان الأرناؤوط تحصنوا بجامع البهرامية وكانوا يطلقون الرصاص من مأذنته وكواه على الثائرين ولا يمكنونهم

(١) قيل انه كان سكيرا وان السكر سول له ان لا يبرح مكانه
(٢) مثل سوق العبي وسوق الدهشة والضرب وقراقاش والصابون

من الدنو ثم اضطروا آخر الأمر الى التسليم وراسلوا فى ذلك زعماء اهل المدينة فجاءهم شيخ من العلماء المنظورين وامنهم على انفسهم ونزع منهم السلاح واتى بهم الى داره مستسلمين

ثم رأى الثائرون ان المصلحة في تخلية سبيلهم فأطلقوهم ثانى يوم بعد ان اجازوهم تحت السلاح (١) ولما مضى على الثورة اسبوع ولم يبق فى المدينة ولا في الربض من جند الوالي احد الا من كان محصوراً في القلعة رأى الثائرون ان الجو قد خلا لهم فطمحت ابصارهم الى التسطي على الوالي فى قصره فخرجوا من الابواب في التاسع و العشرين من تشرين الاول وحلوا في هضبة تقابل القصر وتعرف بجبل العظام (٢) وشرعوا يطلقون منها الرصاص على القصر فأمر الوالي فاطلقت عليهم المدافع واستمر الثائرون والجند يتناوشون القتال اربعة ايام والحرب بينهم سجال حتى عنّ للثائرين من اهل محلة آق يول (اغير) ان يهجموا القصر فهجموه يوم الثلثاء الثاني من تشرين الثاني فانبرى لهم الجند ورفعوهم عنه وكانت هذه اول وقعة ذات بال جرت بين الثائرين والجند وهلك فيها خلق كثير من الفريقين

وكان الثائرون قد رأوا ان امورهم لا تصلح ما لم يكن لهم رؤساء يدبرونهم ويجمعون كلمتهم لا فى امر القتال فقط بل في سياسة المدينة ايضاً اذ كان لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم فاجتمعوا وقدموا على انفسهم رجالاً يركنون اليهم ويثقون بهم وجعلوا ناظورتهم واحداً منهم ذا رأي وحزم يقال له محمد قجة

(١) وذلك انهم شبكوا من بواريدهم ما ينيف على عشرة آلاف بارودة في باب الحديد وجعلوها على هيئة ازج واجازوهم ليلقوا الرعب في قلوبهم ويظهروا للوالي انهم ذوو نجدة وبأس شديد لا ينقصهم العدد ولا العدد فعبروا تحته وافئدتهم تخفق من الخوف اه منه

(٢) ولعل ذلك لكثرة ما يرى فيها من العظام المستحجرة اه منه

فاجتمع هؤلاء المقدمون بعلماء المدينة ومشايخها للمشاورة في الامر وكانوا قد اوجسوا انه اذا طالت مدة الحصار وما يلزم عنه من انقطاع الميرة عنهم واصر الوالي على حبس ماء القناة عن المدينة وكان قد امر بحبسه اضطربت احوالهم فرأوا من الحزم ان يتلافوا الأمر واجتمعوا عند نائب القاضي فى منزله الذى بالمحكمة وذلك يوم الاربعا الثالث من تشرين الثاني وقر رأيهم على شراء ماكان عند الاعيان من القمح وتوزيعه فى الناس فاخذوه وادوا ثمنه الى وكلاء اربابه اذكان اربابه انفسهم غائبين عن المدينة ملتجئين بقصر الوالي ثم رفع العلماء قصة الى الوالي كتبوها عن لسان الاهلين وقالوا فيها انهم لم يحملوا السلاح عصيانا وانما ثاروا لشدة ماكانوا يلقونه من العنف وماكان يبهظهم من الضريبة الجديدة اي خراج الدور سيما وانها ضربت عليهم في سنة قحط وغلاء سعر وذكروا ان اكثر ما يتظلمون منه انما هو ناشئ عن متسلمه وكرروا الرغبة اليه في ان يعفيهم من هذا الخراج وان يعزل هذا المتسلم وينزل هو الى دار الولاية فيلي سياسة المدينة بنفسه كما جرت به العادة فى سائر المدن وان يجمع جنده فى موضع واحد من البلد اذكان يسؤهم ان يكون العسكر بين ظهرانيهم متفرقاً فى منازل شتى متأشبا بهم مساكناً لهم وهو مؤلف فى غالب امره من رعاع الترك وسفلة الارناؤوط ولوحوا له بأن يبنى ما كان قد احترق من الأسواق والأزقة وارسلوا اليه نائب القاضى بهذه القصة فلما اتاه بها لم يصغ اليها صغيا من يومه ورأى من الحزم ان يؤخر الجواب الى الغد . فلما كان الغد اجابهم عليها فقال انه يجدد بناء ما احترق لكنه لا يعفيهم من الخراج ولا ينزل الى دار الولاية وقصارى ما يفعله انه يعزل المتسلم القديم وينصب آخر مكانه ولمح الى متسلم عينتاب وقيل انه وعدهم بالتلميح لا بالتصريح ان يجعل رياسة الشرطة لزعيمهم محمد نجمة

المتقدم ذكره فلم يروا فى ذلك مقنعا

ودامت الحال على ذلك اياما الرسل بين الوالي والأهلين تتردد والمواقع بين الجند والثائرين تتعاقب كل يوم وتتجدد والحرب بين الفئتين سجال اذ لم يكن يتأتى للثائرين ان يستولوا على قصر الوالي ولا للجند ان يقتحموا المدينة ويأخذوها عنوة وذلك لقلة عددهم

وقد اتضح مما كان يدور بين رسل الوالي واهل المدينة ان خورشيد باشا كان عاقداً عزمه على انفاذ امر السطان في جلاء الأنكجارية عن حلب والقبض على زعمائهم الذين تسببوا في الثورة فصمم على ذلك وابى الا بلوغ هذه الغاية وكان رسله في كل محاوراتهم مع الثائرين يقترحون هذا الشرط ويقولون انه لايتم بدونه وفاق وكان الثائرون يأبونه ويقولون ان الأنكجارية اخوتهم واولادهم وقد بذلوا انفسهم دونهم فلن يخذلوهم ابدا وانه ليس ثم زعماء يصح ان يقال عنهم انهم تسببوا في الثورة وانما ثار الناس عامة من فورهم فأما العفو عن الجميع او معاقبة الجميع ولما شعروا بأن محمد بن نجة وكان مقدمهم كما اسلفنا قد بدا منه فتور وجنح الى الصلح على شرط الوالي قرفوه بأنه كان يحاول ان يستأمن لنفسه بالغدر بأصحابه فعزلوه عن الرياسة وقدموا على انفسهم رجلاً آخر

ومما زاد في القاء التنافر وتعذر الصلح ان فئة الانكجارية كانوا قد اشربوا في قلوبهم بغض الوالى والمتسلم متوهمين انهما كان يعملان على جلائهم عداوة ومن تلقاء انفسهما فلذا كانوا اذا اجتمعوا وتشاوروا في امر من امورهم اصروا على اقتراح عزلهما ولما قدم ابن جوبان الى حلب كما سنذكره لك بعيد هذا طمعوا في ان يحملوا السلطان على عقد الولاية له مكان خورشيد وعزب عنهم ان السلطان كان قد قضي بقطع شأفتهم وعقد على ذلك عزمه منذ افضت اليه الخلافة وان

خورشيد باشا والمتسلم ما كانا سوى آلة في يده ينفذ بهما مآربه فلذا تعذر الوفاق وابطأ ابرام الصلح وطالت مدة الحصار حتى انافت على شهرين لم ينقطع القتال فيهما يوماً واحداً

وقد هلك في بعض هذه الوقائع خلق كثر من الفئتين المتحاربتين قيل انه قتل نحو من مائة وخمسين رجلا في وقعة قاضي عسكر الأولى التي جرت في الثامن عشر من تشرين الثاني ونحو من مأتين وخمسين رجلاً في وقعة قاضي عسكر الثانية وهي التي جرت في الحادي والعشرين منه . وكان في هذه الوقعة نحو الف وخمسمائة فارس من جند الوالي يصحبهم سبعة مدافع ومن الثائرين نحو خمسة آلاف رجل سوى النساء ومن خبر هذه الوقعة ان جند الوالي حاولوا اقتحام المحلة المعروفة بقاضي عسكر على حين غفلة من الثائرين اذ كان اكثرهم قد تركوا متارسهم وذهبوا يقيمون صلاة الجمعة في مساجدهم فكاد الجند يستولون على المحلة ونمي الخبر الى الثائرين فتركوا الصلاة وطاروا الى المحلة زرافات ووحدانا وانبروا للجند فأظهر هؤلاء الهزيمة الى ما وراء الكروم وكان ذلك خدعة راموا بها ابعاد الثائرين عن المتارس فانخدع الثائرون وبارحوا متارسهم واتبعوا الجند وابتعدوا نحو ميلين عن المدينة ثم كر الجند عليهم كرة منكرة واثخنوا فيهم فانكسروا وانقلبوا راجعين الى المدينة وتحصنوا فيها ثانية وصدوا الجند عن دخولها عنوة ولما صح عند الوالي بعد هذه المواقع انه عاجز عن قمع الثورة لقلة من عنده من الرجال استنجد السلطان فأوعز السلطان الى ثلاثة من ولاة المدن القريبة ان يسيروا الى حلب بمن معهم من الجند ويقال انه امرهم سراً ان يسعوا في اصلاح ذات البين بالتي هي احسن حقناً للدماء فأن لم يتسن لهم ذلك على وجه لايكون فيه افراط في الحكم ولا تفريط في العنف حتى لا ييأس الثائرون لشدة

العنف ولا يتجرأوا لفرط التساهل فيحسبوا الحلم عجزاً وضعفاً ويتمادوا في غيهم ويتجرأ غيرهم على اقتفاء اثرهم فلينصروا خورشيد باشا بجنودهم

فكان اول هؤلاء الثلاثة قدوما الى حلب لطف الله باشا والي سيواس وصل الى المدينة في السادس عشر من كانون الأول ومعه الف رجل وبعض مدافع وحل بهم في البستان المعروف ببستان الشيخ طه الى الشمال من المدينة ولما ابصر به الجند المحصورون في القلعة اطلقوا المدافع احدى وعشرين طلقة للتسليم عليه فرد عليهم بتسع طلقات على ما تقتضيه قوانين النظام الجديد ووصل بعده بثلاثة ايام باكر باشا والي قيسارية ومعه ايضاً جند ومدافع ثم نزلت الطامة الكبرى بقدوم جلال الدين محمد بن جوبان في اربعة آلاف من الجند وذلك بعد اسبوع من وصول باكر باشا

وكان الثائرون قبل وصول هذه النجدة اضعاف جند الوالي عدداً غير انهم كانت تعوزهم العدد ولو كان لهم مدافع كما كان لجند الوالي وكان فيهم من يحسن ممارستها فما كان يبعد ان يستولوا على قصر الوالي من اول وهلة وقد حاولوا ان يستعينوا غير مرة على ذلك بالمدافع فلم يفوزوا منها بطائل وذلك لأنه لم يكن فيهم من يعرف من امرها شيئاً ولذا لم يغن عنهم عددهم حين كان الوالي في قل من الرجال فلما اتاه مدد السلطان وقدم ابن جوبان بنجدة بأربعة آلاف رجل كما اسلفنا تشدد عزمه ووثق بالنصر ورأى ان وضع الحلم موضع السيف مضر بالسياسة فأبى الا نزول الثائرين على حكمه

وكان المتبحرون في فن الحرب وابوابها وحيلها من قواده وقواد انصاره قد علموا ان الأستيلاء على المدينة لا يسهل عليهم بالسرعة المقصودة ما لم يستولوا اولاً على الزقاق الطويل وهو في الربض الشرقي الشمالي من ارباض المدينة

ازاء القصر وكان الثائرون كثيراً ما يتحصنون فيه ويتسطون منه على القصر فلذا كان جند الوالي قد صرفوا جل همتهم بادي بدء الى الاستيلاء عليه وهاجموه مراراً يحاولون اخذه ولم يستطيعوا فلما اتى مدد السلطان وتكاثر الجند تأتى لهم بعد العنـاء الشديد والجهد الجاهد ان يأخذوه وكان ذلك فى الثالث من كانون الثانى سنة عشرين وثمانمائة والف (اوائل سنة ١٢٣٥ هـ) فلما تم لهم الأستيلاء عليه لم يلبثوا ان استولوا على المدينة بأسرها في بضعة ايام كما سترى وكان حرس القلعة وسكانها والأرنؤوط اللاجئون اليها قد حصرهم فيها الثائرون وقطعوا عنهم الميرة والمدد وكان اذا حاول احد منهم ان يخرج منها فان كان من سكانها ردوه اليها وان كان من الجند او من الأرناؤط قتلوه صبراً اذ كان هؤلاء كالشوكة في جوانبهم وكالشجي فى حلوقهم شديدى النكاية فى الثائرين يرمونهم بالرصاص والقنابر من امد بعيد ويثبطونهم عن الجولان فى المدينة والتنقل فيها الى حيث كانت تدعوهم ضرورة القتال فلذا شددوا عليهم الحصار رجاء ان يكرهوهم على التسليم ويضطرونهم الى النزول على حكمهم وراسلوا فى ذلك مقدمهم مراراً فكان يأباه ويقول انه خادم الوالى فلن يبرح مكانه او يأذن له سيده واستمروا محصورين الى ان انقضت الثورة واستولى خورشيد باشا على المدينة ففرج عنهم وقد تقدم ذكر اهمية التجارة في حلب على ان جل تجارها كانوا يومئذ من الافرنج فلما طالت مدة الحصار وتفاقم الخطب انقطعت قوافلهم وتعطلت متاجرهم فاجتمعوا وضربوا اخماساً بأسداس وكان ايضاً قد بلغهم عن رجل من زعماء الثائرين يقال له ابن عرب ناصر انه لما رأى اشتداد الأزمة على حزبه قال في احدى حانات القهوة ان الثائرين قد بلغ منهم السكين العظم وانه قد آن للأفرنج وقناصلهم ان يسعوا فى حمل الدولة على عزل هذا الوالي وكشف بلائه عن المدينة فقد

اضر الجوع بفقرائها من جري الحصار وانه ان لم يحاول الأفرنج ازالة بعض الشدة عن المدينة بمقدار وسعهم وهم يأكلون خيراتها بمتاجرهم اتخذ الناس من ذلك دليلاً على انهم لاهم لهم سوى مصلحة انفسهم وتهددهم ايضاً بطريقة منحرفة فقال انه لا يأمن اذا اشتد اليأس بالفقراء الجائعين ان يثوروا على الأفرنج وينزلوا بهم ما يكرهون فأوجس الأفرنج خيفة على انفسهم وخشوا غائلة هذا الوعيد واجمعوا على اغلاق ابواب الخانات التي كانوا يقيمون بها واعدوا من من البارود واسلحته ما يذبون به عن انفسهم وعقدوا عزمهم على السعي في الصلح وبذل مجهودهم في ابرامه فراسلوا الوالي في ذلك وذكروا له ماكان الناس فيه من الضيق وما صار اليه الأهلون ولا سيما الفقراء من سوء الحال وحذروه غائلة ما يترتب على ذلك من اليأس وان اليأس كثيراً مايحدو الى ارتكاب الجرائم وسولوا له ان يعدل عن جلاء الانكجارية فقال لهم في جوابه ان جلاء هؤلاء لا بد منه اذ كان قد اناه به امر مشدد من السلطان فلما بلغ ذلك الثائرين تنخوا واخذتهم الحمية فقالوا لو رام الانكجارية انفسهم ان يجلوا عن المدينة طائعين لم ندعهم فاما ان ننجلي عنها معهم ونغادرها خاوية على عروشها او نهلك معهم

وانما كان ذلك منهم ضرباً من نزاع المحتضر اذ كانت قواهم في الحقيقة قد خارت لتطاول مدة الحصار عليهم وانقطاع الميرة عنهم واستيلاء جند الوالي كل يوم على حي جديد من احيائهم منذ تم لهم الأستيلاء على الزقاق الطويل فنخبت قلوبهم وانكسرت عزائمهم واخذ مظافروهم ومظاهروهم يتسللون منهم واحداً بعد واحد حتى اصبحوا في الرابع والعشرين من كانون الثاني وهم نفر قليل لاقبل لهم بجند الوالي وانصاره فجنحوا الى الصلح على شرط الوالي وكتبوا اليه في نزول الانكجارية على حكمه في الجلاء عن المدينة وانهم يرغبون اليه ان ينظرهم ثلثة ايام فأجابهم الوالي الى ذلك

ولما انقضت هذه العدة وذلك في الثامن والعشرين من كانون الثاني صباحاً دخل خورشيد باشا المدينة صلحاً ومعه المتسلم ونحو اربعمائة من الجند ونزل فى دار بنى الجابري في نفر من الجند وتفرق باقوهم في احياء المدينة ثم امر بأصعاد الميرة الى القلعة سداً لرمق حرسها والجنود الذين كانوا فيهاوعاد فى مساء ذلك اليوم الى قصره

الا ان اهل المحلة المعروفة بالقصيلة لما رأوا غرارات الميرة يصعد بها الى القلعة ساءهم ذلك فاستأنفوا الفتنة وتحصنوا بالجوامع وطفقوا يرمون الجند بالرصاص من مآذنها حتى اضطروهم الى الهرب فلما بلغ ذلك الوالي كاد يتميز من الغيظ وامر اصحاب مدافعه ان يرموا المدينة بالقنابر واوعز الى قواده ان يهجموها برجالهم فى ليلتهم تلك ويأخذوها بالسيف اذكان اهلها قد غدروا وصالحوه على دَخَل فهجموها واخذوها بالسيف وعاملوها معاملة مدينة قد اخذت عنوة واستباحوها الى الصباح (١)

وهكذا استتب الأمر لخورشيد باشا وتمكن من فتح المدينة وقمع الثورة فرجا اهل الدعة من السكان وكثير من الثائرين انه سيعاملهم بالرفق والحلم اذ كان الحلم والعفو من مكارم الأخلاق ولأنه كان في نفوسهم انه اخذ المدينة صلحاً ولم يعتدوا بالفتنة الأخيرة. اما هو فقدكان في نفسه انه اخذها عنوة ولذلك رأى ان افراطه في الحلم في هذا الموطن ضرب من التفريط فلم يعف عن زعماء الثائرين جميعاً كما رجوا بل امر بنفر منهم وفيهم ابن لجة نفسه فضربت اعناقهم والقيت جثثهم في خندق القلعة وهرب من باقي الزعماء من هرب واختفى من اختفى فاذكى عليهم العيون وكان من يثقفه منهم يقتله صبراً واستمر على ذلك

(١) وكان عدد ما نهبوه من الدور سبعمائة دار اه منه

اياماً كان عامة الأنكجارية يجلون في اثنائها ارسالاً فلما تيقن انه لم يبق منهم فى المدينة احد منهم يعتد به نادى بالأمان واطمأنت الناس وعادت المياه الى مجاريها اه

(سنة ١٢٣٧)

كان الوالى فيها بيلانلي مصطفى باشا كما في السالنامة . ومن آثاره تجديد العمارة التى على مرقد عماد الدين النسيمى في التكية المعروفة به بالقرب من دار الحكومة ودفن زوجته داخل القبة ولا زال قبرها موجوداً .

ذكر الزلازل العظيمة وما تهدم فيها

قال الشيخ بكري كاتب فى مجموعته فى شهر آب حصل زلازل عظيمة هدمت حارة اليهود والعقبة وسوق العطارين مكثت اربعين يوماً كل يوم هزة وهدمت مكتب اولاد وبيوتاً ودوراً وكثيراً من اماكن البلد حتى اضطر الناس للخروج الى ظاهر البلد واستعملوا بيوت الدف والشعر وانشقت منارة الجامع الكبير مقدار مايسع انساناً ووقع احجار من وسطها من محل الأذان وطبق الشق فى الحال وأثره باق الى زماننا هذا وقد حشي بالحجارة وكان ذلك سنة ١٢٧٨ وقد شاهدت ذلك اه

قال جودت باشا في تاريخه في الساعة الثالثة من ليلة سادس ذى الحجة (١) من سنة ألف ومائتين وسبعة وثلاثين ١٢٣٧ حصل في حلب وكلز وأنطاكية وما يجاور هذه البلاد زلزلة شديدة تهدم فيها كثير من الأبنية وقتل تحت الهدم عالم كثير وأوجبت هذه الحادثة اكداراً كثيرة فى الآستانة اه (٢)

---

(١) وجدت على ظهر كتاب فى مكتبة المولوية بخط بعض الحلبيين ان الزلزلة كانت ليلة الاربعاء فى الثامن والعشرين من ذي القعدة من هذه السنة وهو اصح مما ذكره جودت باشا من انها كانت فى السادس من ذي الحجة اما كونها ليلة الاربعاء فمما لاخلاف فيه كما ستقرأه في الابيات الآتية وقيل كانت ليلة السابع والعشرين كما ستقرأه فى المقامة الترمانينية قريباً

(٢) ذكر عبدالله المراشي في تاريخه مختصر تاريخ حلب ان القتلى نحو عشرين الفا

وقد ظفرت بقصيدة مخمسة لمحمد تقي الدين ابن الشيخ محمد المطلبي وهو قاطن فى ديار حلب فى هذه السنة وهي تصف تلك الزلازل وتذكر البلاد والاماكن التي خربتها وقد اثبتناها على ما فيها من التسامح من ناظمها والتحريف من ناسخها قال

ما لليالي تمادى فى مساويها * والدهر كدر لذاتى وصافيها
والحادثات رمتنى فى دواهيها * والعين بالدمع ما جفت آماقيها
والبيض والسمر ما كلت مواضيها

حلت علينا مصائب اوجبت هرمى * مما الم بنا فى الاشهر الحرم
زلازل لم ترى امثالها ارم * كأنها السيل سيل العارض العرم
او بحر يم طغا من عند منشيها

تزلزل العقل منا والقلوب دوت * والروح ماجت وفي بحر الهموم هوت
وجمرة الحرب في وسط الفؤاد ثوت * اخنت ضلوعي وعينيَّ الغزار كوت
فسال دمعي من عيني ليطفيها

في كل يوم رجيف لا يفارقنا * والأرض تهتز جل الله خالقنا
فى كل آن نظن الدهر خانقنا * والله حافظنا والله رازقنا
كأننا سفن زالت مراسيها

قد حل في ارضنا من كل نائبة * هز وهد وتكدير ورائبة
ووقع دور واوطان ونادبة * وموت اهل واولاد وناقبة
تبكى على اهلها من عاد يحويها

تلك الرزايا تمادت ليس يحصرها * مر الزمان ولا الأيام تقصرها
كأن ارواحنا والدهر يعصرها * عصر العصير ولا الأوقات تنصرها
مثل الدقيق سطت في سوافيها

والنفس فى اصر والقلب في فكر * والأهل في كدر والجسم في ضجر
والخلق فى حذر والارض فيهدر * والعين فى عبر والناس فى سفر
يبكى عليها من الأهوال باكيها

زلازل ما سمعنا مثلها ابداً * ولا زمان مضى في مثلها شُهدا
ولا كتاب ولا خبر بها وردا * ولا سماء ولا جبْل لها رعدا
مثل الرعيد الذي لازال يوحيها

والشهب في الأفق ترمي بيننا شررا * مثل المشاعيل يقفو اثرها اثرا
وفي الاراضي رجيف حير البشرا * وفى الليالي رجيج يقلق البصرا
وفى النهار مشقات نقضيها

والشمس تصهرنا والقر يقهرنا * والذل يحقرنا والترب يسترنا
والهز يزعجنا والدهر يدمرنا * والدار تبعدنا عنها وتخبرنا
ان البلاء ركام فى نواحيها

لعل بارئنا الموصوف بالقدم * وهوالرؤف وذوالألطاف والكرم
بالمصطفى المجتبى والبيت والحرم * يأذنْ برفع البلا عن سائر الأمم
برأفة منه تنجينا وتنجيها

فكم خطوب بأرض الشام قد وقعت * وفي حماة وحمص اعين دمعت
وفي المعرة كم من نسوة فجعت * وارض ريحا وسلقين لقد صدعت
وارض عنتاب ماجت في اهاليها

اين القصير واين الجسر ياسندى * صاروا رميما بلا مال ولا ولد
افناهم الدهر والباقون في كمد * وكم تحصنوا فى حصن وفي زرد
فلم تفدهم وناعي الموت ناعيها

وانظر الى حلب آها على حلب * افناهم الدهر بالزلزال والعطب
تبكى عليهم بنو الأتراك والعرب * أسْفا عليهم ذوي الغايات والرتب
سقاهم من كؤوس الموت ساقيها

كم من شباب وغادات بها فنيت * وكم عيون عليها بالبكا عميت
وكم ديار لهم من اهلها خليت * وكم جسوم لهم في ارضها بليت
اضحى عبيدهم تبكى مواليها

حلت عليهم زلازل اوهنت جلدي * وذاب من وقعها جسمي كذا كبدي
وقرح الجفن دمعي واكتوى جسدي * وخانني الدهر فيهم آه وا ولدي
ومارت الدور من اعلا عواليها

كم من ديار وخانات بها هدمت * وكم مساجد للعباد قد عدمت
وكم موادن فى حيطانها صدمت * وكم نفوس على ما فاتها ندمت
راحوا ضياعا ولم تكفل ذراريها

بالله ياسادتي نوحوا على حلب * واندبوا الفضل والأحسان والأدب
وابكوا اهيل الهدى والجود والحسب * ياليتهم سلموا من وقعة الوصب
او لم يكونوا بليل الأربعا فيها

كانت ديارهم من احسن الدور * كأنها جنة للولد والحور
اتتهم هزة كالنفخ في الصور * وقال رب العلا يا ارضها موري
فمارت الدور وانهدت اعاليها

تلك العلال على اربابها نكست * وفي بحار الزلازل والبلا ركست
تلك الحوانيت تحت الأرض قد طمست * واوجه الخلق من بلواهم عبست
والبوم صاحت سروراً في نواحيها

وانظر الى القلعة الشهباوقد عثرت * في اهلها بعد ما مالت وقد دثرت
وفي الخنادق احجار لها نثرت * وكم نفوس عليها حرقةً زفرت
اسفاً عليها وخانتها لياليها

وكم شموس واقمار بها كسفت * وكم خدود منعمة بها تلفت
وكم اراض بهم وبغيرهم رجفت * وكم رياح البلا من فوقهم عصفت
سادوا وقد خسفت فيهم اراضيها

حزنى على ذلك البنيان والغرف * صاروا رميا بأهل المجد والشرف
عاشوا زمانا بصفو العيش والترف * وعاش بعضهم باللهو والسرف
شادوا بناءً فخاب الآن بانيها

كانوا اناساً يخاف الدهر صولتهم * فخانهم دهرهم واغتال دولتهم
تبكى عليهم مطاياهم ونسوتهم * والمجد يبكيهم ايضاً واخوتهم
والدار تندب من قد كان يحميها

تبكى عيونى اذا نظرتكِ ياحلبُ * دما عليكِ ولم يهتز بي طرب
ما كنت احسب ان الدهر ينقلب * يوماً عليك وتغدو دورك خرب
او حادث الدهر بالهزات يبليها

لعل يوماً اراها مثل عادتها * تدنوا اليها مواليها وسادتها
وتعمر الدار في ايناس قادتها * ويأذن الله في امضا ارادتها
فالله اعدمها والله يحييها

فانظر قراها وايدي الدهر مالعبت * فيها وما فتكت فيها وما ضربت
فأهلها دمرت والدور قد خربت * وما اجارت ولا ابقت ولا وهبت
لكنها سلبت منها اهاليها

ارض الأتارب غارت ثم إِبِّين * ورام حمدان ليس الأمر بالهين
وادلب هدمت وبلاد سرمين * وبنش بعضها ومعارمصرين
وبلاد دركوش قد غارت بمن فيها

يا ادلب اين انت من مواليك * صرت خراباً وقد شتت اهليك
مالي اراكي وقد هدت اعاليك * اغالك الدهر ام شلت اياديك
ام الزمان جنى ام خان واليها

مالي ارى البوم في ساحاتها قطنت * والدور خالية من بعد ماسكنت
والأرض ماجت بهم ياليتها ركنت * تلك الزلازل عليهم بعد ما احزنت
نسائهم وابتلاهم في ذراريها

حيف على ادلب ماكان الطفها * في اهلها والنسا ماكان اظرفها
حلت عليّ بلايا لست اعرفها * تستغرق الكتب لو قد كنت اوصفها
فالله باريهم قد خصهم فيها

دركوش دركوش لم يبق بها دار * ولا رجال ولا انثى ولا جار
وكلهم في بطون الارض قد صاروا * جبالهم فوقهم من هزة ماروا
تبكي الوحوش عليهم ثم عاصيها

من ارمناز بلانى الدهر بالعبر * فبعضهم في الفلا والبعض في حفر
وبعضهم مثخن والبعض في سفر * والدور واقعة والكل في كدر
امسوا مواتا وقاضي الحق قاضيها

ياجسر شغر لحاك الله من وطن * افنيت اهلك لا غسل ولا كفن
قرحت قلبي بالأحزان والشجن * اسفا على كل وجه ابيض حسن
واهيف قد دوت منه مبانيها

وحل في كلز ماحل في حلب * فبعضهم ميت والبعض فى هرب
وبعضهم ناحل والبعض في عطب * وبعضهم في البلا كالنار في حطب
والريح تسفي عليهم من سوافيها

والدور قد هدمت والناس قد عدمت * والنفس ماسلمت من هزة علمت
والخلق ما رحمت لكنها نقمت * والناس ماظلمت لكنها ظلمت
فنالها من عذاب الله موديها

والترك ما تركت ظلما ولا هجرت * والكرد ماعطفت لكنها فجرت
والعرب قد فسقت مالحظة اجرت * والأرض من غير حق بالدماء جرت
من اجل ذلك قد مادت رواسيها

وارض اعزاز ماقرت ولا سكنت * من الأراجيف والزلزال ما ركنت
امست قراها عجافا بعد ما سمنت * واهلها في بطون الأرض قد دفنت
راحوا سكارى وصار الترب واليها

قرى القصير خلت مافيهمُ دارُ * والكل من شدة الهزات قد غاروا
واهلها فى قرار الأرض قد صاروا * والناس في امرهم والله قد جاروا
سارت مطاياهم والموت حاديها

ما اقبح الموت اذ افنى اكابرهم * واصطاد اوسطهم ايضا اصاغرهم
وفرق البين ارغاما عشائرهم * وكدر الدهر قاطنهم وسائرهم
لم يبق منهم سوى آثار ناديها

ربما قراها قراها الدهر كاس ظما * والعين من اجلها شربت كؤوس عما
والبين هدم اركاناً لهم ورمى * والحتف في اهلها كالبحر حين طما
ناداهم الموت فاتبعوا مناديها

وسرمدا وبلاد الحلقة انهدمت * واكثر الخلق مع اموالها انهزمت
ودورها بعضها في البعض اصطدمت * من بعد ماشيدوها القوم واختدمت
واهلها في البلا لا خل ينجيها

هدت انطاكي وهد البرج والصور * وغارت الارض والخانات والدور
واظلم الأفق لم يبدو به نور * ونادى رب العلا يا اهلها موروا
فزلزلت ارضها وانحط عاليها

ولست اعلم نفساً منهم سلمت * من المصائبْ واركان لهم ثلمت
تلك الجبال لهم وديانها لثمت * من رجفة فى جميع الخلق قد عظمت
ياليتنا لم نراها في اراضيها

ومرعش بارتعاش الهز ما برحت * وارض بيلان في بحر لقد سبحت
والروم ظني بها خسرت وماربحت * والترك والكرد ماسلمت ومانجحت
جبالهم قد تساوت مع روابيها

ولست اعلم ما قد صار في البلد * من غير هذا ومن هذا فنى جلدي
نعوذ من شرها بالواحد الأحد * جبار قهار لم يولد ولم يلد
ان شاء اعدمها او شاء يبقيها

وامة الخير بالقرآن هذبها * لولا المعاصي فشت ما كان عذبها
لعلها جحدت حكما فكذبها * وبالزلازل والهزات ادبها
حتى تفيء لأمر الله مهديها

عيناي من كثرة الزلزال قد سهرت * وحادثات الليالي للورى قهرت
آيات خالقنا للخلق قد بهرت * لفظت دراً وافكاري به ظهرت
استغفر الله مما كنت اجنيها

انشأت نظمي وقلبي لازم الفِكَرا * انا التقى وشعري يشبه الدررا
كأنه الشمس تعلو البدو والحضرا * يحدو الحداة بها ان اوجدوا سفرا
يهتز من شدة الأهوال قاريها

بليغة عبقت في ارضنا وسمت * على اللآلي وآناف العدا رغمت
ذادت حواسدها عن نيلها وحمت * عن وردها وقلوب الطاعنين رمت
واخرست كل منطيق قوافيها

رصعتها من يواقيت علت فغلت * وفي الفصاحة سادت في الورى وعلت
واخبرت عن يد الأيام ما فعلت * والجمت كل قلب بالرثا وسلت
ترثي الألى ذهبوا جلت مراثيها

نسجتها حلة تجلى بها الحور * في جيدها درر في وجهها نور
لم يعترى نظمها كذب ولا زور * اذ رمت تاريخها تاريخها الغور ١٢٣٧
تبارك الله ما احلى معانيها

لاتتهموني بكذب انني رجل * قد اخبروني وقلبي هائم وجل
لما سمعت بها انشأتها عجل * ان يكذبوا فلهم من ربهم اجل
او كان قد صدقوا شدنا مبانيها

استغفر الله من جرمي ومن زللي * ان كنت اخطأت في قولي وفي عملي
فأن رحمة ربي منتهى املي * نظمتها درة فاقت على الجمل
تحلو لسامعها الصاغي وتاليها

صلى الاله على المبعوث في الأمم * محمد المصطفى ذو المجد والهمم
خير البرية من عرب ومن عجم * والآل والصحب اهل المجد والكرم
ما فاض فضل من الرحمن باريها

وعمل الشيخ محمد الترمانيني والد الشيخ عبد السلام افندي المتوفى سنة ١٢٥٠ مقامة في وصف هذه الزلزلة ثم تخلص منها الى مدح والى عصره قال بعد الخطبة اما بعد فلما كانت سنة سبع وثلاثين بعد المائتين والألف . حصل في اواخرها ليلة السابع والعشرين من ذي القعدة الهز والرجف . وذلك في محروسة حلب السنية . وما ينسب اليها من القرى والبلاد البهية . فبينما نحن في ثالث ساعةٍ من تلك الليلة نتحدث ولحاظ اعين سرورنا بألبابنا تغزو وتعبث . اذ وردت علينا مقدمات جيوش هازم اللذات وصار كل منا يقول والله ان للموت سكرات . وما ذاك الا دوي كدوي الصواعق . تتدكدك من هوله الشوامخ والشواهق . وما مضت ثانية من الثواني . الا ولم يعرف الواحد منا الثاني . ونفضتنا الأرض عن ظهرها حتى قربنا من السماء . وكدنا نغترف بأكفنا من السحاب الماء . ثم هبطنا للحضيض الأسفل . وعدنا لما وصلنا اليه أول . نحو خمس مرات متواليات حتى ظننا ان الأرض قد اختلطت بالسموات . وان نفخة الفزع قد آن اوانها . وان الساعة قد حانت احيانها . فصرنا اولاً نبتهل ونتضرع . ونستغيث ونارا الخوف بأفئدتنا تتدلع . ثم تلجلج اللسان تلجلج الفأفاء . ولم يبق لنا من الحواس سوى بصر شاخص الى السماء . واستولت علينا ظلمات الغضب . ولم يثبت لأحد في ذلك الوقت عصب . فبينما نحن في ذا الحال اذ نزلت علينا شهب من السماء تتلامع . ورآها غالب من كان في ذات العواصم يتتابع . ثم اشتد الظلام في تلك الليلة حتى غاب سناها . وصار الواحد منا ان اخرج يده لم يكد يراها . فأيقنا اذ ذاك هول يوم القيامة . ثم لما تذكرنا ما اعد لها من العلامة . علمنا ان هذه هي المقدمات . وانها لعبر وعظات . فبعد خمس من الدقايق . زال الظلام من المغارب والمشارق . ونظرنا الى انفسنا كأنا خرجنا من القبور . وعلينا التراب مغط للثياب والشعور . ثم التفتنا الى الربوع والقصور . فرأيناها قاعا صفصفاً

كهيئة الجبال يوم النشور فاشتغلنا بالحسبلة والحوقلة خشية من الاسترجاع واستعذنا بالله من هول تلك الزلزلة وافتقدنا الأهل والأقارب والأباعد والأجانب فاذا قد فقد منهم نحو عشرة آلاف كلهم كفنوا بثيابهم او فراش او لحاف وخرجنا من البلدة الى الصحراء واشتدت بنا جميعنا البلواء الى ان برزت شموس الذات الأحمدية وجالت فرسان الهمة الآصفيه في ميدان روضة بلدتنا البهيه فنادى من قبله منادي السرور ان ابشروا فقد زال العناء من الصدور وقد آن اوان العفو من الرب الغفور فسكنت الأرض واستقرت ولولا الله دامت حركتها واستمرت وانسنا بقدوم جنابه العالى وانما بقدوم جنابه العالى انتظم شملنا كنظم العقود في اللآلى الخ

(اقول) تهدم في هذه الزلزلة ايضاً ماكان امام باب القلعة من الدور الأسواق والمدارس والجوامع يبتدي ذلك من جانب خان الفرايين غرباً الى المحلة المعروفة بساحة الملح والمحلة المعروفة بالمزوّق والمحلة المعروفة بباب الاحمر شرقاً والى حدود محلة القصيلة ومحلة السفاحية شمالاً ولم يبق مما كان ثمة من الأبنية سوى مدرسة خسرو باشا والزاوية المعروفة بزاوية الشيخ تراب وجامع الأطروش والمدرسة السلطانية والحمام المعروفة قديماً بحمام الناصرية المشهوره الآن بحمام اللبابيدية وقد لحق هذه الاماكن شيء من الخراب ايضاً وبقيت تلك الأماكن قاعاً صفصفاً الى سنة ١٣٠٠ فتجدد فيها فى اول هذا القرن ثلاثة خانات شرقي خان الفرايين ثم خان آخر بينها وبين المدرسة الخسروية وهو الخان المعروف بالشونه. وقد دخل فيه بقية سوقين كانا للمدرسة المذكورة كما قدمنا وجدد ثمة في الجهة الغربية مستشفى للغرباء واسع جداً شرع في عمارة هذا المستشفى سنة ١٣٠٢ اثناء ولاية المرحوم جميل باشا وبعد ان ارتفع البناء فيه مقدار ثلاثة امتار

عزل الوالى المذكور فأهمل البناء فيه وبقي على هذه الصورة تأوى اليه الكلاب وارباب الفساد الى سنة ١٣١٧ فسعى رؤوف باشا في اتمامه واهتم لذلك غاية الأهتمام وفى الجهة الشرقية بنى مفتى حلب محمد افندى العبيشي داراً لسكناه وخانا بين داره وبين حمام الناصرية وبنيت دورحقيرة شمالى جامع الأطروش امام المحلة المعروفة بساحة الملح وما عدا ذلك فهو خراب الى هذه السنة سنة ١٣٤٣ .

وفى جانب من هذا الخراب من امام جامع الأطروش الى حمام الناصرية ومنها الى امام باب القلعة الى شرقي المدرسة السلطانية تقام سوق في كل يوم جمعة يبـاع فيها الخضر والفواكه والصوف والقطن والحصر وأوانى النحاس والأخشاب والطيور والدجاج والثياب القديمة والشيت والخام وغير ذلك ويقدر من يجتمع فيه كل يوم جمعة من الصباح الى الظهر بعشرة آلاف وبعض هذا المكان يعرف قديما بدرب المرمى ثم عرف بدرب المبلط قال في كنوز الذهب فى الكلام على الدروب . درب المبلط هو الدرب الآخذ من حمام الذهب الى ناحية القلعة وقد بلطه الظاهر غازى ويعرف الآن بدرب المبلط وسميت حمام الذهب لأنها وقف على الفقراء وكانوا يأخذون منها صدقتهم ذهباً وقد جعل بعضها الآن ملكاً والذي فعل ذلك قرض الله ذريته

والساحة التي هي امام الحمام اتخذت لبيع الدواب في كل يوم وهذا المكان معروف من القديم بسوق الخيل .

سنة ١٢٤٠

كان الوالى فيها كليسلى محمد وحيد باشا كما في السالنامة

(سنة ١٢٤٢)

(ذكر ولاية سيروزلي يوسف باشا)

قال الكاتب فى مجموعته فى حوادث هذه السنة فيها حصل غلاء ووباء (طاعون)

وكان والى حلب يوسف باشا الى ان صار رطل الخبز بناقشلي وعم الوباء اه
قال في قاموس الأعلام هو ابن اسماعيل بك احد اعيان سيروز عين سنة ١٢٣٣
في بعض الوظائف الى يانية ولما كان فيها اتته رتبة الوزارة وعين محافظاً الى
اغريبوز ثم الى صاروخان وفى سنة ١٢٣٨ عين الى حلب (فى السالنامة ان
تعيينه كان سنة ١٢٤٢ وافق فيه ما قاله الكاتب كما تقدم فهو أصح مما ذكره
في القاموس) ثم عين الى كوتاهية ثم منتشا ثم قره حصار وفى سنة ١٢٥١
عين محافظاً الى بلغراد وفى سنة ١٢٥٦ اعيد الى صاروخان وفي سنة ١٢٥٨
عاد الى سيروز وطنه وهناك توفي سنة ١٢٥٩ وكان شاعراً اورد له فى القاموس
بيتين من الشعر التركى

(سنة ١٢٤٣)

كان الوالي فيها رؤف باشا كما فى السالنامة

(سنة ١٢٤٤)

(ولاية علي باشا وقتله لأحمد بك ابن ابراهيم باشا)

هذا لم يذكره فى السالنامة قال الكاتب في مجموعته في سنة ١٢٤٤ احضر يوسف
بك امراً بقتل احمد بك وكان والي حلب علي باشا فقتل احمد بك وهو فى
بستان المفتى ضرب برصاص وهو على درج القصر.

(تفصيل مقتله)

ذكر الشيخ وفا الرفاعى قصة قتل احمد بك في بعض مجاميعه بأوسع من ذلك
فقال كان احمد بك ابن الحاج ابراهيم باشا قطرآغاسى امير الحج الاسبق الذي
تولى حلب امر أن يتوجه الى ارضروم بمائة وخمسين عسكرياً فتوجه من حلب
في ٢٠ من كانون فأصابه عند كرم الخوش حمى معها ذات الجنب فعاد الى حلب
واقام في بستان المفتى وكان والي حلب وقتئذ علي باشا فاتاه الأمر بقتل احمد بك

وذلك ليلة الثلاثا في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٤٤ فتوجه علي باشا للبستان المذكور فتلقاه احمد بك واحسن استقباله وجلسا للمحادثة ثم نهض علي باشا وخرج من باب القصر فخرج لتشييعه وكان علي باشا اوقف ثلاثا من اتباعه بالباب وأعلمهم انه مأمور بقتله وامرهم ان يطلقوا عليه الرصاص متى خرج ولما خرج كما قلنا اطلق عليه القواس باشي الرصاص ثم ثنى عليه الجما شرجي وقيل ثم ثلث عليه المعتمد فخر احمد بك صريعاً فخزوا رأسه وأدخلوا الجثة الى دار الحريم فوقع الصراخ والنواح وصادف اني ذلك اليوم خرجت لوداعه لأنه كان صمم على التوجه يوم الخميس في التاسع والعشرين من الشهر المذكور وجلست بالقرب منهم انتظر ذهابهم من عنده لأدخل اليه فلما وقع الأمر عدت الى البلد ثم سمعت انهم يريدون دفنه تلك الليلة فرجعت الى بستان المفتي ومعي حطب زاده وبعد أن غسلوه مشينا مع الجنازة من بستان المفتى الى التكية المولوية ووصلنا مع العشاء وبعد أن صلينا عليه وكنت انا امام القوم واروه التراب في قبر هناك جديد وكتب على قبره من نظمي

لقد فزت ياقومي ونلت شهادة * وغفران ربي كل يوم مجدد
فعمني عفواً وجاد برحمة * ومثواي في دار النعيم مخلد
ولما دعاني طبت زلفى لقربه * وفي المقعد الصدق المقيم مؤبد
فبشر انى احمد الله أرخوا * وقصري في الفردوس زاه مشيد

قال وكان عفا الله عنه على سنه متكالباً على الدنيا ذا طمع عظيم يحب الأدخار ولا يقنعه شيء يتلو دائماً هل من مزيد من كل شيء. كتوماً رصيناً ولما كنت في الاستانة بقصد الحصول على جهة اتعيش منها انعم علي بمزرعة السربس فأخذتها بالتولية ببراءة ثم شاركت المترجم على النصف فوضع المترجم يده على الكل

وصار يستورد جميع الواردات ولا يعطيني الا القليل منها ذا اصرار اذا خطر له امر يصر على امضائه ولو تبين له غلطه وكان يضمر الغدر لمن عانده او بلغه عنه ما يكدره وتوفق ايام حكومته الى ترميم المسجد الأموي وتعميره والى تعمير سبيل عظيم في باب المقام اكتفى به اهل تلك المحلة واستغنوا عن شراء الماء في اوقات الأحتياج والى تعمير سبيل آخر في محلة تراب الغرباء والى ترميم المشهد المدفون فيه الامام محسن رضى الله عنه وقتل قبل ان تتم العمارة ولعل الله يسمح عنه بسبب هذه الآثار .

والمشهور ان علي باشا أرسل رأس احمد بيك الى دار السلطنة والسلطان وقتئذ هو السلطان محمود وهناك قبض على اخيه مصطفى بيك الذى كان في الأستانة امير أخور اول وعرض عليه رأس اخيه احمد بك وسأله هذا هو اخوك فقال نعم فأمر بقتله فقتل ايضاً ثم ورد الأمر بمصادرة املاكهما التى فى حلب وملحقاتها فصودرت املاكهما وقراها ثم جرى نفي اولادهما وكافة من يلوذ بهما البعض منهم الى سيواس والبعض الى عينتاب والبعض الى امكنة اخرى

(سنة ١٢٤٥)

ولاية ابراهيم باشا ثم علي رضا باشا

قال في السالنامة كان الوالي فيها ابراهيم باشا ثم صار علي رضا باشا

(ترجمة علي رضا باشا)

قال فى قاموس الأعلام هو طرابزوني الأصل بعد أن تقلب فى عدة وظائف صار مدير الأصطبل العامر سنة ١٢٤٤ ثم عين قائمقام لحلب وبعد سنة انعم عليه برتبه الصدارة وعين والياً لحلب وفي سنة ١٢٤٦ شق والي بغداد عصا الطاعة فأمر المترجم بالتوجه الى بغداد فتوجه اليها ووفق في سفره وعين والياً

على بغداد وفى سنة ١٢٥٧ عين واليا على الشام ثم عزل عنها سنة ١٢٦١ وعلى اثر ذلك توفي بالشام وله شعر ذكر منه فى القاموس بيتين

اقول يغلب على الظن ان علي رضا باشا هو المذكور فى حوادث سنة ١٢٤٤ الذي قتل احمد بك قطر آغاسي وبقي الى هذه السنة وان ما ذكره فى السالنامة ان الوالى في هذه السنة كان اولاً ابراهيم باشا ثم علي رضا باشا سهو اعنى انه لم يتول حلب في هذه السنة من يسمى بابراهيم باشا

(سنة ١٢٤٧)

كان الوالي فيها اينجه بيرقدار زاده محمد باشا كما في السالنامة

(سنة ١٢٤٨)

ذكر مجيئ ابراهيم باشا المصري ابن محمد علي باشا الى

(الديار الشامية واستيلائه على عكا ثم على دمشق ثم على حمص وحماة ثم على حلب)

قال اسكندر ابكاريوس فى الباب الثالث من كتابه المسمى بالمناقب الأبراهيمية والمآثر الخديوية (١) ما خلاصته

حدث بين محمد علي باشا ابي ابراهيم باشا المصري وبين عبد الله باشا والى عكا نفور وخصام وكان عبد الله باشا لايركن اليه في امر من الامور عديم الوفاء منقلب الآراء لا يرعى عهداً ولا يحفظ ودا وكان ابوه من مماليك احمد باشا الجزار يقال له علي اغا الخزندار فساعدته يد العناية حتى تمكن من الولاية وجعل دأبه تحصين عكا بالأبراج والأسوار وجمع المال وكان قد استولى عليه البطش واستخفه البطر وطيب العيش حتى حاد عن الطريق واشهر العصيان على الدولة العثمانية املاً بالأستقلال وطمعا فى الأموال ولما بلغ السلطان محمود خان

---

(١) مطبوع في حمص سنة ١٩١٠

ذلك ارسل عسكراً لقتاله تحت راية درويش باشا والى دمشق فحاصره زمناً طويلاً ولما طالت عليه الحال استدعى الامير بشير الشهابي (حاكم جبل لبنان) وارسله الى الديار المصرية ليستميل له خاطر الحضرة الخديوية لأصلاح امره مع الدولة العثمانيه وكان محمد علي له وجاهة كبيرة ومنزلة عند الدولة رفيعة خطيرة فابى دعوته وكتب في شأنه الى القسطنطينية واسترضى الدولة عنه بموجب ارادة سنية فرفعت عنه الحصار غير ان عبد الله باشا كبرت نفسه بعد ذلك وجحد فضل محمد علي باشا واحسانه اليه وسلك معه سلوك اللئام وتكلم فى حقه بما لا يليق من الكلام فلما بلغ محمد علي باشا هذا الخبر كاتب الحضرة السلطانية يعلمه بهذا الشان ويلتمس من جلالته خلع عبد الله من ولايته فلم يكترث بخطابه ولا اجابه على كتابه فاستعظم ذلك الامر ولم يعد يمكنه الاصطبار على ذلك الذل والعار فجهز ولده ابراهيم باشا وامره ان يسير لحرب الديار الشامية واردفه بالعمارة البحرية واصحبه بثلاثين الفاً من العساكر وكان خروجه من الاسكندرية فى غرة جمادى الاولى سنة ١٢٤٧ .

قال جرجي زيدان في كتابه مشاهير الشرق في ترجمة الامير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان وفي سنة ١٨٣١ م قدم المغفور له ابراهيم باشا بن محمد علي باشا لحصار عكة . والسبب الحقيقي لقدومه يكاد يكون مجهولاً لأن المؤرخين قلما افصحوا عن حقيقة ولكننا قد عرفناه ممن عاصر الامير (بشير الشهابى) وكان من حاشيته وسمع حقيقة الخبر من فيه قال. ان محمد على باشا لما قدم اليه الأمير بشأن العفو عن عبد الله باشا تداولا فى امور كثيرة تعود الى التعاضد والتعاون عند الحاجه وكان محمد علي باشا عازماً على توسيع نطاق حكمه بافتتاح سورية وكان يظن صنعه الجميل مع عبد الله باشا والامير يكفى لبلوغ امانيه ولكنه رأى من

عبد الله باشا اعوجاجاً عن غرضه والغالب ان عبد الله باشا كان طامعا بمثل مطامع محمد علي فلما علم بما نواه هذا صار يحاذره .

وادرك محمد علي ذلك فعزم على اختباره والتعويل على تنفيذ مقاصده بالقوة فبعث الى الامير بشير ان يبعث اليه بجانب من الاخشاب التى يحتاج اليها في بناء المراكب فباشر الامير اجابة طلبه فمنعه عبد الله باشا فشق ذلك على محمد علي واعتبره بظاهر الأمر مخالفاً لاوامر الدولة العلية لأن تلك المراكب انما هي للحكومة فجرد لمقاصته حملة تحت قيادة ولده ابراهيم باشا لحصار عكا . ثم قال وبعد ان فتح ابراهيم باشا عكا وقبض على عبد الله باشا وبعث به الى الاسكندرية سار الى دمشق وفتحها .

وهنا ذكر صاحب المناقب الابراهيمية فى الباب الرابع والخامس والسادس تفاصيل الحروب التي كانت بينه وبين عبد الله باشا الى ان استولى على عكا ثم على بقية السواحل ثم على جبل لبنان ثم على دمشق الى ان قال فى الباب السابع

وكانت الدولة العلية لما بلغها قدوم ابراهيم باشا الى سورية وافتتاحه الموانى البحرية عينت السردار حسين باشا وارسلت معه ستين الفاً من العساكر ومائة وستين مدفعاً وعند وصوله الى انطاكية ارسل امامه طليعة من العساكر الى حمص بقيادة محمد باشا البيرقدار (والى حلب المتقدم الذكر) وعند وصوله اليها عسكر بجنده حواليها ولما بلغ ابراهيم باشا وصول هذا الجيش وهو بدمشق استعد لأستقباله وكتب الى عباس باشا يأمره بالمسير من بعلبك الى القصير وكتب الى حسن المناسترلي وكان في طرابلس الشام يأمره بالمجيء الى القصير ثم سار هو بمن معه من العساكر فالتقى بهذين في المكان المتقدم ثم ساروا جميعا منه الى حمص

ذكر انكسار العساكر العثمانية بالقرب من حمص

قال في المناقب كان محمد باشا والي حلب ومن معه من الباشاوات لما بلغهم قدوم ابراهيم باشا اليهم اخذوا في الاستعداد وسار محمد باشا بمن معه من العساكر فالتقى الجيشان في حمص وكانت العساكر العثمانية ثلاثين الفاً ومعها اربعون مدفعاً والعساكر المصرية عشرين الفاً ومعها اربعة واربعون مدفعاً ولما دارت رحى الحرب لم تثبت العساكر العثمانية امام العساكر المصرية ولاذت بالفرار بعد ان قتل منها نحو اربعة آلاف ومن العساكر المصرية خمسمائة وكان سبب الانتصار مهارة ابراهيم باشا في ادارة حركات الحرب

اما محمد باشا فأنه قصد حلب وتبعه اكثر القواد والوزراء واما محمد باشا البيرقدار فأنه بعد انهزامه قصد حسين باشا السردار ليعلمه بتلك الكسرة ويطلب منه النجدة واستحوذ ابراهيم باشا على مهمات الجيش العثماني وذخائره وفرق منها على ضباطه وعساكره واستولى على حمص وحماة وكان قد وقع في يده الفان من الاسارى بين عساكر نظامية وارناؤوط فعاملهم بالرفق والأحسان وادخلهم بين جنوده المصرية وعين لكل واحد منهم راتبا وكتب الى ابيه بمصر يخبره بهذا النصر

﴿ ذكر وصول حسين باشا السردار الى حلب ﴾

﴿ وامتناع الحلبيين من تقديم عسكر له ﴾

قال في المناقب ما خلاصته كان حسين باشا السردار قد خرج من انطاكية طالباً حمص وحماة فبلغه وهو في اثناء الطريق ما حل بعسكره فاضطرب لذلك فؤاده وارتد راجعاً الى الوراء ليجمع شمل العساكر المنهزمة ويأخذ لنفسه الأحتياطات اللازمة ولما اتاه محمد باشا البيرقدار بمن معه من المنهزمين وبخه

ورفسه برجله ونزع عنه سيفه وطرده من امامه ووكل به بعض الخدم ثم اخذ في السير الى ان وصل الى جسر الحديد وهو مكان يبعد عن انطاكية اربع ساعات وجمع ما تشتت من الجنود ثم ارتحل قاصداً حلب ولما وصلها التقى بواليها محمد باشا فأعلمه بواقعة الحال وهزيمة العسكر فازداد حنقاً على حنق وقلقاً على قلق وعند وصوله الى حلب عقد مجلساً حربيا مع الأعيان والعلماء وبعد جلسة طويلة ومذاكرة مستطيلة طلب منهم ان يمدوه بالذخائر والعدد ويقدموا له عسكرا من ابناء البلد فلم يوافقوه على ذلك لأن نفوسهم كانت غير مائلة اليه ولا مؤملة حصول النصر على يديه بل كانوا يحاولون الخروج من قبضة الدولة العلية والدخول تحت طاعة الحكومة المصرية فلما يئس من النجدة والمعونة عزم على المسير الى الأسكندرونة ليقيم فيها الحواجز والقلاع ويجعلها حصن الوقاية والدفاع.

ومما يستحق الاعتبار ان هذا السردار كان قد اجتمع مع قنصل فرانسا في ذلك النهار فاخذ يحادثه في الكلام ويسأله عن حواصل بر الشام وعن اسعار الحرير والحنطة والشعير وغير ذلك من المسائل التي ليس تحتها طائل وبعد ان تناول معه الطعام خرج الى المضارب والخيام وبات تلك الليلة في المعسكر وعند طلوع النهار بلغته الأخبار بقرب وصول ذلك الجبار والليث المغوار ابراهيم باشا فلم يسعه الا الرحيل من هذه الديار فقسم جيشه الى قسمين وارسله الى الأسكندرونة على طريقين الأول سار على طريق كلنز وبيلان وسار هو في الثاني على طريق انطاكية وتبعه والي حلب ووالي دمشق الشام وعند وصوله الى الأسكندرونة اقام فيها .

﴿ استيلاء ابراهيم باشا على حلب ﴾

قال في المناقب الأبراهيمية ان ابراهيم باشا لما استولى على حمص وحماة سار الى

حلب على طريق تل السلطان فمعرة النعمان فحلب وكان وصوله اليها في اليوم الثامن من شهر صفر سنة ١٢٤٨ الف ومائتين وثمانية واربعين هجرية ويوافق ذلك السابع عشر من تموز سنة ١٨٣٢ مسيحية وذلك بعد خروج حسين باشا من المدينة بيومين فاستقبله اهلها بالترحيب والتفخيم ودخلها بموكب عظيم وكان اول من ورد اليه للتهنئة والسلام قناصل الدول العظام ثم جاء القاضي والمفتي (كان المفتي في ذلك الحين محمد افندي الجابري ذكر ذلك الشيخ بكري الكاتب في مجموعته) واعيان البلد وباقي الوجوه والعمد فسلموا عليه وهنأوه وبعد ايام قلائل وردت اليه الكتب والرسائل من عمال تلك الديار تعرب عن تهنئته والانتظام في سلك دولته .

وبعد أن نظم احكام المدينة واذعنت لطاعته جميع الولايات الكائنة في تلك الجهات كديار بكر ونواحيها واورفة وما يليها ونصب بها الولاة والمتسلمين تجهز للأرتحال الى الاسكندرونة للقاء حسين باشا وكان رحيله من حلب في اليوم السابع والعشرين من صفر فوصل الى بيلان في اليوم الثاني من ربيع الأول .

﴿انكسار الجيش العثماني في بيلان﴾

قال في المنافب كان حسين باشا عند مروره ببيلان اقام فيها سبعة عشر ألفاً من الرجالة والفرسان ليقطع على المصريين منافذ الطريق بأقامة الحواجز عند باب مضيقها بحيث كان يستطيع بألف مقاتل يدفع عشرين الفاً بالنسبة الى مركزها الشاهق . فلما اقبل ابراهيم باشا اليها واشرف بجيشه عليها وجدها مشحونة بالعساكر والمؤن فبادر الى الحرب وقسم جيشه الى اربعة اقسام واقام كل قسم في مكان ولما اختبر ابراهيم باشا مراكز الجيوش العثمانية وعرف حركاتهم الحربية امر الآلاي الثامن والثامن عشر من الرجالة وآلاي الحرس ان يسيروا عن طريق كلز

ويصعدوا الى ذروة الجبل ويهجموا على ميسرة الجيوش العثمانية ثم امر حسن بك المناسترلي بالهجوم على الميمنة من الجهة الثانية المعروفة بطريق انطاكية واقام ابراهيم باشا عن يمين ويسار فم الوادي فرقا من خيالة الأجناد ليعضد العساكر اذا ظفروا ويرد العدو عنهم اذا انكسروا . فلما رأت العساكر العثمانية تقدم الجيوش المصرية وهي صاعدة اليها ومشرفة عليها من اليمين والشمال اطلقت عليها المدافع من الجانبين المحكمة على الطريقين فعند ذلك امر ابراهيم باشا عسكره بالهجوم واطلاق المدافع وتسابقت العساكر الى الحرب فاشتبك القتال بين الجانبين واصطدمت الرجال بالرجال وسالت الدماء وكانت ساعة من ساعات القيامة اذهلت العقول واشابت الأطفال وكانت النيران بين الطرفين غير منقطعة غير ان المصريين كانوا في الحرب اكثر انتظاماً واخف حركة واستمر القتال من العصر الى بعد غروب الشمس وكانت جيوش الأتراك قد كلت وقتل منها ما يزيد عن ثلاثة آلاف نفس فعند ذلك اختل نظامها وتمزقت صفوفها فولت الأدبار وتشتت شملها ولم يفقد من المصريين غير اربعمائة وعشرين شخصاً واستولى المصريون على مدافعهم وذخائرهم . وعند طلوع النهار ارسل ابراهيم باشا عباس باشا الى الأسكندرونة في ستة آلاف مقاتل ليقتفي أثر حسين باشا السردار واتفق ان حسين باشا قبل ان تصل اليه اخبار الهزيمة كان موجوداً في دار موسيو مارتينلي قنصل دولة فرانسة فبينما هو يتناول الطعام اذ بلغه هذا الخبر وما حل بعسكره فاستعظم المصاب فنهض للحال بمن بقي معه من الرجال طالباً الهزيمة والفرار وعند وصول عباس باشا الى البلد وجدها مشحونة بالذخائر والعدد فاستولى عليها ثم ارسل سرية اسرت من كان متأخراً من جيوش الأتراك وما زال حسين باشا مجداً في السير الى ان وصل الى قونية

وعاد ابراهيم باشا الى حلب بعد ان كتب الى ابيه من بيلان بما جرى .

(استيلاء ابراهيم باشا على قونية)

في الباب الثامن من الكتاب الموسوم بالمناقب الأبراهيمية تكلم على الحرب التي جرت بين ابراهيم باشا وبين محمد رشيد باشا الصدر الأعظم عند قونية وانتهت بأسر الصدر المذكور واستيلاء ابراهيم باشا على قونية واطال الكلام في ذلك وخلاصته ان الدولة العليه لما بلغها انكسار جيشها الذي ارسلته بقيادة حسين باشا السردار عزلت حسيناً وعينت محمد رشيد باشا الصدر الأعظم واخذت في تجهيز العساكر واما ابرهيم باشا فأنه اخذ في التقدم نحو القسطنطينية وخرج من حلب في الخامس عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة وذلك يصادف الحادي عشر من آب سنة ١٨٣٢ ولما وصل الى آدنة لم يجد فيها من يقاومه فاستولى عليها ثم سار نحو قونية فالتقى هناك بالجيوش العثمانية بقيادة محمد رشيد باشا وكان ذلك فى التاسع والعشرين من رجب من السنه المذكورة وعددها خمسة وخمسون الفاً وكان عدد الجيوش المصريه ثلاثين الفاً وبعد حرب دامت سبع ساعات اسر الصدر وانكسرت الجيوش العثمانية وولت الأدبار واستولت الجيوش المصرية على ما معها من المدافع والذخائر والمهمات واخذ من الجيوش العثمانية ثمانية آلاف اسير وستة وخمسون مدفعاً وقتل خمسة آلاف رجل وقتل من العساكر المصرية ثمانمائة وجرح الف وعشرون شخصاً وبعد انكسار الجيوش العثمانية عاد ابراهيم باشا الى قونية فدخلها ظافراً منصوراً ومعه الصدر الأعظم محمد رشيد باشا وهو اسير فأكرمه غاية الأكرام واحسن معاملته واعطاه المحل ليجلس به وجلس هو بقربه ثم امر ابراهيم باشا بالقهوة

أن تحضر فأبى الصدر ان يشربها وخشي ان تكون مسمومة وطلب شربة من ماء فاحضرت ولما ملأ الساقي الطاس تمهل عن اخذها وشربها فمد ابراهيم باشا يده بسرعة وشرب منها قسماً كبيراً ثم قال له خذ ولاتسيء بنا ظنا

(الصلح بين الدولة العثمانية والحكومة المصرية ورجوع ابراهيم باشا الى سورية)

قال في المناقب الأبراهيمية فى الباب التاسع ما خلاصته لما وصلت اخبار هذه الكسرة الى القسطنطينية اضطرب الباب العالي ولم يبق فى وسعه الا التسليم للقضاء وفكر رجال الدولة فيما يجبر الخلل فلم يجدوا اوفق من الصلح فطلبوا اذ ذاك من فرنسا توسط الأمر فأجابتهم الى ذلك وبعثت وكيل سفارتها البارون دي فارين برسالة الى ابراهيم باشا وبأخرى الى والده محمد على باشا وبعد اخذ ورد تقرر أن تتنازل الدولة العثمانية للحكومة المصرية عن جزيرة كريد وعن آدنة وسورية وتحررت شروط العهد في السادس عشر من ذي القعدة والثامن من نيسان ورجع ابراهيم باشا الى قطر الشام وشرع في تمهيده وتنظيم شؤونه .

قال في مشاهير الشرق في الكلام على العائلة الخديوية ان الباب العالي لما ارسل رشيد باشا الصدر الأعظم جند ابراهيم باشا جنداً كبيراً من البلاد التي افتتحها وسار نحو الآستانة لملاقاة رشيد باشا فالتقى الجيشان فى دسمبر (ك ١) سنة ١٨٣٢ م في قونية جنوبي آسيا الصغرى فتقهقر رشيد باشا برجاله واخترق ابراهيم باشا آسيا الصغرى حتى هدد الآستانة .

فتعرضت الدول وفي مقدمتهن الدولة الروسية فأنفذت الى مصر البرنس مورافيل لمخاطبة محمد علي باشا بذلك وتهديده فبعث الى ابراهيم باشا ان يتوقف عن المسير ثم عقدت بمساعدة الدول معاهدة من مقتضاها ان تكون سورية قسماً من مملكة مصر وابراهيم باشا حاكماً عليها وجابياً لخراج آدنة وقد تم ذلك الوفاق

في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٤٨ الموافق ١٤ ايار سنة ١٨٣٢ وهو المدعو وفاق كوتاهية فعاد ابراهيم باشا الى سورية واهتم بتدبير احكامها وجعل مقامه اولاً في انطاكية وابتنى فيها قصراً وقشلاقات وولى اسماعيل بك على حلب واحمد منكلي باشا على آدنة وطرسوس اما الأجراآت العسكرية فلم يكن يسوغ لأحد ان يتولاها سواه (سنة ١٢٤٩)

(ذكر قتل احمد آغا ابن هاشم)

احمد آغا ابن هاشم هو احد زعماء الأنكشارية في حلب والسبب في قتل ابراهيم باشا له ان ابراهيم باشا لما قفل من قونية وعاد الى حلب اخذ فى جمع العساكر والأستعداد خشية طارق يطرق البلاد على غرة وطلب من الأغوات ان يسلموا اولادهم فترددوا في بادئ الأمر ثم اتفقوا على تسليمهم وقبل سفرهم طلع آباؤهم لوداعهم فرأوهم على حالة مهينة يحتقرون ويشتمون فقال الآباء هذه حالة اولادنا وهم هنا بين ظهرانينا فكيف تكون حالتهم فى السفر فندموا على ما فعلوا واخذوا فى اعمال الحيلة فاجتمعوا في منزل احمد آغا بن هاشم وهناك قرروا قتل ابراهيم باشا ووكيله وكتبوا بذلك عهداً ختموه جميعاً وسلموه لأبن حطب (احد اغوات الأنكشارية) فأخذ هذا ورقة العهد وذهب تواً الى وكيل ابراهيم باشا فحين اطلاع هذا عليها اخذها وسلمها الى ابراهيم باشا فأمر ابراهيم باشا بالتحقيق عن هذه المسألة ولما سئلوا انكروا الا احمد آغا هاشم فانه لم ينكر وقال اني دعوت هؤلاء الى منزلي وقرأت عليهم هذه الورقة واجبرتهم على ختمها وليس لأحد منهم تصنع فأخبر ابراهيم باشا بذلك فأمر بقتله فأخذ وقتل امام قهوة الآغا وبعد قتله بنصف ساعة ارسل ابراهيم باشا امراً بالأبقاء عليه وكان القضاء قد نفذ

وبعد مدة دعا ابراهيم باشا الأغوات الى الشيخ ابي بكر (المكان المعروف) فقعدوا جميعاً امام الحوض الذي هناك فضرب عليهم زنجيراً والقى القبض على جميعهم ثم قتلهم جميعاً وفيهم ابن حطب الذي افشى امرهم

وكان لقتل هؤلاء الأغوات عند الأهالي رنة سرور واستحسان نظراً لتطاير شررهم وعظم ضررهم وكثرة تعدياتهم ونظم الشيخ عبد الرحمن الموقت احدعلماء ذلك العصر وادبائه قصيدة يذم فيها الأنكشارية ويصف افعالهم واحوالهم ويذكر في البيت الأخير منها تاريخ قطع رأس احمد آغا بن هاشم وهي

اهل الفساد شرهم * في حلب الشهباء دائم
طائفة خبيثة * فلا يرى منهم مسالم
ويبغضون زمرة الأ * شراف من كل العوالم
كم قتلوا كم سفكوا * كم هتكوا ستر المحارم
كم بضعوا لآل بيـ * ـت المصطفى بكل صارم
فأبادهم رب العلا * وسطا عليهم كل حازم
ولهم بقايا سفل * ورثوا العداوة والمآثم
اخذوا وبيلا مثل اخـ * ـذ بواشق عند الحمائم
كم مرة قصدوا لأيـ * ـقاع الفساد مع الملاحم
فلم يقدر ذاك ربـ * ـم العرش مناح المكارم
فأتت عليهم دولة الـ * ـمصرى ارباب العزائم
فأستظهروا لفسادهم * ولما تناجوا من جرائم
فنفوا لبعض منهم * لعكة من غير خادم
فقلت في التاريخ جا * وقطعت رأس ابن هاشم ١٢٤٩

وذكر الشيخ بكري الكاتب في مجموعته من هؤلاء الأغوات عيسى آغا وبكور آغا كعدان وذكر اسم وكيل ابراهيم باشا وقتئذ وهو حمزه بك . ولكنه قال ان قتل احمد اغا هاشم كان عند خان الصابون والله اعلم .

قال الكاتب في مجموعته وفي هذه السنة طلب ابراهيم باشا اسلحة الأهالي وفرض على كل انسان بارودة وان لم يكن عنده حتى وصلت الواحدة الى ٣٠٠ ثلاثمائة قرش ونفى ابراهيم باشا بقية الأغوات الى طرابلس . واخذ اولاد الأعيان وألبسهم في الجندية وعمل عسكراً من الأولاد الصغار من اثني عشر الى خمسة عشر سماهم الأفندية وجعل على اهل المحلات فريضة توزع حسب الحال وبنى قشلة في اطراف الكلاسة وصار يأخذ اعمدة الجوامع والأحجار الجسيمة ولكن لم يتمها وبنى قشلة في الشيخ يبرق اهـ اقول وهي ثكنة عظيمة وواسعة جداً ابتدئ في عمارتها من ذلك الحين ولم تتم الا من سنين قلائل نظراً لعظمها وسعة حجمها ولما كان جميل باشا والياً على حلب اقتلع كثيراً من الأحجار المبلط بها جبل القلعة ونقلها الى بناء القشلة المذكورة ومكان تلك الأحجار لم يزل بادياً وهو عن يمين باب القلعة .

قال جرجي زيدان في ترجمة الأمير بشير الشهابي (حاكم لبنان) ثم رأى ابراهيم باشا ان الأمر لا يستتب له الا اذا جرد اللبنانيين والنابلسيين وغيرهم من السلاح فعهد بذلك الى الأمير فجمع السلاح ولم يكن جمعه كافياً لأستتباب الراحة لأن البلاد لم تخضع لحكومته خضوعاً تاماً والدولة لم تفتأ عن محاربته تارة بعد اخرى فقضى ابراهيم باشا في سوريا نحواً من تسع سنوات لم يهدأ له فيها بال

(سنة ١٢٥٥)

حرب نِزِّبْ

قال في المناقب الابراهيمية ما خلاصته وفي سنة ١٢٥٥ هجرية الموافقة لسنة

١٨٣٩ مسيحية صدرت الأوامر السلطانية الى حافظ باشا ان يسير لأستخلاص بلاد سورية فسار فى سبعين الف مقاتل بين فارس وراجل ولما بلغ ابراهيم باشا ذلك استعد لحربه وزحف باربعين الفاً وما زال سائراً حتى انتهى الى نزب وهو سهل فسيح الرحاب بين (بيرهجك) و (عينتاب) وكان وصوله الى ذلك المكان يوم الخميس الواقع في الرابع والعشرين من حزيران فنزل على شاطئ نهر بقرب معسكر الأتراك . ولما استقر به المكان اصدر اوامره الى قواد العساكر ان يكونوا عند الصباح مستعدين للحرب ثم استدعى رجلاً يعتمد عليه يقال له سليمان فأمره ان يسير الى جيش الأتراك ويتجسس احوالهم وينظر بعين فراسته امورهم واوامرهم فسار هذا حتى وصل الى مضاربهم ثم قصد الصيوان الكبير الذي برسم الوزير وبعد أن اختبر الأحوال رجع وأخبره بما شاهد ومما قاله له اني رأيت حافظ باشا فى الصيوان وهو جالس على الديوان كانه ملك او سلطان ومن حوله القواد والأعيان وفى يده ماسورة من الياسمين عليها طقم من الكهرباء الفاخر مرصع بنفيس الجواهر وبينما انا اراقب احوالهم اذ احضرت الخدام مائدة الطعام فكانت عدة انواع فاخرة اكثرها من لحوم الدجاج والضان والحلويات المختلفة الألوان ثم قال له يا سليمان اما وجدت بينهم وزيراً او قائداً كبيراً يفترش الأرض سريراً وينام تحت ظل الشمس والقمر ويسند رأسه الى حجر ولا يبالى بالمشقة والخطر ولا بأنواع الطعام المفتخر فقال له وحق الواحد الأحد انى ماوجدت احداً على هذه الصفة وما هم الا كالعرائس يتقلبون في صدور المجالس فى افخر الحلل والملابس على صدورهم النياشين المرصعة وبين ايديهم الأطعمة المتنوعة فلما زاد كلامه زاد ضحكه وابتسامه وقال له اذا كانوا على ما تقول فسوف نبلغ منهم المأمول (الى ان قال)

وفى اليوم الثانى اشتعلت نيران الحرب ودام القتال نحو ثمان ساعات ونصف كانت عساكر الاتراك قد كلت فتأخرت الى الوراءِ طالبة مرعش بعد ان قتل منها نحو ستة آلاف واسر حافظ باشا قائد تلك الحملة واستحوذ المصريون على اثقالها وذخائرها ورجع ابراهيم باشا ظافراً منصوراً وانتهى الى الاستانة خبر هذا الانكسار بعد ثمانية ايام من وفاة السلطان محمود وجلوس ولده السلطان عبد المجيد

(سنة ١٢٥٦)

خروج ابراهيم باشا من البلاد السورية

قال في المناقب بعد ان انتصر ابراهيم باشا فى حرب نزب حذرت الدول الأفرنجية ان يفتتح القسطنطينية ويجلس على تخت السلطنة العثمانية فاتحدت الدولة الأنكليزية مع الدولة الروسية والنمساوية والبروسيانية على اخراجه من هذه الديار وعقدوا اجتماعاً فى لندن قرروا فيه ان تبقى الأقطار المصرية مع قسم صغير من الديار الشامية ويكون ذلك من بعده لذريته وكلفوا محمد علي باشا بالأنسحاب فى مدة عشرة ايام فعظم ذلك لديه ولم يصادق عليه فاتفقت هذه الدول مع الدولة العلية على اشهار الحرب على الحكومة المصرية وارسلت الدولة الأنكليزية سنة ١٨٤٠ م عمارة بحرية تحت قيادة اللورد دوبرت ستابفورد فضرب بيروت فسلمت فى الحادى عشر من شهر ايلول واضطرت بقية السواحل الى التسليم ولما رأى محمد علي باشا انه اصبح فى مركز حرج ولا يمكنه مقاومة الدول الاورباوية جنح للسلم وسحب عساكره من البلاد السورية بعد حروب عديدة ووقائع هائلة اه

وقال جرجي زيدان في كتابه مشاهير الشرق في ترجمة الأمير بشير الشهابي .

رأت الدول ان ابراهيم باشا لابد من اخراجه من سورية بالقوة فجاء (ريشارد وود) الانكليزي بمأمورية سرية وكان يعرف العربية فأغرى السوريين على كتابة عرض يطلبون فيه من الدولة العلية وسفراء دول انكلترا وفرنسا والنمسا ان يخرجوا الجنود المصريين من بينهم فكتبوا وارسلت الكتابة الى الآستانة فجاء الأميرال نابية فى عمارة انكليزية الى مينا بيروت وبعث يتهدد متسلميها ويبشر اللبنانيين والسوريين بقدوم عمارات اخرى لأنقاذ سورية من الدولة المصرية ثم جاءت العمارة العثمانية وفيها بوارج افرنجية واطلقت المدافع على بيروت فتحققت الجنود المصرية ان الانسحاب اولى بهم بعد ان دافعوا دفاع الابطال وصبروا صبر الرجال اه

(خروج ابراهيم باشا من حلب)

قال الشيخ ابو الوفا الرفاعي في مجموعته ومن خطه نقلت. من الحوادث في شهر رمضان سنة ١٢٥٦ قدوم الحاج يوسف بك شريف زاده الى حلب بشرذمة قليلة من العسكر المجمعين من الاطراف وابتهج الناس لقدومه لانه الحكمدار من طرف السلطنة السنية. وكان ذلك بعد ذهاب ابراهيم باشا المصرى وجنده الذين تجمعوا وتنصلوا من داخل حلب الى الشيخ يبرق وباتوا ليلة واحدة ثم فى اليوم الثانى توجهوا نحو قبلة بعد أن القى الله تعالى الرعب في قلوبهم بأجمعهم ومعهم الأطواب والدواب وكانوا قبل ذلك ارسلوا حريمهم واثقالهم بعد أن باعوا من امتعتهم ما يثقلهم بأبخس الأثمان وبعد رحيلهم من الشيخ يبرق دخل الناس فصاروا يقلعون البلور والحديد والرفوف التي ابقوها اه

تتمة لهذه الفصول او عوداً على بدء

قال الشيخ صالح ابن الشيخ احمد المرتيني الأدلبي الأصل احد افاضل الشهباء

في رسالة له ألفها في المحرم من سنة الف ومائتين وسبعة وخمسين اعنى بعد خروج ابراهيم باشا من هذه البلاد بقليل وهي لطيفة الأنشاء مسجعة على طريقة المتقدمين ويظهر انه صاغ عقودها في ادلب قبل ان يتوطن حلب وقد ذكر فيها وقائع ابراهيم باشا المصري من حين خروجه على الدولة العثمانية واستيلائه على سورية وقونية الى حين مغادرته لها وعودته الى البلاد المصرية ويظهر مما سطره انه لم يكن ممتنا من الحركة التي قام بها ابراهيم باشا ووالده محمد علي باشا وعدهما من الطغاة البغاة ورشقهما بألسنة حداد وعبارة غاية في المرارة وقد رأيت ان ألتقط منها نبذاً اتمم فيها هذا الفصل وأُأيّدُ بها ما تقدم ذكره لما فيها من زيادة الفوائد خصوصاً والمؤلف من اهل ذلك العصر فهو اذا لم يكن ممن شاهد تلك الوقائع بعينه فقد سمعها حين وقوعها ممن شاهدها ورآها قال فى حق محمد علي باشا وفي سنة خمس او ست وعشرين بعد المائتين والف احدث في جميع ممالكه الحادثة الشنيعة والبدعة السيئة الفظيعة اعنى بها البدعة المسماة بالنظام فألبس المسلمين الثياب الضيقة ذات الازرار ونسخ العمامة والثياب التي تزين لابسها الوقار فصار المسلم اشبه شيء بالأفرنجي من اهل الحرب بعد أخذه من بيته موثوقا مساقاً بالشتم والضرب الى ان قال

ثم لا زالت هذه افعالهم فى الاقطار وفي كل شهرين او ثلاثة يقبضون على الشبان من تلك الامصار حتى صارت خالية من الكهول والشبان والرجال الا شيخاً زمنا او أعمى او عطيل الحواس والاوصال فعمت الفاحشه هناك في النساء والأبكار وانكحت الحرة نفسها على ملء بطنها خوفاً من العار وصار الغني فى تلك الاطراف من يملك قوت يومه وليلته وثوباً يستر به ما بين سرته وركبته (ثم قال بعد أن ذكر خروج ابراهيم باشا على الدولة العثمانية ومجيئه سنة

١٢٤٨ الى عكا وحصاره ثم فتحه لها واستيلائه على دمشق الشام) ثم عزم ان يتوجه بجيشه العرمرم لتحصيل مدينة حلب فحينئذ شاعت في جميع الاقطار اخباره وانتشرت في الخافقين احواله وآثاره فتوجهت لملاقاته عساكر مولانا السلطان وسر عسكرهم انج بيرقدار اول وزير من وزراء الدولة قد خان فتقابل العسكران خارج حمص عند البحيرة فثبت لقتاله نحو الألفين والباقون اخذتهم الحيرة مع ان العساكر السلطانية كانت اذ ذاك من الالوف نحو السبعين وعسكر ابراهيم دون العشرين الفاً بيقين فأول من خان وباشر بالفرار سر العسكر انج بيرقدار وفي معيته جماعة من الوزراء وبعض رؤس هذه الأطراف من الوجوه والأمراء فولوا على ادبارهم هاربين تاركين ما وراءهم من العساكر والذخائر والنجاة طالبين الى ان دخلوا بلدتنا المسماة بأدلب الصغرى فصادفوا بها حلول ركاب سردار المملكة الآتي لمعاونة وزير عكة المتقدم ذكرا فحين شاهد منهم السردار الفرار وسوء المنقلب احتوشته مخاوف الدهر فانحاز بهم وبما معه من الأجناد الى مدينة حلب

وقد كانت وجهته الدولة العلية بالذخائر والأجناد الى مساعدة وزير عكة في رد اولي البغي والألحاد فلم يزل ممتطياً مطية التواني والكسل حتى نزل بعكة وغيرها من البلاد ما نزل فأقام والوزراء بحلب اياماً قلائل يلتمس من اهلها مدافعة شر ابراهيم الهائل فلم يجبه احد لمراده واختلف كلمة انصاره واجناده فبينما هو فى لجج الأفكار غارق واذا بخبر توجه ابراهيم نحوه طارق فبادر ومن معه الرحيل والهرب وابراهيم في اثرهم يطلبهم اشد الطلب الى ان وصلوا الى قرب بيلان تصدوا لمحاربته ساعة من الزمان فغلبهم بسحره القاطع وخداع حربه الشائع فأنقلبوا ناكصين على الأعقاب وحاز على ما بقي معهم من الذخائر والأطواب .

(ثم قال بعد أن ذكر توجه ابراهيم باشا الى قونية واستيلائه عليها واسره للصدر حسبما قدمنا) ومنها (اي من افعاله) انه عند ما حصل له في البلاد الأمن والتمكين شرع في تعداد افراد المسلمين الا الصبيان والنساء وبعضاً من مشاهير العلماء ورتب على كل واحد الجزية في كل عام وسماها اعانة الجيش على الحرب والاصطدام فكانت تؤخذ من الذمي باللين والرفق والصبر ومن الشريف بالشتم والضرب والقهر ويعطي المسلم بعد دفعها قطعة قرطاس كي لا يكون بينها وبين الجزية ادنى التباس فمن كان ذا مال اداها من ماله الذي ملكه ومن كان فقيراً تكلف الاستعطاء لينجو من العذاب والهلكة فتؤخذ من الفقير في كل سنة من القروش خمسين ومن الغني ذي الثروة خمساً من المئين (ومنها) ما رتبه على انواع الحبوب وسماه بالشون وعلى جميع الاشجار من كرم وتين ورمان وزيتون (ثم قال) ومنها هدمه لكثير من المساجد والمدارس واتلاف ما فيها من الزخارف والنفائس واخذ احجارها لأن يبنى بها قشلا واصطبلات للدواب حتى صارت رحباتها مواضع المزابل والاقذار وروث الكلاب وقد اتخذ كثيرا من المساجد العامرة مرابط لخيول عساكره ومخازن لآلات حربه وذخائره (ثم قال) ولنرجع الى تتمة ما احدثوه في بلادنا واقترفوه من تعطل احوالنا واسر اولادنا فنقول انه لما صفت لهم الايام بادروا لأخذ الاسلحة من المسلمين على الأطلاق وقطع المرور في الطرق والأسفار الا بأوراق فصار لايخرج الرجل من بلده الا بورقة يأخذها من الديوان وكفيل من اهله يتعهد بعوده الى الاوطان والناس لا يدرون ما قصدهم بذلك ولا يشعرون بما وراء هذا القانون من المهالك الى ان دخلت سنة احدى وخمسين وثلاث وخمسين واربع وخمسين بعد المائتين والف من هجرة سيد المرسلين وقع القبض على اولاد المسلمين في سائر القرى والامصار مع

الترخيص للعساكر بالهجوم على اعراض المسلمين ثلاث ساعات من نهار وذلك لأجل نظامهم الذي اسكنهم دار البوار ونادى عليهم بلسان الحال ياأهل البغي الدمار الدمار (الى ان قال)

ثم لازال ظلمهم في الأقطار ذائع حتى تلاشت الامصار وخربت اغلب القرى وما بقي منها فللعدم مسارع والاكثر من الناس قد هجر الاوطان والعيال وتفرقوا في سائر جهات الأرض وشعف الجبال وانقطعت آمالهم الا من ذي العزة والجلال (ثم ذكر) مجيء حافظ باشا ومعه من العساكر مائة الف او يزيدون ومحاربته لأبراهيم باشا في نزب وانكساره ووقوعه في قبضة ابراهيم باشا وذلك سنة ١٢٥٥ ووفاة السلطان محمود في هذا الأثناء وجلوس السلطان عبد المجيد على كرسي السلطنة العثمانية وتشييده المراكب الحربية الى ان وقفت قبالة مدينة بيروت وعكا ورمتها بالمدافع دكا دكا وسلمتا وبادرت الجيوش المصرية للهرب وانحاز ابراهيم باشا بمن بقي معه نحو الشام وارسل في طلب ماله من العساكر والاجناد المقيمة في البغاظات [الثغور] والقشل والبلاد وامرهم باتلاف ما يتركونه من الذخائر والسلاح وقتل كل من كان عاجزاً عن السير معهم كي لا يعود لوطنه ويرتاح ولم ينته رمضان سنة ١٢٥٦ ست وخمسين ومائتين والف الا وقد خلت منهم الديار ورجع كل اسير الى وطنه وقرت العين بالعين ثم لم تبرح هذه الفئة الباغية تجول في ميدان الجزع والحيرة مع قطع المدد ونقص العدد وضنك العيش وقلة الذخيرة وهم محصورون في مدينة دمشق الشام من غير ناصر لهم سوى سيف القدرة والانتقام الى مستهل شهر ذي القعدة بادروا بالرحيل نحو الاسكندرية وحينئذ زينت الامصار فرحاً بخذلانهم وانعكاسهم وقامت مواسم التهاني والأفراح وبسطت اكف الدعاء لحضرة امير المؤمنين بالألسن الفصاح .

ثم ختم المؤلف رسالته بقصيدة امتدح بها السلطان عبد المجيد ليست من غرضنا وقد افادتنا هذه الرسالة ما كانت عليه الحال في البلاد السورية اثناء احتلال الجيوش المصرية لها في هذه السنوات التسع ويظهر ان ابراهيم باشا لم يتمكن من القيام بشيء من الاصلاحات النافعة والمشاريع العمرانية في هذه البلاد لانشغاله بالحروب تثبيتاً لقدمه فيها واملاً بالاستيلاء عليها استيلاءً نهائياً والذي اراه ان ابراهيم باشا لم يصب في سياسته بتوجيه آماله الى افتتاح البلاد التركية وطموح نظره الى الاستيلاء على القسطنطينية مقر السلطة العثمانية مع علمه بصعوبة هذا المرتقى لان الامة التركية تتفانى دون حصول ذلك والدول الغربية لا تسكت عنه وكان الاولى بابراهيم باشا ان يوجه وقتئذ نظره الى افتتاح بلاد العراق وبافتتاحها يكون قد ضم اليه البلاد الحجازية والاقطار اليمانية ويكون قد صار في قبضته وتحت حوزته جميع جزيرة العرب فيتأسس لديه دولة عربية متنائية الأطراف قوية الشكيمة عظيمة السلطان وحسبه ذلك ويكون حينئذ للأمة الاسلامية دولتان عظيمتان في الشرق تقفان سداً منيعاً امام مطامع الدول الغربية فيه ولو حصل ذلك لما حصل ما كان من الحوادث في الشرق من اول هذا القرن الى يومنا هذا ولكن ارادة الله لم تشأ ذلك وقضاؤه كان بخلاف ذلك

تتمة اخرى لهذه الفصول وذكر تولية ابراهيم باشا لاسماعيل بك

لما استولى ابراهيم باشا المصري على حلب جعل الحاكم فيها من قبله اسماعيل بك كما قدمنا وكانوا يسمونه بالحكمدار وكان هذا يتلقى الاوامر من ابراهيم باشا ويبلغها الاهلين واتخذ له مجلساً مؤلفاً من بعض الأهلين برئاسة هذا الحاكم فكانت العرائض ترفع الى هذا المجلس ويقرر عليها وقد استفدنا ذلك من دفتر من مقررات هذا المجلس عند الوجيه اسعد افندي العينتابي اوله في شوال من

سنة ١٢٥٣ وآخره في ذي القعدة من سنة ١٢٥٤ ويستفاد منه ان الاعانات من زيت وغيره كانت تطرح على اهالي القرى المساكين وان لوازم الجيش كانت تؤخذ بنصف ثمنها الى ثلثي ثمنها وانه قد طرح على الاهالي اعانات وزعت بمعرفة مشايخ الحارات فكان هؤلاء يقبضونها ولا يعطون وصلاً الى الدافع ونشأ عن ذلك تلاعب مشايخ الحارات فيما يقبضونه حتى ادى الحال الى رفع الشكايات الى ابراهيم باشا ولزوم تأسيس مجلس يؤلف من عشرة اشخاص في كل محلة ليناظر قبض هذه الأعانة ويرتفع الأختلاس . واستفيد من بعض المقررات ان اللاذقية وقتئذ كانت مرتبطة بحلب . وان العملة النحاسية كانت تضرب في قلعتها واتخذ ذلك من بعض المدافع القديمة التي كانت بالقلعة ومن النحاس القديم واستفيد منه ان مقدار ما طبخ من الصابون في حلب وادلب سنة ١٢٥٣ كان اربعة وسبعين طبخة ونصف طبخة

(مقدار الصابون الذي يطبخ الآن في حلب)

عدد المصابن الموجودة الآن في حلب عشرة وفي بعض الدور بعض قدور صغيرة تبلغ قدراً كبيرا اي تعادل مصبنة فالمجموع احدى عشرة مصبنة وقبل الحرب العامة التي حصلت سنة ١٣٣٣ كان عدد الطبخات من الصابون يتراوح بين ٤٠٠ الى ٤٥٠ طبخة والطبخة وزنها ثلاثة آلاف وسبعمائة اقة والاقة ٤٠٠ درهم وبعد الحرب العامة اي منذ ست سنوات الى الآن تنازل ذلك الى ٢٥٠ طبخة واسباب ذلك انفصال الأناضول عن حلب ووضع رسم الكمرك على البضائع التي ترسل من حلب الى بلاد الأناضول وصار يؤخذ على طبخة الصابون ٧٥ ليرة عثمانية ذهباً فصار لذلك يطبخ الصابون في كلز ونزب وعينتاب وتراجعت هذه الصنعة هنا الى الوراء بعد ان كانت رائجة رواجاً عظيما ولها اهمية كبرى

بناء مدرسة الأسماعيلية

هذه المدرسة بالقرب من دار الحكومة بينهما خطوات قلائل بناها اسماعيل بك المذكور وكتاب وقفها محرر في ربيع الأول سنة ١٢٥٥ ووقف عليها خمسين كتاباً منها نسخة من شرح العيني على البخارى في ٦ مجلدات والمواهب اللدنية للقسطلاني في مجلد والسيرة الحلبية في مجلدين والمفاتيح الدرية للشراباتي الحلبي وقد تمزق شمل هذه الكتب ولم يبق منها الا القليل نقل في السنة الماضية الى المدرسة الخسروية . ووقف عليها بستان القبار شمالي حلب وطاحونا هناك وبساتين في خانطومان على ضفة النهر هناك وعدة اراض هناك وطاحوناً في قرية الشيخ احمد وتسعة دكاكين وداراً فى حلب وهي الآن تحت يد دائرة الأوقاف وطلبتها ومدرسها يأخذون رواتبهم منها وقد نظم السيد يحي الكيالي مدير الأوقاف دروسها وجعلها مرتبطة بالمدرسة الخسروية وذلك حين افتتاح هذه المدرسة سنة ١٣٤٠ كما قدمنا .

تولية حلب لأسعد مخلص باشا

بعد ان غادر ابراهيم باشا المصري الديار السورية تولى حلب فى هذه السنة اسعد مخلص باشا كما في السالنامة .

قال فى قاموس الاعلام هو آياشلي الاصل ووالده كان مفتياً بها حاز رتبة الوزارة سنة ١٢٣٠ وعين والياً على ادرنة وفى سنة ١٢٤٥ صار والياً على ارضروم ثم صار والياً فى سيواس ثم في صيدا ثم في حلب وفي النهاية صار والياً في كردستان وتوفي وهو والٍ عليها سنة ١٢٦٧ وهو عالم فاضل شاعر ماهر في ادارة امور الدولة بلا مدافع وهو والد سعد الله باشا سفير الدولة العثمانية في ويانة اهـ

(سنة ١٢٥٨)

في هذه السنة كان الوالي فيها وجيهي باشا كما في السالنامة

قال الشيخ بكري الكاتب في مجموعته في هذه السنة اتت الارنووط الى حلب بعد ابراهيم باشا من اشقودرة ومن نواحي الصرب والهرسك وهم نحو ثلاثة آلاف فأقاموا مدة يأكلون فيها الكلاب والجراذين من المراحيض ويشوونها بالأفران قهراً ومن تطرف من اهالي البلد سواء كان صغيراً او كبيرا نساء واولاداً او رجالاً فانهم يفعلون به حتى ضجرت منهم اهالي البلد فقاموا عليهم وحصروهم في خان البيرقدار في سوق الصغير فأمرت الدولة باخراجهم من حلب في هذا التاريخ

(سنة ١٢٦١)

كان الوالي فيها عثمان باشا كما في السالنامة

(سنة ١٢٦٣)

كان الوالي فيها مصطفى مظهر باشا ووقع فيها هواء اصفر

سنة ١٢٦٤ كان الوالي فيها الحاج كامل باشا كما في السالنامة .

سنة ١٢٦٥ كان الوالي فيها ظريف مصطفى باشا كما في السالنامة

ابتداء تحرير النفوس في حلب

قال الشيخ عبد القادر المشاطي في مجموعته في هذه السنة حضر نامق باشا السرعسكر الى حلب ونزل في قناق بهاء الدين افندى القدسى ورتب مجلساً لأجل تحرير نفوس حلب مؤلفاً من محمد اسعد افندي الجابري والحاج اشريف بك وتقي الدين افندي المدرس مفتى حلب وعارف بيك وغيرهم من اعيان حلب فى التكية المنصورية في محلة الفرافرة وبعد سنة صار ناظر النفوس عمر افندى باقي زاده ابن عبد الله افندى قاضى العسكر الحلبي اه ولم يذكر كم بلغت نفوس حلب في ذلك الحين.

(سنة ١٢٦٧)

﴿ ذكر الفتنة المعروفة بقومة البلد واسبابها ﴾

كانت هذه الفتنة يوم الاربعا حادي عشر ذى الحجة من هذه السنة وسببها على ما تلقيناه من عدة اشخاص ممن نثق بهم ان ابراهيم باشا المصري كان طلب من عبد الله بك البابنسي (١) فرساً كان يعرفها وقد كان عبد الله بك اهداها ليوسف بيك اشريف

فعندئذ ارى عبد الله بيك الكتاب ليوسف بك وعرض عليه ان ينتخب بدلها فرسين او ثلاثة مما عنده فامتنع فعظم الأمر على عبد الله بيك وافهم يوسف بيك ان ابراهيم باشا هو ولي نعمته والسبب في ايصال كل خير اليه وليس في وسعه ان يرد له الجواب بالخيبة فلم يفد ذلك واصر هذا على المنع لغاية في نفسه فما كان من عبد الله بيك الا ان ارسل خدامه الى اصطبل يوسف بيك وسحبوا الفرس جبرا فأسرها يوسف في نفسه ثم شاع في هذا الاثناء ان الحكومة مصممة على ضم الويركو واخذ عسكر فراجع اهالي باب النيرب ليوسف بك وكلفهم ان يراجعوا عبد الله بك وانما كلفهم بذلك بقصد اثارة فتنة عليه بقصد الانتقام منه فتجمهر هؤلاء وذهبوا اليه بالطبول والزمور وكان عبدالله بك اذ ذاك مريضاً وكان الخبر قد اتصل به وعلم ما قصد به فاخذ حذره واستنفر من عنده فحضروا

---

(١) عبدالله بك البابنسي اصله من بابنس قرية في شمالى حلب وكان رجلاً اميا وكان شوباصا عند بيت الجابرى او بيت القدسى ولما اتى ابراهيم باشا الى حلب حظي عنده وتقدم لديه الى ان جعله متسلم حلب واستلم زمام امورها واخذ فى جمع الأموال ووشوا به عند ابراهيم باشا فلما احضره وسأله عن ذلك قال له دخلت ولبس عندى سوى ام حمدان (زوجته) وام عركوب (فرسه) فهذان لى وخذ الباقي فضحك منه ولم يأخذ منه شيئاً وكان ابراهيم باشا يعول عليه في مهماته واموره وبقي على ذلك الى ان خرج من حلب .

اليه رزافات ووحدانا ولما وصل اولئك الى بيت عبد الله باشا ووجدوا جماعته مجتمعين وهم شاكوا السلاح وتيقنوا ان لا قبل لهم بهم وحينئذ خرج عبد الله بك اليهم وسألهم عن سبب اجتماعهم ومجيئهم اليه متسلحين ولما كان لابد لهم من الجواب عما سأل سلكوا طريق الاستنباط والحيل تغطية لحقيقة مقاصدهم وستراً لما اكنته ضمائرهم ولو صدقوهم القول لاقتتل الفريقان وقتئذ وهدرت دماء كثيرة فقالوا له انا لا نرضى بضم الويركو ولا نعطى عسكرا فقال لهم تعرفون شغلكم ثم قالوا له ونريد ان ننهب القشلة والنصارى فقال لهم ايضاً تعرفون شغلكم ووجدت هذه الكلمة آذاناً صاغية من الفريق الآخر وما ذلك الا لاستيلاء الجهل عليهم واستحكامه فى قلوبهم فوافقوهم على اقتراحهم وتوجهت الفئتان الى محلة الجديدة وكان رؤسائهم احمد حميده وهو الزعيم وشنكان وابو عبد الله الحشك واحمد العباس والحاج مصطفى سفقلوا والحاج حومد ابن سليطين وعلوش السعيد ومعهم نحو المائتين واخذوا فى نهب محلة النصارى وظلت هذه الفتنة قائمة ثلاثة ايام ولم تكن قاصرة على بيوت النصارى بل تعدت الى بيوت المسلمين ودكاكينهم فنهبوا منها ما امكنهم نهبه من حقير وجليل وانهزم فى هذا الأثناء الحاج يوسف بك اشريف والحاج اشريف وخرجت نساؤهم الى بيوت اخر وقبض هؤلاء الجهلة في ذلك الحين على تقي الدين باشا المدرس مفتى حلب اذ ذاك عند سبيل دالى محمود وكان ماراً في هذا المحل وهو راكب فأنزلوه عن دابته وحاولوا ذبحه فأخذ في ملاطفتهم وموعظتهم فلم يسمعوا قوله فصادف مرور الاستاذ الشيخ احمد شنون الحجار فاخذ في وعظهم وارشادهم ولما له من الحرمة في قلوبهم اصغوا اليه وتركوا تقي الدين باشا وهكذا خلصه الله من ايدى هؤلاء . ولم يقتل في هذه الفتنة من النصارى سوى رجلين عن غير قصد احدهما بطرس حمص من كبار تجار المسيحيين

ولما تفاقم الأمر واتسع الخرق اتخذت الحكومة التدابير اللازمة لأخماد نار هذه الفتنة ووجهت المدافع على محلة باب النيرب وقارلق وبيوت الاغوات الأنكشارية فخربت قسماً من هاتين المحلتين فسكنت عند ذلك الفتنة

وعلى اثر ذلك ارسلت الحكومة محمد باشا القبرصلي الذى تولى الصدارة بعد ذلك فأول عمل قام به ان نفى عبد الله بك البابنسي وابن اخيه محمد اغا والحاج عمر الجاهل ومحمد اغا بازو ورمضان اغا وابراهيم الطبال وعيسى اغا وابنه عمر اغا الى الآستانة ففي الطريق توفي عبد الله بك في جناق قلعة ودفن فيها والآن له هناك قبر واهل البلد يزورونه تبركا ويقال ابن اخيه محمد اغا سمه املا بأخذ منصبه ثم عين محمد باشا لمحمد اغا المكانسى لجمع المنهوبات واستعمل الحكمة في استخراجها وجمعها ثم اعادها الى اربابها ولم يفقد منها الا القليل ويقال ان الحكومة دفعت لهم قيمة مالم يرد عليهم من اموالهم واما ظريف باشا فأنه عزل على اثر هذه الفتنة بمجيء محمد باشا القبرصلي وارسل مع المنفيين الى الآستانة وكريد

اقول يعيش اهالي الشهباء مع بعضهم البعض على اختلاف مللهم ونحلهم على غاية الوفاق والوئام وهذه الحادثة فذة في بابها لا تجد لها نظيرا في تاريخ الشهباء من قبل ومن بعد وقد نشأت من سوء ادارة يوسف بك وعبد الله بيك واذا علمت ان هذا قد كان رجلاً اميا وقد نال ما نال من المناصب بدون استحقاق لها فلا تستغرب اذا اشعل نار هذه الفتنة بسائق الجهل وعدم التروي والتبصر والذي تراه وتستقرئه في تاريخ الحلبيين انهم كانوا اذا جاعوا قاموا واذا ظلموا ثاروا وتأبى نفوسهم ان ترضى به وان تقيم عليه

سنة ١٢٦٨ كان الوالى في حلب عثمان نوري باشا

« ١٢٦٩ « « « سليمان رأفت باشا

(سنة ١٢٧٠)

الحرب بين الدولة العثمانية والدولة الروسية

فى هذه السنة كانت الحرب العظيمة بين الدولة العثمانية والدولة الروسية والسلطان يومئذ عبد المجيد خان وتعرف بحرب القرم وكان النصر حليف الدولة العثمانية وساعدها فيها دولتا فرنسا وانكلتره وقد دوّن هذه المحاربة غير واحد من المؤرخين منهم السيد احمد الدحلاني فى تاريخه الفتوحات الاسلامية وخرج لأجلها من حلب الف وخمسمائة جندى وكان قائد العسكر الحلبي على بك بن يوسف بك اشريف وكان خروجه في ١٥ جمادى الاولى من هذه السنة وامتدحه حين توجهه الى الحرب الشاعر الاديب ابو النور الكيالي الادلبي بقصيدة طويلة في نحو ستين بيتا قال فى مطلعها

خطرت بقوام كالسمهر * هيفا بلواحظها تسحر
فتنت بجمال مشرقة الم وضاح حكى نجما ازهر
سلبت لب العشاق بكوم كب مطلعها الزاهي الأبهر

ومنها
ما همت بغيرك لاوفتى * ليث الهيجاء بطل قسور
العالى المجد علي الجد * عظيم السعد حلا مظهر

ومنها
وشريف الاصل شريف الجد * شريف الأسم على حيدر
ان جاد علٰى متن الدهما * قال الرائى هذا عنتر
او قام لبذل المال ترى * بأنامله مزنا يحدر
كتب الرحمن براحته * (انا اعطيناك الكوثر)

ومنها
خذها ياذا المفضال ولا * تنظر للناظم ان قصر
فيها بشرى بالنصر لكم * والمدح مع السعد الاكبر

وعلى يسموا ارخ جا * وعساكرنا بعلي تنصر
١٠ ٤٠٨ ١١٢ ٧٤٠ ١٢٧٠

(سنة ١٢٧١)

كان الوالي فيها سليمان رحمي باشا

ترجمة لائحة رفعها اسماعيل رحمي باشا للآستانة تبين حالة المعارف وقتئذ

قال غني عن البيان ان حلب من بلاد الدولة العثمانية ومعدودة من البلاد المعتبرة العظيمة ولسان اهاليها هو اللسان العربي الذي هو احلا الألسن وألذها . ومع ان هذا اللسان هو اللسان الأصلي لهم فأنهم لا يأبهون به وفي حال حداثتهم لايرغبون في تعلم الفنون النحوية والصرفية التي هي اساس العلوم الأخرى ويقنعون بتعلم وقراءة القرآن العظيم فى الكتاتيب . وكثير منهم لا يحصلون القواعد العربية كما يجب حتى ان بعض الأطفال يتركون القراءة والكتابة بتانا ويظلون فى ظلمات الجهل . وما يتكلمونه اكثره لا يعلم من كثرة الغلط . وهذه الحال لاتليق بالأهالى مع ما فيهم من الأستعداد الفطرى والفطنة والذكاء ومع كون بعض الطلاب يجتهدون في تحصيل العلوم في المدارس فأنه يقتضى تحرى وسيلة حسنة لتدريس العلوم العقلية والنقليه فى الوقت المناسب لها . وهنا طلب الوالي المذكور تأسيس مكتب رشدي وان يعين لمعلمه كل سنة ثمانية عشر الفاً من القروش .

وبعد سنوات قلائل تأسس هذا المكتب في المدرسة المنصورية في محلة الفرافرة وكنت في عداد تلامذته سنة ١٣٠٤ وحزت الشهادة منه في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٠٦ وكان مديره الشيخ محمود افندي لامع وهو رجل فاضل من اهالي كلز له المام باللغة العربية وكان ذا همة ونشاط

على علو سنه حريصاً على التعليم حسن الأخلاق عاد بعيد هذا التاريخ الى وطنه ولم اقف على السنة التي توفي فيها رحمه الله تعالى

تعيين حمدي باشا

وفي هذه السنة عين لولاية حلب حمدي باشا

(سنة ١٢٧٢)

كان الناس يشربون الدخان المعروف بالتتن بواسطة بودقة يوضع فيها التتن ويوضع عليها النار وتوضع هذه البودقة في انبوبة طولها من شبر الى نحو ذراعين تدعى الغليون وللناس اعتناء كبير في هذه البودقة وهذا الغليون ويتغالون فى اثمانها وفي صناعتها ويضعون في طرفها الذي يمتصون منه الدخان احجار الكهرباء الصفراء .

ففي هذه السنة بطل ذلك وصاروا يمتصون ذلك بوضع التتن فى ورقة صغيرة رقيقة يلفون فيها التتن وهي التي تدعى بالسيكارة الى يومنا هذا .

وفي هذه السنة صار الناس فى عقود الأنكحة يحضرون المنشدين وقبل اجراء صيغة عقد النكاح يديرون عليهم اطباق الحلوى ولم يكن فى ذلك الوقت سوى الحلوى التي تسمى بالراحة وبعد اجرائه يديرون عليهم كاسات الشراب

(سنة ١٢٧٣)

كان الوالي فيها اشقودره‌لي مصطفى باشا كما في السالنامة

انشاء المطبعة المارونية

قدمنا ان حلب كانت اسبق البلاد السورية الى فن الطباعة وان وجودها فيها كان سنة ١١١٤ غير انه لم يعلم كم بقيت هذه المطبعة ومتى اهمل امرها . ولم تزل حلب خالية من ذلك الى سنة ١٢٧٣ (١٨٥٧م) ففيها انشئت المطبعة المارونية

قال في مجلة المشرق (١) اما انشاء المطبعة المارونية في حلب فكان سنة ١٨٥٧ من الحميد الاثر يوسف مطر واول العملة فيها هو الداعي (نيقولادس كيلون) واول مدير كان الخواجا سليم مطر خطار من بيروت اقام نحو سنة فخلفه في ادارة المطبعة القس فرنسيس هرون الى سنة ١٨٧٠ وكان مديرها الثالث صاحب الامضاء منذ ١٨٧٠ الى ١٨٩٦ اي نحواً من سبع وعشرين سنة ثم سلمت الى الخواجا سليم مطر وهو فيها كعامل ومدير لها . ثم سرد ما طبع في هذه المطبعة ومن جملة ذلك ديوان الفارض ديوان فرنسيس مراش المسمى نظم اللآلى للمحبر الشمالي . غابة الحق له اه

اقول ثم تتابع انشاء المطابع اهمل بعضها وبقي بعضها وفي الشهباء في هذه السنة وهي سنة ١٣٤٣ اربع عشرة مطبعة من ضمنها مطبعة الحكومة ومطبعتي التي دعوتها (المطبعة العلمية) وقد اسستها سنة ١٣٤١ بالاشتراك مع السيد عبد الغفور المسوتي مدير المدرسة الفاروقية التجهيزية وولدي محمد . غير ان حالة حلب العلمية والتجارية لا تتحمل هذا العدد من المطابع فهي لذلك غير رائجة والكساد قد استولى على جميعها.

سنة ١٢٧٤ كان الوالى فى حلب الحاج كامل باشا

»	١٢٧٥	»	»	»	»	محمد رشيد »
»	١٢٧٦	»	»	»	»	اسماعيل »
»	١٢٧٧	»	»	»	»	عصمت »

سنة ١٢٧٩

تولية حلب لثريا باشا وتشكيله متصرفية دير الزور

قال في قاموس الأعلام هو ثريا باشا ابن عثمان باشا الكرجي ولد بالآستانة

(١) جلد ٣ صحيفة ٣٨٥

سنة ١٢٤١ وبعد ان اتم التحصيل عين في غرفة ضبط الديوان الهمايوني في الباب العالي وبعد ان تقلب في عدة مناصب عين رئيساً للكتاب في سفارة باريس وفي سنة ١٢٧٥ حاز رتبة البكلربكية وعين متصرفاً للقدس الشريف وفي سنة ١٢٧٩ رقي لرتبة الوزارة وعين والياً على حلب وتوجه اثناء ولايته الى دير الزور ومعه قوة عسكرية وسبب ذلك ان طائفة من العربان هناك صارت تقطع الطرقات وتخيف السابلة فقمع ثائرتهم وقطع دابرهم واعاد الأمن الى نصابه وشكل متصرفية دير الزور في ذلك الحين وجعل فيها حكومة فكوفئ على ذلك برتبة المجيدي الأول (ثم ذكر تقلباته في المناصب العالية الى ان قال) وفي سنة ١٢٩٥ نقل الى سيواس فتوفي فيها سنة ١٢٩٦ وكان عالماً اديباً محباً للعلماء راغباً في ترقية العلوم وكاتباً في اللغة التركية والأفرنسية وادخل اصلاحات كثيرة على الولايات وابقى فيها بعضاً من جليل آثاره اهـ

معلومات عن دير الزور

وضع وجيه بك الجزار الذي كان مفتشاً للأمور الأقتصادية في دولة حلب منذ سنتين تقريراً مسهباً عن المعلومات الزراعية والأقتصادية والأدارية عن متصرفية دير الزور اجاد فيه كل الأجادة وهو يدل عن بحث كثير وتدقيق قدمه الى المتصرف وقتئذ خليل افندي الأزن وقد اطلعنا عليه واخترنا منه ما يهم الوقوف عليه من احوال تلك البلدة وما الحق بها ولو اثبتنا الجميع لطال ذيل الكلام لأنه يبلغ نحو ستين صحيفة من تاريخنا . قال تحت عنوان

تطورات دير الزور الادارية

لم يكن لواء دير الزور حتى سنة ١٨٦٤ (١٢٧٩هـ) ملحقاً لولاية او سنجق كلا

ولم يكن تابعاً لدولة ما .

في اوائل ١٨٦٤ افتتحه ثريا باشا والي ولاية حلب اذ ذاك حيث جاءه بحملة عسكرية تتألف من اربع كتائب (طابور) بقيادة كولونيل (بيكباشى) وجعله قضاءً مربوطاً بولاية حلب وبعد أن ركز فيه قائمقاماً ومأمورين قفل راجعاً الى حلب من دون ان يشكل له نواحي ترجع بأمورها اليه .

بتاريخ ١٨٧٠ م قلب القضاء سنجقاً تابعاً ايضاً لولاية حلب ولم يكن له اقضية او نواح ايضاً في اواخر عام ١٨٧٠ وفي زمن المتصرف ارسلان باشا جرت تشكيلات اللواء الادارية فصار كل من الرقة والصبخة والعشارة والبصيرة وابو كمال والشدادي وسنجار ونصيبين ورأس العين وويران شهر ومسكنة قضاءً وصارت تدمر ناحية مربوطة بمركز السنجق وتل عنصر ناحية ملحقة بقضاء سنجار ورورينة ناحية ملحقة بقضاء نصيبين وكل من كيلي ودقوري وميالي وخاجان ناحية مربوطة برأس العين والسنجق الحق بجميع اقضيته ونواحيه هذه بولاية حلب .

قبل انقضاء عام ١٨٧٠ وبعد اكمال التشكيلات المذكورة ذهب المتصرف ارسلان باشا المشار اليه الى الآستانة وفك ارتباط سنجق دير الزور عن ولاية حلب وجعله سنجقاً مستقلاً مرجعه عاصمة الخلافة رأساً

وفى سنة ١٨٧٦ ربط قضاء سنجار بولاية الموصل وقضاء نصيبين بسنجق ماردين الملحق بولاية دياربكر وقضاء مسكنة بولاية حلب وعاد ارتباط دير الزور بولاية حلب كما هو سابقاً

وسنة ١٨٨١ فى زمن المتصرف الفريق حسين باشا استعاد السنجق استقلاله وانفك عن ولاية حلب وصار مستقلاً مربوطاً بعاصمة الدولة المركزية اذ ذاك

وعام ١٨٨٣ انسلخ قضاء الرقة عن سنجق دير الزور وارتبط بولاية حلب

وعام ١٩٠٩ ارتبطت ناحية القائم بقضاء البوكمال وانسلخت من قضاء عانة المربوطة بولاية بغداد

وعام ١٩١١ ارتبطت ناحية تدمر بقضاء حمص الملحق بسنجق حماة وانسلخت من سنجق دير الزور

عام ١٩١٤ ارتبط قضاء عانة بسنجق دير الزور وانسلخ عن ولاية بغداد وكان له ناحيتان هيت وحديثة

وعام سقوط بغداد بيد الأنكليز ارتبط قضاء الدايم الذي حال الأحتلال البريطاني بينه وبين بغداد بسنجق دير الزور

وعام ١٩١٨ عاد ارتباط قضاء الرقة بسنجق دير الزور وانسلخ عن ولاية حلب.

وعام ١٩١٨ انسحبت الحكومة التركية وتركت التشكيلات الأدارية كما هو مسرود اعلاه وكانوا عازمين ان يجعلوا في العام القادم كلا من ناحيتي السبخة والحسجة قضاء يربط بكل منهما نواحي تجاورهما .

[اقول] وفي هذه السنة وهي سنة (١٩٢٥) م (١٣٤٣) صار هذا اللواء مرتبطاً بالشام رأساً كما صارت ولاية حلب ومتصرفية اللاذقية مرتبطة بها ايضاً وذلك حينما تشكلت الوحدة السورية وتشكلت الوزارة في دمشق .

الموقع والحدود والانهار التي فيها

دير الزور على شاطئ الفرات من الضفة اليمني جهة الشامية على اراض سهلة متشكلة من الرسوبات النهرية التى اتت بواسطة مياه الفرات من اعالي الاناضول واقعة مابين ٣٣ — ٣٧ في درجة العرض و ٣٧ — ٤٠ في درجة الطول ومرتفعة عن سطح البحر ١٨٠ متراً تقريباً . القصبة بشكل مستطيل من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي على امتداد نهر الفرات طولاً وعرضاً سبعمائة متر

حدود اللواء الطبيعية

شمالاً ديار بكر ، ماردين واورفة وقسم من حلب . غرباً حماة وحمص وتدمر والشام . جنوباً قسماً من الشام وحكومة الاردن ثم تتصل بحدود العراق في قضاء عانة التابعة لبغداد شرقاً ايضاً والموصل . بعدها عن حلب ٣٥٠ وعن تدمر ٢٥٠ وعن الشام ٤٨٠ وعن بغداد ٥٧٠ وعن الموصل ٣٨٠ كيلو متر . لا يوجد بوسط صحراء هذه المدن بلدة معمورة غير بلدة الزور فلذلك يليق ان يطلق عليها اسم (مدينة الصحراء)

نهر الفرات العظيم يشق اللواء الى قسمين يبتدأ من لواء اورفة (تركيا)ومنبج (سورية) شمالاً ويدخل حدود العراق في قضاء عانه جنوباً بطول ٥٨٠ كيلومتر منها ٢٧٠ كيلو متر داخل لواء الزور والبقية لحلب فالجهة اليمنى نظراً لانحدار النهر يطلق عليها قطعة الشامية والجهة اليسرى يطلق عليها الجزيرة .

فالاراضي بجهة الشامية اكثرها سهول وطبيعتها كلسية ويوجد سلسلة جبل بوسط سهل الشامية يبتدئ من جنوب وشرق اثريا الى ان ينتهي مافوق التبني التي تبعد عن الدير شمالاً ٣٥ كيلو متر ويطلق عليه جبل البشرى فنظراً لقلة الأمطار قد انحصرت الزراعة الى ساحل الفرات في الاراضي الرسوبية التي لا تعلو النهر اكثر من ستة امتار . فحدود جهة الشامية الادارية الآن من الشمال الزيارة من قضاء الرقة وغرباً ابو فياض وجبل البشرى من قضاء منبج وتدمر من دولة الشام وجنوباً الصحراء الذي يحادد حكومة الاردن وثم جرد درناج على شاطئ الفرات التابع لناحية القائم فى قضاء عانة التابع لبغداد .

واما الجهة الثانية الواقعة على يسار الفرات التي تسمى بالجزيرة فجميعها سهول واراضيها رسوبية متسعة الأرجاء حدودها الادارية جنوباً ناحية القائم الباغوز شرقاً البديع

وام الذيبان اللتين يبعدان عن الدير ١٥٠ كيلو متراً وشمالاً خط حديد بغداد من نصيبين الى تل ابيض وقضاء الرقة وبوسط هذه السهول يرتفع جبل العزيز يمتد طولاً من الشرق الى الغرب تقريباً ٥٠ وعرضاً من الشمال الى الجنوب ٢٠ كيلو مترا الحاوي على كثير من اشجار البطم والفستق ثم ينبع عين ماء من نقطة رأس العين الواقعة جنوب خط بغداد وتنحدر الى الجنوب بعد أن تنضم اليها عيون كثيره وتشكل نهر الخابور فيشق هذا النهر قسم الجزيرة الى قسمين من الشمال الى الجنوب ويقطع مسافة ٣٠٠ كيلو متر تقريباً ثم يختلط بنهر الفرات فى نقطة البصيرة تجاه قضاء الميادين داخل اللواء.

مساحة لواء دير الزور

مساحة لواء دير الزور القريبية شامية وجزيرة تبلغ ستون الف كيلو متر مربع على الأقل

الانهار

١ — كما ذكرنا آنفا اعظمها نهر الفرات الذي ينبع من سفاح جبال ارزنجان وارضروم ويخترق الاناضول فيدخل سورية من محطة جرابلس فيمر من قضاء منبج والرقة بدولة حلب ثم يدخل اللواء الى ان يصل منتهى قضاء ابو كمال فيدخل فى قضـاء عانة والعراق ويصب فى شط العرب . فطوله داخل اللواء ٢٧٠ وداخل دولة حلب عموماً مع اللواء ٥٨٠ كيلو متر .

٢ — نهر الخـابور : ينبع من رأس العين التى هي محطة بغداد فيمر من وسط الجزيرة من الشمال الى الجنوب وبعد ان يقطع مسافة ٣٠٠ كيلومتر تقريباً يصب في نهر الفرات بنقطة نـاحية البصيرة جنوب شرقي دير الزور .

ثم ذكر الأنهر التى تصب فى نهر الخابور من الشمال الى الجنوب والانهر التى تصب على نهر جغجغ والأنهر التي تصب على نهر الرد ثم ذكر الجداول ثم العيون

وهي كثيرة والذي يظهر لك هنا ان الاستفادة من هذه الأنهار وهذه الجداول والعيون قليلة جداً

ثم ذكر الآبار التي في الشامية والآبار التي في الجزيرة وهي كثيرة يطول تعدادها

﴿ الجبال ﴾

في الشامية . جبل البشرى . يبتدئ من اثريا ويمتد من الشرق الى الغرب وينتهي قرب قصبة الدير فوق التبني طوله تقريباً ٦٠ كيلومتر عرضه ٣٠ كيلومتر ارتفاعه لا يتجاوز المائة متر عن السهول التي بأطرافه

في الجزيرة . جبل عبد العزيز . يبتدئ من جنوب وغرب الخابور ويمتد غرباً لجهة الفرات طوله ٦٠ — ٧٠ عرضه ٢٠ كيلومتر ارتفاعه ١٥٠ متر عن سطح الأرض وتقريباً ربعه مغروس باشجار البطم والزعرور والتين . اخشاب نواعير الخابور جميعها الموجودة الآن معمولة من اشجار بطم جبل عبد العزيز .

وبعد الكلام على الجبال تكلم على الطرق العامة من الدير الى حلب ومنها الى بغداد ومنها . ومنها . ذكر ذلك مرحلة مرحلة مع بيان المسافة

المعادن

الكبريت : موجود في المياه التي تنبع برأس العين وكانت الحكومة التركية تلزمه سنوياً لطلاب استخراجه تقريباً ب ٨٠٠٠٠ غرش .

معدن المغرة : لونه احمر يستعملونه في صباغ الغنم موجود في جبل البشرى يحتاج لتدقيقات وتتبعات زائدة .

النحاس : في ناحية الصور على الخابور بطريق الموصل قد جلب منه النحاسون في الدير وارادوا تصفيته فلم يتوفقوا لشيء ايضاً يحتاج الى تدقيقات زائدة .

سرديوم بوتاسيوم : يوجد في البصيرة وفي الصور والشدادي والقصبي مشهور

(ببارود القصبي) يغلى ترابه بالمـاء وبعد التصفية يكسرونه ويخلطونه مع فحم الغرب والصفصاف ويصير باروداً يستعملونه للصيد والقنص يحتاج لتدقيقات حيث يمكن استعماله سماداكيمياويا

القير والاسفالت: يخرج من جبل البشري الواقع فى الشامية وهذا يتحصل فى الاكثر بايام الصيف. يتقطر من جوانب الوديان واهمها وادي القير يحتاج الى تدقيقات وتتبعات . ويقال ايضاً انه يوجد فى جبل البشرى وابو فياض فحم معدني وقد اخذ امتيازه بعض الحلبيين ولكنه ايضاً يحتاج الى تدقيقات وتتبعات زائدة.

[التشكيلات الترابية واوصاف الاراضى الطبيعية]

ان تركيب الأتربة العمومية بالمائة ثمانون رمل وعشرون صلصال وجص وكلس ومقدار من الموادالمنبتة العضوية وغير العضوية وفى بعض المحلات يكون مقدار الرمل تنزل الى المائة ستين والمواد الصلصالية الرقيقة صعدت الى المائة اربعين فهذه الاراضي نادرة وقد يكون تشكلها ناشئاً عن ترسب هذه الاتربة من مياه الفرات التي جاءت بايام الفيض وغمرت الاراضي المنخفضة الواقعة على جـانب الفرات ويحتمل ان تكون تشكلت من المواد الرقيقة المنجرة بواسطة السيول والمترسبة ايضاً فى المحلات المنحطة والمنخفضة فاكثر الاراضى الرملية التى تكون قد دخل فى تركيبها مواد من الجص اذا جفت تكسب مقاومة عنيفة وتقاوم سكك الحراثة بحيث يصعب شقها وفلاحتها . ومن هذه الاسباب تكون هذه الاراضي مساعدة لغرس بذور الجراد الذي لم ينقطع دابره .

ان السهول فى هذا المحيط لا تنحصر فى لواء دير الزور فقط بل تمتد شمالاً الى ماردين وشرقاً للموصل وبغداد وقبلة لبحر عمان والحجاز وغرباً الشـام وحلب فعليه يحتمل ان تكون هذه البادية الجسيمة اما بحالة بحر واما مرتعاً لمياه الدجلة

والفرات فالاحتمال الأخير هو الاصح نظراً لما يصادفه المدققون من الاحجار المدورة والمختلفة الاجناس المخلوطة بالرمال في اي نقطة كانت من هذه السهول . فلا شك ان هذه الحجارة تدل انها نقلت بواسطة مياه الدجلة والفرات من مسافات بعيدة ولا يبعد ان هذه الاراضى كانت معتدلة تماماً في اكثر السنين باختلاط دجلة والفرات تركت الاحجار والجص التي اتت بها هذه الانهار من منابعها وطريقها .

وبما ان الولايات العثمانية الشمالية مثل دياربكر وبتليس هي اراض واقانية فالزلازل التي كانت تحصل بتلك الانحاء اثرت فى هذا اللواء فحدثت الارتفاعات والانحطاطات ولذلك ثبت نهر الدجلة والفرات فى المواقع التى نشاهدها اليوم .

حرارة المحيط

ان لواء ديرالزور يعد من المناطق الحارة وحيث ان اللواء خال من الجبال والعوارض فالأقليم وحرارة المحيط مساوية لبعضها في كل مكان . فلعدم وجود قيود زراعية فى دائرة الزراعة لفقدانها لم نتمكن من الوقوف عليها لنطلع على جداول الترصدات الهوائية ولكن الذي بقي فى حافظتى ان الدرجة الوسطية مابين ١٤ — ١٥ سانتيغراد اي مجموع الحراره العمومية فى السنة ٥٠٠٠ درجة

ان هذه الدرجة مساعدة لنمو جميع النباتات والاشجار والحبوب على ان تكون بواسطة الري والاسقاء حيث كما ذكرنا آنفا ان طبيعة الاراضى الرملية لشدة وجود الحرارة لم يمكن تطبيق زراعة العذي بها لا صيفاً ولا شتاءً سوى في القسم الشمالي المحادد الى نصيبين فهو قابل لزراعة الحنطة والشعير على الأمطار اي عذى واما خلاف ذلك فجميعه بواسطة الأسقاء

الجماد . فى بعض السنين تجمد الماء فى هذا الهواء ولكن لا يكون له تأثير يذكر

حيث يوجد من نباتات المناطق الحارة ومثل اشجار النخل والليمون والبرتقان لم تتأثر من هذه البرودة ويقع هذا التجمد فى وسط الشتاء على الاكثر واما في مواسم الخريف والربيع فأنه لا يحصل جماد .

الامطار: قليلة فى دير الزور نسبة الى حكومة حلب ففي ولاية حلب ارتفاع ماء المطر السنوي من ٥٠٠ — ٦٠٠ ميليمتر حال كون امطار لواء دير الزور لا تبلغ ٢٠٠ — ٣٠٠ ميلتيمر وهذا نسبة لأراضي دير الزور الرملية لا يعد شيئاً .

الندى : ان لواء دير الزور محروم من الغابات والاحراج الا قليلاً على ضفتي الفرات ولذلك اذا حصل في الربيع قليل من الندى فهي ايام معدودة ومحدودة وفى بقية الربيع والصيف والخريف لا يحصل ندى قط

اسماء الرياح السائدة وتأثيرها

الرياح التي تهب في لواء دير الزور اكثرها غربي وحياة البلدة مبنية عليه وفي الصيف تهب الرياح الشرقية ولكن ليس لها مضرة الا اذا هبت في اوائل مايس فانه يضر بمزروعات الحنطة بحيث فصل النموّ لا يتم تماماً ولذلك تبقى حبوب الحنطة ضعيفة وفقيرة من النمو

وبعد هذا تكلم عن الزراعة العمومية فيه ومايزرع ومقدار ما يزرع واطال في بيان ذلك ثم عقد فصلاً آخر لطرز الري والأسقاء وبيان الآلات التي يسقى بها ووصفها وبين ما تحتاج اليه من النفقات ثم تكلم عن مساحة الأراضي التى تزرع بالوسائط المختلفة ثم عقد فصلاً لبيان اسماء واهمية المستنقعات ثم تكلم عن المراعي

الحيوانات

قال ان الحيوانات فى لواء دير الزور عبارة عن الحيوانات الاهلية وهي الخيل والبقر والغنم ومن الحيوانات الوحشية الذئب وآوى والغزال والارنب

ونادراً الضبع والنمر والخنزير ثم ذكر الخيل وانواعها واصولها والبغال والحمير والجمال ثم عقد بعد ذلك فصلا لنوع الاراضى المزروعة وبين سعتها وما يمكن ان تعطيه من الواردات لو اعتنى بشأنها ثم عقد فصلا لاسعار التجارة الزراعية ولاجور العمال الزراعين وللآلات الزراعية والمعامل.

الاحراج

الاحراج في دير الزور تنحصر على اطراف نهر الفرات وفي الحوائج التى بواسطة النهر ولم يكن في غير هذا المحل احراج تذكر سوى فى جبل عبد العزيز يوجد قليل من شجر البطم .

ان الاحراج التي هي على ضفتي الفرات جميعها مملوكة وهى من شجر الغرب والطرفة ثم وضع بعد ذلك جداول تبين هذه الاحراج مفصلا ثم عقد فصلا للأستفادة من الطرق النهرية وفصلا لبيان الأحزاب في دير الزور وبين درجة معارفهم ويستفـاد من مجموعه ان المعارف هناك لم تزل قليلة جداً وان الأمية منتشرة في الأهلين .

ثم وضع جدولا لبيان القرى المربوطة بلواء دير الزور مع بيان القبائل والنفوس الى غير ذلك من الابحاث التى يقتضى عليها على رجال الأدارة هناك ان يطلعوا على تفاصيلها .

اقول وفى العام الماضى تأسس هناك مدرسة تجهيزية تشكيلاتها وصنوفها مثل المدرسة التجهيزية التى فى حلب وعين مديرا لها صبحى بك نجل سعادة مرعي باشا الملاح حاكم حلب الآن وقد فتح فيها في السنة الماضية الصنف السابع وعدد التلامذة فيها ١٥٠ والمنتظر ان تنشر هناك المعارف بسرعة ويكون لهم منها حظ وافر وذلك لالتفاتهم اليها في الآونة الأخيرة واقبالهم عليها ولما

جبلوا عليه من الذكاء الفطري والاستعداد الطبيعي وفقهم الله لما فيه صلاحهم وسعادتهم فى دينهم ودنياهم

(وصول السلك البرقي)

وفى هذه السنة وصل السلك البرقي الى حلب وصارت المخابرات بواسطته

(سنة ١٢٨٢)

فيها حصل هواء اصفر وهو المعروف بالكوليرا وفتك فتكا ذريعاً . وفيها ابتدئ بتبليط ازقة حلب

وفيها ظهرت صنعة الزنانير الهندية بحلب وتسمى صنعة (الاغباني) على يد امرأة نصرانية اسلمت على يد الشيخ طه الكيالي وكانت رأت عنده زناراً من صنع الهند فالتقطت منه هذه الصنعة وهي اليوم صنعة واسعة يشتغل فيها الوف من النساء في حلب وتحمل بكثرة الى بلاد الحجاز والبلاد التركية وغيرها

(سنة ١٢٨٣)

﴿ ذكر تولية حلب لجودت باشا ﴾

تولى حلب في هذه السنة جودت باشا وهو احد اعاظم رجال الدولة العثمانية وصاحب التاريخ العظيم المشهور بأسمه وفى تاريخنا هذا تجد عنه نقولا كثيرة بل هو مادتنا في السنين الاخيرة كما ترى وقد حدثنا عنه غير واحد انه كان عالماً فاضلا تلقى العلوم الشرعية وتزيا مدة بزي العلماء وهو احد رجال مجلة الاحكام العدلية كما تراه فيها ثم انتظم فى سلك المأمورين الاداريين فتزيا بزيهم وتقلب في مناصبهم الى ان عين والياً على حلب في هذه السنة كما ذكرته جريدة الفرات الرسمية في عددها الصادر في ٦ ذى الحجة سنة ١٣١٢ وله في مشاهير

الشرق لجرجي زيدان ترجمة حافلة صدرها بصورته (١) نقتطف منها ما يأتي قال هو الوزير احمد جودت باشا ابن الحاج اسماعيل اغا ابن الحاج علي افندي ولد في مدينة لوفجة التابعة لولاية الطونة سنة ١٢٣٨ وكان والده من اعيان لوفجة وعضواً من اعضاء مجلسها فربى احمد في حجر والديه وتهذب على يديهما وتلقى مبادئ العلوم في وطنه وقد ظهرت عليه مخائل النجابة منذ نعومة اظفاره فلما شب قدم الاستانة سنة ١٢٥٥ فأقام فيها يتلقى العلوم والآداب على احسن علمائها فأتقن الفقه واصوله والحديث والتفسير وعلم الكلام والمنطق والفلفسة على انواعها والرياضيات بفروعها والجغرافية والتاريخ واللسان الفارسي واتقن اللسان التركي والعربي حتى نظم الشعر فيها جميعاً وفي سنة ١٢٦٠ عكف على درس القضاء فنال قصب السبق على اقرانه ونال رتبة (رؤس تدريس) وفي سنة ١٢٦٧ عين عضواً في المجمع العلمي العثماني وفي سنة ١٢٧١ عين قاضياً لغلطة احد اقسام الاستانة الثلاثة وكان كلما تقلد منصباً قام بمهامه حق القيام فانهالت عليه الرتب والمناصب والوسامات فنال سنة ١٢٧٣ باية ولاية مكة المكرمة وتعين عضواً في مجلس التنظيمات ورئيساً للقومسيون المنعقد اذ ذاك لترتيب القوانين والنظامات المتعلقة بالأراضي

وفي سنة ١٢٧٨ عين عضواً في مجلس الأحكام العدلية على اثر الغاء مجلس التنظيمات واحالته الى مجلس الأحكام العدلية وفي آخر سنة ١٢٧٩ عين مفتشاً في البوسنة والهرسك وفي سنة ١٢٨١ ارسل في الفرقة الأصلاحية التي سارت لأصلاح ما اختل من شؤون القوزاق ولما عاد سنة ١٢٨٢ عين عضواً في المجلس العالي وبعد قليل وجهت اليه رتبة الوزارة السامية ثم ضمت ايالات حلب

(١) وتوجد صورته في تاريخ الصحافة العربية في صحيفة ٦٨

واطنه والوية القوزاق ومرعش واورفة الى ولاية واحدة قصبتها مدينة حلب وعهدت حكومتهـا اليه فقدمهـا واستلم زمام الاحكام بهمة ونشاط نحو سنتين حتى اذا كان انقسام مجلس الأحكام العدلية سنة ١٢٨٤ الى قسمين وتشكلت منه هيئتان عرفتا بمجلس شورى الدولة وديوان الأحكام العدلية ولي هو رئاسة ديوان الأحكام العدلية ثم تحولت هذه الرئاسة الى نظارة الديوان ثم الى نظارة العدلية وتشكلت تحت رئاسته لجنة علمية لتأليف كتاب في الفتاوي على مذهب ابي حنيفة فألفته وهو المعروف بمجلة الأحكام العدلية وعليه المعول فى سائر المحاكم الشرعية والنظامية وفى سنة ١٢٨٨ عين عضواً في مجلس شورى الدولة وفي السنة التالية عهدت اليه ولاية مرعش ولم يلبث بها الا قليلاً ثم استقدم لتولى نظارة الأوقاف وفي سنة ١٢٩٠ عين ناظراً للمعارف (ثم قال) وفي سنة ١٢٩٦ استعفى خير الدين باشا من مسند الصدارة فقام هو بمهامها موقتاً ثم عهدت اليه نظارة العدلية وفي سنة ١٣٠٠ تغير الوكلاء جميعاً فاعتزل الأعمال واكب على المطالعة والتأليف ثم اعيد الى نظارة العدلية وفي سنة ١٣٠٥ انفصل عنهـا وبقي من اعضاء مجلس الوكلاء الى ان توفاه الله في ٢ ذي الحجة سنة ١٣١٢ ودفن في تربة السلطان محمد الفاتح وله من العمر ٧٤ سنة . وكان عالماً فاضلاً اشتهر في كثير من العلوم وخصوصاً العلوم الأسلامية والتاريخ وكان يعرف اللغات التركية والفارسية والعربية معرفة جيدة تكلما وكتابة مع المام بالفرنسـاوية والبلغارية وكان سهل الخلق كريم الخصـال وديعاً متواضعاً واسع العلم عالي الهمة مخلصاً للدولة

(مؤلفاته) اما مؤلفاته فعديدة في التركية والعربية بين مطبوع وغير مطبوع اشهرها واكبرها تاريخ آل عثمان المعروف بتاريخ جودت طبع بالتركية في تسعة مجلدات وهو جليل

في بابه بل هو المرجع الوحيد لتاريخ الدولة العلية وقد عني في نقله من اللسان التركي الى العربي عبد القادر افندي الدنا رئيس محكمة تجارة بيروت فنشر منه الجزء الأول سنة ١٣٠٧ مطبوعاً طبعاً متقنــا في بيروت ومن مؤلفاته رسائل عديدة في العربية وبعض التعليقــات طبعت بمجموعة واحدة وبعد ان سرد بقية مؤلفاته قال وله تعليمات مخصوصة في نظارة المعارف لتدريس الطلبة على اساليب سهلة جديدة وجميع ذلك باللغة العثمانية على ان بعضها قد ترجم الى اللغة العربية كتاريخ آل عثمان ومجلة الأحكام العدلية وغيرهما اه

(لطيفة) حدثني مرعي باشا الملاح حاكم حلب الآن قال وقف المجذوب المشهور الشيخ سعود صاحب النوادر الى جودت باشا فقال له الناس يقولون انك باشا فقال كذا يقولون فقال ويقولون انك عالم قال كذا يقولون فقال انى سائلك عن سؤال لأرى هل تدري جوابه فقال سل فقال ماهو بسمار الوجود فقال لا ادري فقال له ان كنت لاندري فضع في كفي ديناراً لأقول لك فوضع له ذلك فقــال له وهو يشير الى الدينار هذا هو البسمار ياحمار فضحك الباشا منه ومشى في سبيله.

(تحرير الأملاك)

في هذه السنة حررت الأملاك في حلب وصار لهــا دائرة مخصوصــة عرفت بالطابو واول من تولى هذه الدائرة راغب افندى الجابري وبقي فيها الى ان مات ذكر ذلك المشاطى في مجموعته

(سنة ١٢٨٤)

(صدور جريدة الفرات الرسمية وترتيب السالنامة)

في هذه السنة في الثالث والعشرين من شهر محرم صدرت هنا جريدة الفرات الرسمية وهي اول جريدة صدرت في مدينة حلب باللغتين التركية والعربية كانت

تصدر في الأسبوع مرة وفي ١٣ صفر سنة ١٢٨٥ صدرت اعتباراً من العدد الخمسين بثلاث لغات التركية والعربية والأرمنية وبعد ان صدر منها عدة اعداد باللغات الثلاثة عادت كالسابق وصدرت باللغتين السابقتين

وفي هذه السنة ايضاً صدرت جريدة تسمى (غدير الفرات) وهي ملحقة بجريدة الفرات لكنها غير رسمية كانت تصدر عند الاقتضاء وقد رأيت العدد التاسع والاربعين من الفرات وهو مؤرخ في ٢٩ محرم سنة ١٢٨٥ ورأيت من غدير الفرات العدد ١١ و ٢٨ ويظهر انه صدر منها مقدار ثلاثين عدداً ثم احتجبت وكان المحرر للقسم التركي في الجريدتين حالت بك

وفي شوال سنة ١٣٣٣ صدر علاوة على جريدة الفرات جريدة غير رسمية تحت اسم (علاوة فرات) كذلك باللسانين كانت تصدر ثلاث مرات في الاسبوع صدر منها ٤٧ عدداً وآخر عدد صدر من جريدة الفرات مؤرخ في ٥ محرم سنة ١٣٣٧ و ١٠ تشرين اول سنة ١٣٣٤ ورقمه ٢٤٢٠ ثم استبدلت بجريدة (حلب) وفي هذه السنة اي سنة ١٢٨٤ رتبت السالنامة وطبعت باللغة التركية وسميت (فهرست ولاية حلب) وكان الفضل في ذلك راجعاً الى رئيس الكتاب وقتئذ (مكتوبجي) حالت بك المذكور وصارت السالنامة ترتب في كل سنة وتطبع وقد زيد فيها على السنين الاولى كثيراً والفضل في ذلك راجع الى رئيس كتاب مجلس ادارة الولاية وقتئذ وهو عارفي بك وظلت تصدر الى سنة ١٣٢٦ هجرية و ١٣٢٤ شمسية عن السنة الخامسة والثلاثين ثم اهملت بعد هذه السنة الى يومنا هذا وهي كتاب مفيد يستفاد منه امور كثيرة عن

---

(١) المذكور من كتاب الأتراك المشاهير وقد بقي هنا رئيساً لكتاب مجلس الادارة مقدار ثمان سنوات وحول من حلب في جمادى الآخرة سنة ١٣٠٤

تاريخ حلب والملحقات بها وعن شؤونها الزراعية والمالية الى غير ذلك وتجد فيها اسماء من ولي حلب من حين فتحها الى سنة ١٣٢٦ هجرية وعليها بنينا القسم الاول وهو قسم الولاة من تاريخنا هذا واستدركنا عليها فى عدة مواضع

(ترجمة عارفي حالت بك مرتب السالنامه)

قال في الجزء الثالث من قاموس الاعلام هو حالت بك ابن ناظر المالية السابق خالد افندي وينتسب الى السيد عبد القادر الكيلاني ولد سنة ١٢٥٥ قرأ اللغة العربية والفارسية على الخواجه حسام الدين افندي ثم تلقى العلم في جامع اياصوفية عن اساتذة الجامع المذكور وصار هو فى حداثة سنه يحرر المقالات الكثيرة في جريدة الحوادث وصحح تاريخ نابليون وبعد أن وجد في عدة وظائف صغار انعم عليه بالرتبة الثانية ثم صار معاوناً للمكتوبجي في حلب ثم صار مكتوبجياً فيها وهو في هذه الوظيفة اسست في حلب جريدة الفرات الرسمية كذلك نشر هنا جريدة غير رسمية سماها (غدير الفرات) ثم رتب السالنامة الحلبية وسماها (فهرست ولاية حلب) وارسل منها نسخة الى الباب العالى فوقعت لديه موقع الاستحسان وارسل منها الى كل ولاية نسخة وامروا ان ينسجوا على منوالها وفى سنة ١٢٨٢ شمسية لما تشكلت المحاكم العدلية عين المترجم كاتباً ثانياً في ديوان الأحكام العدلية ثم كاتباً اولاً واجتهد في وضع نظاماتها موقع الاجراء وكوفئ على ذلك برتبة اولى ثم بعد مدة انفصل وعين مكتوبجياً للمعارف وتوفي وهو في هذه الوظيفة سنة ١٢٩٥ وهو فى الأربعين من العمر وله رسالة في فن البلاغة التركية سماها الأنموذج وكتاب فى تراجم سلاطين آل عثمان ومجموعة سماها (مبدأ الكتابة) محتوية على مقالات ادبية وقد طبعت ومجموعة سماها (دولاب) ورسالة (سر الاسرار) ورسالة (سير الاقمار) وديوان سماه (حالة الشباب) وغير ذلك وله شعر

لطيف اورد فى القاموس بيتين منه .

(ذكر احتراق سوق الصياغ والعقادين والبادستان)

قال الشيخ بكري الكاتب فى مجموعته في الساعة السابعة من ليلة الاحد من شهر جمادى الثانى (لم يذكر كم كان في الشهر) من سنة ١٢٨٤ ظهرت نار من سوق الصياغ فأحرقته جميعه وانصلت منه الى سوق العقادين والقوافين والطرابيشية والبادستان واحرقت ما فى تلك الأسواق من الارزاق واتصل الحريق الى سوق الطيبية وسوق العطارين وفي اليوم الثاني هدموا القبو والجماون وكان من الدف ولم يسلم سوى سوق الحرير الذي هو داخل سوق البادستان [جعل هذا السوق مخزنا واحداً سنة ١٣١٨ واستأجره الحاج احمد العطري ثم استأجره محمد بشير الدرويش ثم اشتراه بعد ذلك وهو فيه الى هذه السنة وهي سنة ١٣٤٣] وهدموا قبة كانت فوق الجامع القبلي لأجل قطع النار عن الجامع والأسواق وبعده عقدوا على سوق العطارين والطيبية والطرابيشية والصياغ قبواً من حجر وزادوا في عرض الاسواق وجملة الدكاكين التي احترقت نحو خمسمائة دكان . اما السبب فقيل انه من الحكومة حيث طلبت توسيع الأسواق فامتنعت الأهالي عن خرب دكاكينها لاسيما الوجهاء وقيل ان بعض الأعداء القوا الحريق وقيل من احد دكاكين الصاغة والله اعلم . اه

(سنة ١٢٨٥)

(ذكر تعيين ناشد باشا)

في هذه السنة في محرم وصل الى الشهباء ناشد باشا معينا والياً عليها وقرئ منشور تعيينه في السادس والعشرين منه ورأيناه منشوراً في عدد ٤٩ من جريدة الفرات

الرسمية المؤرخ في ٢٩ منه

في رمضان من هذه السنة افتتح في الشهباء مكتب للصناعة ادخل اليه مقدار ١٠٠ من ابناء الفقراء وصاروا يشتغلون فيه في صناعة الأحذية والأقمشة الحريرية والصوفية

سنة ١٢٨٦

فيها اتى الشهباء درويش باشا معيناً والياً عليها كما في السالنامة

سنة ١٢٨٧

فيها حصلت زلزلة عظيمة في انطاكية خرب فيها كثير من البيوت وتلف بسببها كثير من الأموال

سنة ١٢٨٨

فيها في شعبان وصل الى الشهباء ثريا باشا معيناً والياً على حلب ورأينا منشور تعيينه منشوراً في عدد ٢٣٣ من جريدة الفرات المؤرخ في ٧ شعبان من هذه السنة

سنة ١٢٨٩ و ١٢٩٠

فيها اتى الشهباء الحاج علي باشا معيناً والياً عليها وعزل في ربيع الآخر من سنة ١٢٩٠ وفى السادس عشر منه توجه منها قاصداً دار الخلافة وفي اواخر هذا الشهر وافى الشهباء مرحوم كرد احمد باشا معيناً والياً عليها كما قرأته في عدد ٣١٠ من الفرات وهذا اصح مما هو مذكور في السالنامة من انه عين عليها سنة ١٢٨٩ وفي هذه السنة ارسلت الدولة العثمانية ستاراً من المخمل مزركشاً بديع الصنعة الى مرقد رأس يحيي عليه السلام في الجامع الكبير وخرج الوالي والعلماء والأعيان وجمع غفير من الأهالي والعساكر لأستقباله وكان يوماً مشهوداً ووضع الستار على الضريح بكمال التعظيم والأحترام

سنة ١٢٩١ كان الوالي فيها محمد رشدى باشا الشرواني ويظهر انه لم تطل مدته

سنة ١٢٩١ كان الوالي فيها للمرة الثانية محمد رشيد باشا
« ١٢٩٢ « « « سامح باشا
« ١٢٩٢ « « « اسعد مخلص باشا
« ١٢٩٣ « « « امين باشا
« ١٢٩٥ كان الوالي فيها كامل باشا الصدر الأعظم الشهير وكان مجيئه الى حلب كما اخبرني سعادة مرعي باشا الملاح في الرابع عشر من صفر من هذه السنة.
سنة ١٢٩٦ كان الوالي فيها عبد الله غالب باشا

﴿ ولاية سعيد باشا ﴾

وبعد عبد الله غالب باشا ولي سعيد باشا وقرأت نبأ تعيينه في العدد العاشر من جريدة الاعتدال التى اصدرها في حلب المرحوم عبد الرحمن افندى الكواكبي المؤرخ في ١٥ شوال من السنة المذكورة وقرأت في هذا العدد من التصورات ما نصه : ذكر ان حضرة ابهتلو مدحت باشا يتصور جعل طريق العربات [تراموي] الجارى عملها في طرابلس طريقاً حديدية يوصلها الى وادي الفرات حيث تمتد الى بغداد مارة على الدير . نقول نظراً الى شهرة حضرة المشار اليه في انه يتبع التصور بالعزم والقصد بالفعل لا يستبعد على سامى همته ان يقوم بمثل ذلك الامر الخطير الذى لا حاجة لبيان انه سبب لحياة الولايات الثلاث اعني سوريا وحلب وبغداد اه

قال في السالنامة وفي هذه السنة تشكلت المحاكم العدلية في ولاية حلب. وفيها حولت العساكر الضبطية الى سلك الژاندرمة . وفيها تشكلت في الولاية ادارة البوليس [الشرطة] وفيها اسكن في حارم ومنبج مهاجرو الجراكسة ،

﴿ ذكر الغلاء في هذه السنة ﴾

في هذه السنة حصل في تشرين برد شديد تصاعدت بسببه اسعار المأكولات فبيع الشنبل من الحنطة الذي يبلغ وقتئذ ٧٥ اقة بمائتين وخمسة وسبعين قرشاً ثم وصل الى ثلاثمائة وكانت الليرة العثمانية في ذلك الحين بمائة واحدى وعشرين قرشاً وبيع الرطل من الخبز باثني عشر قرشاً ثم تصاعد الى ١٤ قرشاً والرطل الف درهم وبيع الرطل من السمن بخمسة واربعين قرشاً وبقي هذا الغلاء الى نهاية آدار ثم فرج الله الكرب ورخصت الاسعار وتعرف هذه السنة الى يومنا هذا بسنة الغلاء

(سنة ١٢٩٧)

﴿ ذكر ولاية جميل نامق باشا ﴾

في هذه السنة عين والياً على حلب المرحوم جميل حسين باشا ابن نامق باشا قال في قاموس الاعلام هو جميل باشا ابن نامق باشا المشير وهو اكبر اولاده بعد أن أكمل التحصيل في مكتب فنون الحربية صار ضابطاً وبالنظر لذكائه واستعداده قطع عدة مراتب في مدة قليلة ثم صار ياوراً عند السلطان عبدالعزيز ثم صار رئيس المابين ثم قائد فرقة وفي اثناء ذلك كان في حلب في هذا المنصب وفي سنة ١٢٩٧ عين والياً عليها وفي سنة ١٢٩٩ انعم عليه برتبة مشير وبقي والياً في حلب مدة سبع سنين الى سنة ١٣٠٤ وفي هذه السنة عزل عن حلب وعين واليا على الحجاز وبقي ثمة قليلاً واحضر الى دار السعادة وعين عضواً في مجلس التفتيش العسكري العمومي وفي سنة ١٣٠٧ توفي فجأة وهو في قصره في محلة جامليجه في دار السعادة . هذا ما ذكره في ترجمته في قاموس الاعلام .

اقول وهو اول وال ادركته من ولاة الشهباء وكان يكثر القعود بعد صلاة الجمعة في سوق الجوخ في دكان احمد افندي بطيخه بائع الأقمشة وهي الدكان الكبيرة التي هي عن يسار الداخل الى خان العلبية وقد اتخذت الآن دكانتين وكنت اراه وانا صغير ادخل الى الخان المذكور متوجهاً الى مخزننا الكائن في صدر هذا الخان وكان رحمه الله عظيم الهيبة كثير الوقار سديد الرأي حسن الادارة لشؤون الرعية ساهراً على ما فيه راحتها وسارت القوافل في مدة ولايته آمنة مطمئنة وامنت السبل في جميع معاملات حلب بل امتد الأمن الى اطراف العراق وكانت القوافل اذا حملت القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والبضائع لاتخشى معارضاً ولا تجد في طريقها لقطاع الطريق اثرا لما يعلمونه من شدة سطوته وعظيم بطشه .

ومن جملة مزاياه انه واضع الحجر الأول في اساس المعارف في هذه الديار ولم يكن لها قبله اثر في هذه البلاد الا ما كان في المدارس العلمية كالعثمانية والشعبانية. وقد بذل المرحوم جميل باشا قصارى جهده في تأسيس المكاتب الابتدائية والرشدية وسنذكر في حوادث سنة ١٣٠٢ مجموع ما اسسه في الشهباء وحدها من المكاتب من حين ولايته الى هذه السنة .

وقبل تأسيس هذه المكاتب كان العارفون بالقراءة والكتابة قليلين جداً اذ لم يكن في حلب سوى كتاتيب قليلة في الزوايا والمساجد المهجورة وكان احسنها الكتاب الذي كان فيه الخطاط المشهور الشيخ محمد العريف المعروف بالأشرفية نسبة الى المدرسة الشرفية الكائنة وراء الجامع الكبير لان سكناه كانت فيها وقد ادركته وهو قاطن بها ثم انتقل منها الى مدرسة القرموطية في محلة بحسيتا بالقرب من الجامع العمري وبقي فيه يعلم الاطفال الكتابة والقراءة والخط وشيئاً من مبادي الحساب

والفقه الى ان توفي الى رحمة الله تعالى واستلمه من بعده الشيخ احمد المصري وهو لا زال فيه الى يومنا هذا وقد ادخل اليه الشيخ احمد شيئاً من الانتظام وهو يجتهد في ترقيته وفقه الله تعالى ومن جملة الاعمال الجليلة التى قام بها جميل باشا ترميمه لكثير من المساجد والجوامع بعد ان كادت تشرف على الخراب وصارت تقام فيها الصلوات بعد ان كانت مهملة منها

واهتم ايضاً بتوسيع الجادات وافتتاح الشوارع واهمها الشارع الذي يبتدئ من باب الفرج ويمر بالتكية المولوية الى الميدان امام نهر قويق الى ان يصل الى جامع المرحوم ذكي باشا المدرس .

ومن جملة مزاياه انه كان كثير العطف على الاوساط والضعفاء يعاملهم بالشفقة والحنان والرأفة فتراهم راضين عنه وهو راض عنهم ويعامل الاغنياء والوجهاء بالشدة ويضايقهم كثيراً في دفع ما عليهم من المرتبات الاميرية بخلاف الولاة الذين كانوا قبله ومع هذا فانه لم يخل من الطمع النفسي والنفع الذاتى وبالجملة فقد كانت مدة ولايته اعياداً ومواسم وحمدت سيرته وآثاره وخلدت له فى الشهباء ذكراً جميلاً

(سنة ١٢٩٩)

فى شعبان من هذه السنة فصل لواء ديرالزور عن ولاية حلب وجعل متصرفية على حدة ذكرت ذلك الفرات فى عدد ٦٩٥ وذكرت فى عدد ٦٩٧ ان جميل باشا سعي بترميم المدرسة العصرونية لتتخذ مكتباً ابتدائياً

سنة ١٣٠٠

﴿ بناء المكتب الرشدي تحت القلعة ﴾

قال المشاطي في مجموعته في هذه السنة اشترت الحكومة دوراً تحت القلعة من الحاج

عبد القادر العكام والحاج محمد الحمامي وغيرهما والى جانبها مزار ام الصالح ايوب (هكذا) جانب سوق الضرب وعمر الجميع جميل باشا مكتباً كبيرا وكان المعتمد على العمارة احمد بيك العادلي واحتفل يوم [illegible] الأول وكان ذلك في شعبان.

اقول في المكان الذي اشار اليه المشاطي بأنه مزار ام الصالح ايوب كان تربة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين الشهيد وكانت في خانقاه بنتها ام الملك الصالح وكان بجانبها خانقاه اخرى ومدرسة واليك بيان ذلك. قال ابو ذر في تاريخه (خانقاه) انشأتها السيدة أم الصالح اسمعيل ابن العادل نور الدين الشهيد تحت القلعة الى جانب السيفية المتقدم ذكرها في المدارس في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وبنت الى جانبها تربة دفنت بها ولدها الصالح ووقفت على هذه التربة اوقافاً من جملتها بستان بظاهر حلب يعرف بالبقعة (١) وشرطت في القارئ ان يكون اعمى وغرضها في ذلك ان تحضر القراءة بنفسها وان لا تحتجب منهم واما الخانقاه فمن جملة اوقافها حصة بقرية كفر كرمين من عزاز

وقال ابو ذر في الكلام على (المدرسة السيفية) هذه المدرسة غربي خندق القلعة انشاها الامير سيف الدين على بن علم الدين سليمان بن جندر انتهت سنة سبع عشرة وستمائة وعلى حائطها الشرقي مكتوب شرط الواقف ان يدعى للخليفة الناصر لدين الله وللسلطان الذي في ايامه قبل الدعاء لواقفها. وان يدرس فيها مذهباً الأمامين الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما وعلى حائطها انها وقف على الشافعية ثم قال بعد ان ذكر من تولى التدريس فيها وقد عمرها شيخنا (ابن خطيب الناصرية) لما ألزمه قصروه بعمارة المدارس وفتح لها شبابيك في شرقيها ومن حملة اوقافها

(١) هذا البستان لازال موجوداً ويعرف بكرم البقعة وقد صار ملكاً من مدة لاعلمها وتداولته الأيدي وهو الآن في ملك اولاد ابي شالة .

حصة بقرية اسلايين من عمل سرمين وحصة بقرية المالكية من عمل اعزاز وحصة بقرية قيبار .

وقال في الكلام على الخوانق خانقاه . انشاها سعد الدين كمشتكين الخادم مولى بيت الأتابك عماد الدين قرب دور بني العديم وتوفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة قلت بيت العديم اندثر وصار كوماً عظيما عقب فتنة تيمور وكان ملاصقا للمدرسة الصلاحية (هي المدرسة المعروفة الآن بالبهائية) من جهة الشرق وكان عمارة عظيمة على بابه قناطر بلق وفي ايامنا شراه شخص يقال له جمعة الفاعل وحرر منه ترابا كثيرا وخرج فيه بئر ماء والى جانبه بيت الشريف نقيب الأشراف والى جانب هذه الدار بوابة من الرخام الأصفر ثلاث قطع(١) وهي باقية واندثر داخلها وعمره الناس املاكا ولعل هذه الخانقاه المذكورة هذا المكان والآن يعرف هذا المكان بالقلقاسية نسبة الى شيخ كان ساكناً بها يكره اهل القلقاس وهناك خانقاه اخرى بالقرب من آدر الشريف الهاشمي بدرب لا منفذ لـه وتسمى بخانقاه طاوس فيحتمل ان تكون هذه ويحتمل ان تكون المتقدم ذكرها اه

وفي ليلة دخول العساكر الشريفية الى حلب سنة ١٣٣٧ احرق بعض الغوغاء الطابق العلوي الشمالى من هذا المكتب ونهب منه كثير من الآلات الدراسية وبئس ما فعلوا ومنذ سنتين رممته دائرة المعارف واتخذت هذا المكتب مكتباً وداراً للصناعة وكان بينه وبين باب سوق الضرب مكان خرب واسع بنته

(١) هذه القطع الثلاث لم تزل موجودة الى الآن وهي في غربي المكتب وطرفها الغربي داخل فى بنيان الخان المعروف بخان خايربك وعلى هذا تكون دور بني العديم ودار بيت الشريف نقيب الأشراف قد دخلت في بنيان الخان

دائرة النافعة هذه السنة والحق بالمدرسة المذكورة ولعل هذا المكان هو المدرسة السيفية التي قدمنا ذكرها

اتخاذ المدرسة الجرديكية مكتباً ثم حانوتا والكلام عليها

وفي اواخر هذه السنة اتخذت مدرسة الجرديكية الكائنة في سوق السويقة مكتباً ابتدائياً بعد ان كانت قهوة وقد كان يعلم الأطفال فيها الشيخ فريد الأيوبي الخطاط وهو لا زال في الأحياء وبعد توجه جميل باشا بمدة وجيزة اتخذ هذا المكتب دكان طباخ وبقي على ذلك ازيد من ١٥ سنة ومنذ عشرين سنة عمرته دائرة المعارف واتخذته مخزناً واسعاً للتجارة يباع فيه الأقمشة وهو على هذا الى يومنا هذا

الكلام على هذه المدرسة

قال ابو ذر في كنوز الذهب هذه المدرسة بسوق البلاط لها باب من السوق المذكور ينزل اليها منه بدرج وباب آخر من درب شرقيها وهي ملاصقة للصاحبية انشاها الأمير عز الدين جرديك النوري في سنة تسعين وخمسمائة وانتهت في سنة احدى واول من ولي تدريسها الشيخ مقرب الدين ابو حفص عمر بن علي بن محمد بن فارس بن عثمان بن قشام التميمي الحنفي ولم يزل بها الى ان عزل نفسه سنة ٦٤٤ ثم قتل في بيته عند استيلاء التتر على حلب ثم وليها بعده صفي الدين عمر بن زقزق الحموي ثم توجه الى حماة سنة ٦٥٢ وتولى بعده محي الدين محمد بن يعقوب بن ابراهيم بن النحاس ولم يزل الى ان انقرضت الدولة الناصرية ومن جملة وقفها حصة بكفر بودان . والفقهاء الحنفية يتناولون من وقفها وجرديك هو الذي تولى قتل شاور بمصر وقتل ابن الخشاب بحلب وكان بطلاً شجاعاً ولي امرة القدس لصلاح الدين وتوفي سنة اربع وتسعين وخمسمائة

وقال ابن الشحنة في الدر المنتخب وقد وصل تدريسها ليدى الى ان نزلت عنها لولديَّ ايضاً وذكرها رضي الدين الحنبلي فى تاريخه در الحبب وقال ان تدريسها وصل اليه

(سنة ١٣٠١)

تعمير المستشفى تحت القلعة

فى ربيع الثاني منها بوشر بجمع الاعانات لاجل تعمير مستشفى للغرباء تحت القلعة وفيها اسس مكتب ابتدائى في جامع الزينبية في الفرافرة ومكتب في جامع البهرمية ومكتب في المدرسة العثمانية ومكتب في جوار الشعبانية ومكتب في جوار القشلة وكلها ابتدائية يعلم فيها القرآن العظيم والخط ومبادى الحساب وشيء من الفقه لا غير . وفيها عمر حائط القبلية في المدرسة السلطانية الكائنة تجاه باب القلعة

(ذكر عدد نفوس الاهالي في هذه السنة)

فى هذه السنة حررت نفوس اهالي حلب فبلغت كما ذكرته جريدة الفرات فى عددها ٧٧٢ المؤرخ في ٨ رجب من هذه السنة

٧٠٨٣٩	المسلمون	ذكور	٣٤٦٠٥	اناث	٣٦٢٣٤
٢٠٥٢٥	المسيحيون	»	١٠٦٥٧	»	٠٩٨٦٨
٠٧٨٢٥	الموسويون	»	٠٣٩٥٣	»	٠٣٨٧٢
٩٩١٨٩			٤٩٢١٥		٤٩٩٧٤

عدد النفوس الذكور في القيود القديمة

المسلمون	٢١٣٨٣
المسيحيون	٠٨١٤٢
الموسويون	٢٥٣١
	٣٢٠٦١
الزيادة الآن	١٧١٥٤
	٤٩٢١٥

في هذه السنة رمم جسر مراد باشا الواقع فى طريق اسكندرونة (فرات عدد ٨٧٤)

(غرائب المخلوقات)

وقالت فى عدد ٧٨٢ المؤرخ في ٢٩ رمضان من هذه السنة . فى هذه الأيام ولدت احدى نساء القرباط المقيمين فى ظاهر محلة باب النيرب طفلاً له رأسان كل واحد منهما بوجه محتو على جميع الجوارح سوى ان الوجه الواحد مدور والآخر طويل مخروط ولون العينين احديهما الشهلة والاخرى السواد وهو كامل اعضاء البدن وقد نزل من بطن امه ميتا لاحراك فيه اصلاً اه

وفى هذه السنة وجه جميل باشا عنايته لتعمير الثكنة العسكرية فى الشيخ يبرق وعمر فيها قسماً كبيراً واقتلع كثيراً من الأحجار الكبيرة المبلط بها جبل القلعة ونقلها الى الثكنة المذكورة

﴿ ذكر بناء جميل باشا داره ظاهر باب الفرج ﴾

فى هذه السنة او التى بعدها عمر جميل باشا داره العظيمة ذات الطبقات فوق التربة الدقماقية بامتار يفصل بينهما الجادة التى تذهب شمالاً وهى اول دار بنيت بظاهر باب الفرج ثم سميت هذه المحلة بالجميلية نسبة اليه ولم يكن فى ذلك المكان ولا خارج بوابة القصب شيء من العمران سوى التكية المولوية وكان امام التكية المذكورة البستان المعروف ببستان الكلاب ويقال [كل آب] وكان هذا المكان مخوفاً يخشى على من مر منه وحده ان تؤخذ ثيابه عنه فصار هذا المكان بعد فتح هذا الشارع آمنا مسلوكاً واخذ الناس فى البناء فى هذا البستان وفوق النهر وتتابع العمران بعد ذلك غرباً وشمالاً الى ان اتصل بمحطة الشام غرباً وكاد ان يتصل بمحطة بغداد شمالاً كما هو مشاهد وتقدر

الدور التي بنيت في هذه الأربعين سنة تقريباً من ظاهر باب الفرج غرباً الى الثكنة العسكرية المسماة بقشلة الشيخ يبرق شمالاً بأربعة آلاف دار وزيادة وفي السنين الأخيرة قبل اعلان الحرب العامة كانت تقدر البنايات بثلاثمائة دار في السنة فكان ينتهي في كل يوم دار تقريباً وفي مدة الحرب ترك الناس البناء لغلاء الآلات والحجارة واجرة العملة الا من كان مضطراً لأتمام ما كان شارعاً فيه . وبعد سنة ١٣٣٨ باشر بعض الناس في البناء بالرغم عن غلاء ما ذكرنا ونشطهم لذلك غلاء اجرة الدور والدكاكين خصوصاً في هذه الاماكن ولم يزل العمران آخذاً في الازياد في هذه الأماكن وربما لاتمضي سنون قلائل الا ويتصل العمران بمحطة بغداد الواقعة في ذيل الجبل المعروف بجبل الخناقية وقد بنى الأهالي هناك دورا عظية متعددة وبنى الأرمن المهاجرون منذ سنتين اوثلاث شمالي المحطة في ذيل هذ الجبل دوراً كثيرة صغيرة من الاخشاب والأحجار

[المكاتب التي افتتحت في زمن جميل باشا]

ذكرت ذلك جريدة الفرات في عدد ٨٠٥ المؤرخ في ١٧ صفر من هذه السنة

اسم المكتب	المحلة	عدد التلامذة	اسم المكتب	المحلة	عدد التلامذة
العصرونية	الفرافرة	٧٥	شعبانية	الفرافرة	٤٠
الجردكية	السويقة	٦١	زينبية	«	٣٩
عثمانية	الفرافرة	٧٠	قرماني	بحسينا	٤٨
موتياب	احمدباشا وراء الجامع	٨١	بهرامية	جامع البهرامية	٧٢
جامع الحاج موسى	السويقة	٥١	قسطل	اقرب سوق الدجاج	٥٨
حموي	البياضة	٦٤	الحال	ساحة التنانير	٣٥
رقبان	سوق بانقوسا	٤٢	(عدد المكاتب ١٣ مكتباً)		٧٣٦

تعمير الرواق الغربي في الجامع الكبير

كان الرواق الغربي في الجامع الكبير متوهناً فاهتم جميل باشا بأمره واستحصل على اذن من الآستانة بنقضه وتجديده ففي سنة ١٣٠٢ بوشر بالعمارة وحضر جميل باشا ومعه مفتي حلب يومئذ الشيخ بكري الزبري وغيرهما من الأعيان والمأمورين ووضع بيده اول حجر في اول سارية عند باب القبلية ووضع هناك حقاً داخله ورقة ودراهم من ضرب السلطان عبد الحميد وفي اثناء العمل ظهر بئر ماء بالقرب من باب الجامع وظهر في الأساس عواميد كبيرة مكسرة وكتب على القنطرة الوسطى من الرواق (جدد هذا الأيوان بأمر وارادة امير المؤمنين حضرة مولانا السلطان الأعظم الغازي عبد الحميد خان الثاني عز نصره بسعي والى الولاية المشير الأفخم السيد حسين جميل باشا ادام الله اجلاله سنة ١٣٠٢) وعزل جميل باشا في اوائل سنة ١٣٠٤ ولم ينته العمل وكمل في زمن ولاية عثمان باشا ولذلك نقش اسم عثمان باشا على الباب الذى هو امام المدرسة الحلوية والفضل في ذلك يرجع الى جميل باشا

تجديد عمارة الحوض فيه

وفى هذه السنة جددت عمارة الحوض الكبير في صحن الجامع وكتب على رفرافه من نظم الشيخ كامل الغزى هذه الأبيات

قد شاد هذا الحوض بعد توهن * ملك بما يرضى الآله خبير
عبد الحميد مليكنا الغازى امير * ر المؤمنين له الثنا الموفور
من آل عثمان الأولى شاد العلى * للمسلمين لواهم المنصور
وبسعي والينا جميل من غدا * يجني المحامد سعيه المشكور
هو قطب دائرة الوزارة وهو في * رتب المكارم والفخار مشير

لما تكامل حسنه ارخته * حوض به للعالمين طهور

قال المشاطى ويوم المباشرة وضع المأمور عزت اغا حقا صغيرا فيه سكة مولانا السلطان في حجر البناء فوق العامود الذي بين الحوضين والذى يقابلك اذا كان وجهك للشرق

اقول وفي اثناء اصلاح هذا الحوض محيت الكتابة التي على طرف جرن الرخام الكبير الذي في وسط الحوض وهو من آثار قرعويه غلام سيف الدولة وقد كتب عليه اسمه كما قدمنا وهذا مما يؤآخذ به جميل باشا حيث لم ينبه المعمار الى ملاحظة ذلك . وكذلك محيت هذه الأبيات التي كتبت على رفرافه حينما دهن وذلك في هذه السنة اعنى سنة ١٣٤٣

نقل حوض الماء الذى في الحجازية في الجامع الكبير

كان في وسط الحجازية حوض صغير وعليه درابزين وكيلات للشرب منه ففي سنة ١٢٧٦ وسع وجعل عشراً فى عشر ثم فى هذه السنة نقل هذا الحوض من الوسط وعمر في شمالى الحجازية وجعل اكبر مما كان ودفنت ارض الحجازية وجدرانها وبذلك صارت صفوف المصلين فيها تتصل ببعضها وجعل بجانبه قسطل كبير يخزن فيه الماء ويستعمل عندما تنقطع المياه من القناة ووراء هذا القسطل حجرة ملئت عظاماً نبشت من قبور كانت في ارض الحجازية ووضعت هناك وسد باب هذه الحجرة وصار القسطل امامها

وبقي الحوض على هذه الصورة الى سنة ١٣٣٨ ففيها رفع هذا الحوض بتاتاً وفرش مكانه بالرخام واتخذ في صدر القبلية قسطل له حنفيات وذلك حفظاً للماء من النتن وقد كان الماء في هذا الحوض لايمضى عليه يومان الا ويظهر نتنه لكثرة المتوضئين وبهذا العمل زال ذلك

وفي هذه السنة اعنى سنة ١٣٠٢ اوالتي بعدها ارسل الى الجامع من الاستانة ثريا كبيرة بديعة الشكل وعلقت بالقبة الوسطى من الجامع امام المحراب الأعظم

سنة ١٣٠٣

حوادث شتى

فى رجب من هذه السنة بوشر بعمارة جامع العمرى خارج باب الجنان

وفي شعبان كملت عمارة جامع فى دار الحكومة داخل دائرة العدلية امام الحوض

وفيه بوشر بعمارة جامع التركي

وفى شوال كملت عمارة دائرة البوسطة والتلغراف [البريد والبرق] بدار الحكومة عن يمين الداخل اليها .

وفى ٢٢ ذي الحجة وصل الى حلب صاحب بك رئيس دائرة المحاكمات في شورى الدولة للتحقيق عن الخلاف الواقع بين والى حلب جميل باشا وبين بعض الوجهاء

(سنة ١٣٠٤)

اطلاق زيرون جقماقيان المرعشي الرصاص على جميل باشا

قال الفرات في عدد ٨٨٨ المؤرخ في ٢٠ صفر من هذه السنة و ١٥ تشرين الثاني ما نصه صباح الثلاثا المصادف ١٧ من صفر و ١١ من تشرين الثاني بينما كان والى الولاية العالى حضرة دولتلو جميل باشا الافخم متوجهاً من دار الحكومة الى منزله ماشياً وكانت الساعة احدى عشر ونصف مساءً اذ عرض له حين وصوله لساحة باب الفرج زيرون جقماقيان المرعشي على ملاءٍ من الناس وقال جميل باشا لا تتحرك كيف تتخلص الآن من يدى واتخذه هدفاً واطلق عليه رصاصة من راولور (مسدس) فى يده فبعون الملك المتعال واثر توجه الجناب الملوكانى لم يصبه الرصاص فوثب عليه حضرة والى باشا وثبة الاسد بأسرع

مايكون واخذ بعاتقه فعندها اطلق الجانى النار ثانية فمر الرصاص بين رجلي الوالى المشار اليه فهجم عند ذلك ياور ملجأ الولاية الملازم اسماعيل افندى والجاويشية والاتباع وحاولوا اخذ الراولور من يد الجاني فأطلقها ثالثة وهرب فبلطف الله تعالى ذهب الرصاص فى الهواء وقبض على الجانى ولما قبض عليه هجم عليه كثير من الاهالى الموجودين فى تلك الساحة وارادوا تقطيعه اربا واذاقته ريب المنون فمنعهم حضرة الوالى قائلا (ارجوكم لا تقتلوه) فتراجعوا عنه وفى الحال سأله الوالى فقال ما سبب قصدك هذا هل كان من نفسك او بسوق احد فقال الجانى كان بسوق غيرى وسوف ابدى الامر فارسل للحبس واخذ غيره من المظنونين تحت التوقيف وابتدأ باجراء التحقيقات الأولية اهـ

اسباب اطلاق زيرون الرصاص على جميل باشا

واسماء الوجهاء الذين القي عليهم القبض على اثر هذه الحادثة
بحجة انهم مدبروها وما جرى في ذلك من الأمور

كان جميل باشا منع زيرون المرعشى المحامي من تعاطى المحاماة وضيق عليه اسباب معيشته بكل ما يمكن فضاق زرع زيرون لذلك ووقف له في ميدان باب الفرج امام قسطل السلطان الذى هو مكان الساعة الآن ولما مر جميل باشا قال له (طورغه جميل باشا) اي لا تتحرك يا جميل باشا واطلق عليه عدة طلقات لكنه لم يصبه واكثر الروايات تفيد انه لم يطلق عليه شيئاً لكنه هدده بالضرب فتراكض الجنود الذين كانوا بمعيته وكان وقتئذ راكبا بغلة سوداء (يخالف ما تقدم من انه كان ماشياً وما هنا اصح) وقبضوا على الضارب واوجعوه ضرباً وسيق الى السجن وظن جميل باشا ان زيرون لم يفعل فعلته من عند نفسه بل

بل بأيعاز بعض وجوه الشهباء الذين كانوا ناقمين عليه فاتخذ ذلك وسيلة للقبض عليهم فأرسل الجنود ليلاً وقبض على حسام الدين افندى القدسى ونافع باشا الجابري وعبد الرحمن افندى الكواكبي وعبد الرحمن آغا كتخدا ومصطفى آغا يازجى ومحمود آغا الشربجى وعابدين بك الدري وكان هذا قبل مدة عين في وظيفة [مدعى عمومى] ثم عزل واحمد بك الداغستانى وكان هذا قائداً للمفرزة البغالة بحلب سابقاً وعزله جميل باشا . واودع الجميع السجن كل واحد في غرفة على حدة ومنع الناس من مقابلتهم . وقبل وقوع هذه الحادثة كانت حكومة الآستانة ارسلت صاحب بك رئيس دائرة المحاكمات بشورى الدولة فى الاستانة [قدمنا تاريخ مجيئه وهذا الرجل استلم منصب المشيخة الاسلامية بعد اعلان الدستور وتوفي وهو شيخ الاسلام سنة ١٣٢٧] الى حلب للتحقيق عن الشكايات التي توالت من اهالي حلب على جميل باشا وحصلت هذه الحادثة وهو هنا وكان ثبت عنده ان جميل باشا عدل في معاملاته عن مهيع العدل والانصاف وسلك طريق الجور والاعتساف وانه يلزم تحويله من حلب وهذه الحادثة اثرت عليه كثيراً واكدت ذلك اللزوم الا انه خاف على نفسه من جميل باشا فترك الدار التي كان يقطنها فى محلة مستدام بك وانتقل الى التكية المولوية بظاهر باب الفرج واخذ يقدم اللوائح ويبسط لحكومة الآستانة اعمال جميل باشا .

وعلى اثر هذه الحادثة استلم جميل باشا زمام قيادة العسكرية النظامية بحلب من يد وكيله امير اللواء محمد علي باشا وصار يدير شؤون الأمور العسكرية ايضاً لانه كان حائزاً رتبة مشير وله السلطة العليا على العسكرية ايضاً . وكان كل يوم يرسل مقدار مائة جندي من الجنود النظامية فيحيطون بدائرة السجن زاعماً انه بذلك يحفظ المحبوسين من الهرب وفي باطن الامر كان يفعل ذلك خشية من

تجمهر الاهالي وتخليص المسجونين

فعند ذلك اتحد امير اللواء محمد علي باشا مع صاحب بك وصارا يرسلان اللوائح الى حكومة الاستانة وكان محمد علي بك مسموع الكلمة هناك ولدوائر الاستانة فيه ظن حسن وارسل برقية الى السرعسكرية بالاستانة والى مشير الجيش الخامس في الشام يخبرهما ان الوالى جميل باشا استلم زمام الامور العسكرية وانه لم يبق بيده شيء من الأمر وانه لا يتحمل تبعة ذلك اذا حصل ماليس بالحسبان .

وكان الصدر الأعظم سعيد باشا والسر عسكر علي رضا باشا من الناقمين على جميل باشا فاستحصلا على ارادة سنية من السلطان عبد الحميد بتحويله بالرغم عن معارضة نامق باشا والد جميل باشا وغيره ممن كانوا مظاهرين لجميل باشا لحول الى الحجاز وصدرت الارادة السنية الى المشير عثمان باشا بتعيينه والياً على حلب وقد كان عثمان باشا والياً في الحجاز وكان هذا ايضاً قد انسعت دائرة الخلف بينه وبين شريف مكة عون الرفيق باشا .

وخشي الباب العالي وقتئذ ان يبلغ جميل باشا نبأ تحويله الى الحجاز وبيده زمام السلطة العسكرية فاصدر امره الى الفريق شاكر باشا الذي كان مقيماً في الشام وكان هذا من الناقمين على جميل باشا ايضاً ان يسافر حالا الى حلب وبوصوله ينزل القشلاق ويستلم القيادة العسكرية . وهكذا فعل ولما تم له ذلك اعلم الباب العالي على لسان البرق فعندئذ وردت برقية من الصدارة تفيد تحويله الى الحجاز وتسليم الولاية الى شاكر باشا المذكور ريثما يحضر الوالي الجديد . واحضر في ذلك اليوم طابور من الجند الى دائرة الحكومة بحجة حضور سحب القرعة العسكرية . وعقب ذلك حضر شاكر باشا الى دائرة الحكومة واستلم زمام الولاية وذهب جميل باشا الى بيته

وبعد ذلك حضر صاحب بك الى دار الحكومة واحضر المحبوسين من الوجهاء الى حضرته ولاطفهم واطلق سراحهم

وبعد اسبوع سافر جميل باشا الى الحجاز وكان سفره يوم الخميس لستة وعشرين يوماً مضت من ربيع الأول من هذه السنة .

وقبل مجي جميل باشا كانت الحكومة بحلب ضعيفة جداً وكان البعض من الوجهاء يسرحون ويمرحون ويفعلون مايشاؤون ويعاملون الناس بأسوأ المعاملة خصوصاً الفلاحين فلم يرق ذلك في عين جميل باشا واخذ في معاكستهم وصار يحول بينهم وبين رغائبهم فعظم ذلك عليهم وبدأ الخلاف بينه وبينهم وكان في ذلك الحين قد بدأ يميل الى منافعه الشخصية وصار ذا ثروة طائلة واشترى اراضي وعدة قرى واستحكر اراضي في محلة الجميلية اخذها بأثمان بخسة من يد اربابها والخلاصة انه لم يقصر ايضاً في جر القرص الى نفسه وطرق باب الطمع والاستبداد والمخالفة للوجدان الطاهر فاتخذ الوجهاء تلك الأمور اسباباً لتتابع الشكايات عليه الى ان ادت الحال الى ما ذكرناه . ولا تنس ماقدمناه من ان اوساط الناس والضعفاء كانوا راضين عنه لعطفه عليهم واخذه بناصرهم وهم لايزالون يتناقلون اخباره ومناقبه ويتحدثون بها في مجالسهم بملء الاعجاب وقد كانت وفاته كما قدمناه سنة ١٣٠٧ رحمه الله تعالى .

(ذكر ولاية عثمان نوري باشا)

في التاسع عشر من شهر ربيع الثاني من هذه السنة حضر عثمان نوري باشا معيناً والياً على حلب

وفيها تقرر انشاء محلة خارج باب الفرج ودعيت السليمية باسم الامير سليم نجل

السلطان عبد الحميد خان الثاني .

اقول كان القصد من ذلك ان ينسى اسم الوالي جميل باشا وعبثاً كان ذلك فقد غلب اسم الجميلية على تلك المحلة مع انه في الآونة الأخيرة حرر على جدرانها اسم السليمية وهكذا قيدت في دفاتر الحكومة .

قالت الفرات كان تقرر في زمن ولاية جميل باشا انشاء مكتب اعدادي واختير المكان في محلة السليمية وفى ذى القعدة من هذه السنة بوشر بعمارته في اثناء ولاية عثمان نورى باشا . اقول بعد ان بوشر به فى هذه السنة اهمل ثم شرع فى بنائه سنة ١٣٠٧ وتم فى سنة ١٣١٠ كما سنذكره . قالت الفرات بقي عثمان نورى باشا هنا مقدار تسعة اشهر لكنه لم يأت اثناء ولايته بعمل يذكر وذلك لان المرض كان ملازماً له فى اكثر المدة

سنة ١٣٠٥

ذكر استعفاء عثمان نوري باشا وتعيين حسن باشا

قالت الفرات وفى اوائل المحرم من هذه السنة طلب عثمان نوري باشا استعفائه من دار السعادة فاجيب إلى ذلك وعين بدله حسن باشا احد اعضاء مجلس النافعة وكان وصوله الى حلب يوم الاثنين سابع صفر .

وفي شوال من هذه السنة بوشر بترميم المشهد

(سنة ١٣٠٧)

فى رجب من هذه السنة عزل حسن باشا وفى ١٧ منه توجه من حلب وعين بدله عارف باشا والى طرابزون سابقاً وكان وصوله الى حلب يوم الخميس في ١٢ رمضان الموافق ١٩ نيسان سنة ١٣٠٦ رومية وفى شوال بوشر باكمال بناء المكتب الاعدادي في حلب (في السليمية) وكان قد شرع فى بنائه من ثلاث سنوات

(سنة ١٣٠٨)

فى صفر وربيع الاول من هذه السنة حصل هنا داء الهيضة المعروف بالكوليرا

اكتشاف آثار قديمة فى المعرة

قالت الفرات فى عددها ١١٠٥ المؤرخ فى ١ رمضان من هذه السنة ما نصه ورد الينا من مكاتبنا في المعرة انه ظهر بنـاء قديم فى ارض تبعد خمس دقائق عن المعرة ولما كان درك هذا البناء لم يظهر حتى الآن فأن مقداره لم يكن معلوماً الا ان بابه الداخلي عبارة عن قطعة حجر سوداء وفى سقف الباب صورة رخم وهكذا يوجد في بقية الأحجـار انواع من الرسوم لم تعرف حتى الآن وقد انكسر بعضها وعندما ندخل اليه ترى في كل جهة من يمينك ويسارك وامامك صندوقين هما قبران فالجملة ستة صناديق من الحجر المصنع فيها عظام انسان بالية ويوجد بين الصندوقين اللذين هما تجاه الداخل عامود حجري قطعة واحدة قد طوق من طرفيه بطوق معدنى وفي قرب هذا العامود كوزان من الحجر متصلتان ببعضهما اه

وفي ذي الحجة عاد اليها داء الهيضة وضرب الحجر الصحى حول البلدة مدة عشرة ايام ودام هذا الداء من اوائل ذي الحجة الى اواخر صفر من السنة التي بعدها

(سنة ١٣٠٩)

في الفرات في عدد ١١٣٠ المؤرخ فى ١٢ ربيع اول ما نصه من اخبار المعرة انه رمم فيها المسجد الكائن في قرية الدير الشرقي في قضاء المعرة المدفون فيه عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه وجمعت المصاريف من ذوي الغيرة والحمية اه .

وفيها في عدد ١١٦٢ المؤرخ فى ٧ ذي القعدة مانصه ان قناة حلب طولها ثلاثة عشر الف ذراع وقد طبق منها للآن مسافة احدى عشر الف ذراع والباقي وهو

الفا ذراع التي هي في خلال البساتين جار تطبيقها فى الحالة الحاضرة اه

(سنة ١٣١٠)

[ذكر اتمام المكتب السلطانى فى محلة السليمية]

في اواخر صفر من هذه السنة كملت عمارة المكتب الأعدادي الملكى خارج باب الفرج في المحلة المعروفة بالسليمية (ثم دعي المكتب السلطاني) واحتفل بافتتاحه يوم الجمعة ثاني ربيع الأول والقيت في ذلك الأحتفال خطب وكلها ترمى الى شكر السلطان عبد الحميد خان الثاني والثناء عليه وعلى اهتمامه بنشر المعارف فى البلاد العثمانية .

والذي علمناه انه صرف على هذا المكتب نحو ثلاثين الف ليرة عثمانية وانه اختلس قسم كبير من هذه النفقات

[عزل عارف باشا وتعيين عثمان باشا للمرة الثانية]

فى ١٥ جمادى الثاني من هذه السنة وصل الى حلب عثمان نوري باشا وهي ولايته على حلب للمرة الثانية وتوجه منها واليها السابق عارف باشا فى التاسع عشر من هذا الشهر .

سنة ١٣١١

قالت الفرات في عدد ١٢٣٢ المؤرخ في ٩ ربيع الثانى من هذه السنة من آثار عثمان نوري باشا اهتمامه بردم الخندق المعروف بالعطوي واتخاذه جادة وتعريضه جسر الناعورة مقدار ذراعين من كل طرف .

﴿ ذكر ترميم جامع البختي ﴾

في رمضان من هذه السنة بوشر بترميم جامع البختى الكائن قرب محلة آقيول ومصاريف ترميمه دفعت من الخزينة السلطانية الخاصة

الكلام على هذا الجامع

قال ابو ذر في كنوز الذهب هذا الجامع شمالي بانقوسا غير متصل بعمائر بل في طرف المقابر وشماليه جبل به قبة صغيرة مدفون بها شخص من التجار يقال له . . . انشاه الحاج عيسى بن موسى الكردي في ايام السلطان الناصر يوسف بن . . . عزيز محمد بن الظاهر غازي في سنة خمس واربعين وستمائة وعمارته محكمة من الآلات الثقيلة ومن غريبه دكة مرخمة خارجة وهو مكان نير اه

وفي الدر المنتخب لأبن الشحنة قال عد ابن شداد بالرمادة اربعة وثلاثين مسجداً وقال قال في مختصر البلدان الرمادة محلة كبيرة كالمدينة في ظاهر حلب متصلة بالمدينةوهي المكان الذي يعرف بجامع البختي. (اقول) وهذا يفيد ان هذا المكان كان في زمن ابن شداد في القرن السابع عامراً وفيه هذا العدد من المساجد وقد خرب في حوادث تيمور لنك حتى لم يبق فيه سوى جامع البختي ولذا هجر الجامع وتداعى للخراب الى ان قدر له الترميم في هذه السنة بأمر من السلطان عبد الحميد خان الثاني رحمه الله وقد كتب على بابه من نظم شيخنا الشيخ بشير الغزي رحمه الله هذه الأبيات

انظر الى آثار رحمة ربنا * احيا الموات وعاد بالأحسان
والى صنيع مليكنا الغازي الذي * سعد الزمان به وكل مكان
فلأمة المختار جدد جامعا * حتى تقام عبادة الرحمن
فلمغتبط اذ ارخوه بعيدها * قد شاده الملك الحميد الثاني

(المواليد والوفيات في هذه السنة في حلب وملحقاتها)

قالت الفرات في عدد ١٢٦٣ المؤرخ في ١٩ ذي القعدة من هذة السنة الموافق

١١ مايس سنة ١٣١٠ و ٢٤ منه سنة ١٨٩١ مانصه تبين من دفاتر النفوس انه من ابتداء آدار الى غاية شباط وهي السنة الماضية بلغ عدد المواليد في حلب ١٩١٢ والوفيات ١٦٧٠ واما الملحقات فكانت عدد المواليد ٨٠٤٠ ووفياتها ٧٨١٥ فعلى هذا تزيد مواليد ولايتنا عن وفياتها فى سنة واحدة ٤٦٧ نسمة

عزل عثمان نورى باشا وتعيين حسن باشا للمرة الثانية

قالت الفرات في اواخر ذى الحجة من هذه السنة عزل عثمان نورى باشا وبارح الشهباء في اليوم الثاني من المحرم سنة ١٣١٢ وعين بدله حسن باشا واليها السابق

(سنة ١٣١٢)

في التاسع عشر من المحرم وصل الى حلب واليها حسن باشا وهذه ولايته للمرة الثانية

(سنة ١٣١٣)

في جمادى الثاني عزل حسن باشا وعين بدله مصطفى ذهنى باشا وكان وصوله في الحادي عشر من هذا الشهر وبقي هنا نحو اربعين يوماً ثم عزل وعين بدله رائف باشا وكان وصوله الى حلب في خامس شعبان من هذه السنة

(ثورة الأرمن في جهة زيتونة ومرعش)

كان ابتداء هذه الثورة في اواخر السنة الماضية وسببها منازعات حصلت بين بعض الأرمن وبعض صغار مامورى الحكومة مثل محصلى المال ورجال الدرك فى قرى فرنس وآلاباشي من اعمال قضاء زيتون التابع للواء مرعش. والحكومة لم تلق بالاً لهذه المنازعات (ومعظم النار من مستصغر الشرر)ولم تتخذ التدابير لحسمها فتوسعت من القرى الى بلدة زيتون وكان هنالك رجل من الارمن يسمى ناظارت وهو جاويش فى الدرك فشكل بعض عصابات وترأسها وكان المحافظ

لبلدة زيتون توفيق بك وكان رجلاً ضعيف العزيمة قليل التدبير فكلف المسلمين القاطنين هناك الانحياز الى الثكنة العسكرية مع الجنود العثمانية التى كانت بالثكنة المذكورة وطلب نجدة من مرعش فطمع الأرمن لذلك واندلع لهيب الثورة وطار شررها وتسلط الأرمن على بعض عائلات المأمورين والضباط الذين لم يتمكنوا من الألتجاء الى الثكنة ومثلوا بهم تمثيلاً فظيعاً يحمر له وجه الانسانية خجلاً ولما اتسع نطاق هذه الثورة هاج المسلمون القاطنون في القرى المجاورة وابتدأوا يجتمعون فى مرعش وابتدأ الارمن يحتشدون في زيتون وقدر عددهم بما يزيد على عشرين الفاً . وفى هذا الاثناء حضر من امريكا تسعة من الارمن خرجوا من السويدية ومنهـا ذهبوا الى الزيتون من طريق جبـال بيلان وكاوورطاغ ولما وصلوها استلموا رآسة هذه العصابات ولما وصلت اخبار تلك الفظائع التى حصلت في زيتون ومرعش هاج لها مسلمو مرعش وثاروا على الارمن فحصلت مذبحة قتل فيها من الطرفين كثير وبعد ايام قلائل حدثت مذبحة فى عينتاب قدرت القتلى فيها من الأرمن بنحو سبعمائة ثم حصلت مذبحة فى بيرهجك ثم في اورفة وهى اعظم مذبحة وقعت ويقدر القتلى فيها من الأرمن بألفين وسرت تلك الحوادث الى ولاية آدنة . ولما تفاقم الأمر جمع رديف ولاية حلب وولاية آدنة وولاية ازمير واستلم زمام القيادة مصطفى رمزي باشا وكان قائد الجيوش التى اتت من ازمير وآدنة على محسن باشا واما القيادة العامة فانيطت بأدهم باشا قائد فرقة حلب ولما وصلت تلك الجيوش الى زيتون احاطت بالثائرين احـاطة السوار بالمعصم وارسل القائد ادهم باشا الرسل لرؤساء هذه العصابات بقصد نصحهم والاقلاع عما هم فيه فلم تزدهم النصيحة الا عتواً ونفورا وذلك لما قام في مخيلتهم من اقامة مملكـة ارمنية ولم يلاحظوا قلة عددهم وعددهم وانهم فى وسط البلاد العثمانية

التي معظم سكانها من المسلمين ولما لم تجد هذه النصائح شيئاً اخذت تلك الجيوش تناوشهم القتال وحاصروهم مقدار شهر فعند ذلك تداخلت السفراء بالآستانة وتم الاتفاق بينهم وبين الباب العالي ان يسافر من حلب الموسيو بارنهام معتمد انكلترا في حلب ومعتمد فرنسا وايطاليا ايضاً الى الزيتون ويتوسطوا في امر الصلح فتوجه هؤلاء والزموا رؤساء العصابات بتقديم الطاعة وتسليم ما لديهم من السلاح الى الحكومة العثمانية واصدرت الحكومة عفواً عن الارمن والاشخاص الذين كانوا اتوا من اميركا وترأسوا العصابات وابعدت هؤلاء عن بلادها كما حصل الاتفاق مع معتمدي الدول المذكورة وجيء بالجاويش نظارت بطل هذه الثورة وغيره من وجهاء الارمن الى حلب وتركوا فيها تحت نظر الحكومة وبقوا هنا عدة اشهر ثم اعيدوا الى بلادهم بعد ان سكنت الاحوال . وظلت هذه الفتنة الى اواخر هذه السنة ودامت من ابتداءها الى ان خمدت نارها خمسة عشر شهراً وفي اواخر هذه السنة اطلق سراح العساكر وانعم على ادهم باشا القائد العام لهذه الجيوش برتبة مشير وتعين قائداً عاماً للجيوش التي وجهت لمحاربة اليونان وعين علي محسن باشا قائداً فوق العادة على ولاية آدنة وحلب وبقي في حلب الى ان توفي فيها في شوال سنه ١٣٢١ ودفن بالتكية المولوية وكانت جنازته حافلة حضرها الوف من الناس واتخذ قبره من حجارة حمراء استحضرت من بلاد ايطاليا ونقش عليها بيتان من نظم شيخنا الشيخ بشير افندي الغزي رحمه الله وهما

لله رمس ضم مولى ماجداً * للمرتضى صهر النبي سميا
رضوان يوم العيد ارخ انه * اضحى عليٌّ في الجنان عليا
١٣٢١

سنة ١٣١٤

في هذه السنة شكلت لجنة لأكمال عمارة مستشفى الغرباء الذي كان بوشر به في اثناء ولاية جميل باشا وكان قد ارتفع من ابنيته مقدار ثلاثة امتار وفي صفر منها شرع المجلس البلدى بعمارة منتزه السبيل شمالي حلب الى غربيها وحفر ثمة حوض على شكل نصف دائرة يملأ من بئر حفر هناك يستخرج مائه بواسطة دولاب يدور فى الهواء وانتهت عمارته في منتصف محرم من سنة ١٣١٥

﴿ ذكر الحرب بين الدولة العثمانية واليونان ﴾

في منتصف ذي القعدة من هذه السنة ابتدأت الحرب بين الدولة العلية العثمانية واليونان وفى نصف ذي الحجة اوقف رحى الحرب وكان النصر حليف الدولة العثمانية واستولت على كثير من بلاد اليونان حتى قاربت العساكر العثمانية عاصمتهم (آتينا) الا ان الدول الأوربية لم تمكن الدولة العثمانية من اجتناء ثمرة انتصارها واعادت لليونان ما اخذ منها بل زادتها من املاك الدولة العثمانية وقد افرد ذلك بتأليف مخصوص موسوم بحرب الدولة العثمانية مع اليونان بالتركية والعربية

(سنة ١٣١٥)

(ذكر افتتاح الجادة المعروفة بجادة الخندق)

ذكرنا فى حوادث سنة ١٣١١ انه بوشر فيها بردم الخندق المعروف بخندق العطوى ولا زال الردم متتابعاً فيه من عدة جهات من تلك السنة الى هذه السنة ففيها تم ردمه وذلك من امام تربة الجبيلة الى ساحة باب الفرج واشترت البلدية دوراً فى محلة العوينة من الباب الثاني لدار الحكومة المعروف بباب السجن الى باب النصر وخربت تلك الدور فاتصلت الجادة من دار الحكومة الى باب النصر

الى ساحة باب الفرج الى محطة الشام ومن محلة بانقوسا الى باب النصر فصارت هذه الجادة اعظم جادة في الشهباء وقد شطرت البلدة الى شطرين تقريباً واخذ الناس في بناء الدور والمخازن والخانات والمقاهي في طرفيها وربما لا يمضي عشر سنوات الا وتتصل الأبنية ببعضها من الجانبين ولا يبقى ثمة موضع خال .

وفي سنة ١٣١٦ بوشر ببناء الجسر العظيم الذي في اواخر هذه الجادة صرف عليه مقدار ثلاثة آلاف ليرة عثمانية وقد جاء آية للناظرين وصارت البساتين التي في جانبيه متنزهاً عاماً .

وفي ذي الحجة من هذه السنة استحضر دولاب ذو مراوح حديدية تدور بواسطة الهواء ليسقي من مائه بستان انشئ في اطراف قهوة البلدية في المكان المعروف بالسبيل الذي اتخذ متنزهاً عاماً وبني تحت هذا الدولاب صومعة .

سنة ١٣١٦

(ذكر بناء منارة الساعة في ساحة باب الفرج)

في ١٥ ربيع الاول من هذه السنة احتفل بوضع الحجر الأول في اساس منارة الساعة تجاه باب الفرج ثم بوشر بعد ذلك ببنائها على صورتها الحاضرة وكان موضعها قسطل ماء مربع الشكل يسمى قسطل السلطان وهو من آثار السلطان سليمان خان العثماني .

وبلغ مصروف عمارة المنارة نحو ٦٠٠ ليرة عثمانية جمعت من ذوي الثروة واليسار واذا تأملت ما في هذه المنارة من حسن الصنعة يظهر لك ماوصل اليه فن البناء في حلب وان البنائين هنا حازوا قصب السبق على كثير من البلدان وكملت عمارتها في سنة ١٣١٧ وقد ارخ ذلك الشيخ احمد الشهيد مفتي بلدة حارم بقوله

أنشا لنا الملك الحميد مآثرا * عظمت صناعتها واي صناعه
حامي حما الدين المكين ومن له * اضحت سلاطين الورى اتباعه
من ذاك في حلب اقام منارة * تثني عليه بساعة سماعه
ايام دولة رائف فخر العلا * والي حما الشهبا بأبرك ساعه
ولذاك نادى فى الورى تاريخها * اثر يقوم الى انفصال الساعه

وكان المهندس لهذا البناء شارتيه افندى مهندس الولاية وبكر صدقي افندى مهندس المركز وكان رئيس المجلس البلدى وقتئذ بشير افندى الأبرى وقد بذل الجميع من الهمة والعناية ما استحقوا مزيد الشكر والثناء

(سنة ١٣١٨)

(ذكر عزل رائف باشا وتعيين انيس باشا)

فى ربيع الأول من هذه السنة عزل رائف باشا وعين بدله انيس باشا وكان وصوله الى حلب في السابع عشر من هذا الشهر وفي اواخر ربيع الثانى توجه منها واليها السابق رائف باشا . وقد كان رحمه الله وعفا عنه وزيراً جليلاً عظيم الشأن واسع المدارك حسن الأدارة كثير التنقيب عن احوال المأمورين واعمالهم خفت فى زمنه وطأة الرشوة حتى كاد ان لا يبقي لها اثر في دوائر الحكومة والناس مجمعون على انه لم تر الشهباء بعد جميل ولم يأتها بعده مثله والكثير منهم يقولون انه احسن ادارة واسمى فكراً وادق نظراً من جميل باشا وله فى الشهباء آثار حسنة وتقدمت فى زمنه فى العمران كثيراً وحسبك الجدول الذي سنذكره دليلاً على ماقلناه لأن تلك الأعمال التي قام بها المجلس البلدى في مدة ولاية رائف باشا وهي اربع سنين ونصف كان له فيها اليد الطولى والهمة العليا .

وكما ان له آثاراً حسنة فأن له اثرا قبيحا وسنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وهو فتح بيوت مخصوصة للفحش فى محلة بحسيتا ثم امتد الى محلة المصابن وبعد ان كانت المومسات قلائل في الشهباء يعددن بالأصابع اصبحن بفضل اتخاذ هذه الأمكنة الخبيثة يناهز عددهن خمسمائة . وبعد ان كان لا ينغمس فى هذه الحمأة ولا يتلطخ في هذه القاذورات الا اشخاص قلائل لما يعترض ذلك من الأخطار والمشقات التي ربما تفضي الى القتل ولا يقدم على ذلك الا من خبثت نفسه وكانت في احط درجات الدناءة وليس فيه مثقال ذرة من المروءة والشهامة والشرف اصبح المتخلفون الى هذه الأماكن مئآت من الناس بل الوفا وفشى امر الزنا في ابناء الشهباء وماحولها بعد ان كانوا تمثال الفضيلة والعفة والأخلاق الكريمة . وتهافت الشبان فى هذه السنين الأخيرة على هذه المواخير لسهولة الوصول اليها غير مبالين بقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) وقد فشا فيهم فوق ما يكتسبونه من الأثم وغضب الله تعالى داء الزهري والأفرنكي والتعقيبة وقل منهم السالم منها وتراهم غادين رائحين الى ابواب الأطباء للتخلص من هذه التهلكة وهيهات هيهات فقد سبق السيف العذل .

وهناك مضار اخرى كثيرة نشأت عن فتح هذه البيوت لو بسطنا القول فيها لطال الكلام وخرجنا من موضوعنا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

بيان الانشاآت التي حصلت في مدة ولاية رائف باشا

قالت الفرات في عددها ١٥٦١ المؤرخ في ٤ محرم سنة ١٣١٨ ما ملخصه .

احصائية نظمها مجلسنا البلدى ابان فيها ما حصل فى السنين الأربع الاخيرة من العمائر والانشاآت فى مواقع مختلفة من مدينة حلب

١ جادة الخندق وأولها الفرع الآخذ الى دار الحكومة الطول ذراع ٤٤٩ عرض ١٨
٢ جادة فتحت من بستان النيال متصلة ببوابة الخل آخذة الى محلة سليمان الحلبي ٦٠٠ ٢٠
٣ جادة ابتداؤها من رأس فرع دار الحكومة تكملة لجادة الخندق آخذة الى خان الدلال باشى في بانقوسا ٥٠٠ ١٨
٤ جادة فتحت من جسر الناعورة آخذة الى الجادة الجديدة ٢٥٠ ٢٠
٥ جادة ثلاث جادات تلتقي مع بعضها في بستان الكلاب ٩٢٢ ٢٠
٦ جادة محلة السفاحية وقد وسع رأسها على قدر الكفاية
٧ جادة فتحت في بستان الكلاب تبتدي من عند ادارة الديون العمومية وهي بقية جادة الخندق وتنتهي للجادة الآخذة الى العزيزية ٣١٥ ٢٠
٨ ساحة خارج باب الفرج كان فيها بيت قهوة فأخذت من ذويها شراء وهدمت ووسعت بها الساحة المذكورة
٩ جسر باب النصر كان عليه ثلاث دكاكين اخذت شراء وهدمت وصححت بارضها استقامة جادة الخندق (الجسر كان بين باب النصر وبين الطرق الثلاثة الآخذة الى سوق النحاسين والى محلة جامع الزكي والى الجديدة)
١٠ افتتاح فرع آخذ من جادة دار الحكومة الى جامع العثمانية
١١ جادة فتحت على طول ١١٢ وعرض ١٨ لتوصل القسم الآخذ الى باب الاحمر بجادة الخندق المارة من خان هاشم افندي دلال باشى الكائن في بانقوسا
١٢ شراء بعض منازل اولاد الياهو سلويرة وهدمها واخذ ارضها لتصحيح جادة الخندق الممتدة من باب النصر الى موقع السهروردي
١٣ جادة فتحت على طول ١٨ وعرض ١٨ ذراعاً تكملة لجادة الخندق الممتدة

من باب الحديد الى باب الاحمر وبرية المسالخ

١٤ جادة على حافة النهر طولها ٢٨٠ عرضها ٢٠ قد سطحت بردم ٥٦٠٠ ذراع من التراب و ١١١٠ من الرصاص مكعبا

١٥ جادة بستان كورمصري طولها ٣٠٠ وعرضها ٢٠ وهي بقية جادة الخندق قد سطحت من تعبئة ٦٠٠٠ ذراع تراب مكعبا

١٦ جادة فتحت اولها الجسر الذي انعقد على النهر وآخرهـا طريق شوسة اسكندرونة طولها ٩٥٠ ذراعاً وعرضها ٢٠

١٧ فسحة تجاه سبيل القهوة التي هي المنتزه العام قد سطحت جديداً طولها ١٤٥ وعرضها ٤٥ ذراعاً ومجموع طمها ٣٦٢٥ ذراع مكعباً

١٨ جسر السيد الكائن في مبدأ جادة كلز وعينتاب وهو ممر بساتين حلب في شمالها وممر الجسور القريبة من حلب من جهتين ٩ اذرع واصلح وطمت اقسامه التي هي في طول ٤٠٠ ذراع وبلغ مجموع اذرع الطم بالتكعيب ٧٢٠٠ ذراع

١٩ بقية شعبة جادة الحكومة طولها ٣٣ ذراعاً وعرضها ١٨

٢٠ طريق التكنة الهمايونية في تحلة الريش طول ٨٦ عرض ٥ وبلغ املاؤها بالتراب ١٧٢٠ ذراعاً

٢١ جادة فتحت من محلة العزيزية الى جادة الخندق في بستان الكلاب طول ٤١٢ وعرضها ٢٠ وتسويتها الترابية ٧٧٧٦ ذراعاً مكعباً واملاؤها ١٩٢٨٦ ذراعاً مكعباً

٢٢ ميدان المسالخ الذي هو من اعظم الأسواق التي تباع فيها انواع المواشي فقد سيج من جهاته الأربع بجدران منعاً لتعدي الناس عليه وعمر في وسطه حوض

واسع تؤدى اليه الطرقات من كل جانب
٢٣ ارض فى بستان السليمية مهدت بالتراب وبلغ مجموع املاءها ٣٦٢٢ ذراعاً وفتح فيها طريق طوله ٣٤٠ ذراعاً
٢٤ تمهيد بعض الجادات التي فتحت جديداً وتصليح الجادات القديمة فقد بلغ ما ملئ منها بالتراب منذ ابتداء سنة ١٣١٢ الى غاية ٣١٥ (١١١٥٢٢) ذراعاً مكعباً وهذا عدا المقادير التي سبق ذكرها
٢٥ طم طريق شوسة اسكندرونة الذي يبتدئ من تحجير الكيلو الأول في محلة السليمية فقد جرى عليه من التسوية الترابية ١٧٧٧ ذراعاً مكعباً
٢٦ قسم من جادة الخندق الممتد الى الجادة الآخذة من ادارة الديون العمومية في موقع السهروردي الآخذة الى محلة العزيزية فقد بلغت التسوية الترابية ٩٢١٥ ذراعاً مكعباً وبلغ تنظيمه الترابي ٢٠٨١ ذراعاً مكعباً

فرش طرق المركبات

٢٧ جادة ممتدة من جسر الناعورة الى تحجير الكيلو الأول من محلة السليمية على طول ٥٠٥ وعرض ٦ اذرع وقد جعلت شوسة فبلغت ١٠١٠ اذرع
٢٨ جادة طولها ٣٨٥ آخذة من جسر الناعورة الى باب الفرج والقسمة التي توجد فى قربه قد جعلت شوسة وبلغ فرشها ١٤٢٨ ذراعاً مكعباً
٢٩ جادة ممتدة من برج الساعة الى ادارة الديون العمومية في موقع السهروردي طولها ٢٧٦ ذراعاً قد بلغ فرشها شوسة ٦٢١ ذراعاً مكعباً
٣٠ فرش شوسة طولها ٣٠٠ ذراع اولها من دار جرجي مخملجى وآخرها عند دار جرجى بليط يبلغ فرشها ٦٦٠ ذراعاً
٣١ شوسة من بوابة الخل الى بستان النيال طولها ٤٧٠ ذراعاً وفرشها ٨٣٣

ذراعاً مكعباً

٣٢ تعمير المتنزه المعروف بالسبيل الذى كان يملأ بماء المطر عمر بجمع الماء وشيد على طرفه قبلة وشمالاً سياج على صفة القطع الناقص واحكم سده وفتح تجاه هذه العمارة بستان مساحته ٢٨٣٨٥ ذراعاً . وحفر تجاه باب مجمع الماء القديم بئر ووضع عليه دولاب لاستخراج الماء احضر من امريكا ارتفاعه ٢٢ ذراعاً وهو يدور بقوة الهواء ووضع هذا الدولاب على قاعدة شيدت من حجارة النحيت ارتفاعها ٦ اذرع وفتح في اواسط هذا البستان حوض يبلغ دوره ٣١٠ اذرع وعمقه ذراع ونصف وللدولاب المذكور حاصل كبير مركوز تحت قنانه يبلغ قطره نحو ٣ اذرع وارتفاعه ٤ مُدَّ منه قناة حديدية سحبت الى الأمام حتى وصلت الى طريق شوسة اسكندرونة وهناك تفرغ الماء بقسطل له حنفية مزدوجة يستقى منها الوارد والصادر وصار هذا الموضع متنزهاً عاماً للشهباء

٣٣ مستشفى جسيم كان شرع فى بنائه قبلاً لاجل تداوى الغرباء والفقراء وهو عبارة عن ٣٢ حجرة وبيتين عظيمين وصالونين طويلين وبيت لغسل الثياب ومكان لغسل الأموات وحمامين في كل واحد منهما ٨ مغاطس وحجرتين بستار للثياب واجزائية وحجرة لفحص المرضى وحجرتين لفحص العيون والعمليات الاعتيادية وبستانين كبيرين فى طول ٨٤ وعرض ٢٠ مترا من تجاه المستشفى ومن طرفيه وهما مزدانان بالاعمدة اللطيفة ومسيجان بجدران مع دهليز جميل وحجرتين للبواب ومجموع مساحة هذا المستشفى مع مشتملاته ١٧٩١٣ ذراعاً مكعباً

٣٤ سراب طوله ٥٠٠ وارتفاعه ٥٠=١ ممتد من خان دلال باشى الى باب النصر

٣٥ سراب من قسطل الحرامي والحميدية والصليبة ينتهي عند ادارة الديون العمومية
٣٦ مسجد عمر بدل مسجد قديم على الفرع الآخذ من جادة الخندق الى دار
الحكومة ويشتمل هذا المسجد على قبلية فسيحة ومكتب للصبيان وحجرة
وصحن مفروش بالبلاط وحاصل الماء تبلغ مساحته ٥٧٢ ذراعاً مكعباً
٣٧ جدران سيجت بها مقبرة الأسلام في محلة السليمية مساحتها ١١٨٨ ذراعاً
٣٨ جدار على ضفة النهر مساحته ٧٨٣ ذراعاً
٣٩ مخفر تجاه منتزه السبيل على طريق مركبات اسكندرونة مساحته ٢٨٤٧ ذراعاً.
٤٠ برج ساعة في ساحة باب الفرج يعلو في الهواء ٣٥ ذراعاً قد فتح في قاعدتها
من الجهات الثلاث حياض جميلة الصنعة وهذا البرج يدل على تقدم صنعة
البناء في حلب ومساحة هذا البرج ١١٥٥ ذراعاً مكعباً
٤١ جدار شيد على جادة ضفة النهر منعاً لطغيان المياه مساحته ٣٢١ ذراعاً
٤٢ تعميرات تبلغ ٣٥٠ ذراعاً اقيمت بدل جانب ما هدم من تكية القرقلار
٤٣ تعميرات تبلغ ٧٠٠ ذراع اقيمت على فرع التكية المذكورة
٤٤ تعميرات غرفة مجلس ادارة الولاية التي انهدم بعضها حين افتتاح الفرع
المذكور تبلغ مساحتها ١٤٠ ذراعاً
٤٥ اصلاح وتجديد جسر المغزى في طريق كلز مساحته ٣٣٩ ذراعاً
٤٦ اصلاح وتجديد جسر السيد تبلغ مساحة ما جدد واصلح ٣٦١ ذراعاً
٤٧ جدران عمرت للسياج على طرفي جادة الخندق التي فتحت في بستان
كورمصري مساحتها ١٥٨١ ذراعاً
٤٨ حوض ماء عمر على شكل لطيف في الجادة الآخذة الى دار الحكومة
مساحته ٤٨ ذراعاً

٤٩ مسجد انشىء تعويضاً على جادة الخندق الآخذة الى باب الاحمر وبرية المسلخ وفيه مكتب للصبيان ورصيف علويّ تحته حجرتان للجامع وثلاث دكاكين فتحت فى واجهة المكتب مما يلي الجادة وطول هذا المسجد مع مشتملاته ٣١ ذراعاً وعرضه ١٦ ومساحته ٤٩٦ شطرنجياً و ٢٠٠٠ ذراع مكعب

٥٠ ثلاث دكاكين من وقف النسيمي وتكية القرقلار عمرت تعويضاً على جادة الخندق الآخذة الى دار الحكومة مساحتها ٢٨٨ ذرعاً مكعباً

٥١ جدران سدود شيدت على طرفي جادة جديدة ابتداؤها من الجسر الحجري الذي عقد على نهر قويق وانتهاؤها طريق شوسة اسكندرونة تبلغ مساحتها ١٩٠٠ ذراع

٥٢ دولاب ماء انشىء تعويضاً على جادة الخندق بين البساتين وهو مركب من ١٠٠ ذراع

٥٣ جدران سد على طرف طريق النكمة في حارة الريش مساحتها ٥٥٦ ذراعا

٥٤ حوض جسيم انشيءَ في فسحة برية المسلخ طوله ٥٣ وعرضه ٢٧ ومساحته ١٤٣١ ذراعا مستطيل القطع له اربع زوايا يبلغ تكعيبه ٢٠٧٠ ذراعا

ثم ذكرت من ٥٥ الى ٨٥ الجادات التي بلطت داخل الشهباء مما لم نجد فى ذكره كبير فائدة

٨٦ حوض يشاد جديداً فى حجم ٢١٢٧ ذراعاً لاجل رش الطرقات على الطرز الحديث يؤخذ منه الماء بواسطة اقنية حديدية وادوات معلومة اهـ

اقول هذا الحوض فى ذيل تربة الجبيلة وقد تعطل ولم يأت بالفائدة التى بني لأجلها

[انشاء الخط الحديدى من الشام الى المدينة المنورة]

قبل اشهر بوشر بأنشاء السكة الحديدية الحجازية من الشام الى المدينة المنورة

وصارت تجمع لها الأعانات من الاقطار الاسلامية وفى ربيع الثانى من هذه السنة صار تجمع الأعانات من وجهاء الشهباء وتجارها وقد نشرت جريدة الفرات ما دفعه اهالي الشهباء فى هذا السبيل فبلغ الفي ليرة عثمانية

الاحتفال بافتتاح مخفر في محلة العزيزية

من جملة آثار رائف باشا انشاء مخفر في محلة العزيزية واسع جداً وقد احتفل بافتتاحه في جمادى الاولى من هذه السنة

(سنة ١٣١٩)

افتتاح مكتب للصنايع

في ربيع الاول من هذه السنة استأجرت المعارف دار الصابوني المشهورة في محلة باب قنسرين امام جامع الرومي واتخذتها مكتباً للصنايع ودخل اليه نيف ومائة طالب وصارت تصنع فيه الأحذية وتعلم فيه النجارة والحياكة وفي ربيع الثاني منها عين مديراً له الشيخ كامل افندى الغزي

(سنة ١٣٢٠)

فى اواخر جمادى الثانى منها عزل انيس باشا وعين بدله مجيد بك وقد وصل الى هنا في ٥ رجب وفي ايام انيس باشا اصلح ايوان المدرسة الحلوية ونقش اسمه عليه

(سنة ١٣٢١)

اقامة معرض لصنائع حلب في المكتب السلطانى

في جمادى الثانى من هذه السنة اقيم في المكتب السلطاني الكائن في محلة السليمية معرض عرضت فيه انواع الصنائع الحلبية من اقمشة وخزف وزجاج وخصصت كل غرفة لصنعة من الصناعات ودام ذلك نحو شهر وزين المكتب من بابه الى مدخل البنايات وصار الناس يفدون للفرجة عليه من حلب وخارجها. وقد دل

هذا المعرض على تقدم صنعة الاقمشة الحريرية والقطنية وصنعة السجاد المصنوع من الحرير والصوف

(سنة ١٣٢٢)

في اواخر جمادى الثاني من هذه السنة عزل مجيد بك وتوجه في السادس والعشرين منه من حلب وفي يوم الثلاثين منه وصل الى حلب كاظم بك معيناً والياً عليها

انظر لتقلبات الدهر

كان للوالي مجيد بك ولد شاب اسمه نجيب بك كان هنا مع ابيه اثناء ولايته وصار له من النفوذ ما لا يوصف وكان من الزهو والخيلاء على جانب عظيم . حدثني احد وجهاء الشهباء قال سافرت الى الآستانه لبعض شؤوني وذلك اثناء الحرب العامة فدعاني صديق لي لتناول الغذاء في بعض فنادق الآستانة فلما دخلنا اليه استقبلنا خدمته على حسب العادة فرأيت بين هؤلاء رجلاً كنت رأيته ولكني نسيت من هو يحدق النظر الي وفي آخر الأمر عرفته حق المعرفه فـاذا هو نجيب بك ابن والي حلب مجيد بك وقد تقلبت به الأحوال بعد سفره مع ابيه من حلب حتى صار خادماً في احدى فنادق الآستانة فسبحان المعز المذل

(سنة ١٣٢٣)

توقيع المقاولة على ايصال الخط الحديدي من حماة الى حلب

كان الخط الحديدي قد مد من قبل سنوات من محطة رياق (بلدة صغيرة بين بيروت والشام) الى حماة . قالت الفرت في عدد ١٨١٨ المؤرخ في ٣ ربيع الثاني من هذه السنة ناقلة عن صحف دار السعادة ان مقاولة ايصال الخط من حماة الى حلب قد وقع عليها في اليوم الثامن عشر من مايس وان المهندسين المعهود اليهم بمناظرة الاعمال الأولية من هذا الخط قد توجهوا في هذه الايام الى حماة

وقالت في عدد ١٨٢٢ تاريخ ٢١ تموز سنة ١٣٢١ رومية و ٢ جمادى الاولى جاء في جرائد بيروت ان المهندسين الذين انتخبتهم ادارة السكة الحديدية لهندسة المواضع من الخط الحديدي بين حماة وحلب يصلون الى بيروت في اول تموز وفي العاشر منه يصل الموسيوفون كاب مدير قسم الأشغال فيوزع الأشغال في خمسة او ستة اماكن بوقت واحد لكي ينهوها في مدة عشرة اشهر والمسافة بين حماة وحلب ١٤٣ كيلومترا .

﴿ تحرير نفوس حلب ﴾

في جمادي الأولى من هذه السنة انتهى تحرير نفوس حلب فزادت عن قبل ١٤٥٣٥ نسمة . واذا جمع الى عددهم سنة ١٣٠١ فيكون المجموع ١١٣٧٢٤

وفي شهر رجب عزل كاظم بك وولي ناظم باشا وكان وصوله الى حلب يوم الأثنين في ١٢ رجب الموافق ١١ ايلول سنة ١٩٠٥

وفي يوم السبت الموافق سابع عشر رجب شنقت امرأة على الربوة التي هي امام القلعة وهي من اهالي انطاكية اسمها كاملة بنت كورمش كانت قتلت زوجها عمداً بالسم وقتلت بنتاً لها منه عمرها ٣ سنوات اسمها رقوش عن غير قصد وذلك منذ ثلاث سنوات وحكمت عليها محكمة استئناف الجزاء بالقتل قصاصاً واقترن الحكم بالأرادة السلطانية فنفذ الحكم في هذا اليوم . وتوجه ذلك اليوم ألوف من الناس رجالاً ونساءً لمشاهدة ذلك المنظر الرهيب الذي لم يروا مثله قبل ذلك بسنين

سنة ١٣٢٤

﴿ ذكر وصول الخط الحديدي من حماة الى حلب ﴾

في الثامن عشر من جمادى الثاني من هذه السنة الموافق لسادس آب سنة ١٩٠٦

و ٢٤ تموز سنة ١٣٢٢ تم مد الخط الحديدي من حماة الى حلب الذي بوشر به في العام الماضي كما اشرنا اليه وخرج يوم وصوله الوف من الناس لمشاهدة ذلك وكان الناس يائسين من وصول الخط الى هذه البلاد

﴿ الأحتفال العظيم بوصول الخط الى حلب ﴾

فى يوم الخميس الموافق للسابع عشر من شعبان احتفل بوصول الخط الحديدي الى حلب واقيم ذلك الأحتفال فى المكان الذي اتخذ محطة له فى غربي حلب حضره والي الولاية ومأمورو الملكية والعسكرية وكثير من العلماء والوجهاء والوف من الناس والقي فيه كثير من الخطب والقصائد وكلها تضرب على وتر واحد وهو الثناء والشكر للسلطان عبد الحميد خان الثاني وتعداد ماله فى البلاد العثمانية من الآثار الجليلة وارخ وصول الخط الحديدي الى حلب صديقنا السري الفاضل الشيخ مسعود افندي الكواكبي بقوله

حبذا خط حديد به * قد اعدنا شأن شهبانا
عمت الأفراح لما غدا * كاملاً في نصف شعبانا
ولسان السعد ارخه * وطريق الخير قد بانا

١٣٢٤ ٥٤ ١٠٤ ٨٤١ ٣٢٥

سنة ١٣٢٥

﴿ اول مسابقة بين الخيل وغيرها جرت في حلب ﴾

في سادس رمضان جرت مسابقة بين الخيل في الميدان الكائن جنوبي السبيل على دور ١٣٠٠ متر . دار المرة الأولى ثمانية من الخيول العربية الأصيلة وللمرة الثانية ستة عشر من الخيول الأصيلة ايضاً اعطي للسابق في المرة الأولى جائزة قدرها خمسون ليرة عثمانية وللسابق في المرة الثانية خمسة وعشرون ليرة ودار للمرة

الثالثة سبعة من الخيول التي لم ينظر الى اصلها واعطي للسابق ٢٥ ليرة .
ثم جرت مسابقة بين ١٥ رجلاً من اهل القرى في الركض واعطي للسابق ٨ مجيديات
ثم جرت مسابقة بين السيارات المسماة (بسكليت) واعطي للسابق عشر مجيديات
واتخذ هناك وراء مكان المسابقة مكان لقعود المتفرجين صفت فيه مقاعد بقيم مختلفة
وخصصت تلك الواردات لهذه الغاية وهي اول مسابقة جرت في حلب على هذا الطرز

(توسيع الحجازية في الجامع الكبير وغير ذلك من الاعمال فيه)

في هذه السنة او التي قبلها حكرت ارض كانت تربة قديمة في جوار التربة المعروفة بالعبارة خارج باب الفرج بمبلغ ١٥٠٠ ليرة عثمانية ذهباً اخذتها دائرة الاوقاف ووسعت بها قبلية الحجازية التي هي داخل الجامع في الطرف الشرقي ادخلت فيها جانباً من الرواق الشمالي ووسعت الباب وقد كان صغيرا والنافذتين اللتين بجانبه وفرشت ارضها بالبلاط ووسعت بها باب قبلية الاحناف الذي في الرواق الغربي وقد كان صغيرا جداً وباب قبلية الشافعية الذي في الرواق الشرقي والغرف التي فيه وبلطت تلك الغرف واصلحت قسما كبيرا من بلاط اسطحة الاروقة وكان الواقف على هذه الاعمال الشيخ محمد العبيسي مفتي حلب وبذل في ذلك من الهمة ما يستحق الثناء والشكر وبقي العمل سنتين او اكثر قليلا ونظم الشيخ كامل افندي الغزي ابياتا نقشت على باب قبلية الحجازية وهي

في ظل سلطان الزمان مليكنا * عبد الحميد المعتلي بمقامه
وبسعي والينا المعظم ناظم * من ساد في الشهباء حسن نظامه
وعناية المولى الهمام محمد * مفتي الشريعة زيد في اكرامه
صحت معالمه وشيد بناؤه * وزكا شذا وزها بفرش رخامه
عمل به الاسلام طابت نفسه * ارخت لما فاح مسك ختامه ١٣٢٦

﴿ تتمة ﴾

فيما حصل بعد ذلك فى الجامع من الاعمال المهمة

فى سنة ١٣٤١ و١٣٤٣ فرشت قبلية الحنيفة والشافعية بالسجاد العجمي وبلغت قيمة هذه المفروشات نحو الف ليرة عثمانية ذهباً والسجاد القديم وزع على بعض المساجد وفى سنة ١٣٤١ عمل سبيل ماء فى الرواق الغربي بجانب الباب المقابل للحلوية يأتيه الماء من ماء عين التل بواسطة انابيب حديدية وصلت به من مكان خارج الجامع بجانب الباب ونقشت احجار هذا السبيل نقشاً بديعا دل على دقة صنعة وعظيم براعة والجرن الموضوع هنا كانَ ملقى فى ارض جامع الاطروش لا ينتفع بشيء به وزين بالنقوش اللطيفة ايضا ووضع في اعلا هذه الحجارة حجرة صغيرة نقش عليها بالخط الكوفي البديع من الجانبين قوله تعالى [يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله] وفي هذه السنة اعنى سنة ١٣٤٣ جددت قبة الحوض الصغير الذى في ارض الجامع ودهن ظاهرها وظاهر قبة الحوض الكبير الذى فى الصحن ووضع درابزين من الحديد في اعلا منارة الجامع ودهن هذا الحديد والرفراف والدرابزين التى تحته.

وكانت حافة جدار الرواق الشمالي من قنطرة الباب الشمالي الى اواخر الرواق من جهة الشرق خالية من الشرفات الموجودة على جدران الجامع في الجهات الثلاث فأكمل ذلك المكان الخالى ليكون على نسق واحد في جهاته الاربع تحسيناً لمنظر الجامع وكمل بناء هذه الشرفات في هذا الشهر وهو شهر شوال من سنة ١٣٤٣ وهو آخر عمل حصل فيه

وهذه الاعمال في هذه السنين الثلاث كانت بمساعي مدير الاوقاف الحالى السيد يحي الكيالي وقد نقش اسمه فوق هذا السبيل وفوق القنطرة الوسطى من هذا الرواق.

خاتمة

وفينا والحمد لله بما وعدنا به في المقدمة من ذكر ملوك الشهباء وامرائها وما كان في زمنهم من الحوادث ذات الشأن من حين الفتح الأسلامي الى سنة ١٣٢٥ هجرية . وقلت ثمة اني اود وضع قسمين يكونان متممين لهذا التاريخ اذكر في قسم محلات حلب وما في كل واحدة منها من المدارس والجوامع وغير ذلك من الآثار القديمة واتكلم على كل مكان فأذكر اسم بانيه و واقفه وماوقفه وحالته الخ فهذا القسم وان لم يتسن لي وضعه على هذا النسق على حدة غير اني في آخر ترجمة كل ملك او وال ذكرت ما له من الآثار وتكلمت عليها بقدر الأستطاعة والأمكان وفي تراجم الأعيان في الأجزاء التالية سأتكلم ان شاء الله تعالى على ما لهم من الآثار على هذا النسق ايضاً فأكون قد اتيت على معظم هذا القسم وتكلمت على الأهم والمهم من هذه الآثار الجليلة مما يهم معرفته والوقوف على احواله. ولما كانت النفوس تتوق الى معرفة قلعة حلب تلك القلعة العظيمة ذات الشأن الخطير والقدر الرفيع احببت ان اختم هذا الجزء بذكر ما كتبه المؤرخون عنها واتبع ذلك بوصف حالتها الحاضرة واتبع ذلك بالكلام على حمامات حلب القديمة والموجودة الآن واذكر جدولاً في عدد دور حلب وبقية اماكنها وجدولاً في عدد نفوسها ونفوس معاملاتها الآن والأعمال التي قامت بها دائرة الاشغال العامة واختم الكلام فيها بما قاله فحول الشعراء في مديح الشهباء من النظم البديع الدال على رفعة شأنها وعظيم قدرها فاقول



﴿ الكلام على قلعة حلب ﴾

قال ابو ذر في كنوز الذهب اعلم ان القلعة التى بحلب قيل اول من بناها ميخائيل وقيل سلقوس الذي بنى حلب وهي على جبل مشرف على المدينة وعليها سور وبه ابراج وكان قديماً عليها بابان من حديد احدهما دون الآخر كذا قاله احمد ابن الطبيب الذي نكبه المعتضد والآن عليها خمسة ابواب ثلاثة من حديد خالص واثنان مجددان وهذان البابان والبرج الذي عليهما جددهما دمرداش كافل حلب بعد فتنة تيمور واخرب اماكن بحلب ونقل احجارها لعمارة هذا البرج فمن ذلك خان القواسين نقل اعمدته وجعل بين هذا البرج وبين البلد خلواً يوضع عليه صقالة من الخشب يمر عليها الصاعد للقلعة وعليه مشط من الحديد يرفع وينزل في عجلات وهو باب سادس خارج الأبواب بحيث اذا هجم احد على باب القلعة ارخى هذا المشط وبقي من هجم داخل المشط انتهى.

وقد تقدم ان الخليل عليه السلام كان قد وضع اثقاله بتل القلعة وكان يقيم به ويبث الرعاة الى الفرات والجبل الأسود ويحبس بعض الرعاة بما معهم عنده ويأمر بحلب ما معه واتخاذ الأطعمة ويفرقها على الضعفاء والمساكين وبها مقامان له صلى الله عليه وسلم وقال الهروي بقلعة حلب مقام ابراهيم اما المقام الأعلى فهو الذي تقام فيه الجمعة وبه صندوق وبه قطعة من رأس يحيى عليه السلام ظهرت سنة خمس وثلاثين واربعمائة واما المقام الثاني فكان موضعه كنيسة للنصارى الى ايام بني مرداس وكان فيه المذبح الذي قرب ابراهيم عليه السلام فغيرت بعد ذلك وجعلت مسجدا وجدد عمارته نور الدين الشهيد ووقف عليه وقفاً ورتب فيه مدرساً يدرس الفقه على مذهب ابي حنيفة. وقال ابن بطلان في القلعة مسجد وكنيستان وفي احديهما المذبح ولما ملك كسرى حلب وبنى سور البلد بني في القلعة مواضع. ولما جاء ابو عبيدة الى

حلب واخذها ثم جاء الى القلعة فلما عاينها دامس ابو الهول قال هي قلعة منيعة شامخة حصينة يعجز عن مثلها الرائد وتمتنع على الطالب والقاصد لا ينفع اهلها شاصرة الرجال ولا يضيق صدرهم من قتال ثم احتال عليها ابو الهول واخذها من يوقنا والقصة مطولة مذكورة فى كتاب الواقدى (١) وكان اخذه لها من البرج الكبير المطل على باب الاربعين هذا وصفه لها . وقد وجدها مرممة الأسوار بسبب زلزلة كانت اصابتها قبل الفتوح فأخربت اسوارها واسوار البلد ولم يكن ترميماً محكماً فنقض بعض ذلك وبناه وكذلك لبني امية وبنى العباس فيها آثار . ولما استولى نقفور ملك الروم على حلب في سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وجاس خلال الديار اعتصم بها الهاشميون بجمعهم ولم يكن لها حينئذ سور عامر يمنعهم لأنها كانت قد تهدمت وعفت آثار تلك المرابع فكانوا يتقون سهام العدو بالاكف والبرادع وزحف نقفور عليها فألقى على ابن اخيه حجر فمات فلما رأى نقفور ذلك طلب الصلح فصالحه من كان فيها ومن حينئذ اهتم الملوك بعمارتها وتحصينها فبنى سيف الدولة فيها مواضع لما بنى سور حلب وكانت الملوك لا تسكنها بل كانوا يسكنون قصورهم التى بالبلد . وفى تاريخ الذهبى لما قتل ابن اخت الملك كان قد اسر من اعيان حلب الفاً ومائتين فضرب اعناقهم جميعهم . ولما ولي سعد الدولة بنى فيها اماكن وسكنها وذلك لما اتم ما بناه والده سيف الدولة من الأسوار وكذلك بنى فيها بنو مرداس دوراً وجددوا سورها وكذلك من بعدهم من الملوك الى ان وليها عماد الدين اقسنقر وولده عماد الدين زنكى فحصناها ولهم بها آثار حسنة وبنى فيها طغدكين برجاً من قبليها ومخزناً للذخائر عليه اسمه

(١) هو الفتوحات الشامية وهو مطبوع كثير التداول وقد بسط القول فيه على فتح حلب وقلعتها

وبنى فيها السلطان نور الدين ابنية كثيرة وعمل ميدانا وخضرة بالحشيش يسمى الميدان الاخضر وكذلك بنى فيها ولده الصالح باشورة كانت قديمة فجددها وكتب عليها اسمه وفي وسطها برج كبير فوق طريق الماء الذي يدخل الى الساتورة وعلى البرج اسم الصالح اسماعيل . وكانت هذه الباشورة من موضع الباب الذى يلي البلد وتدور في وسط التل الى المنشار المتصل بباب الاربعين

قال ابن ابى طي ثم في سنة ثمان وثمانين وخمسماية دخلت والظاهر غازى قد شرع في بناء جسر الجبل وهدم الطريق الاول وكان اولاً يدخل اليه من سرداب عليه باب يقال له باب السر وكان عمره شريف الدين ابو المعالي بن سيف الدولة وكان هذا الباب برسم المهمات فلما ملك حلب رضوان كره الصعود من باب القلعة وكان يتجرد من الباطنية ففتح هذا السرب وجعله درجة يصعد منها الى الجوشن وهو فصيل للقلعة ولم تزل كذلك الى زمن الصالح اسماعيل فعمل له في الخندق الذى هو موضع هذا الجسر بسنانا كان ينزل اليه ويتفرج فيه .

فاما ملك حلب العادل خرب فصيل القلعة من جنب تلك الدرجة الى حدود دركاوات القلعة وعمل مكان الفصيل سفحاً ثم عمل طريقا مكشفا فى وجهه سترة شراريف اذا كان راكباً رأي وجه من يكون واقماً تحت القلعة . وكان الصاعد فى تلك الدرجة ينزل اولاً اليها من شمالى ميدان باب العراق حتى يصير الى قعر خندق القلعة ثم يصعد من هناك مع سفح التل فاما ملك الظاهر حلب فكر فى امر الدرجة وان الملك يحكم على نفسه من يكون على جانب الخندق فلا يمكنه من حصل في الخندق دفع عادية من يريد اذيته اما اختيارا واما اضطراراً فعمد الى الدرجة وهدمها وقلع شجره واذهب اثره ثم هدم باقي الفصيل الى الارض . وكان سور حلب الشرقي متصلاً بفصيلة القلعة فقطعه وباعده عنها ثم جعل

سعة الخندق اربعين ذراعاً ثم بنى جانب الميدان من جهة الشمال بالصخور ثم بقي قعر الخندق الى ان نبع الماء من اصله ثم بني تمامه عضايد من اسفل الخندق ورفعها الى ان حاذت ارض الميدان ثم مد عليها اخشاب التوت واعواد الدلب والسندان وجعله سقفا واحداً الى تل القلعة ثم اقام على تل القبلة باباً عاليا وجعل عليه مصراعين من حديد ثم بنى على اصله من الشمال برجاً عالياً وجعل عليه بـاب حديد ايضاً ثم ساق من هذا البرج الى سور القلعة العالي طريقاً مدرجاً بحجارة سود طوال وبنى له شراريف من يسار هذا الطريق ثم عمد الى رأس هذا الطريق من جهة الشمال فبنى عليه برجين عظيمين عالين مسامتين ابراج القلعة ثم جعل في احدهما باب حديد فأذا افضي اليه خرج الى داخل القلعة وبنى هذا الجسر في مقدار خمس سنين وغرم عليه ما يزيد على خمسين الف دينار مصرية ثم قال (اي ابن ابي طى) في سنة خمس وتسعين تم تسفيح تل القلعة بالحجارة وانتهت القطعة التي بين باب الجبل وباب القلعة وشرع في هدم بـاب القلعة والباشورة وكان باب القلعة اولاً يفتح الى جهة الشرق والأرض متصلة به . ثم شرع بعد هدمه فى سعة الخندق وقطع باب القلعة عن البلد وبنى به الجسر الكبير . وفى سنة ثمان وتسعين شرع الظاهر فى حفر خندق القلعة وتوسعته اربعين ذراعاً وبنى جانبه بالصخور ولقي ارضه حتى نبع الماء . وفي سنة سبع جد الظاهر فى عمارة القلعة وحفر خنادقها

ولما وسع الظاهر الخندق وعمقه وبنى حائطه من جهة البلد فى سنة عشرة وستمائة فى رابع عشر رمضان وجد فيه تسع عشرة لبنة من ذهب وزنها سبعة وعشرون رطلاً بالحلبي (الرطل سبعمائة وعشرون درهما .) ورفع بابها الى مكانه الآن وعمل لها هذا الجسر الممتد وحصنها وبني فيها مصنعا كبيرا للماء الحلو ومخازن

للغلات وسفح تلها وفى تاريخ الصاحب سفح بعضها وعزم على التتميم فاخترمته المنية وبناه بالحجر الهرقلي . وكان البـــاب اولاً قريباً من ارض البلد متصلاً بالباشورة فوقع فى سنة ستمائة وقتل تحته خلق كثير . وبنى على الباب برجين لم ير مثلهما قط وعمل للقلعة خمس دركاوات بآزاج معقودة وجعل لها ثلاثة ابواب حديد زاد واحداً وجعل لكل باب اسفهسلاراً ونقيبا وبنى فيها اماكن يجلس بها الجند واركان الدولة وكان معلقاً بها آلات الحرب وفتح فى سور القلعة بابا يسمى باب الجبل شرقي بابها وعمل له دركاه لايفتح الا له اذا نزل دار العدل وهذا الباب وما قبله انتهت عمارتها فى سنة احدى عشرة وستمائة وقد سد هذا الباب وعمل عليه برجان عظيمان.واخبرنى من اثق به ان الباب الذي اغلق هو الذي عليه البرج المطل على سوق الخيل

واعلم ان هذه القلعة لم تزل في عمارة وزيادة الى ان ملكها صلاح الدين يوسف واعطاها لأخيه العادل فبنى بها برجاً وداراً لولده فلك الدين وتعرف الآن به وفى وسطها بئر قديمة ينزل اليها بمائة وخمسة وعشرين مرقاة قد هندمت تحت الارض وخرقت خروقاً وصيرت ازاجا ينفذ بعضها الى بعض الى ذلك المـــاء المـــالح (قلت) وهذه الدار بيد بعض امراء القلعة الآن وهذه البئر موجودة وذكر لى بعض القدماء انه كان هذا البئر دولاب حيلة يستعمل عند احتياج اهل القلعة الى الماء وليس عندهم من الدواب ما يستعملونه فى الساتورة المعهودة

وبنى فيها (اي في القلعة) الظاهر ساتورة محكمة بدرج الى العين تمير بها سائر منازلها وبنى ممشى من شمالي القلعة الى باب الأربعين وهو طريق بأزاج مقعودة لاتسلك الا في الضرورة وكأنه باب سر . وزاد فى حفر الخندق واجرى فيه الماء الكثير واخرق في شفير الخندق مما يلي البلد مغاير اعدهـــا لسكنى الأسارى

يكون في كل مغارة مقدار خمسين بيتاً واكثر . وبنى فيها داراً تعرف بدار العز وكان في موضعها دار للعادل نور الدين تسمى دار الذهب ودار تعرف بدار العواميد ودار الملك رضوان وذلك فى سنة اربع وثمانين وفيها يقول الرشيد عبد الرحمن ابن النابلسى في سنة تسع وثمانين وخمسمائة وانشده اياها ممتدحا له

دار حكت دارين فى طيب ولا * عطر بساحتها ولا عطار
رفعت سماء عمادها فكأنها * قطب على فلك السعود تدار
وزهت رياض نقوشها ببنفسج * غض وورد يانع وبهار
نور من الأصباغ مبتهج ولا * نور وازهار ولا ازهار
ما اينعت منها الصخور واورقت * الا وفيها من نداك بحار
وضحت محاسنها في غسق الدجى * تلقى لصبح جبينها اسفار
ومنها فتقر عين الشمس ان يضحى لها * بفنائها مستوطن وقرار
تربت يد رامت بها خيلا لها * في غير معترك الورى احصار
وفوارسا شيب لظى حرب وما * دُعيت نزال ولم تشن مغار
صور ترى ليث العرين تجاهه * منها ولا تخشى سطاه صوار
ومنها وموسدين على اسرة ملكهم * سكراً ولا خمر ولا خمار
هذا يعانق عوده طرباً وذا * دأباً يقبل ثغره المزمار

وهي طويله جداً فأنه خرج من هذا الى ذكر البركة والفوارة والرخام ثم الى مدح الملك الظاهر فاقتصرت منها على ما يعلم منه حسن هذه الدار . وبنى حولها بيوتاً وحجرا وحمامات وبستانا كبيراً في صدر ايوانها فيه انواع الأزهار واصناف الأشجار وبنى على بابها ازجا يسلك فيه الى الدركاوات التي قدمنا ذكرها وبنى على بابها اماكن لكتاب الدرج وكتاب الجيش

وهنا كتب العلامة ابو ذر على الهامش ما نصه قلت وهذه القاعة هي القاعة العظمى الموجودة الآن وهي محكمة البنيان واسعة الأرجاء كثيرة المخادع وبها ايوان كبير وبصدره وجانبيه مخادع وقد كانت هذه القاعة اشرفت في ايامنا على الأنهدام فأمر السلطان الظاهر خشقدم لمتوليها بأصلاح هذه القاعة فأصلحت وبيضت وزخرفت وهي مفروشة بالرخام الملون المحكم التركيب وبها فوارة يأتي اليها الماء من الساقورة الحلوة الى مقلب فى ايوانها الصغير محكم من الرخام الملون ثم يغوص الماء فى اسفل هذا المقلب ويخرج من الفوارة التي في وسط هذه القاعة ولهذه القاعة دهليز طويل جداً وبوابة عظيمة والى جانب هذه القاعة قاعة لطيفه مفروشة من الرخام الملون المحكم التركيب ولها بابان احدهما من جانب القاعة العظمى والآخر يدخل دهليزها وسيأتي من عمرها .

وبهذه القاعة العظمى من جهة الشرق قاعة ثالثة لطيفة ولها ايضاً بابان باب يخرج منه الى حمام القلعة الآن وباب فى جانب القاعة العظمى ولو استوفينا وصف هذه القاعة لأطلنا وفى الجملة ما رؤى مثلها

ولما تزوج الظاهر فى سنة تسع وستمائة بضيفة خاتون ابنة عمه الملك العادل التي حكمت في حلب بعد وفاته واسكنها بها وقعت نار عقب العرس فاحترقت وجميع ماكان فيها من الفرش والمصاغ والآلات والأواني واحترق معها الزردخاناة وكان الحريق فى حادي عشر جمادى الأولى من سنة تسع ثم جدد عمارتها وسماها دار الشخوص لكثرة ماكان منها في زخرفتها وسعتها اربعون ذرعاً في مثلها .

قال في كنوز الذهب في الكلام على مدرسة الفردوس التي بنتها الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل وزوجة الملك الظاهر غازي انها لما ولدت الملك العزيز في سنة عشر اظهرت السرور وبقيت حلب شهرين مزينة والناس في

اكل وشرب ولم يبق صنف من اصناف الناس الا افاض عليهم السلطان النعم ووصلهم بالأحسان وسير الى المدارس والخوانق الغنم والذهب وامرهم ان يعملوا الولائم ثم فعل ذلك مع الأجناد والغلمان وعمل للنساء دعوة مشهودة اغلقت لها المدينة واما داره بالقلعة فزينها بالجواهر واوانى الذهب وكان حين امر بحفر الخراب حول القلعة وجد عشرين لبنة ذهباً فيها قطار حلى فعمل منها اربعين قشوة بحقاقها وختن ولده الأكبر احمد وختن معه جماعة من اولاد المدينة وقدم لـه تقادم جليله فلم يقبل منها شيئاً رفقاً بهم لكن قبل قطعة سمندل ذراعين في ذراع فغمسوها في الزيت واوقدوها حتى نفد الزيت وهي ترجع بيضاء فالتهوا بها عن جميع ما حضر . (١)

وكان عنده من اولاد ابيه واولاد اولادهم مائة وخمسة وعشرون نفساً فزوج الذكور منهم بالاناث فعقد في يوم واحد خمساً وعشرين عقداً بينهم ثم صار كل ليلة يعمل عرساً ويحتفل له وبقي على ذلك مدة رجب وشعبان ورمضان اه وفي ايام العزيز ابن الظاهر وقعت من القلعة عشرة ابراج مع ابدانها وذلك في سنة اثنين وثلاثين ووافق ذلك زمن البرد وكان تقدير ماوقع خمسمائة ذراع وهو المكان المجاور لدار العدل ووقع نصف الجسر الذي بناه الملك الظاهر فاهتم الأتابك شهاب الدين طغريل بعمارتها فجمع الصناع واستشارهم فأشاروا ان يبنى من اسفل الخندق على الجبل ويصعد بالبناء فأنها متى لم تبن على ما وصفنا وقع مابني عاجلاً وطرأ فيه ماطرأ الآن وان قصدها عدو لم يمنعه فرأى الأتابك ان ذلك يحتاج الى مال كثير ومدة طويلة فعدل عن هذا الرأي وقطع اشجار

(١) هنا تكلم على السمندل واي شيء هو واحال تحقيق امره الى حياة الحيوان للكمال الدميري . وقد تكلم عليه ابن خلكان في تاريخه ايضاً

الزيتون والتوت وترك الأساس على التراب وبنى . ولهذا لما نزلها التتر لم يتمكنوا من اخذها الا من هذا المكان لتمكن النقابين منه

وفي سنة ثمان وعشرين بنى فيها العزيز داراً الى جانب الزردخاناه يستغرق وصفها الاطناب ويقصر عنه الأسهاب مساحتها ثلاثون ذراعاً في مثلها.

ولما تسلم التتر القلعة فى تاسع شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وستمائة عمدوا الى خراب سورها واحرقوا ما كان بها من الذخائر والزردخاناه والمجانيق . وزال رونقها وذهبت محاسنها ولما هزم الملك المظفر التتر على عين جالوت وهرب من كان منهم فى حلب ثم عادوا اليها مرة ثانية بعد قتل المظفر فرأوا فى القلعة برجاً قد بنى للحمام بأمر الملك المظفر قطز فانكروا عليهم واخربوا القلعة خراباً شنيعا وما فيها من الدور والخزاين ولم يبقوا فيها مكاناً للسكنى وذلك في المحرم سنة تسع وخمسين . وقال بعض المؤرخين وفي دولة العزيز جدد طغرل داراً فيها للسكنى فظهر فى الأساس صورة اسد من حجر اسود فأزالوه عن موضعه فسقط بعد ذلك الجانب القبلي من اسوار القلعة وانهدم من جسرها قطعة كبيرة ولما حفر العزيز اساس الدار المذكورة وذلك فى سنة اثنين وثلاثين وستمائة ظهر لهم مطمورة مطبقة وفيها رجل في رجليه لبنة حديد فلا اشك انه احمد ابن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن بهلول بن ابي اسامة احد كبراء حلب وهو الذي قبض عليه اسد الدولة صالح بن مرداس ودفنه حيا بالقلعة وهذا الرجل ولي قضاء حلب وتمكن فى ايام سديد الدولة ثعبان بن محمد وموصوف والى القلعة فكانا يرجعان الى رأيه فلما حضر نواب صالح كان ابن ابى اسامة في القلعة فتسلمها نواب صالح وقتلوا موصوفاً وابن ابى اسامة دفنوه حياً وذلك سنة خمس عشرة واربعمائة وقال بعض الناس في ذلك

وأد القضاة اشد من وأد البنات عمىً وغيا
ادفنت قاضي المسلمين بقلعة الشهباء حيا

واعلم ان هذه القلعة حصينة ومباركة ببركة الخليل عليه السلام وبركة الخضر عليه السلام ومقامهما بها وما رامها احد بسوء الا اهلكه الله بعد ذلك ولم تؤخذ فيما استحضر بقتال ولا ملكت في جدال وها انا اذكر لك ما يبين هذا اما الصحابة رضي الله عنهم فاخذوها بالحيلة وصعود الرجال على اكتاف الرجال ليلاً وكانت اسوارها غير حصينة كما تقدم . واما فتح القلعي فقد عصى فيها على مولاه مرتضى الدولة بن لولو ثم سلمها الى نواب الحاكم . وقد عصى فيها عزيز الدولة فاتك على الحاكم فسلمها ايضاً وقتل بالمركز وكان قصره الذى تنسب اليه خانكاه القصر متصلاً بالقلعة والحمام المعروف بحمام القصر الى جانبه تحصيناً لها فصار الخندق موضعه ولما جاء الملك الظاهر هدم الحمام وجعلها مطبخاً له ولما قتل عزيز الدولة صار الظاهر وولده المستنصر يوليان والياً بالقلعة ووالياً بالمدينة خوفاً ان يتفق ما انفق من عزيز الدولة .

واما ابو المكارم مسلم بن قريش فقد غارت الساتورة فسلموها له اذ ذاك عطشاً. ولما حاصرها غلت الاسعار بحلب فعول على الرحيل عنها واتفق له ماذكرناه في ترجمته واما هولاكو فأنه اخذها بالأمان ثم خربها وبقيت نحو ثلاث وثلاثين سنة كذلك حتى شرع في عمارتها قراسنقر المنصوري بأمر الملك المنصور وكملت عمارتها في سنة تسعين وستمائة قال ابن حبيب وكتب عليها اسم السلطان الاشرف خليل ابن المنصور بماء الذهب فانه تولى السلطنة فى هذه السنة

واما غازان فامتنعت منه وامتنعت من منطاش ايضاً واما تيمور فأخذها بالامان ثم خربها جماعته واخذ منها من حواصلها ما ابهره كما اعترف به تيمور انه لم يجد

في حصن قط ما وجد فيها ودامت على ذلك خراباً حتى انتدب لعمارتها جكم العادل وهو الذى ادعى السلطنة بحلب وقتل على يد عثمان بن طزعلي في سنة تسع وثمانمائة واخرب عدة اماكن بحلب من الترب والمدارس لعمارتها وعمل بنفسه واستعمل قضاة البلد . وعمر البرج المطل على سوق الخيل وكذلك البرج المطل على باب الأربعين(البرج الشمالى)وبنى قصراً على البرجين المطلين على باب القلعة . وهذا القصر عظيم واسع جداً مفروش بالرخام وله مناظر من جهاته المطلة على البلد وله بوابة عظيمة وتجاهها ايوان واسع برسم مصالح خدمة السلطان اذا حضر الى حلب ونزل بهذا البرج . وقيل انه لم ير مثل هذا القصر في حصون المسلمين. اما المكحلة (المدفع) التى على جدران البرجين والدركاه فمن فعل نائبها الامير ناصر الدين في ايام الظاهر برقوق

وقد حاصرها جماعة منهم ابن قصروه فامتنعت وكذلك تغري ورمش كافل حلب فى سنة اثنين واربعين حصاراً بليغاً ورمى عليها بمكحلة عظيمة فأثر فيها في البرج المطل على سوق الخيل ونقب عليها ونزل في النقب بنفسه فرأى ما يهوله فرجع واستعان فى حصارها بمشاة من الأكراد وزحف عليها ليلة العاشر من رمضان من جميع جوانبها ونزلوا الخندق ظناً منهم ان يلقوا الجسر الذي لها ففتح اهل القلعة بأشارة نقيبها الامير شهاب الدين طاقات من اعلى الجسر ورموا عليهم بقدور من الكلس فخرجوا وبالجملة لم ياخذها احد بالامان كما فى فصل الملوك .

وقد نقل الى هذه القلعة المؤيد اخشاباً من دمشق وسقف القصر ببعضه واحدث الكوات التى فى ظلمة الدركاه وبعضها باق الآن وقد عمر نائبها (باكى) في ايام الاشرف برجاً مثمناً شرقي بابها وعمل له شباكاً من النحاس الاصفر فرداً في بابه. ثم خرب من سورها مكان من جهة الغرب فعمر في ايام الظاهر جقمق واصلح

في التسفيح مكان بالقرب من جسرها في ايامه ايضاً

﴿ ذكر ما يضرب فيها من النوبات ﴾

قال اما النوبة التي تضرب عند ثلث الليل الأخير فهذا شيء احدثته ضيفة خاتون ام العزيز لأجل قيام الليل فأنها كانت تقوم ذلك الوقت للصلاة وما كان احد يستطيع ايقاظها

واما التي تضرب بعد العشاء فللأعلام بانقضاء صلاة العشاء ثم يضرب الطبل مرة واحدة بعد ذلك الى ثلث الليل ثم يضرب مرتين ثم ثلثاً

واصل ذلك انه كان بالقلعة جرس كالتنور العظيم معلق على برج من ابراجها التى من غربيها كانت الحراس تحركه ثلاث دفعات في الليل دفعة في اوله لانقطاع الرجل عن السعي واخرى في وسطه للبديل واخرى في آخره للأعلام بالفجر وعلق هذا الجرس في سنة ست وتسعين واربعمائة . والسبب في تعليقه ما حكاه منتخب الدين يحي بن ابي طي النجار الحلبي في تاريخه ان الفرنج لما ملكوا انطاكية في سنة احدى وتسعين واربعمائة طمعوا في بلاد حلب فخرجوا اليها وعاثوا فى بلادها وملكوا معرة النعمان وقتلوا من فيها فخافهم الملك رضوان بن تاج الدولة تتش لعجزه عن دفعهم فاضطر الى مصالحتهم فاقترحوا عليه اشياء من جملتها ان يحمل اليهم في كل سنة قطيعة من مال وخيل وان يعلق بقلعة حلب هذا الجرس ويضع صليباً على منارة المسجد الجامع فأجابهم الى ذلك فأنكر عليه القاضي ابو الحسن بن الخشاب وكان بيده زمام البلد وضع الصليب على منارة الجامع وقبح ذلك فراجع الفرنج في امر الصليب الى ان اذنوا له فى وضعه على الكنيسة العظمى التي بنتها هيلانة فلم يزل بها الى ان حاصرت الفرنج حلب سنة ثمان

عشر وخمسمائة ونبشوا ما حولها من القبور فأخذ القاضي ابن الخشاب الكنايس كما تقدم ورمى الصليب. واما الجرس فأنه لم يزل معلقاً الى ان ورد حلب الشيخ الصالح ابو عبد الله بن حسان المغربي فسمع حركة الجرس وهو مجتاز تحت القلعة فالتفت الى من كان معه وقال ما هذا الذي قد سمعت من المنكر فى بلدكم هذا شعار الفرنج فقيل له هذه عادة البلد من قديم الزمـان فازداد انكاره وجعل اصبعيه في اذنيه وقعد في الأرض وقال الله اكبر الله اكبر واذا بوجبة عظيمة قد وقعت في البلد فانجلت عن وقوع الجرس الى الخندق وكسره وذلك في سنة سبع وثمانين وخمسمائة فجدد بعد ذلك وعلق مرة ثانية فانقطع لوقته وانكسر وبطل من ذلك اليوم

قال كمال الدين ابن العديم فى ترجمة هذا الرجل محمد بن حسان بن محمد ابو عبد الله . وابو بكر المغربي الزاهد رجل فاضل مقرئ محدث ولي من اولياء الله تعالى قدم حلب ونزل بدار الضيافة بالقرب من تحت القلعة وكان من الموسرين المتمولين ببلاد المغرب فترك ذلك جميعه وخرج على قدم التجريد وحج بيت الله الحرام ثم قدم حلب ورحل منها الى جبل لبنان وساح فيه وقيل انه مات فيه ولم يذكر وقت وفاته اه وقال يعني ابن ابى طي في سيرة الملك الظاهر فى السنة التي قتل فيها السهروردي (هي سنة ٥٨٧) ابطل غازي الجرس من قلعة حلب وكان معلقاً كأنه التنور العظيم فى ثالث برج من ابراج القلعة من شمالي المنظرة المطلة على حلب وسببه انه جلس ليلة للسمر فسمعه فسأل عن ذلك وقال هذه مملكة الأسلام وهذا من شعار الكفار فذكر له السبب فقال عجباً للسلطان نور الدين كيف لم يوفق لذلك وامر بأبطاله انتهى [١]

(١) اقول ما ذكره ابن ابي طي هنا في سبب ازالة هذا الجرس يناقض ما ذكره قبل ذلك من ان ازالته كانت بسبب ابي عبد الله المغربي مع ان ابن ابي طي كان في ذلك الوقت شـابا مشاهداً لهذه القصة • واما السنة التي حصلت فيها وهي سنة ٥٨٧ فلا تناقض فيها والله اعلم

ثم اتخذ هذا الضرب في القلاع عادة . واما الضرب الذي يضرب وقت اصفرار الشمس فلأن الخليل عليه السلام كان يتخذ للفقراء طعاماً ويجمعهم ذلك الوقت لأكله . وبقية ما يضرب فيها في الأوقات فهو من اصطلاح الملوك .

وسورها مساحته الف وخمسمائة وخمسة وعشرون ذراعاً وعدد ابراجها تسعة واربعون برجاً وابدانها ثمان واربعون بدنة هذا ما كانت عليه قديماً

وقال ابن شداد المساجد التي بالقلعة عدتها عشرة مساجد اولها مسجد النور ملاصق سور القلعة ومنها مسجد الخضر عليه السلام

﴿ مدائح الشعراء لهذه القلعة ﴾

قال السري الرفاء من قصيدة يمدح سيف الدولة بها

وشاهقة تحمي الحمام سهولها * ويمنع اسباب المنايا وعورها

اذا سترت عين السحاب وقد سرت * جوانبها خلت السحاب ستورها

مقيماً يمر الطير دون مقامه * فليس ترى عيناه الا ظهورها

تنس الى عليائها الأسد فانثنت * تساور بالبيض الصوارم نورها

وقال الفقيه الوزير ابو الحسن علي بن ظافر المعروف بأبن ابي المنصور يصف قلعة حلب من قصيدة مدح بها الظاهر غازي

وفسيحة الأرجاء سامية الذرا * قلبت حسيرا عن علاها الناظرا

كادت لفرط سموها وعلوها * تستوقف الفلك المحيط الدائرا

وردت قواطنها المجرة منهلا * ورعت سوابقها النجوم ازاهرا

شماء تسخر بالزمان وطالما * بشواهق البنيان كان الساخرا

ويظل صرف الدهر منها خائفا * وجلا فما شيء لديها خاصرا

ويشوق حسن رواتها مع انها * افنت بصحتها الزمان الغابرا

فلأجلها قلب الزمان قد انثنى * قلقاً وطرف الجو امسى ساهرا
غلابة غلب الملوك فطالما * قهرت من اغتصب الممالك قاهرا
غنيت بجود مليكها وعلت به * حتى قد امتطت الغمام الماطرا
فترى وتسمع للغمام ببرقه * والرعد لمـا تحتهـا وزماجرا

وقدمنا في الجزء الثاني فى صحيفة ٣٧٨ مامدحت به هذه القلعة ايضاً .

ووجدت على ظهر كتاب من لسان الحكام فى الفقه الحنفي عليه خط العلامة ابراهيم ابن الملا الحلبي مانصه مما قيل في تاريخ تبييض قلعة حلب بأمر نصوح باشا امير الأمراء بحلب وذلك في اواخر ربيع الاول سنة اثنتي عشرة والف

يمينا قلعة الشهباء اضحت * عروساً عرفها مسك يفوح
وقالت ارخوا عني بياضي * فأرخنـا مبيضهـا نصوح
١٠١٢

﴿ وصف القلعة الحاضر ﴾

القلعة واقعة فى وسط المدينة تقريبـاً نحو ثلثها الفوقاني صناعي وما تحته جبل طبيعي ابيض اللون اين يظهر الك ذلك من جدران خندقهـا وهي اهليلجية الشكل يبلغ اكبر قطرها طولاً ٥٠٠ متر واصغره ٤٠٠ متر ويبلغ قطر قمتها خمسين مترا وتعلو عن سطوح المنازل المحاذية لها ٦٠ متراً وعن سطح البحر ٥٠٠ متر يحيط بها خندق عظيم ويصعد اليهـا من الجهة الجنوبية حيث بني هناك جسر عظيم عليه ثمان قناطر قائمة فى الخندق بني على هذا الجسر الباب الأول وهو مصفح بالحديد من آثار الملك الظاهر غازي وقد ذكرنـا فى الجزء الثاني في صحيفة ٢٢٥ ما هو مكتوب على هذا الباب وعلى الباب الرابع .

ثم تنتهي الى الباب الثاني وقد كتب عليه(١) امر بعمارتها بعد دثورها السلطان

الأعظم الملك الأشرف صلاح (٢) الدنيا والدين خليل محي الدولة الشريفية العباسية ناصر الملة المحمدية عز نصره .

وتحت ذلك حجرة كبيرة هي قنطرة الباب كتب عليها(١) جددت بعد اهمال عمارتها واشرافها على الدثور في ايام مولانا السلطان الملك الظاهر ابي سعيد برقوق (٢) وشرف بوجوده وادام دولته . . . العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن يوسف ارسلان نائب السلطنة بها في شهور سنة ست وثمانين وسبعمائة

وفوق هذا الباب وامامه قبو عظيم الأرتفاع وبرج كبير يحمل القصر العظيم الذي فوقه وقد كتب على ظاهر هذا البرج وفي هذا القبو بخط حسن جاف جداً ما نصه (١) امر بعمارتها بعد دثورها مولانا السلطان الأعظم الملك الأشرف العالم العادل الغازي . . . . . المنصور (٢) صلاح الدنيا والدين . . . . ناصر الأسلام والمسلمين عماد الدولة ركن الملة مجير الأمة ظهير الخلا(٣)فة نصير الأمامة سيد الملوك والسلاطين سلطان جي(٤)وش الموحدين ناصر الحق بالبراهين محي العدل في العالمين قاهر الخوارج والمتمردين (٥) قاتل ... الطغاة والمارقين قامع عبدة الصلبان اسكندر الزمان فاتح الأمصار هازم جيوش الفرنج والأرمن والتتار هادم عكا والبلاد الساحلية محي الدولة الشريفة العباسية ناصر الملة المحمدية والدين مولانا السلطان الملك المنصور قلاون اعز الله انصاره وذلك سنة احدى وسبعمائة

وكتب في صدر مطلع القلعة فوق قوله نصير الأمامه قوله تعالى

(اعلموا ان الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)

وتحت ذلك (بالأشارة العالية المولوية الأميرية الكبيرية الشمسية قرا سنقر الجوكندار المنصوري الأشرفي كافل المملكة الحلبية اعز الله نصره) وقد قدمنا في حوادث سنة ٦٩٠ شروع قرا سنقر في عمارتها

ثم تنعطف الى جهة اليسار وهناك الباب الثالث وعلى قنطرته تمثال اسدين متقابلين كأنهما يتناطحان تحتهما حجرة كبيرة هي قنطرة هذا الباب وفي منعطف هذا الباب مصطبة مرتفعة هي على ما نقل مقام الخضر عليه السلام وهناك مصطبة اخرى فيها محراب هي تربة دفن فيها غير واحد وربما كانت ضيفة خاتون ابنة الملك العادل مدفونة هنا ايضاً

ثم تمشي الى الباب الرابع وهناك باب عظيم ايضاً وعلى طرفيه تمثال اسدين من الحجر الذي على اليمين كأنه يضحك والذي على اليسار كأنه يبكي وتاريخ هذا الباب سنة ٦٠٦ وهو مصفح بالحديد من عهد الظاهر غازي وقد قدمنا ما كتب عليه في الجزاء الثاني في صحيفة ٢٢٥

وقد كتب على قنطرة هذا الباب [١] البسملة [٢] امر بعمله مولانا السلطان الظاهر العالم [٣] العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور عمـاد الدنيا [٤] ملك الأسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين قامع الكفرة والمشركين [٥] قاهر الخوارج والمشركين ابو المظفر الغازى ابن الملك الناصر صلاح الدين [٦] يوسف بن ايوب ناصر امير المؤمنين اعز الله انصاره ... ... الملكى الظاهري [٧] وذلك في سنة ست وستمائة وبعد هذا الباب تخرج الى فضاء القلعة الذي كان عامراً بالدور والقصور والمساجد والحمامات واماكن الذخائر ولا تجد الآن هناك الا آثار ذلك العمران

وبعد ان تقطع خطوات تجد قبوا آخر تنزل منه بدرج على نحو عشرة امتار الى قبو شديد الظلمة ليس له سوى كوة واحدة يبلغ طوله نحو ٢٠ ذراعاً وعرضه نحو ١٥ ذراعاً وفيه ثلاث سوار نصفها مبني من الحجر واعلاها مبنى من القرميد وقد قوي هذا القرميد على صدمات الدهر ولازال متينا وهذا المكان هو حبس

القلعة المشهور وقد تقدم معك ان الكثير من الأمراء وغيرهم كانوا يحبسون فيه وهو مشهور بحبس الملك الظاهر . وبالقرب من هذا القبو جرن من المرمر فيه صورة سمكتين متقابلتين وهناك صورة طفلين واقفين وطول هذا الجرن نحو مترين وعرضه نحو ذراع وعمقه كذلك وقد اخرج هذا الجرن من بين الردم حديثاً وتقدم في كلام ابي ذر انه في سنة ٦٢٨ بنى فيها العزيز داراً الى جانب الزردخاناه فهذه الدار العظيمة التي قال عنها انه يستغرق وصفها الأطناب لم يبق منها سوى بابها العظيم الملون الاحجار بهندسة بديعة يكل اللسان عن وصفه وقد تراكمت الأتربة وراءه حتى صارت كالجبل العظيم وبعض احجار هذا الباب ملقى في ارض القلعة وقد كتب على حجرة فوق قنطرة هذا الباب

(١) البسمله (٢) ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر (٣) ساق الماء الى هذه القلعة المباركة في ايام مولانا ... (٤) السلطان الملك الاشرف ناصر الدنيا والدين شعبان اعز الله (٥) انصاره بالاشارة العالية المولوية المالكية المخدومية السيفية منكلي بغا (٦) ... كافل المالك الشريفة الحلبية عز الله نصره بولاية العبد (٧) الفقير الى الله محمد ... الاشرفي اعزه الله في شهر المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة ويلاصق هذه الدار من جهة الجنوب دار الزردخاناه ولا زال بابها موجوداً وعلى قنطرتها حجرة صفراء كبيرة لم اتمكن من قراءة ما كتب عليها سوى بعض كلمات وهي الزردخاناه والتاريخ الذي في السطر الاخير وهو سنة عشر وستمائة وداخل هذا المكان قبوا واسع لا شيئ فيه .

وجنوبي هذا المكان المكان المعروف بالساتورة (بئر ماء واسع) امامه اجران كبيرة من الحجر الأسود وداخله جرن اصفر كبير طوله متران وستون سنتيما وعمقه نصف متر وهو من عهد الرومانيين وعليه هذه الكتابة

YAOTHTOY وليس فى القلعة من آثار الرومانيين سوى هذا الجرن والجرن الذى قدمنا ذكره

ثم تمشى الى جهة الجنوب ايضاً صاعداً الى ما فوق الأقبية التي فيها ابواب القلعة وهناك تجد باباً كبيرا من الرخام فى داخله صحن واسع طوله نحو ٢٠ ذراعاً وعرضه نحو ١٢ ذراعاً يحيط به جدران عالية تجد في صدره من جهة الجنوب ايضاً بابا واسعاً من الرخام الملون كتب فى اعلاه

لصاحب هذا القصر عز ودولة * وكل الورى فى حسنه يتعجب
بنى فى زمان العدل بالجود والتقى * محاسنه فاقت جميع الغرائب

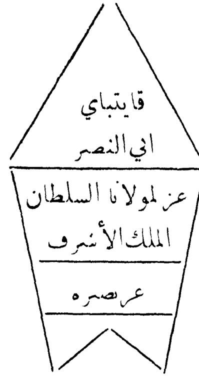
وشاهدت فى هذا الصحن بغالاً وخيلا مربوطة تحت ارجلها اكوام الزبل فقلت سبحان المعز المذل بعد ان كان هذا المكان مقعد الملوك والأمراء صار اصطبلا للدواب ومن هذا الباب العظيم تدخل الى دهايز وهناك مخادع ثم تخرج منه الى القصر الكبير المبني على الباب الثاني وما يليه المطل على الجهة الجنوبية من البلدة طول هذا القصر ٢٨ مترا وعرضه كذلك وفي وسطه ساريتان عظيمتان ومعهما عمودان من الحجر الأسود وفي القصر ثلاثة اروقة كل رواق ذو ثلاث قبب والسقف جميعه متهدم الآن وجدرانه من الجهات الثلاث متوهنة خصوصاً الجدار المشرف على البلدة فأنه منشقق وفى هذه السنة رمم من اسفله ووضع فى شقوقه وفى ارضه قضبان حديدية فتماسك بهذه الواسطة وهذا يؤخر سقوطه سنين وفي صدر هذا القصر شباك كبير من النحاس الأصفر بديع الصنع وقد كان اربع عشرة شبكة وقد سرق منها ثلاثة وفيه الآن احد عشرة شبكة.

وعلى قنطرة هذا الشباك وفى جوانبه من داخله وعلى عضادتيه من خارجه فوق ذلك الرخام الملون كتابة بخط جاف الا انها مشتبكة ببعضها البعض لم اتمكن

من قراءتها الا بعد الجهد بعد وضع السلالم وساعدني في ذلك الشابان النجيبان الشيخ مصطفى الزرقا والشيخ معروف الدواليبي يوم خرجنا الى القلعة عدة مرات لهذه الغاية وذلك في شعبان من هذه السنة وهي سنة ١٣٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين امر بأنشاء هذا القصر المبارك مولانا السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم المالك الملك قايتباي حامى الذمار على ملوك الأرض اعلا شرفا بخدمة الحرمين الشريفين سلطان الأسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين عز نصره بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وثمانمائة .

وفوق هذا الشباك حجرة هذه صورتها وصورة ما كتب فيها



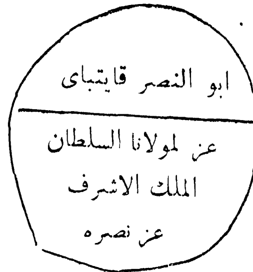
وفي القنطرة الوسطى من هذا القصر حجر كبير نقش عليه

(١) جدد هذه القبة عند تلاف بنفقة مولانا السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري

(٢) في ايام المقر الأشرف... نائب القلعة وكيل المقام الشريف عز الله انصاره بتاريخ..

وتحت الشباك الكبير من ظاهر القصر حجرة كبيرة كتب عليها. امر بعمارة هذا القصر المبارك بعد دثورها (هكذا) مولانا الشلطان الملك الأشرف قايتباي عز نصره .... بتاريخ سبعين وثمانمائة

وعن يمين هذا الشباك حجرة مدورة كتب عليها (كتب السعد على ابوابها ادخلوها بسلام آمنين) وبجانبها حجرة اخرى بين هذا الشباك والشباك الصغير الذي بجانبه مكتوب عليها بالخط الكوفي [لااله الا الله محمد رسول الله] وعن يمين هذه الحجرة وشمالها ختمان مستديران كتب فيهما



وفي القلعة مسجدان احدهما في وسطها وهو من آثار الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين الشهيد وآثار والده وقد داخل بناءه الوهن وهو ماش في طريق الخراب اذا لم تتداركه ايدي الترميم وقد كتب على بابه المؤلف من ثلاثة احجار سوداء (١) امر بعمارته الملك الصالح نور الدين ابو الفتح [٢] اسماعيل بن محمود بن زنكي بن آقسنقر ناصر امير «٣» المؤمنين بتولى العبد شاذبخت سنة خمس وسبعين وخمسمائة ومكتوب على يمين باب القبلية «١» بسم الله الرحمن الرحيم امر بأنشاء هذا «٢» المسجد المقام الملك العادل نور الدين «٣» الفقير الى رحمة الله ابو القاسم محمود ابن زنكي ابن اقسنقر غفر الله له ولوالديه «٥» واحسن ختامه في سنة ثلثة «٤» وستين وخمسمائة وهناك عن يمين شباك القبلية المطل على الصحن حجر نافر في الجدار قدر شبرين مكتوب عليه في صدره قوله تعالى (فمن بدله بعد ما سمعه الخ الآية) وعلى طرفه «١» مما وقف الفقير الى رحمة الله شاذ بخت الملكي «٢» العادلي على المسجد المقام بالقلعة المصورة «٣» القرية المعروفة ببنابل وقفا حبسا مؤبدا اه

وتحت هذه الحجرة بئر مردوم الآن وله حلقة من حديد لتعليق الدلو

وعن يسار باب القبلية حجر مكتوب عليه «١» وقف العبد الفقير الى الله تعالى شيخ الأسلام محب «٢» الدين محمد بن الشحنة الحنفي عامله الله بلطفه نصف فدان «٣» بقرية اورم الكبرا من جبل سمعان على فرش وتنوير ومصالح «٤» مقام الخليل بقلعة حلب بتاريخ جماد الأول سنة احد عشر وثمانمائة

وفي شمالى قبلية هذا المسجد عمودان من الرخام احدهما ازرق يستدل من هندسة تاجه البديعة انه من صنع الروم وثانيهما اصفر خال من النقوش . وفي وسط القبلية احجار مبنية على هيئة قبر لا ادري من هو وفي غربيها حجرة صغيرة بداخلها جرن مربع مبنى بأرض الحجرة وهناك بأرض هذه الحجرة حجرة من الرخام الابيض مدورة قدر ذراع كتب عليها (١) جدد عمارة هذا المسجد (٢) بقلعة المحية بحلب المحروسة (٣) مصطفى بن ايدين الخزينة دار بقلعة المزبورة [٣]تاريخ سنة ثمان وثمانين [٥] وتسعمائة

ومحراب القبلية كان مصفحاً بمحراب من الخشب بديع الصنعة على نسق محراب المدرسة الحلوية سرق بتمامه منذ ثلاث سنين او اربع وصورته قبل اخذه مأخوذة بالمصور الشمسى [الفوتوغراف] وتوجد عند باعة الرسوم بكثرة وعندي منها واحدة وآثار السرقة ظاهرة في القشرة الكلسية من الجدار ولله الأمر .

ومن هذا المسجد تأخذ الى ناحية الشمال فتجد مسجداً آخر وبين المسجدين نحو ٣٥ مترا وهذا المسجد اكبر من ذاك لكن لا سقف لقبليته ولم يبق منه سوى جدرانه ومحرابه وبعض اروقة وهو من آثار الملك الظاهر غازي وقد كتب على بابه [١] بسم الله الرحمن الرحيم امر بعمله مولانا السلطان الملك الظاهر [٢] العالم العادل المجاهد المؤيد المظفر المنصور غياث الدنيا والدين ابو المظفر [٣] الغازي

ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب خلد الله ملكه في سنة عشر وستمائة وفي محراب هذا الجامع جرن من الحجر البازالت طوله متر وعرضه ذراع ومكتوب على جانب قنطرة هذ الباب

[١] ادام الله العز والبقاء لمولانا السلطان الملك الظاهر [٢] ابي سعيد خشقدم عز نصره برسم الامير الكبير المخدومى [٣] تغري بردى الظاهري نائب القلعة بحلب عز نصره بأن لا [٤] يسكن احد في هذا الجامع ولا يستعمل لغير الصلاة ومن يحدث خلاف ويغير [٥] غليه لعنة الله ولعنة اللاعنين الى يوم الدين

ويلاصق هذا المسجد منارة القلعة العظيمة وعدد مراقيها ٧٨ مرقاة وقد كان اعلاها محاطا بدرابزين والآن قد ذهب وهذه المنارة اول ما يراه قاصد وحلب بل ترى بالمنظار مع هذه القلعة من جبل الزاوية المطل على بلدة ريحا

وبجانب هذه المنارة من الجهة الشرقية تكنة واسعة بنيت حديثاً من نحو ٧٠ سنة وهي مطلة على البلدة من الجهة الشمالية

وعلى جدار البرج المطل على الجهة الشمالية كتابة بالخط الكوفي وهي [امر بعمارته مولانا السلطان الملك الأشرف ابو النصر قايتباى عز نصره سنة ٨٧٧]

وفى شرقي هذه التكنة تجد بناية في داخلها المكان المعروف بالساتورة [بئر واسع فيه ماء] وهي محفورة الى تخوم القلعة ويحيط بها على شكل مراقي المنارات درج يأخذ بك الى اعماق القلعة وقد نزلت اليه وعددت تلك المراقي فبلغت ١٨٣ درجة وقد انتهى بى الى بئر لا ادري ما وراءه واخبرني من نزل فيه الى عشرين درجة اخرى فيكون مجموع الدرجات فيه ٢٠٣ ويقال انه من هنا ومن محلات اخر في القلعة كان يخرج الى ظاهر البلد من عدة محلات بواسطة سراديب مبنية وهذه كانوا يستفيدون منها اوقات الحصار . وفي القلعة سانورة ثالثة

جنوبي المسجد النوري مستطيلة الشكل على نسق الدواليب التي في بساتين حلب وهي مهجورة الآن لا يستخرج ماؤها

وفي وسط القلعة لكن الى الشرق اقرب مدخل ينزل منه على هيئة شكل مائل وهو درج تراكمت عليه الأتربة حتى ازالت منه هيئة الدرج وفيه عدة منعطفات تنتهي في آخره الى قاعة كبيرة جداً فيها اربع سوار واربع قناطر عالية جداً مبنية بالحجارة المنحوتة وفيها اواوين وفي طرف هذه القاعة في الجهة المقابلة لنزول النازل اليها بالقرب من الجدار بئر لا ماء فيها ولعلها سرداب يخرج منه الى خارج البلد ولهذه القاعة عدة كوى في ارض القلعة وبسببها يجد الداخل اليها هواء بارداً وعمقها نحو ١٤ مترا وفي القلعة عدت مغارات وقاعات تحت ارضها وكلها مقبية ومنها ما هو مردوم الآن. ووجدت في ارض القلعة حجرة كبيرة ملقاة على الارض اخبرت ان في طرفها الآخر كتابة وبعد ان قلبت لى وجدت مكتوباً عليها

[١] البسملة مما امر بعمله مولانا [٢] السلطان الملك العزيز محمد غياث الدنيا والدين ركن الاسلام [٣] والمسلمين سيد الملوك والسلاطين خلد الله ملكه [٤] بتولى العبد الفقير الى رحمة الله سيف الدين سدكين الملكى العزيزي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . ولا ادرى باب اى شيء كانت

ولم يزل فى القلعة بقية كتابات مثل الكتابة التى عن يسار الباب الأول والكتابة التي بجانب قنطرة الباب الثاني في الطرف الأيمن فأن بعض كلمات تعسر علي قراءتها ولم اجد فيها كبير فائدة لذا اضربت عنها

وما عدا ما ذكرناه من الاماكن في القلعة تجده عرصة خالية والأبراج الكثيرة المحيطة بقمتها آخذة في الأنهدام واذا طال الحال عليها ولم ترمم فأنها تتساقط شيئاً بعد شيء الى ان تبقى اثراً بعد عين .

وفي قبلي القلعة برج عظيم فى وسط الجبل مكتوب عليه [امر بعمارته مولانا السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى في ايام المقر السيفى سيبساي الأشرفى نائب القلعة المنصورة بحلب المنصورة عز نصره سنة ٩١٤

ويقابله برج عظيم آخر على شاكلته فى الجهة الشمالية مكتوب عليه (جدد هذا السور مولانا السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى عز نصره في ايام المقر الأشرفى الأمير السيفى عين مقدام الألوف بالديار المصرية سيباى الأشرفي نائب القلعة المنصورة بحلب المحروسة عز نصره سنة ٩١٥)

والذي ظهر لنا ان آخر من اعتنى بأمر القلعة من ملوك الجراكسة هما السلطان قايتباي والسلطان قانصوه الغوري الذى هو آخر سلاطينهم وكما اعتنيا بها اعتنيا بأمر اسوار حلب الخارجية يرشدك الى ذلك الكتابات التى على جدار باب قنسرين وغيره من الابواب والابراج الباقية من آثار السور الذى كان محيطاً بحلب والذي دعاهما الى تحصين قلعتها واسوارها وقوعها في الحدود بين المملكتين الجركسية والعثمانية وبعد الفتح العثمانى لم يعتن بشأن القلعة والاسوار ولعل ذلك لان حلب اصبحت في وسط البلاد العثمانية والوقائع الحربية الهامة صارت بعيدة عنها ومن جهة اخرى لم يبق للقلاع كبير فائدة بالنظر لتقدم الفنون الحربية وظهور هذه المدافع واصبح مثلها لا يجدى شيئاً عند الحصار ومن ذلك الحين اخذت فى الخراب ثم جاءت الزلزلة الكبرى التى حصلت سنة ١٢٣٧ فهدمت الكثير من مبانيها والذى يظهر ان ابراهيم باشا نقل الكثير من حجارة هذه الأبنية فى تعمير الثكنة الكبيرة شمالي حلب المعروفة بقشلة الشيخ يبرق وقدمنا ان جميل باشا فى اول هذا القرن نقل الكثير من بلاطها الخارجي في عمارة هذه الثكنة ايضاً

وبالجملة فان هذه القلعة كما قاله مؤرخو حلب من عجائب الدنيا ومن الآثار العظيمة في الشهباء واذا جلت فيها قليلا تظللك الهيبة وتعتريك الخشية وتظهر لك رفعة شأنها وتتجلى لك عظمة البانين لها وتناديك بلسان حالها

هذه آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ويظهر لك ايضاً مقدار عنايتهم بأنشاء القلاع والحصون المنيعة وتقوية وسائل الدفاع وانهم كانوا يبذلون كل مرتخص وغال من نفائس اموالهم في سبيل المحافظة على اوطانهم وبلادهم معتقدين ان ذلك من الأمور المفترضة والواجبات المقدسة بها يتقربون الى الله وبها ينالون رضاه

واذا تخيلت من وصفها هنا ما كانت عليه حينما كانت قصورها شامخة ومبانيها مشيدة وهي مزينة بما فيها من المتاحف مزدانة بمن فيها من الملوك والأمراء آهلة بمن فيها من السكان ورأيت ما صارت اليه الآن وقد طمست فيها تلك المعالم وذهبت منها تلك المحاسن ولم يبق من تلك الديار الا بعض الرسوم وبقية الآثار هنالك تتقد فى فؤادك نيران الزفرات والحسرات وتسح من مآقيك الدموع والعبرات وتنوح على مجد مضى وعز سلف بيد ان ذلك لا يعود عليك بشيءٍ من الجدوى ولا يزيل عنك تلك الشكوى والدواء الوحيد لاستعادة ذاك الشرف الباذخ والعز الرفيع لا يكون الا بأزالة غشاوة الجهل عن هذه العيون واماطة حجاب الغفلة عن هذه القلوب والاستنارة بنور العلم والاستهداء بنجومه ولا حياة مع ذلك اذا لم تعتصم هذه الامة بحبل الدين المتين وتستمسك بعروته الوثقى وتجعله اساس نهضتها ودعامة رقيها مع التخلق بالاخلاق الفاضلة والمزايا العالية فذلك مفتاح كل نجاح والوسيلة لكل فلاح وبذلك تستبدل العناء بالهناء والكدر بالصفاء وتستعيد مكانتها الأولى ومنزلتها السامية وتنال عز الدنيا وسعادة الآخرة

الحمامات التى بحلب كما ذكره ابو ذر في كنوز الذهب

قال واعلم ان حلب كانت كثيرة الخلق والدليل على ذلك كثرة مساجدها وحماماتها فقد ذكر ذلك ابن شداد وسنورد كلامه بحروفه ونزيد عليه قال ابن شداد فما باطنها من الحمامات

١ الحمام الجديد قلت ولا اعرفه الآن

١ حمام السلطان بباب الأربعين قلت وهي موجودة الآن وهي على حافة الخندق وهذه الحمام تم بناؤها سنة ثمان وستمائة بأمر الظاهر وكانت بالبستان على باب الاربعين تحت المشهد

٢ حمامان بالمعقلية قلت بالمعقلية الآن حمام تعرف بازدمر والأخرى دثرت ولا اعرفها

٢ حمامان لمحي الدين

٢ حمامان لأبن العديم قلت هما داخل باب النصر بالسوق ويعرفان الآن بالبجاسي كافل حلب

٢ حمامان للناصح ولاأعرفهما

٢ حمامان الفوقانى ولا اعرفهما

٢ حمامان انشأهما القاضى جمال الدين

١٤

١٤

١ حمام حسام الدين بباب الأربعين ولا اعرفها

١ حمام الواساني قلت وفى كتاب وقف الشرفية سماها حمام واسانوا ولم يذكر ابن شداد ان بها جرنا اسود. يذكر ان الخليل عليه السلام اغتسل به والآن هو مشهور ان الخليل اغتسل به وهي حمام مباركة يدخلها الناس للتبرك بآثار الخليل عليه السلام ويحصل لهم الشفا من امراضهم خصوصاً النساء

٢ حماما على بالمدبغة قلت احدهما قد دثرت وبالقرب من سويقة على بالدرب الآخذ الى حارة اليهود حمام قد تعطلت الآن وبعضها عامر والحمام التى هي عامرة بالسويقة الآن ارضها وقف على المدرسة العصرونية

١٨

١٨

٢ حماما الست احدهما قد تعطلت الآن
١ حمام الحدادين قلت قد ظهر في عصرنا حمام تجاه المدرسة الحدادية فلعلها هي
١ حمام القبة قلت وهذه الى جانب حمام الزجاجين وقد دثرت ودخلت في اصطبل ابن الشيباني شمالي قاعة ابن الكلزي
١ حمام الزجاجين انشاء بني العجمي
٢ حماما السباعى وبدرب السباعى (بزقاق البهرامية) حمام خراب آثارها باقية
١ حمام برد بك اتابك ولا اعرفها
٢ حمام العفيف برأس الدلبة وقال ابن ابي طي في سيرة الظاهر في هذه السنة اي سنة ثمان وستمائة تمت الحمام التى عند جسر الدلبة والدار انشأهما عفيف الدين المعروف بأبن زريق قلت وبرأس الدلبة الآن حمامان
٢ حماما الشريف ولا اعرفهما
١ حمام الوزير قلت هي بالعينية وصارت الآن سكناً وسدسها وقف بني الأعز
١ حمام الشماس قلت هي بالجلوم بحضرة

٣٢

٣٢

رحبة ابن القلندر الهاشمي والشماس وزير نصير بن صالح وهو ابو الفرج المؤمل ابن يوسف وكان نصرانياً حسن التدبير محباً لفعل الخير وكان اخوه ناظراً فى البلد البرانى فعمره وعمر المسلحة البرانية وهذه الحمام المعروفة بالشماس تعرف ايضاً بالمعلق وثلثهـا وقف سيأتى في مدرسة الجبيل
١ حمام الوالي بالجلوم قلت ولا اعرفها وبالجلوم الآن حمامات داثرة
١ حمام عامر يقال لها حمام بلبان
١ « الصفى بالعقبة قلت والآن تعرف بالبزدار والصفي بن المنذر هو ناظر حلب فى ايام الظاهر غازي وكان ضابطاً حسن السيرة للرعايا
٢ حماما الحاجب ولا أعرفهما
١ « القاضي بهاء الدين بباب العراق قلت ولا اعرفها وهناك الآن حمام تعرف بالذهب وهي وقف على الفقراء وغيرهم
١ حمام الوالي بباب العراق ولا اعرفها ايضاً

٣٩

٣٩

١ حمام شمس الدين لولو وهي معروفة عامرة وهي جارية الآن في اوقاف المدرسة السفاحية

٢ حماما ابن عصرون قلت وهما بسويقة حاتم بالأبارين احدهما تعطلت وصارتا الآن وقفاً على رباط بالقدس وغزة ووقفت على كتاب فيه انها حمام النعيم

١ حمام العوافي بباب الجنان قلت وهي وقف على المدرسة الشرفية واستبدلت بحوانيت داخل باب النصر ودثرت هذه الحمام وصارت جنينة وبقربها حمام قديم قد صار دنكا لدق الأرز

٢ حماما ابي حصين قلت وهما بحضرة جب السدلى وقد صارتا الآن دورا لبني السيد الهاشمي وغيره ونصفهما وقف ست الهنا بنت صالح بن العجمي

١ حمام حمدان ولا اعرفها ايضاً (اقول هي حمام ساحة بزه وهي موجودة الى الآن)

١ » البدر ولا اعرفها

٢ حماما موغان قلت رأيت بخط الصاحب

٤٩

٤٩

كمال الدين حماما اوران يقال ان عيسى عليه السلام دخل احديهما .

١ حمام الشحنة براس التل قلت هي موجودة الآن

١ حمام بن خدرس ولا اعرفها الآن

٢ حماما السرور وهما بالقرب من آدر شيخنا المذيل وباعهما بعض من العجم للحاج محمد الأعزازى فصيرها دوراً ومتزها

١ حمام الكاملية

٢ حماما ابن الخشاب ولا اعرفهما لكن مقابل التربة الخشابية اثر حمام تحت التراب

١ حمام ابن العجمي بباحسينا وسيتا داخل باب الفرج مسجد وبه قبر والناس يزورونه ويقولون انه قبر عبد صالح يعرف بسيتا وانه باح بالسر فنسبت المحلة اليه

١ حمام ابن الملك المعظم ولا اعرفها

١ حمام الشريف عز الدين بدرب الخراق ولا اعرفها

٥٩

٥٩

١ حمام انشاء ابن نصر الله ولا اعرفها
٢ حمامان بدار بيت ذكا وهما وقف على الزجاجية
١ حمام العتيقة وهي الآن خراب بالقرب من خندق القلعة من جهة الغرب وهي وقف على العصرونية
١ حمام العصيصي ولا اعرفها
٢ حماما ابن الأثير قلت ولا اعرفها
٢ حماما السابق » » »
١ حمام برأس النل ايضاً ولا اعرفها
١ حمام العرايس ولا اعرفها
٢ حمامان بالفرايين ولا اعرفها
٢ حمامان بالقلعة قلت احديها عامرة والأخرى هي دار الضرب الآن

٧٤

الحمامات التي بالحاضر بظاهر حلب وعددها ٢٨

٢ حماما السوق
٢ حماما الركن
١ حمام الكاملية

٧٩

٧٩

١ حمام الأدريسي
١ حمام ابن الدرمش
٢ حماما القاضى
٢ حماما اسد الدين
٢ حماما بنى عصرون
١ حمام ابن الدرمش بحارة الحوارنة
١ » الخان
١ » الشهاب داود
١ » ابن العسقلاني
١ » البدوية
١ » مدرسة بلدق
١ » ابن سلاح دار
١ » الجوهري انشاء سعد الدين ابن الدرويش
١ » قرب دار حبيب الكردي
٢ حماما سوق التبن بالرابية
١ حمام الظاهرية
١ » طمان بالظاهرية
١ » البغراصي بالظاهرية
١ » جسر الأنصاري قلت واندثر الجميع ومحلاتها فلا يعرف اثرها

١٠٢

الحمامات التي كانت بالياروقية

١٠٢

١ حمام الملك الظافر

١ » عز الدين ميكائيل

١ » ابن سنقري

الحمامات التي خارج باب انطاكية

١ حمام الجسر ولحقت اثرها تجاه مدرسة الحاج ابي بكر

٢ حماما قيصر

١ حمام الحافظى

١ » الريكاني

١ » عريف الصاغة

الحمامات التي كانت بالحلبة (الفيض)

٢ حماما الشهاب العجمي

١ حمام فخر الدين اياس

الحمامات التي بالبساتين

١ حمام ببستان تحت مشهد الدكة

١ » » شمس الدين خضر الوالي

١١٦

١١٦

١ حمام ببستان ابن تكيل الذهب

١ » » مشهد الحسين

١ » » الوزير ابن حرب

١ حمام ببستان المضيق يعرف بابن حسون

١ » » النقيب محمد بن صدقة بالخناقية ايضاً

١ حمام ببستان ابن عبد الرحيم

١ » » الأزرق

١ حمام ببستان تاج الملوك المعروف بالناصح

١ حمام ببستان صفي الدين طارق

١ » » ابن حرب المنتقل الى قرطاي

١ » » الوالي

١ » » جمال الدولة

١ » » شمس الدين لو او

١ » » الشريف

١ » » بكماش والي القلعة

١ » » فخر الدين بن الخشاب

١ » » كافى اليهود بالهزازة وهذه اعيدت فى ايامنا

٣ حمامات ثلاث ببساتين السلطان

١٣٦

الحمامات التي وقعت بالرمادة

قرب مسجد البختي وبباناقوسا

١٣٦

١ حمام الملاح
٢ حماما فخر الدين الوالي
٢ حماما جمال الدولة
١ حمام بدر الدين ابن ابي الهيجاء
١ حمام بهاء الدين ابن ابي الهيجاء
١ حمام فخر الدين اخي شمس الدين لولو
٢ حمامان بباناقوسا احدهما لابن ابي الحصين والآخر يعرف بالمغارة

الحمامات التي في الدور

٢ حمام بدار المعظم حمام بدار جمال الدولة
١ « « شمس الدين لولو
١ « « علاء الدين طاي بغا
١ حمام بدار سعد الدين ابن الدرويش
١ حمام في آدر بني الخشاب
١ حمام بدار الشريف بقلعته
١ حمام بدار ظفر بباب الأربعين
١ حمام بدار علاء الدين الناصح بالتنانيريين

١٥٥

١٥٥

١ حمام سيف الدين احمد بن الناصح براس درب الخراف
١ حمام بدار سيف الدين علي بن قليج
١ حمام بدار عماد الدين اخيه
١ حمام بدار بدر الدين الوالي
١ حمام بدار الشريف الزجاج بقلعة الشريف
١ حمام بدار نظام الدين الوزير في باب النصر
١ حمام بدار اتابك
١ حمام بدار جمال الدولة اقبال الظاهري
١ حمام بدار صارم الدين ازبك الظاهري
١ حمام بدار حسام الدين علي بن بهاء الدين ايوب
١ حمام بدار الصاحب جمال الدين بن الأكرم
١ حمام بدار الرئيس صفي الدين طارق
١ حمام بدار شهاب الدين بن علم الدين
١ حمام بدار الملك رشيد
١ حمام بدار الامير سيف الدين بكتوت العزيزي

١٧٠

١٧٠
١ حمام بدار صاحب شيزر
١ حمام بدار نجم الدين الجوهري
١ حمام بدار ابن بغا
١ حمام بدار عماد الدين عبد الرحيم بن العجمي
١٧٤

١٧٤
١ حمام بدار الجمال عثمان بن العجمي
١ حمام بدار عز الدين الحموي
١ حمام بدار قيصر في درب العدول
١٧٧

قلت وهذه الحمامات لا تعرف الآن ولا بعض بيوت اربابها واهمل حماماً بدار صاحب الشرفية وحماما بدار اخيه شمس الدين الموقوفة على والدي وكانت راكبة على قبو ورأيت آثارها وبعض كيزانها وقد جدد القاضي زين الدين عمر بن السفاح حماماً داخل داره وكذلك الشيخ شمس الدين ابن الشماع جدد حماماً بداره اه قال في الدر المنتخب في الباب الخامس عشر بعد ان ذكر عددها مجملا نقلا عن ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ بمصر وهذه الحمامات التي ذكرتها بحسب ماوصل اليه علمي وفارقت عليه بلدي في سنة سبع وخمسين وستمائة وهي على هذه الكثرة كانت لا تكفي من بحلب ولقد بلغني انها في العصر الذي وضعت فيه هذا الكتاب دون العشرة وقد تهدم اكثرها (اي في دخول التتار الى حلب) ان في ذلك لعبرة لمن يتذكر او يخشى قال صاحب الدر وقد اعيد بعد ذلك كثير من الحمامات واستمر كثير منها داثراً ثم جدد بعد ذلك بحلب حمامات كثيرة داخل البلد وخارجه من ذلك الحمامان العظيمان حمام اشقتمر (١) وحمام الناصري (٢) اللذين ليس بالمملكة مايضاهيهما اه ثم ذكر صاحب الدر المنتخب في اواخر كتابه الحمامات الموجودة في عصره وعدها

(١) هي في محلة القصيلة وهي موجودة
(٢) هي الحمام التي تحت القلعة في سوق الجمعة المعروفة الآن باللبابيدية لصنع اللبابيد فيها ولا تستعمل لاغتسال الناس

مع حمام في القلعة ٤٧ حماماً . ومعظم ماذكره موجود الآن وهو ٣٩ حماماً وتجدد في هذا القرن حمامان فالمجموع احدى واربعون حماماً واليك اسمائها واماكنها

١ حمام الوِيوَّضي في محلة باب انطاكية
١ « العتيقة « الكلاسة
١ « الجديدة « بناها الحاج محمد وابراهيم العرو سنة ١٣٢٨
١ حمام بزدار في ذيل العقبة
١ « عتاب في محلة الجلوم
١ « الجوهري في محلة باب قنسرين
١ « المالحه فى محلة باب قنسرين
١ حمام ميخان فى محلة السفاحية
١ حمام بزه فى محلة ساحة بزه
١ حمام الصالحية فى محلة باب المقام
١ « الذهب فى محلة زقاق النخلة
١ حمام اللبابيدية فى سوق الجمعة وهي (حمام الناصري)
١ حمام عاشق فى محلة القصيلة وهي حمام اشقتمر وقد تقدم ذكرها
١ حمام برسين فى محلة باب النيرب
١ حمام الجابرية في دكاكين حجيج بناها

١٥

١٠
الحاج ضياء الجابري سنة ١٣١٥
١ حمام باب الأحمر فى محلة باب الأحمر (اغلبك)
١ حمام البياضة (السروي) في محلة البياضة
١ حمام بلبان فى محلة المستدامية
١ حمام القاضى في جادة باب النصر
١ حمام اوج خان في سوق النحاسين
١ حمام القواس عند جامع الذكي
١ حمام بهرام في محلة الجديدة
١ حمام البساتنة في قسطل الحرامي
١ حمام الألمجي فى محلة الألمجي
١ حمام اغيور فى محلة اغيور (آقيول)
١ حمام السبيل عند سبيل دالي محمود
١ حمام الأفندي في محلة سوق الدجاج
١ حمام الجديدة في محلة بانقوسا
١ حمام سوق الغزل في محلة خان السبيل
١ حمام رقبان في محلة بانقوسا
١ حمام النحاسين قبلى الجامع الكبير

٣١

وقع في الصحيفة الاتية مجموع العدد ٤٢ والصواب ٤١

٣٧	٣٢
١ حمام الخونكرلي في محلة الفرافرة	١ حمام الأبرية في محلة سويقة حاتم
١ حمام الجديدة في سويقة الحجارين	١ حمام الواساني في هذه المحلة
١ حمام التل في محلة باحسيتا	١ حمام السلطان في محلة الفرافرة
١ حمام الجسر في باب الجنان	١ حمام مصطفى باشا في محلة الفرافرة
١ حمام الخسته خانه في محلة الرمضانية	١ حمام ازدمر في محلة الفرافرة
٤٢	٣٧

وقد كان في منتهى سوق الحرير ملاصق مسجد اليتامى وامام الطريق التي تأخذ بك الى محلة جب اسد الله حمام تعرف بحمام البيلوني لأنها تابعة لوقفه وكانت تدعى قديماً حمام موغان وقد خربت عند تعريض الجادة هناك وذلك سنة ١٣٣٥ وبنى موضعها منذ سنتين سبع حوانيت عظيمة الحقت بوقف بني البيلوني وبعض هذه الحمام عرضت به الجادة هناك .

واذا قسمنا عدد نفوس اهالي حلب قبل ٢٠ سنة وهو ١٢٠ الفاً على هذه الأربعين يكون لكل حمام ثلاثة آلاف وعلى هذا المعدل اذا رجعنا الى عدد الحمامات السابق وهو ١٧٧ حماماً واعتبرنا العامر منها في تلك الأزمنة في عصر واحد ١٢٠ حماماً يكون معظم ما بلغته نفوس حلب في عصور عمرانها في القرون الوسطى الهجرية نحو ٣٦٠ الفاً فتكون نفوس حلب الآن على ما سيأتيك في الأحصاء الأخير هي على النصف من هذا العدد وضعف ما كانت عليه في اواسط القرن الماضي كما قدمنا ذلك في حوادث سنة ١٢٢٧



﴿ عدد الدور التي في نفوس حلب والدكاكين ﴾

وغير ذلك على مقتضى القيود الرسمية في دائرة الأملاك في هذه السنة اعني سنة ١٣٤٣

١٧٣٣٥	الدور
٩٦٢٧	الدكاكين
٢٤٢	الخانات
١٢٧	المقاهي
٧٣	القيساريات
٢٧	الطواحين
١٢٠	المدارات
٢٩	الفنادق
٤٦	معامل الطحين والجليد
١١٧	الأفران
٧	الماخورات
١٥	المصابن الكبيرة والصغيرة
١٤	المطابع
٢٤	المصابغ
١٠	المعاصر
٢٧٨١٣	

٢٧٨١٣	
٤٢	الحمامات
١٦	تنانير الكلس
٢٥٨	السبل والقصاطل
٣٦	الدوائر الرسمية
٤٢	المدارس الرسمية
٢٠	المدارس غير الرسمية
٧٢	الترب التي داخل البلدة وخارجها
٢٨٢٩٩	

ومجموع عدد محلات حلب التي فيها هذه المباني ١٠٥

﴿ الجوامع والمساجد وغير ذلك ﴾

١٢٠	الجوامع
١٨٠	المساجد
٣٤	المدارس العلمية العامرة والخربة
٣٤	الزوايا والتكايا
٢	المارستانات
٣٧٠	

اقول في الدر المنتخب (ص ١٠٥) جملة المساجد التي داخل حلب وخارجها على ما ذكره ابن شداد ٧٢٥ مسجداً اه فيكون الموجود الان اقل من نصف ما كان ومن هنا يمكنك ان تستنتج مقدار نفوس حلب في تلك العصور بما يؤيد ما استنتجناه في الكلام على الحمامات

الكنائس في حلب وموقعها وتاريخ بنائها

الأسم　　　　　　　　　　الموقع

كنيسة الاربعين شهيداً للارمن الغريغوريين في الصليبة قديمة وآخر تجديدها سنة ١٨٦٩

» السيدة　» 　« 　» 　» 　» 　» 　» ١٨٥٠

» مارانطانيوس للآباء الفرنسيسين « الكتاب قديمة وآخر تجديدها سنة ١٦٦٥

كنيسة انتقال السيدة للسريان الكاتوليك في الصليبة قديمة جداً وآخر تجديدها سنة ١٨٥٠ بعد حريقها

كنيسة ام المعونات للأرمن الكاتوليك « تومايات الصليبة بناؤها سنة ١٨٤٠

كنيسة بشارة الأنجيل للبروتستانت « جقورقسطل اتخاذها كنيسة سنة ١٨٦٧

كنيسة مارفرنسيس للآباء الفرنسيسين « جلوم الكبرى « شيباني بناؤها سنة ١٨٧٨

كنيسة السيدة للروم الارثوذكس « صليبة تجديدها بقصد التوسيع سنة ١٨٥١

كنيسة سيدة الانتقال للروم الكاتوليك « صليبة تجديدها سنة ١٨٠١ بعد حريقها

كنيسة مارجرجس للروم الكاتوليك　« 　شرعسوس بناؤها سنة ١٨٥٠

كنيسة قلب يسوع للآباء اليسوعيين　« 　تراب الغربا » 　» ١٨٨١

كنيسة مار بطرس الكلدان　» 　عزيزية بناؤها سنة ١٨٨٢

كنيسة مار جرجس للسريان الارتودكس « جقورقسطل قديمة واما اختصاصها بالسريان بعد ان كانت مشتركة بينهم وبين الارمن فيرجع الى سنة ١٨٩٣

كنيسة القديس بوناونتورا للآباء الفرنسيسيين « الرام بناؤها سنة ١٩٠٧

كنيسة مار الياس الحي للموارنة « صليبة قديمة ثم ابطلت وتشيد عوضها سنة ١٨٩١

كنيسة الأنفس المطهرية　» 　حميدية بناؤها سنة ١٩١٠

كنائس اليهود ومحلاتها

الكنيسة الكبيرة في محلة بحسيتا	كنيسة حاخام موسى دباح في محلة اليهود
كنيسة بيت ناسى في محلة القلة	كنيسة مدراس الحسيدين في محلة اليهود
كنيسة مدراس البومين في محلة القلة	كنيسة عزرة عدس في محلة البندرة
كنيسة ماكين كبوريم في محلة المصابن	كنيسة سلويرة في محلة البندرة
كنيسة مدراس عبود في محلة اليهود	كنيسة سلويرة في محلة الجميلية
	كنيسة الجميلية في محلة الجميلية

نفوس حلب لتاريخ ٢٤ جمادي الاولى سنة ١٣٤٣
الموافق غرة كانون الثاني سنة ١٩٢٥

٩٨٠١٦	المسلمون الذكور ٤٦٣٧٩ الأناث ٥١٦٣٧
٠٣١٥٦	المسلمون المهاجرون
١٠١١٧٢	
٠٢٩٠٢٣	النصارى الوطنيون ويزيد اناثهم عن ذكورهم ٦ في المائة تقريبا
٠٠٥٩٩٥	اليهود الذكور ٢٩٠٥ الأناث ٣٠٩٠
١٨٦٨	الأجانب
٢٩٩٤٢	مهاجرو الأرمن
١٦٨٠٠٠	

وربما كان مجموع ما هو بدون قيد مقدار ٧ آلاف فيكون مجموع النفوس الموجودة الآن في نفس حلب نحو ١٧٥ الفاً



نفوس ملحقات حلب كما استخرجناه من دائرة النفوس

٥٠٠٦٢	جبل سمعان	٢٦٠٥٩٠		
٤٣١٧٣	ادلب	١٢٥٤٣	دير الزور	(١)
٢٣٥٩٣	الباب	٢٧٥٢	ميادين	(١)
٢٣١٨١	حارم	٩٨٧	ابو كمال	(١)
٢٢٨٣٧	اعزاز	١٣٧١٠	الرقه وتوابعها (٢)	
٢٢٤٥٦	كردطاغ	٨١٤٠١	انطاكية	(٣)
٢٠٧٩٦	منبج	١٩٥٠٩	اسكندرونة	(٣)
١٨٩٢٥	المعرة		بيلان والآن مركز	
١٧٨٧٧	جسر الشغر	١٣٠١٤	القضاء في قرق خان	
١٧٦٩٠	جرابلس	٤٠٤٥٠٦		
٢٦٠٥٩٠				

واذا قدرنا ماحول ديرالزور وميادين وابوكمال والعشائر القاطنة في ولاية حلب مع ماهو بدون قيد بخمسة وتسعين وخمسمائة الف فتكون نفوس ولاية حلب الآن تقديراً نصف مليون

(١) هذه نفوس نفس هذه البلاد واما ما حولها من القرى والعشائر فلم يحرر بعد ولا ذكر لدير الزور في السالنامة لنستخرج منها القيود القديمة لأنها كانت متصرفية مستقلة تراجع الآستانة رأساً

(٢) نفس الرقة ١٥٨٣ واما ما حولها فلم يحرر من جديد وفي السالنامة الأخيرة لسنة ١٣٢٦ نفس الرقة ٧٩٥ وعدد توابعها ١٢١٢٧ فيكون الرقة وتوابعها كما ذكرنا اعلاه ٠

(٣) نفوس هذه البلاد الثلاثة وملحقاتها التي تحررت من جديد لم تأت بعد الى الولاية والعدد الذي ذكرناه استخرجناه من السالنامة الأخيرة لسنة ١٣٢٦ هجرية

﴿ دائرة الاشغال العامة ﴾

هذه الدائرة وظيفتها بناء الجسور والقناطر وتمهيد الطرق وغير ذلك من الأعمال وقد تأسست سنة اثنتين وثلاثمائة والف او بعد ذلك بقليل وكانت مؤلفة من مهندس ومعاون له واعمالها منحصرة بتمهيد الطرق ثم صدر قانون في سنة ١٣٠٧ يكلف جميع العثمانيين من سن ١٧ الى ٦٠ بالشغل اربعة ايام في السنة بدنا او بدلاً او مالاً وكان المهندس والمعاون يرجعان في امورهما الى لجنة مؤلفة من الوالي ومدير المصرف الزراعي وعضو من مجلس الأدارة . وبقيت تلك اللجنة الى شعبان من سنة ١٣٢٩ ففيها صدرت ارادة سنية بالغائها

فهذه اللجنة اتمت من الاعمال ما يأتي

تمهيد طريق لسير العجلات من حلب الى الاسكندرونة وطوله ١٥٦ كيلومتراً وتمهيد طريق من طوب بوغاز (نقطة على طريق الاسكندرونة) الى انطاكية طوله ٣٦ كيلومترو تمهيد ٢٠ كيلومترا من الطريق التي بين حلب وبيره جك ومهدت العوارض قدر ١٠٠ كيلومتر ما بين حلب وبغداد ليكون صالحاً لسير العجلات في موسم الصيف

وانشئ طريق من قرب كفرانطون على طريق الاسكندرونة شمالاً يمر من اعزاز — كلز — عينتاب حتى مرعش وهو من مفرق الطريق الى كلز ٥٠ كيلومترا ومنها الى عينتاب ٥٩ ومنها الى حدود مرعش ٣٤ .

وفي سنة ١٣٢٩ شكلت هذه الادارة على نسق الادارات التي في بلاد الغرب من رئيس المهندسين ومهندسين ومناظرين وكتاب وصارت تقوم بهذه الاعمال على صورة فنية من انشاء الجسور اللازمة للطرقات وغير ذلك

وفي سنة ١٣٣٤ انشئ طريق ما بين خان عفرين على طريق الاسكندرونة وبلدة راجو ولم تزل تشكيلات هذه الأدارة على هذه الصورة حتى سنة ١٣٤٠ ففيها تشكلت هذه الدائرة بصورة انظم مما كانت عليه وزيد فى نفقاتها مبلغ وافر لذا امكنها ان تقوم باعمال كثيرة في هذه السنين الثلاث وهي

١ فتح طريق من حلب الى انطاكية يمر من اورم الصغرى واورم الكبرى والأثارب وقصر البنات وحارم طوله من حلب الى انطاكية ١٠٠ كيلو متر تم منه الى حارم وهو ٦٥ كيلو مترا والدائرة مهتمة باكماله الى انطاكية

٢ فتح طريق من حلب الى ادلب ريحا (جسر الشغر) طوله ١٢٢ كيلومترا تم منه ٦٣ كيلو مترا وسيتم الباقي بعد سنة من هذا التاريخ ومن الجسر الى اللاذقية سيكمل من قبل حكومتها

٣ تنظيم ساحة برية المسلخ وجعلها حديقة عامة وردم الخندق من عند محلة جب قرمان الى جامع التوبة في محلة باب النيرب وانشئت فى برية المسلخ امام الحديقة مدرسة ابتدائية تحتوي على ١٥ غرفة واسعة داخل عرصة طولها ١٢٠ مترا وعرضها ٥٥ مترا وانشأت هنالك مستوصفاً لمعاينة الفقراء مجاناً فيه ٩ غرف طوله ٨٠ مترا وعرضه ٢٥ مترا وستكون مصاريفه من جانب ادارة الصحة العامة

٤ اكمال البناية التي كانت اسست سنة ١٣٣٠ غربي التكية المولوية امام النهر وكان قد بني منها طابق واحد لكنه لم يكمل فبني الطابق العلوي واكمل السفلي والمنتظر اتخاذ هذه البناية العظيمة مدرسة للهندسة وهي ١٥ غرفة

٥ اكمال بناية امام مخفر الكتاب قبلي بستان باقي جاويش خصصت لدائرة قيادة الدرك والأقتصاد وكان مكانها نصف التربة الدقاقية والنصف الآخر باق وفيها ١٨ غرفة وكان بوشر فيها اثناء الحرب من قبل دائرة النافعة

لتكون مسكناً للولاة وبني منها جدرانها ثم تركت فاكملتها الآن

٦ فتح طريق من بساتين (بابلا) ماراً بالمسالخ وينتهي في محلة باب النيرب الى قسطل علي بك

٧ فتح طريق من حلب الى الباب وقد وصل الآن الى قرية تقارين وانشئ في قرية مران جسران على هذا الطريق وجسر في قرية المديونة في هذا الطريق وجسر في قرية الغوز وديرقاق وجسر آخر في كروم الباب ومجموعه ٣٦ كيلو مترا

٨ فتح طريق من الباب الى بزاعة مع انشاء اربعة جسور فيما بين الباب وبزاعة طوله ٥ كيلو مترات

٩ جلب ماء قرية مرتين الى تبعد عن ادلب ٧ كيلو مترات الى ادلب بواسطة اقنية حديدية وموتور ومضخة ومصاريف ذلك . النصف من الأهالي والنصف من مجلس بلدية ادلب بلغت المصاريف ١٢ الف ورقة سورية تعادل ٢٨٨٠ ليرة عثمانية ذهباً

١٠ ترصيف الطريق من باب النصر الى باب الحديد

١١ بناء دور للحكومة في قضاء اعزاز والمعرة وجرابلس وجسر الشغر وكرد طاغ ودير الزور كل دار ٢٤ غرفة

١٢ انشاء مدرسة في ادلب ذات ٦ صفوف واسعة كان بني منها جدرانها الى النوافذ فأكملت في هذه المدة وسلمت للمعارف

١٣ بناء مدرسة تجهيزية في دير الزور ذات طابقين تشتمل على ٢٠ غرفة

١٤ ترميم حيطان قاعة القلعة وربطها بقضبان حديدية (وقد اشرنا الى ذلك في الكلام على القلعة)

١٥ بناء بجانب مدرسة الصنائع تحت القلعة فيه ٥ غرف ليكون داراً لصناعة الحدادة تلحق بهذه المدرسة (وقد اشرنا الى ذلك في الكلام على هذا المكتب)

١٦ بناء اثر تذكاري بطرف قبور الجراكسة في ذيل جبل الجوشن يعلم منه الشروع في فتح الطريق من حلب الى انطاكية من جهة ومن حلب الى جسر الشغر من جهة اخرى

هذا ما قامت به من الاعمال الى هذا الشهر وهو شهر شوال من سنة ١٣٤٣ وفي مقرراتها تعريض جسر الناعورة لضيقه وستجعله ٢٠ مترا وستباشر به عما قريب

فصل فيما مدحت به حلب (١)

قال ابو العلاء المعري

ياشاكي النوب انهض طالباً حلبا * نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس
واخلع حذاك اذا حاذيتها ادباً * كفعل موسى كليم الله في القدس

وقال ابو الطيب المتنبي

كلما رحبت بنا الروض قلنا * حلب قصدنا وانت السبيل
فيك مرعى جيادنا والمطايا * واليها وجيفنا والذميل

وقال ابو الفتح ابن حيوس من قصيدة يمدح بها الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش لما فتح حلب سنة ٤٧٣

ما ادرك الطلبات مثل مصمم * ان اقدمت اعداؤه لم يحجم
لا يشتكون اليك نائبة سوى * تقصيرهم عن شكر هذي الأنعم
اقدمت امنع اقدم وغنمت او * فى مغنم وقدمت اسعد مقدم
ولقد ظفرت بما يعز مرامه * الا عليك فدم عزيزاً واسلم

(١) قدمنا بعضاً منه في الجزء الثاني في صحيفة ٣٧٧

كانت تعد من المعاقل برهة * وسمت بملكك وهي بعض الأنجم
فضلت على كل البقاع وبينت * فضل الصبور على الممض المؤلم
من زاد عنها نخوة لم يخش من * عتب العتاب ولا ملام اللوم

وقال ابو الوليد البحتري

اقام كل ملث الودق رجاس * على ديار بعلوى الشام ادراس
فيها لعلوة مصطاف ومرتبع * من بانقوسا وبابلي وبطياس
منازل انكرتنا بعد معرفة * واوحشت من هوانا بعد ايناس
ياعلو لو شئت ابدلت الصدود لنا * وصلاً ولان لصب قلبك القاسى
هل من سبيل الى الظهران من حلب * ونشوة بين ذاك الورد والآس

وقال ابو فراس الحمدانى

الشام لا بلد الجزيرة لذتي * وقويق لا ماء الفرات منائي
وابيت مرتهن الفؤاد بمنبجا ا * سوداء لا بالرقة البيضاء

وقال ايضاً

ارتاح لما جاز ارتاحا * ولاح من جوشن ما لاحا
لما رأى سحب اذياله * باح من الحب بما باحا
ملعب لهو كلما زرته * وجدت فيه الروح والراحا

وقال ايضاً

نظرت وضمت جانبيّ التفاتة * وما التفت المشتاق الا لينظرا
الى ارجُوانيّ من البرق كلما * تنمر علويّ السحاب تعصفرا
يضيء غماماً فوق بطياس واضحاً * يبض ورضاً تحت بطياس اخضرا
وقد كان محبوباً الي لوانه * اضاء غزالاً عند بطياس احورا

وقال ابو بكر الصنوبري

انى طربت الى زيتون بطياس * بالصالحية ذات الورد والآس
من ينس عهدهما يوماً فلست له * وان تطاولت الأيام بالناس
يا موطناً كان من خير المواطن لى * لما خلوت به ما بين جلاسى
وقائل لى افق يوماً فقلت له * من سكرة الحب او من سكرة الكاس
لا اشرب الكاس الا من يدي رشا * مهفهف كقضيب البان مياس
مورد الخد في قمص موردة * له من الآس اكليل على الراس
قل للذي لام فيه هل ترى خلفاً * يا املح الروض بل يا املح الناس

وقال سعد الدين بن الشيخ محي الدين بن عربي

حلب تفوق بمائها وهوائهـا * وبنائها والزهر من ابنائهـا
نور الغزالة دون نور رحابهـا * والشهب تقصر عن مدى شهبائها
طلعت نجوم النصر من ابراجها * فبروجها تحكى بروج سمائها
والسور باطنه ففيه رحمة * وعذاب ظاهره على اعدائها
بلد يظل به الغريب كأنه * في اهله فأسمع جميل ثنائها

وقال عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي

قل للنسيم اذا حملت تحية * فاهد السلام لجوشن وهضابه
واسأله هل سحب الربيع رداءه * فيها وجر الفضل من اهدابه
وتبسمت عند الرياض وافصحت * بثناء بارقه ومدح سحابه
ولقد حننت وعاد لى من نحوه * شجن بخلت به على خطابه
وصبابة علقت بقلب متيم * وصل الغرام اليه قبل حجابه
واذا الغريب صبا الى اوطانه * شوقا فمعناه الى اوطانه

وقال ايضاً متشوقاً وهو بآمد (ديار بكر)

خليلي من عوف ابن عذرة انني * لكل غرام فيكما لجدير
كفى حزناً اني ابيت وبيننا * وسيع الفلا والسامرون كثير
واصبح مغلوباً على حكم رأيه * وقد عشت دهراً ما عليّ امير
اشيم ركابي في بلاد غريبة * من العيش لم يسرح بهن بعير
فقد جهلت حتى اراد خبيرها * بوادي الفطين ان يلوح سنير
وكم طلبت ماء الأحص بآمد * وذالك ظلم للرجاء كبير
عدوها قويقا واطلبوا لحنينها * نحايف جسمي ان تهب دبور
فوالله ماريح الصبا بجنينة * اليها ولا ماء الأحص نمير
سقا الهضبة الادماء من ركن جوشن * سحاب يسير نوره وينير
وحل عقود المزن في حجراته * نسيم بأدواء القلوب خبير
فما ذكرته النفس الا نبادرت * مدامع لايخفى بهن ضمير

وقال ابو عبد الله ابو العباس الصفري يتشوق الى حلب وهو بدمشق

من مبلغ حلب السلام مضاعفاً * من مغرم في ذاك اعظم حاجه
اضحى مقيما في دمشق يرى بها * عذب الشراب من الأسا كدجاجه

وقال ايضاً

يابرق طالع من ثنية جوشن * حلباً وحي كريمة من اهلها
واسأله هل حمل النسيم تحية * منها فأن هبوبه من رسلها
ولقد رأيت فهل رأيت كوقفة * للبين يشفع هجرها في وصلها

وقال جمال الدين يحي بن مطروح يمدح حلب وملكها نقلا عن ديوانه المطبوع

على حلب الغراء مني تحية * لها ارج كالمسك والعنبر الوردي

وما هي الا جنة الخلد بهجة * ولا عجب شوقي الى جنة الخلد
نعم ورعى الرحمن فيهـا عصابة * مناقبهم جلت عن الحصر والحد
وخصص منهم منعماً راجح النهى * مباح الحمى خفاق ألوية الحمد
هو النير العلوي غير مدافع * وعند ملوك الأرض واسطة العقد
فما زاد قرب الدار الا تشوقا * على ان قرب الدار خير من البعد

﴿ لأبي الحسن علي بن عنبر الحلوي ﴾

لئن سمحت ايدي الزمان برحلة * الى حلب حل الحيا عندها الحِبا
شكرت لما اولت يدا غربة النوى * زماني بها شكر المجازي على الحبا
وقابلت معنـاه وقبلت مبسما * لحى فيحيى عنده ميت الصبا
فأهلا وسهلا بالشمال تؤمه * وسقيا ورعيا للجنوب وللصبا

﴿ وقال محمد بن حرب الخطيب وهو بالبيرة يتشوق الى حلب ﴾

يقر لعيني ان اروح بجوشن * وماء قويق تحته متسربا
لقد طفت في الآفاق شرقاً ومغربا * وقلبت طرفي بينها متقلبا
فلم ار كالشهباء في الارض منزلا * ولا كقويق في المشارب مشربا
جعلت شعار الوجد لي بعد بعدكم * شعاراً وتجرى مذهب الدمع مذهبا
لعل زمانا قد قضى بفراقنا * يريني قريبا شملنا متقربا

﴿ وقال الامير ركن الدين انشدني موفق الدين الكاتب يتشوق الى حلب ﴾

سلام على الحي الذي دون جوشن * سلام يرث الدهر وهو جديد
تضوع بمسراه البلاد كأنما * تراه من الكافور وهو سعيد
فلي ابداً شوق اليه مبرح * ولي كل يوم انة ونشيد
وكيف اداوي بالعراق محبة * شآمية ان الدواء بعيد

وَمما قاله الوزير ابو القاسم بن الحسين المغربي

امـا الى حلب فقلبي نـازح * ابداً ومـاء عـلاقتي مُتصوب
بلد عرفت بهـا العدو مكلمـا * عني وشيطـان الغواية يحلب
ايام اركب من شبـابي جامحا * فيمر بي فيها يشـاء ويذهب
هيهـا ت لا تلك الليـالي عود * ابداً ولا ذاك الزمـان معقب
لهفي عليه وان تمنطق عادلاً * فيه واصفح عنه حيسَ مهذب

وقال ايضاً

مل بي الى حلب اعال نـاظري * فيهـا غداة تحث بي الأشواق
بلد ارقت به مياه شبيبتي * حيث النجيع اذا اردت مراق

وله ايضاً

حن قلبي الى معـالم بابلاّ * حنين المولّـه المشغوف
مطلب اللهو والهوى وكنـاس * الخرّد العين والظبـاء الهيف
حيث شطّـا قويق مسرح طرفي * وسواقيه مؤنسي واليفي
ليس من لم يكثر الحنين الى الأ * وطان ان شتت النوى بظريف
ذاك من شيمة الكرام ومن عهـ * ـد الوفـاء المحبب الموصوف

﴿ وقال ابو الفتح محمود بن الحسن المعروف بكشاجم ﴾

ارتك يد الغيث آثارها * واعلنت الأرض اسرارها
وكانت اكنَّت لكانونها * خبايا واعطته آدارها
فما تقع العين الا على * رياض تصنف نوارها
يفتح فيها نسيم الصبا * جناها فيهتك استارها
ويسفح فيها دماء الشقيق * اذا ظل يفتض ابكارها

ويدني الى بعضها بعضها * كضم الأحبة زوارها
تغض لنرجسها اعين * وطوراً تحدق ابصارها
اذا مزنة سكبت ماءها * على بقعة اشعلت نارها
وما امتعت جارها بلدة * كما امتعت حلب جارها
هي الخلد تجمع ما تشتهى * فزرها فطوبى لمن زارها
وللهو فيها شهور الربيع * حين يقطف ازهارها
اذا ما استمد قويق السما * بها فأمدته امطارها
واقبل ينظم اجيادها * يغيض المياه واغوارها
وارضع جناتها دره * فعمم بالنور اشجارها
ودار بأكنافها دوره * ينسى الأوائل تذكارها

نسبها صاحب الدر المنتخب لكشاجم ونسبها ابن شداد لابي بكر الصنوبرى والله اعلم وفي المختار من الكواكب المضية نقلاً عن ابن خطيب الناصرية قال حلب بلدة مباركة عذبة الماء طيبة الهواء جيدة الأبناء لكنها مقبلة على غربائها مدبرة عن ابنائها كما قيل غريبها مقدم ☆ واهلها في الساقة

وقال صاحب الفراسة

وحلب خزانة الذكاء ☆ وموطن العفة والحياء
طالعها للغرباء سعد ☆ وهي لمن فيها شقا وكد
لكنها تعطى دقيق العلم ☆ لأهلها من بعد لطف الفهم
والعصبيات لديهم وافره ☆ وعلقة الحذق عليهم ظاهره

وقال ابو نصر محمد بن محمد الخضري

يا حلباً حييت من مصر * وجاد مغناك حيا القطر

اصبحت في جلق حران من * وجد الى مربعك النضر
والعين من شوق الى العين * والفيض غدت فائضة تجرى
ما بردى عندى ولا دجلة * ولا مجاري النيل من مصر
احسن مرأى من قويق اذا * اقبل فى المد وفي الجذر
يا اسقي منه على جرعة * تبل مني غلة الصدر
كم فيك من يوم ومن ليلة * مر لنا من غرر الدهر
ما بين بطياس وحيلان * والميدان والجوسق والجسر
وروض ذاك الجوهري الذي * ارواحه ازكى من العطر
وزهره الأحمر من ناظر م الياقوت والأصفر كالتبر
والنور في اجياد اغصانه * منظم ابهى من الدر
منازل لا زال حلف الحيا * على رباها دائم الدر
تالله لا زلت لها ذاكراً * ما عشت فى سرى وفي جهري
وكيف ينساها فتى صيغ من * تربتها الطيبة النشر
وكل يوم مر فى غيرها * فغير محسوب من العمر
ان حن قلبي اليها فلا * غرو حنين الطير للوكر
ياليت شعري هل اراها وهل * يسمح بالقرب بها دهري

وقال ابن مشرق الماردينى

حيا حما الشهباء حقا انها * مدينة يرتع في نعيمها
نسيمها الطف شيء فى الورى * واهلها الطف من نسيمها

وكتب ابو سعيد ابن الغزى الى كمال الدين ابن الاستاذ

كتبت وما اجتاز السلو ببالي * ووجدي بكم وجدي وحالي حالى

واذكر لو يجدي التذكر راحة * واسأل عنكم لو يفيد سؤالي
اياساكني الشهباء عهدي بعهدكم * قديم ولاء لم يشب بملال
اياديكم عندي اياد عميمة * توالت وما شكري لها متوالي
اؤمل شكرا ارتضيه لمثلكم * لقد كلفت نفسي اذا بمحال
ايا راكبا يزجي الركائب طلعا * رويدك من اين بها وكلال
اذا حلب يممت ساحة ارضها * فحي قياما بالمقام عوالي
وعرج بباب الاربعين مبلغا * سلاميَّ احبابا به وموالي
وطارحهم عني قديم مودة * اغار عليها ان تمر ببالي
اذاماذكرت الفيض فاضت مدامعي * تبل عليها وباها المتبالي
ولم اله عن باب الجنان تسليا * لسلسال ماء كالحياء زلال
سقى المشهد الأعلى فأعلام جوشن * بواكر داني الهنديين سجال
وروي مقر الأنبياء سحائب * يؤلفها ريحا صبا وشمال
بذات الروض الجوهري جواهراً * من الدمع فهي اليوم غير غوال
اقامت بقلبي للغرام لواعج * لمرأى انيق عنده وجمال
يذكرني الفردوس طيب نعيمه * فيا حسنه لو لم يشب بزوال
مغان عهدت الانس فيهن دائما * فما بالها ولت كطيف خيال
وقضيت اياما بها ولياليا * فيا طيب ايام وطيب ليال
وما حلب الا مقر مكارم * ومعدن افضال وكنز معالى
اذا ظفرت كفاك منها بصاحب * فقل في خليل حاز حسن خلال
يقصر عن شهبائها الشهب رفعة * فقد كملت وصفي علا وجلال

وقال محمد بن النابلسي يذكر الميدان الأخضر الذي جدده الملك الظاهر غازي

فحبذا في حلب مسارح * للحسن روح الروح في عيانها
وحبذا ما تمرح الأعين في * مروجه الفيحاء من ميدانها
وما اكتست اقطاره من جلل * تتوق الصانع في الوانها

قال في كنوز الذهب . الميدان الاخضر الذي جدده الظاهر غازى هو شمالي حلب طوله سبعمائة وخمسون ذراعاً وعرضه من القبلة خمسون ومن الشمال سبعون ذراعا هكذا كان قديما وخارجه دكة عظيمة لا يصعدها احد للنزول عليها الا السلطان ولم تزل الملوك تعمر فى هذا الميدان وتحسنه ولما اراد الأشرف برسباي الحضور الى حلب عمر فيه قصروه كافل حلب عمارة كثيرة وعمر فيه اينال الاشقر ومما قاله الملك الناصر صلاح الدين يتشوق الى حلب وهو بدمشق قصيدة اولها

سقى حلب الشهباء في كل ازمة * سحائب غيث نورها ليس يقلع
فتلك ربوعي لا العقيق ولا الحمى * وتلك دياري لا زرود ولعلع

وقال الأمام محمد بن النحاس الحلبي يتشوق لحلب

سقى حلباً سحب من الدمع لم تزل * تسح اذا شح الغمام غمائما
وحيا الحيا قيعانها واكامها * واخرج فيها للربيع كمائما
بلاد بها قضيت لهوي وصبوتي * وصاحبت فيها العيش جزلان ناعما
واول ارض مس جلدي ترابها * ونحى بها عنى الشباب تمائما

وله ايضاً

سقى زمانا تقضى في ربا حلب * من السحاب ملث المزن هطال
ولا عدا ربعها غيث يراوحه * يحثه من حداة الرعد ازجال
منازل لم ازل ألهو بمربعها * بها نعمت فلا حالت بها الحال
اصبو اليها ولا اصغى للائمة * ما لذة العيش الا القيل والقال

وقال السراج المختار

حيا الحيا تربة الشهباء من حلب * بما تدر من الأنواء من حلب
وصاب ارجاءها صوب العهاد ولا * زال السحاب عليها خد منسحب
ومنها من لى بها ورداء الوصل يجمعنا * ونحن نرفل في موشيّها القشب
آها على طيب ايام لنا سلفت * لو كان ينفع تأويه لمكتئب
ماان تذكرت اوقات السرور بها * الا ورحت حليف الهم والكرب
وبات طرفي بماء الدمع فى غرق * ومهجتى بزناد الشوق في لهب
لئن بكيت على دار ونحت بها * فلست اول محزون ومنتحب

وقال الشيخ شرف الدين ابو بكر بن محمد بن اي الثناء محمود الحلبي

ايا ساكنى الشهباء جادت ربوعكم * دموعي اذا ما الغيث ضن غمامه
لئن لاح برق في حما الحي موهنا * فمن نار وجدي يستمد ضرامه
وان هب معتل النسيم على الربا * فمن سقم جسمي يستعير سقامه
اتانى كتاب منكم ففضضته * كما شق عن ثوب الرياض كمامه
وقبلته حتى محوت سطوره * ولذ لقاى في البعاد التثامه
عليكم سلام طيب النشر عاطر * يفض لديكم كل وقت ختامه

وقال الشيخ تقي الدين ابن حجة الحموي

غدت حلب تقول دمشق حفت * بأنواع من الورد الغريب
فبالجوريّ ان هي كاثرتني * فنعم انا ببستان النصيبي

وقال الشيخ زين الدين ابن الوردي

عليك بصهوة الشهباء بكفي * يجوشها محاربة الزمان
فللعرفان فى الفردوس طيب * يفوح شذاه من باب الجنان

﴿وقال الشيخ احمد بن عبدالعزيز يتشوق اليها ويمدح السلطان صلاح الدين﴾

منازلنا حيث المزار قريب ✫ وداعي الهوى يدعو الهوى فيجيب
سقى حلباً جفني ربوعك باكر ✫ من المزن مجرور الذيول سكوب
وادهم جهال له البرق غرة ✫ تضيء ومنه للجنوب جنيب
يسيره طورا فأن وطئ الثرى ✫ فسيان ريا هدة وكثيب
واوطف من نوء السماكين مغدق ✫ سمير الصبا يخطى بها ويصيب
اذا فوقت منه سهام مروقة ✫ رمى الجدب عن قوس الحيا فيصيب
الي ان تبدي في سماء رياضها ✫ كواكب نور ما لهن غروب
ويعتم بالنوار هام هضابها ✫ ويلبس برد النبت وهو قشيب
ويصقل خد الأرض بين خلالها ✫ من النهر كف للربيع خضيب
وايامنا حيث الديار خصيبة ✫ ووجه التداني ما علاه قطوب
الا هل بعبد الله عصراً قطعته ✫ بظلك اذ غصن الشباب رطيب
ونحن كما شاء الهوى نجتنى المنى ✫ وليس علينا في الملام رقيب
فيا جيرة الشهباء ان طال نأينا ✫ وحالت حزون بيننا وسهوب
صفوت لكم حباً على القرب والنوى ✫ فسيان منكم مشهد ومغيب
ومنها وكل الذى يأتيه من حسناته ✫ زمانى مع هذا البعاد ذنوب
فخلوا نسيم الريح من سفح جوشن ✫ يوافيه منه نسمة وهبوب
احملها شوقاً سلامى اليكم ✫ فيعبق منها للجنوب جيوب
فياليت شعرى والأمانى تعلة ✫ ايضحى بعيد الدار وهو قريب
فيسرح طرفي في ثنيات جوشن ✫ بروض رعاه المزن وهو خصيب
واكرع من صافى قويق برود ✫ هو الدهر لى دون المياه حبيب

وقائلة لم تشتكي الشوق والأسى ☆ لقد كدت من فرط الحنين تذوب
اما ان ترى الا وانت مروع ☆ مشوق الى تلك الديار طروب
تفارقها عمداً وتمسى لفقدها ☆ وانت قريح المقلتين كئيب
فقلت لها ما عن ملال هجرتها ☆ وكيف وعودي فى الحفاظ صليب
ولكن دعاني فاستجبت مبادراً ☆ الى العز عزم للعلاء طاوب
ونفس كريم لا فنا الهون طيب ☆ لديه ولا مغنى الهوان رحيب
وجود صلاحيّ اذا جاد صوبه ☆ تعلم منه الغيث كيف يصوب
وحسن محيا يوسفيّ اذا بدت ☆ طلاقته بشراً فليس يغيب
هو الملك لا راج نداه مخيب ☆ لديه ولا لاج اليه غريب
نهوب لأرواح الكماة لدى الوغى ☆ وللجيش مهما حاز وهو وهوب
مكارمه فينا ضروب تنوعت ☆ وليس له فى العالمين ضريب
فلا تنكري ان بعت اهلي وموطني ☆ بقربيَ منه انني لمصيب
وليس سوى دار الكرامة موطن ☆ وليس سوى شخص العلاء نسيب

وقال الشيخ شمس الدين محمد ابن العفيف من قصيدة

اقول والبارق العلوي مبتسم ☆ والريح مقبلة والغيث ينسكب
اذا سقى حلب من مزن غادية ☆ ارضاً فخصت بأوفى قطره حلب
ارض متى قلت من سكان اربعها ☆ اجابك الاشرفان الجود والحسب
قوم اذا زرتهم اصفوك ودهم ☆ كأنما لك ام منهم واب

وقال منصور بن المسلم بن ابى الخرجين النحوى الحلبي من قصيدة

عسى مورد من سفح جوشن نافع ☆ فأنى الى تلك الموارد ظمآن
وما كل ظن ظنه المرء كائن ☆ يحوم عليه للحقيقة برهان

وقال عيسى بن سعدان من ابيات ذكرها في المعجم فى الكلام على جبل السماق

ياحبذا التلعات الخضر من حلب ☆ وحبذا طلل بالسفح من طلل
ياساكني البلد الأقصى عسى نفس ☆ من سفح جوشن يطفي لاعج العلل
طال المقام فوا شوقا الى وطن ☆ بين الاحص وبين الصحصح الرمل
ماذا يريد الهوى مني وقد علقت ☆ انى انا الأرقم بن الأرقم الدغل

والبيت الأخير من تاريخ ابن شداد

ولأبي بكر الصنوبري قصيدة طويلة اوردها ياقوت في معجمه بتمامها واولها

احبسا العيس احبساها ☆ وسلا الدار اسئلاها ☆ اسألا اين ظباء
الدار ام اين مهاها ☆ حلب بدر دجا ☆ انجمها الزهر قراها

ومنها حبذا جامعها الا ☆ جامع للنفس تقاها ☆ موطن يرسي ذوو الا
بر لمرساه جباها ☆ حلب اكرم مأوى ☆ وكريم من اواها

وقد ختمها بقوله فاخري يا حلب المدن م يزد جـاهك جاها
انه ان لم تك الم ☆ دن رخاخا كنت شاها

وقال الشاعر سرور بن الحسين من اعيان القرن الحادي عشر من قصيدة ستاتي في ترجمته

وليلة غاظ البدر فيها اجتماعنا ☆ فكنا نرى في وجهه اثر الحقد
وملتقطات من فؤاديَ تجتني ☆ احاديث احلى مجتنى من جنى الشهد
الذ من المـاء القراح على الظما ☆ واعذب من طيب الكرى عقب السهد
وبالبقعة الغناء من سفح جوشن ☆ فتلك الربى فالسفح من جوشن الفرد
كأنا الى شاطي مجر قويقها ☆ وقد اشرف السعدى بكم انجم السعد
تجد بنا اهواؤنا لخلومنا ☆ موفرة فيها على الهزل والجد
وكم بردت للنل عين قريرة ☆ سروراً بنا والشمل منتظم العقد

﴿ وقال عمر اللبقي الحلبي من اعيان القرن الثاني عشر ﴾

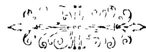
شهبا العواصم لا تخفى محاسنها ☆ فالله يكلؤها من كل ذي عوج
يمم حمى حلب تلقى السرور على ☆ جبين ابنائها النير البهج
فعج ولج وتأمل بلدة شملت ☆ باب الجنان وباب النصر والفرج

﴿ وللفاضل يوسف بن حسين الحسيني من اعيان القرن الثاني عشر ﴾

قل لمن رام النوى عن بلدة ☆ ضاق فيها ذرعه من حرج
علل القلب بسكنى حلب ☆ ان فى الشهباء باب الفرج

ولبعضهم في عين التل وقد اجاد

برؤية عين التل قرت عيوننا ☆ وزاد ابتهاج العين فى ربوة العين
ولما رأى انسان عيني لعينها ☆ فعوذتها بالله من شر ذى عين



تم بتوفيقه تعالى طبع الجزء الثالث من (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء)
في الحادي والعشرين من شوال سنة الف وثلاثمائة وثلاثة واربعين
وبه تم القسم الاول من التاريخ ويليه الجزء الرابع ومنه يبتدئ القسم الثاني
وهو تراجم اعيان الشهباء وبالله التوفيق



